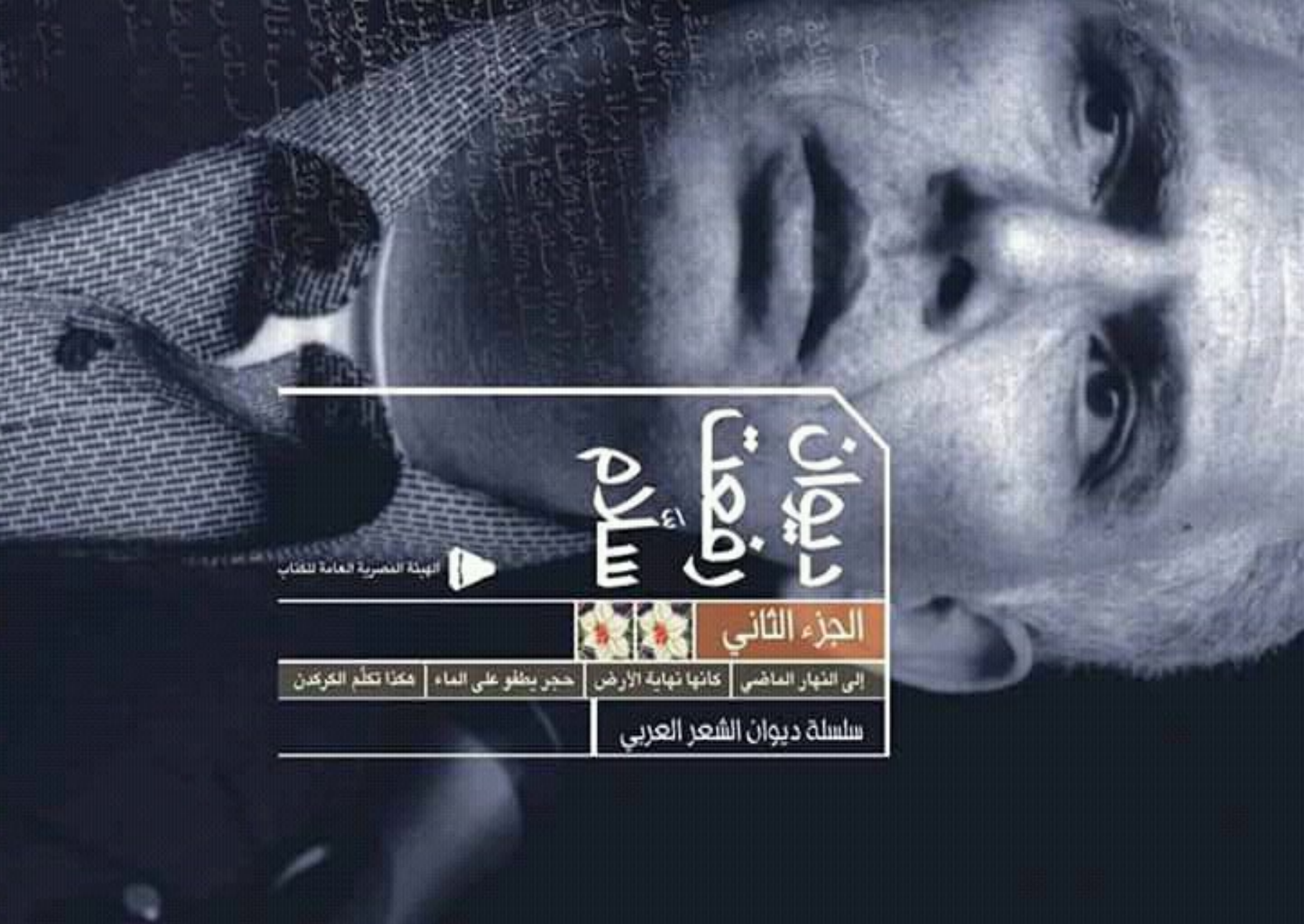
عيون شعرية
٤١
الهيئة المصرية العامة للكتاب
الجزء الثاني
إلى النهار الماضي
كأنها نهاية الأرض
حجر يطفو على الماء
هكذا تكلم الكركدن
سلسلة ديوان الشعر العربي

الأعمال الكاملة
t.me/kotbhm

إلى النَّهـار المَاضِي

1998

إلى النَّهـار المَـاضي

لِي أن أختَرِعَ التَّـارِيخ
وَلَه أن يُذعِنَ لِي

مِنيَـا القَمح 1951

لِي أن أقبِضَ قَبضَةً مِن طِينِ المُوَافِقِ 16 نُوفمبِر 1951، وَأنفُخَ فِيهَا مِن رُوحِي المُرَفرِفَةِ عَلَى شَفَا العَرَاء، فَتَستَوِي عَرشًا وَمَلَكُوتًا مِن ذَاكِرَةٍ يَطفُو عَلَى مَاء (صَولَجَانٌ، وَحَاشِيَةٌ، وَرَعَايَا غَابِرُون. أينَ الجَوَارِي وَالمَحظِيَّات؟ وَإذ يَنعَقِدُ الدِّيوَانُ فِي الإيوَانِ، أنفَجِرُ فِيهم: لِمَن المُلكُ اليَوم؟ فَيَخِرُّون).

فَمِي لاَ يَذكُرُ الثَّـدي.

وَأمِّـي اختِـصَارُ سَـبعَةِ آلافِ سَـنَةٍ مِـن أوبِئَـةٍ وَطَـوَاعِينَ وَمَجَاعَـاتٍ وَفَاتِحِين. حُقُولٌ مِن عَفَارِيتَ لَيلِيَّةٍ تُحَاذِي الذَّاكِرَةَ، وَبَيتٌ مِن رِيحٍ وَشَمسٍ. جَمَلٌ وقَصَبٌ يَتَهَادَى، يَقُولُ لِي: هيتُ لَك. وَيَقُولُ: لَستُ سَفِينَةً. وَيَبكِي فِي حضنِي.

تَفتَحُ أبوَابَ الفُصُـول.
تُرَبِّيهَا كَدَجَاجَاتٍ يَائِسَة.
وَتَصنَعُ الحُقُـول.

أعشَاشُ عَصَافِيرَ سَقفِي، وَسَمَاءٌ مِن طَائِرَاتٍ وَرَقٍ (مَن يُطلِقنِي إلَيهَا، وَيَربِطنِي بِالخَيطِ، كَي لاَ أتُوهَ فِي الفَضَاء). وَالخَلاَءُ يُطلِقُ غِيلاَنَه فِي اللَّيلِ، وَيُخفِيهَا فِي النَّهَار.

لِلطَّائِرَاتِ الحَدِيدِ قَضبَانٌ سَمَاوِيَّة.
وَلِي: الزُّرقَـة.

قَصَبٌ لِلشِّتَاءِ، وَسَطحٌ لِلقَصَب. قُلتُ: لَيسَ سِوَى الجَمَل، فَأتَانِي ضَارِعًا إلَى سَطحٍ وَأبٍ وَطِفلٍ مُشمِسِين (جَمَلٌ بِجَنَاحَين هَائِلَين، وَذَيلٍ شَجَرَة. فِي الغُرُوبِ، يَمرُقُ فَوقَ حُقُولِ الذُّرَة).

أبٌ مَارِدٌ وَسِكِّينٌ وَأعوَادٌ وَشَمسٌ أُمُومِيَّة. أجلِسُ عَلَى سَطحِ العَالَم. أتَلَقَّفُ مَا تَرمِيه لِي الأُبُوَّة. وَكُلُّ رَمِيَةٍ رَحِيقٌ مُسكِرٌ وَدَهشَةٌ مُرتَجَلَة. تَحتِي: البُوصُ وَالحَطَبُ، وَالعَصَافِيرُ المُرَفرِفَةُ فِي أحلاَمِهَا. تحتِي: الغُرَبَاءُ المَجهُولُون، وَغُرَفٌ لاَ تُرِيدُ المَجِيء. تَحتِي: اهتِزَازَاتُ الصَّاعِدِين.

بِنت: شَمسٌ سَـودَاء.
أستَدرِجُهَا- أو تَستَدرِجُنِي- إلَى ظِلِّ الزِّيرِ الَّذِي يَنَامُ مَبلُولاً فِي القَيلُولَة. لاَ يَقُولُ شَيئًا. وَحِينَ يَرَانَا الآخَرُون مَبلُولَين يَضحَكُون. لاَ نَعرِف.

مَرَاكِبُ لَهَا أجنِحَةٌ بَيضَاءُ تُرَفرِفُ الهُوَينَى، فِي المَاضِي. رَصَاصٌ ذَائِبٌ يَلُوبُ تَحتَ الأجنِحَة، وَطُيُورٌ مَا فِي الزُّرقَةِ النَّحِيلَةِ لاَ تُكَلِّمُنِي.

غُرَبَاءُ يَعِيشُونَ فِي الغُرَفِ وَفِيَّ. يَزحَمُونَنِي، يَفعَصُونَنِي، يَسرِقُونَنِي مَنِّي، لاَ يُوقِفُهُم أحَدٌ، أو يَطرُدُهم. شَخصٌ مَا قَالَ: هُم أخوَتُك. مِن أينَ جَاءُوا؟ لِمَاذَا؟

حَدِيقَةٌ غَامِضَةٌ. خُبزٌ وعِنَبٌ وجُبنَةٌ بَيضَاءُ عَلَى عُشبٍ أخضَر. أصِيلٌ غَامِض.
هَل الزَّمَنُ مِيرَاثٌ لَنَا؟ أشجَارٌ مَجهُولَةٌ تَرمُقُنَا بِأسئِلَةٍ صَامِتَة. أحَدِّقُ فِيهَا بُرهَةً، وَأنسَى.

مَا الَّذِي جَاءَ بِالغُرَبَـاءِ مَعَنَا؟

أقُولُ إن انهَارَت السَّمَاءُ (لاَبُدَّ لَهَا مِن أعمِدَةٍ خَفِيَّة)، فَستَهوِي عَلَى النَّخِيـلِ والأشجَار، وَتَظَلُّ مُعَلَّقَةً فِي مُتَنَـاوَلِ أيدِينَا، لاَ تَسقُطُ فَوقَنَا.

وَقتَهَا، يُمكِنُنِي أن أُطعِمَهَا وأسقِيَهَا وَألعَبَ مَعَهَا. يُمكِنُنِي أن أقُولَ لَهَا اهبِطِي قَلِيلاً، دُونَ سُقُوط. وَقتَهَا، سَأدعُو الجَمَلَ المُجَنَّحَ وَالعَصَافِيرَ وَالشَّمسَ السَّوداءَ، نَلعَبُ وَنُغَنِّي حَتَّى مَطلَعِ الأحلاَم.

مَرأةٌ بَيضَاءُ تَلعَبُ بِي، وَشَمسٌ سَوداءُ صَغِيرَة.

الأُولَى لَهَا ثَديٌ مِن طَحِين، وَبَطنٌ مِن عَجِين. تَضُمُّنِي، فَأَنَامَ وَيَصحُو جُوعِي. وَالثَّانِيَةُ تُشِعُّ فِي النَّهَارِ ضَوءًا أسوَدَ لاَمِعًا، صَقِيلاً، انزَلَقتُ عَلَيه ذَاتَ غَسَقٍ، فَانكَسَرَت ذِرَاعِي.

لِمَـاااااااااذَا؟

مِن رِيشِ الدَّجَاجِ المَذبُوح، أصنَعُ لِي أجنِحةً فِي ذِرَاعَيَّ وَحُلمًا، أطِيرُ بِهَا إلَى الفَضَاءِ البَعِيدِ. تُرَفرِفُ حَولِي العَصَافِيرُ وَالهَدَاهِدُ وَأبُو قِردَان. تَسأَلُنِي: مَن أنت؟

مَارِدٌ أسوَدُ نَحِيل (هَل كَانَت لَه عَينَان؟)، يَنسَلُّ إلَى البَيتِ المُجَاوِرِ فِي المَرأةِ البَيضَاء؛ كُلَّ لَيلَةٍ يَنسَلُّ إلَينَا غِنَاءٌ مُثِيرٌ، وَتَنفَجِرُ الصَّرخَاتُ، كُلَّ لَيلَة.

آهِ يَا شَمسِيَ السَّوداء. هَل يَشوِيهَا قَبلَ أن يَأكُلَهَا، أم يَأكُلُهَا نَيِّئَة؟ عِندَمَا تُشرِقُ فِي الصَّبَاح، سَتَقُولُ لِي كُلَّ شَيء.

ثَديُهَا يَتَفَجَّرُ بِالأسئِلَةِ اليَائِسَة. لاَ أبحَثُ عَن جَوَاب.

إلَى حُقُـولِ الذُّرَة.
إلَى نجُـومِ السَّمَاء.
إلَى الزِّيـرِ المَبلُول.

لاَ أكثَـر.

أحصِنَةٌ سَوداءُ وَبَيضَاءُ وَحَمراءُ تُحَمحِم، تَمُدُّ أعنَاقَهَا لِي.

مِن أينَ جَاءَت؟ إلَى أين؟
انتَظِرِينِي، أيَّتُهَا الأحصِنَةُ، إلَى أن أكبُر.

غَابَةٌ مِن مَخَاوِفَ غَامِضَة. شَمسٌ سَوداءُ تَتبَعنِي خَفِيفَة. ظِلِّي أبيَض، وَالغُرَبَاءُ غُرَبَاء.

أقُولُ لِلطَّائِرَةِ الحَدِيد: كيفَ أتَسَلَّقُ قُضبَانَكِ لأصعَدَ إلَيك؟
أقُولُ لِلعُصفُورَة: لاَ تَترُكِينِي وَحِيدَا.
أقُولُ لِلشَّمسِ السَّوداءِ: نَفَدَت الأسئِلَةُ، وَلاَ جَوَاب (كُلُّ إجَابَةٍ قَادِمَةٍ سَتَخفُرُهَا عَشَرَات الأسئِلَة).

وَأُمِّي خَيمَةٌ فِي الظَّهِيرَة، سَبعَةَ آلاَفِ عَام.
تُشبِهُهَا الطِّيبَةُ، وَأشجَارُ التُّوتِ، وَالنِّعنَاع.
مِن يَدَيهَا، يَلقُطُ الزَّمَنُ حُبُوبَ الذُّرَةِ وَالشُّوفَان وَالنَّدَم.
إلَيهَا يَأوِي، وَيَهجُرُ جَريَ الوَحُوش.

كَيفَ تَنجِبُ المَرأةُ البَيضَاءُ شَمسًا سَودَاء؟ وَالمَارِدُ يُوَزِّعُ الكِيرُوسِينَ بِالقِسطَاسِ عَلَى القُرَى وَالنُّجُوع.

لاَ نِيـرَان.

دُخَانٌ يَصَّاعَدُ فِي الغَسَق. لاَ نِيرَان.
نَاسٌ يَتَكَلَّمُون فِي صُندُوقٍ خَشَبٍ وَصَفِيحٍ صَغِير. يُغَنُّون. أبكِي، وَأرجُمُهُم بِالطُّوبِ؛ لاَ يَخرُجُون، لاَ يَلتَفِتُونَ إلَيْ.

فِي اللَّيل، أضوَاءٌ صَغِيرَةٌ لَهَا ذَيلٌ نَحِيلٌ تَصعَدُ السَّمَاء. هُنَاكَ، تَنطَفِئُ هُنَاك. أنوَارُ الشَّوَارِع مَاتَت. لاَ مُعَزِّين. الأضوَاءُ الصَّاعِدَةُ لُعبَةٌ مُسَلِّيَة.

مَا الَّذِي تَعنِيه كِلمَةُ حَرب؟
مِن أينَ يَجِيءُ الأب؟

عِيدَانُ الذُّرَةِ العَالِيَةُ تُسَوِّرُ العَالَم.

مَحبُوسٌ، ألهُو فِي قَفَصِي.

وَالعِيدَانُ قَضبَانٌ خَلفَهَا قُضبَانٌ وَقُضبَان.

طَعَامٌ عَلَى عُشبٍ مَعَ الغُرَبَاءِ فِي غَسَقٍ مَا. قَاعَةٌ فَسِيحَةٌ مَسقُوفَةٌ بِسَمَاءِ المَسَاء، يَحتَلُّهَا غُرَبَاءُ آخَرُون، يَتَطَلَّعُون فِي جِدَارٍ أبيَض. رِجَالٌ وَنِسَاءٌ يَرقُصُون وَيُغَنُّونَ فِي الجِدَار. أنَام. آخَرُون يَركُضُون بِأحصِنَةٍ شَبَحِيَّة. أنَام.

أصحُو، وَفِي جَسَدِي السَّنَابِك.

لِمَاذَا تُلَمِلِمُ أمِّي أسئِلَتِي مِن الأركَانِ وَالزَّوَايَا، وَتَضَعُهَا فِي عَرَبَة؟
إلَى أيـن؟

لِمَاذَا تَخَلَّى عَنِّي الجَمَلُ المُجَنَّح؟ أيَّتُهَا الشَّمسُ السَّوداءُ: أينَ ذَهَبَ ظِلِّيَ الأبيَض؟ مَارِدٌ نَحِيلٌ يُقَهقِه، وَالبَيضَاءُ تَبكِي- مَحلُولَةً- بِلاَ حِيلَة. أحصِنَةٌ تعدُو فِي الاتِّجَاهِ المُعَاكِسِ، إلَى الوَرَاءِ، فَمَن يَأتِينِي بِالقَيلُولَةِ المَبلُولَةِ، فِي صُندُوقٍ خَشَبِيٍّ يُكَدِّسُونَ أوقَاتِي، إلَى العَرَبَةِ الصَّاجِ، قَالَ لِي: لَستُ سَفِينَةً، وَأبحَرَ فِي المَاضِي، وَأمِّي تُطلِقُ الدَّجَاجَاتِ اليَائِسَةَ مِن يَأسٍ، فَهَل مَاتَ الكَلاَم؟ أيُّهَا اللُّصُوصُ، مَا الَّذِي تَسرِقُونَه؟ دَخَانٌ دَاخِلِيٌّ، مَن يَحتَرِق؟ لاَ أجنِحَةَ لِي، وَطَائِرَاتُ

الوَرَقِ مَقطُوعَةُ الخُيُوط، فَرَّت بِلاَ رُجُوع، وَالقُضبَانُ تُسَوِّرُنِي، أينَ أنَا؟ وَأبُو قِردَان يَسأَلُنِي: مَن أنت؟ أبكِي أم أضحَك؟ أمِّي- الآنَ- خَيمَةٌ لَيسَت لِي، فَانتَظِرِينِي، سَأكبُرُ سَرِيعًا مِن أجلِك. ثَديٌ مُتَرَعٌ بِالأسئِلَةِ، وَفَمِي بِلاَ ذَاكِرَة. فَلِمَاذَا تَختَفِي العَفَارِيتُ فِي اللَّحظَةِ الحَاسِمَة؟ هَل يَترُكُونَنِي أحرُس الفَرَاغَ الرَّطبَ وَالأيَّامَ المَاضِيَة؟ السَّمَاءُ تَدِيرُ ظَهرَهَا لِي، تَمضِي، وَالأسئِلَةُ عَالِقَةٌ بِطُوبِ الجُدرَانِ العَارِي وَخَشَبِ الشَّبَابِيك. شَمسِيَ السَّوداءُ بِلاَ سُوءٍ تَبكِي غُرُوبِي. أيُّهَا القَتَلَةُ: مَا الَّذِي تَقتُلُونَه؟ سَمَاءٌ هَارِبَةٌ، أجنِحَةٌ بَيضَاءُ تُرَفرِفُ فِي مَاء. أقُولُ: لاَ تَترُكِينِي وَحِيدًا. لاَ أعرِفُ. لاَ أحَد.

أيُّهَا اللُّصُوصُ وَالقَتَلَة

فاطِمَـــة

لاَ تَعرِفُ النَّومَ، وَلاَ يَعرِفُهَا السَّهَر.
تَمشِي الفُصُولُ فِي أقدَامِهَا،
وَيُورِقُ الحَجَـر.
مَرجُ زَعفَرَانٍ فِي امرَأةٍ،
وَامرَأةٌ مِن الصَّحوِ الجَمِيلِ المُنهَمِر.

أنسَلُّ مِنهَا إلَيهَا، بَينَنَا خَيطُ دَمٍ وَيَاسَمِينٍ لاَ يَعرِفُهُ الزَّمَنُ وَلاَ عَوَامِلُ التَّعرِيَةِ، أنَا الوَلَدُ الصَّغِيرُ لاَ أبلُغُ حَافَّتَهَا، جَنَاحَايَ بِلاَ رِيشٍ يُرَفرِفَانِ إلَيهَا، أيَّتُهَا البَاذِخَةُ لَم تُولَد مِن رَحِمٍ، سِربُ أسَاطِيرَ غَائِرَةٍ، غَيمَةٌ تَهطِلُ المَنَّ وَالسَّلوَى عَلَى الأقرَبِين، وَفِي يَدَيهَا شَغَفٌ بَائِنٌ يَنمُو فَتُطعِمَنَي فَيَنمُو، مِن أينَ جِئتُ إلَيهَا؟ مِن حَدِيدٍ تَقطُرُ الحِنَّاءَ عَلَى وَجهِي كُلَّ صَبَـاحٍ كأنَّنِي تَمِيمَتُهَـا أو طَوطَمُهَا البَرِّيُّ، وَجهُهَا صَـلاَةٌ

قَائِمَةٌ لِغَيرِ مَا رَبٍّ آنَاءَ اللَّيلِ وَأطرَافَ النَّهَارِ، تَحرُسُ النَّـومَ مِن طَعنَةِ الخِنجَـرِ الآبِـقِ أو سِـربِ الكَـوَابِيسِ الـسَّاهِرَة، أرعَـى فِـي حُقُولِهَـا حَشَائِشَ النَّهَارِ وَأعشَابَ الطُّمَأنِينَة، أيَّتُهَا الخُطَى الحَائِرَةُ طَرِيقِي نَائِمٌ فِي ظِلِّهَا كَقِطَّةٍ مُترَعَةٍ بِكَسَلٍ شِتَائِيٍّ، يَدِي امتِدَادُ جِلبَابِهَا القَرَوِيِّ، وُرُودٌ فَادِحَةٌ عَلَى سَمَاءٍ خَضرَاءَ أو مُرُوجٌ صَفرَاءُ عَلَى مَاءٍ يَفِيضُ نَاعِسًا (لَـن تَرَى أسمَاكَـه الـصَّغِيرَةَ فِي القَـاعِ تَلـهُو بِالمَحَـارِ وَالجُـذُورِ العَارِيَة)، حُقُولٌ إلَى حَصَادٍ، تَقُولُ لِلنَّهرِ أنَا أمُّك، وَلِلأشجَارِ وَالأيَّامِ أنتُم أرَانِبِيَ الصَّغِيرَةُ، لاَ تَقُولُ لِي، خَلفَهَا إلَى السُّوقِ، مِن أيَّةِ ثُغرَةٍ مَنسِيَّةٍ سَيأتِينِي اللُّصُوصُ؟ مَوصُولٌ بِظِلِّهَا أنَا الصَّغِيرُ، وَهِيَ خَيمَةٌ شَاهِقَةٌ بِالشُّهبِ وَالشُّمُوسِ، مِن أينَ جَاءت؟ هَل فَمِي ذَاكِرَةٌ لِلَّبَنِ الأمُومِي، أيُّهَا الغَرِيبُ الَّذِي يَسطُو عَلَيهَا انتَظِرنِي عَلَى قَارِعَةِ المُرَاهَقَةِ بِالسِّلاَحِ وَالجَسَدِ العَارِي مِن الأبُوَّة، لاَ ظِلَّ دَاخِلَهَا، أنَامِلُهَا شَارِعٌ يُظَلِّلُـه شَـجَرُ الرُّقَـى وَالتَّعَاوِيـذِ إلَـى النَّـوم، فَهَـل جَـاءَت الأسَـاطِيرُ بِالـسَّلوَى، وَأفـرَاخُ الـزَّمَنِ الزَّغبَـاءُ تَحسُو مِـن يَـدَيهَا المَـاءَ، خَـيطُ دَمٍ وَيَاسَـمِين يَشبُّ مِنهَا وَيُعشِبُ فِي الجِهَـاتِ، يُومِئُ لِي، وَيَرمِي فِيَّ طَرفَـه الـرَّحِيمَ، خَيمَـةٌ مَنـشُورَةٌ تُـؤْوِي الهَدَاهِـدَ وَالـسَّوَاقِي وَالنَّخِيـلَ المَارِقَ، تَرفُو لِي بَصِيرَتِي وَثَوبِي الوَحِيدَ، مِن أينَ يَصَّاعَدُ الغِنَاءُ؟ مِن قَرَارِ الأرضِ أم مِن غَيمَةٍ عَابِرَة؟ غُبَارُهَا غَمَامَةٌ طُيُورٌ زَرقَاءُ تُمطِرُ القُرَى بِالرَّحمَةِ اليَومِيَّة، لِلَيتَامَى وَالمَسَاكِينِ نَصِيبٌ وَالبَطُّ وَالدَّجَاجُ أطفَالُهَا المَرحُون، تَذبَحُهُم وَاحِدًا وَاحِدَةً لِي، لِمَاذَا يَزحَمُنِي الأغرَابُ فِيهَـا؟ أضرِبُهم بِالطُّـوبِ وَأحَرِّضُ اللهَ عَلَى قَتلِهِـم أجمَعِين (سَأبكِـي عَلَيهِم قَلِيلاً، ثُمَّ أنسَى)، تَخلِق الأعيَادَ مِن عدَمٍ، تَجِيءُ لَهَا بِالثِّيَابِ

الجَدِيدَةِ وَالكَعكِ، تُطلِقُنِي إلَى البُيُوتِ بِالمَلاَبِسِ المُلَوَّنَة، أوَزِّعُهَا بَهجَةً تُضِيءُ قَنَادِيلَ الظَّلاَمِ، انتَظِر طَرقَتَه عَلَى البَابِ بَعدَ حُلمٍ أو اثنَين، سَاطِعًا، بِدَائِيًّا، حَدِيدٌ بَينَ يَدَيهَا يَختَرِعُ الفَرحَةَ البُرتُقَالِيَّةَ لِلأَطفَالِ وَالحَافِيَاتِ عَلَى الهَجِيرِ، غِنَاؤُهَا بَابٌ لأسرَابِ العَصَافِيرِ (تَلقُطُ القَمحَ وَالغِنَاءَ مِن رَاحَتَيهَا، وَتَعرِفُ الفَضَاء)، وَالسَّرِيرُ بَاحَةٌ مُبَاحَةٌ لِلقَادِمِ كُلَّ خَمِيسٍ بِأزرَارِهِ اللاَّمِعَةِ وَجَزمَتِهِ العَمِيَاءِ (مِن أين؟)، أيُّهَا البَيتُ مِن حَمَامٍ وَحَلِيبٍ، شَايُ الصُّبحِ تَعوِيذَةٌ حَامِيَةٌ مِن الوَسَاوِسِ النَّائِمَةِ، غمَامَتُهَا لَهَا قَدَمَيَّ فَوقِي، فَكَيفَ أُخفِي خُطوَتِي عَنهَا؟ أتَعرِفُ مَا الَّذِي بَلَّلَنِي فِي اللَّيلِ؟ أنسَلُّ مِنهَا إلَى اللَّيلِيَّةِ القَادِمَة، خُيطُ دَمٍ وَيَاسَمِينٍ يَرتَخِي لِي، هَل تَحَرَّرتُ سَاعَةً مِن نِسيَانٍ؟ تَنزَعُ الفِخَاخَ مِن حَولِي، إلَى أينَ فِي هَذَا الظَّلاَم؟ تَرَى مَا أرَى، فَهَل أرَى؟ عَينَاهَا تَقُولاَن، وَالأبجَدِيَّةُ ضَائِعَةٌ مِن يَدِي، لاَ تُفلِتُ الخَيطَ، يَتبَعُنِي ظِلُّهَا مِثلَ كَلبٍ جَائِعٍ إلَيَّ، سَاهِرٍ عَلَى نَومِي، تَصُبُّ لِي الحِلبَةَ بِالحُلمِ فِي صُبحِيَ المَدرَسِيِّ، صَبَاحَ الخَيرِ، تَصُبُّ لِي مَاءَ النُّبُوءَاتِ وَالوُعُودِ تَغسِلُ وَجهِي، ***سَتَعرِفُنِي فِي انتِصَافِ الرُّجُولَةِ***، لاَ يَعرِفُهَا الرَّمزُ وَالمَجَازُ، ***لَم يَعرِفنِي أحَدٌ، كَأَنِّي لَستُ مِن هَذَا العَالَمِ، انتَظِرنِي عَلَى مُفتَرَقِ القَارِعَةِ، عِندَمَا يَبِينُ الأبيَضُ مِن الأسوَدِ، لَيسَ الدِّيكُ مَا يُؤَذِّنُ الآنَ، لَكِنَّ الحُقُولَ تَقُولُ لِي، لَكَ البِلاَدُ وَالمَعَادُ لِي، أنَا الخَيمَةُ الخَضرَاءُ أوتَادِي الفُصُولُ، هَكَذَا تَنَامُ فِي سَرِيرَتِي كَأرنَبٍ أو حَمَامَة، أطفَالِي جَمِيعًا، لَكِنَّك انتِظَارِي أَلفَ سَهرٍ عَصِيٍّ، فَهَل أنتَ أنت؟ انتَظِرنِي عَلَى مَرمَى حَجَرٍ إلَى أن تَفقِسَ البَيضَةُ وَعلاَ، أهلاً وَسَهلاً، لاَ غَرِيبَ فِي سَرِيرِيَ الخَمِيسِيَّ، بَيضَاءُ سَرِيرَتِي بَيضَاءُ مِثلَمَا تَهوَى،***

وَكَانَ يأتِي لَكَ بِالجَمَلِ المُجَنَّحِ وَالأحصِنَةِ المُلَوَّنَةِ، لاَ يَنظُـرُ فِي عَينَيَّ، بِئْرٌ غَائِرٌ مِن الغُفرَانِ بِلاَ غورٍ، فَهَل تَرَى غَيرَ الجِدَارِ الأصَمِّ وَصَخرَةِ الفَمِ المَلِيءِ بِالدَّمعِ، خَيطِي لَكَ مَمدُودٌ إِلَى الحَافَّةِ، اقفِز كَمَا تَبغِي، يَدِي مَبسُوطَةٌ، أُغَطِّيكَ لِمَن سَتَكشِفُ عَنكَ الغَطَاءَ، أعرِفُهَا، سَتأتِي لِي مَبلُولاً، مَفلُولاً، لَكَ، وَالخَيطُ فَضَاءٌ أو رِيشَةٌ فِي جَنَاحِ قُبَّرَةٍ، أقرَأُ مَا تَقرَأ، لَيسَ البَصَرَ بَل البَصِيرَة، مَتَى تَعرِفُ الحَدَّ القَاطِعَ؟ الصَّمتَ لاَ الصَّوتَ، وَالغُيُومُ مِن رَعَايَايَ الرَّاكِضِين، لاَ نَومَ لِي لاَ سَهَر، لاَ مِن رَحِمِي أتَيتَ وَلاَ مِن ذَاكِرَتِي، أبجَدِيَّةٌ دُونَ أَلفَاظٍ لاَ يَعرِفُهَا سِوَايَ، ذَاتَ يَومٍ بَعِيدٍ تَعرِفُهَا عَلَى سَطحٍ هَاوِيَةٍ، هَل العَينُ أم الرُّؤيَة؟ وَالغَرِيبُ جَمَلٌ صُلبٌ يَختَزِنُ الزَّمَنَ فِي سِنَامِه، وَفِي خِفَافِهِ الرَّحِيلُ فِي البَعِيدِ، سَيَنهَارُ عَلَى غَيبَتِكَ القَادِمَةِ، لاَ تَرَاه، كَأَنَّه ابنِي الضَّالُّ بَينَ المَوَاقِيتِ وَالقُرَى، أُحَمِّمُه بِمَائِي كُلَّ أسبُوعٍ مِن الرُّعبِ وَالظُّلُمَاتِ، كَطِفلٍ إِلَهٍ، وَقَلبِي يَهطِلُ فَوقَ رَحِيلِكَ فِي اللَّيلِ مَعَ الغُرَبَاءِ، سَادِسُهُم كَلبُهُم، أيُّ لَيلٍ يَقطَعُ الآنَ خَيطِي؟ أَيَّتُهَا الحُرُوبُ الأهلِيَّةُ وَالهِجرَاتُ اللَّيلِيَّةُ وَالطَّوَاعِينُ، هَكَذَا أصنَعُ بَلَدًا، لِلبَلَدِ حُقُولاً وَبُيُوتًا، لِلبُيُوتِ نَاسًا وَطُيُورًا، لِلحُقُولِ فُصُولاً وَخِصبًا، وَأنتَ لِي، لَن تَعرِفَ إلاَّ فِي المُفتَرَقَاتِ الكَامِنَةِ، بِلاَ وَقتٍ آيَاتِي تَتَنَزَّلُ فِي النِّسيَانِ كَنَجمٍ مُحتَرِقٍ، لاَ أُشبِه لاَ يُشبِهُنِي، مَن يَعرِفُنِي، سِرِّيَّةً تَرُوحُ وَتَجِيءُ، لاَ يَرَونَ غَيرَ ظِلِّي، لَهُم، سَـــبعَةُ آلاَفٍ مَرَّت وَأخـــرَى تَأتِي، حَبلُكَ السُّـرِّيُّ ذَيلُ جلبَابِي، مَتَى تَعبُرُ الأبجَدِيَّةَ؟ لاَ الكِتَابَةَ لاَ الكَلاَمَ، ضِفَّةٌ ثَالِثَةٌ، وَرِيشٌ أصفَرُ أزرَقُ أحمَرُ لِجَنَاحَيكَ، لَن تَقطَعَ الخَيطَ لَن، أُعطِيكَ مَفَاتِيحَ البَوَّابَاتِ، فَلاَ تُوصِدهَا خَلفَكَ، صَهوَتِي الزَّمَـــنُ، لاَ أَتَرَجَّلُ،

اركُض كَمَا تَشَاءُ، أَنَا بَيتُكَ المَفتُوحُ، فَاركُض، يَرتَخِي إِلَى الحَافَّةِ، لاَ خَلفَ، أَمَامًا، إِلَى دُرُوبٍ جَاهِلَة

كُلُّ دَربٍ حَربٌ،
كُلُّ حَربٍ شَمسٌ آفِلَة.
كُلُّ شَمسٍ دَرسٌ،
كُلُّ دَرسٍ صَحوَةٌ ذَاهِلَة.
كُلُّ صَحوَةٍ صَبوَةٌ،
كُلُّ صَبوَةٍ هَاوِيَةٌ قَاتِلَة.
فِي قَاعِهَا سَوفَ تَلقَانِي:

وَردَةً
أو
قُنبُلَـة

مِنيــة شِــبين

بُيُوتٌ مِن طِينٍ وَطِيبَــة. نَاسٌ لَهُم غُصُـونٌ وَأوراقٌ خَضرَاءُ، تَسقُطُ فِي الشِّتَاءِ، وَتَنمُو فِي الشَّفَقِ. لَهُم- أحيَانًــا- أشوَاكٌ عَتِيقَةٌ فِي نَهَارَاتِ القَيظِ الزَّاهِقَة. جُدرَانٌ تَتَكَـاثَرُ بِـلاَ بُـذُورٍ، بِـلاَ مَـاءٍ، بِأنفَـاسِ النَّـومِ وَهَـوَاجِسِ المَاشِـيَةِ بِالـسَّكَاكِينِ الطَّوِيلَـة. لِلجَـامُوسِ أن يَحتَـلَّ سُـرَّةَ العَـالَمِ، وَيَقضُمَ السَّـأمَ بِـلاَ يـأسٍ. بِعَيـنَينِ سَـاهِمَتَينِ، يَسأَلُنِي: مَـاذَا تُرِيد؟ وَالنَّخِيــلُ أعمِدَةٌ فِي رُوَاقٍ، لَهَا أذرُعُ مَرفُـوعَةٌ تَمنَعُ السَّــمَاءَ مِن السُّقُوطِ المُفَـاجِئ. ذُرَّةٌ أخـرَى تُسَوِّرُ العَـالَمَ الجَدِيـدَ. أتَسَلَّلُ بَـينَ قُضبَانِهَا المُتَتَالِيَةِ، وَأختَـرِعُ وَهمًـا جَلِيلاً يَلِيـقُ بِالخَامِسَة. بَـاطِنُ قَـدَمِي تَذُوقُ الأرضَ الزِّرَاعِيَّةَ (طَعمُهَا يُشبِهُ الغِوَايَــةَ)، تُؤَاخِيهَا، وَتَتَبَادَلاَنِ الوُعُودَ وَالأسرَارَ القَادِمَةَ. بَطٌّ وَدَجَاجٌ وَأرَانِبُ أخوَةٌ لِي فِي الرِّضَاعِ. أقُـولُ لِلأرنَـبِ: أنـتَ شَـبِيهِي، تُرَفـرِفُ بِـلاَ أجنِحَـةٍ، وَتُحَلِّـقُ عَلَـى الأرض.

أينَ أبِـي؟

يَـا مَطَـرَة، رُخِّـي رُخِّـي. القَفَـصُ يَأخُـذُ شَـكلَ شَـارِعٍ، لَكِـنَّ الكِبَـارَ يَنفُـذُونَ مِـن بَوَّابَتِـه المَفتُوحَـةِ. فَلِمَـاذَا تَنغَلِـقُ عَلَـى خُطـوَاتِي؟ أخَطِّـطُ الأرضَ بُيُوتًـا وَبِـلاَدًا، أقَـسِّمُ الأولاَدَ شُـعُوبًا وَقَبَائِـلَ (لِيَتَعَـارَكُوا)، وَأُضرِمُ النَّارَ فِيهِم جَمِيعًا. أفُوزُ وَحدِي بِالمَسبِيَّاتِ وَالغَنَائِمِ، وَيَمُوتُون. مَطَرٌ بَهِيجٌ يُشعِلُنِي. أصبِحُ سَمَكَةً أو ضُفدَعًا يَتَقَافَزُ مَرَحًا. أمُدُّ لَه يَدًا، يَقُولُ: لاَ تَترُكنِي وَحِيدًا فِي العَرَاء. أمنَحُه جِلبَابِيَ الوَحِيدَ، أركُضُ فِيه دَاخِلَ القَفَص.

حَصِيرَةٌ مُلَوَّنَةٌ عَلَى أرضٍ سَودَاء، خُطُوطٌ حَمرَاءُ وَزَرقَاءُ تَتَسَرَّبُ إلَى نُعَاسِي اللَّيلِيِّ، وَتَلتَفُّ عَلَيْ. أصحُو شَجَرَةً صَغِيرَةً، أوراَقُهَا زَرقَاءُ وَحَمرَاءُ، ثِمَارُهَا الدَّهشَة. مَا الَّذِي هَدَمَ القُضبَانَ ذَاتَ صَبَاح؟ غَيمَةٌ مِن حَمَامٍ لاَ تُمطِرُ فِي الصَّيفِ. سَتَجِيءُ بِالشِّتَاءِ بَعدَ يَأسَين وَثَلاَثَةِ انتِظَارَات. غَيمَةٌ مِن حَمَامٍ. مَطَرٌ مِن هَدِيل.

كَيفَ يَصعَدُون كُلَّ هَذَا الجَمَل؟

وَأُمِّي مَملَكَـة.

رَعَايَاهَا الزَّمَنُ وَالدَّجَاجُ وَبَردُ الشِّتَاء. تُطعِمُهُم، وَتُغَنِّي لَهُم، فَيَنَامُونَ أطفَالاً فِي حضنِهَا. أنسَلُّ وسطَهُم. تَرعَى النَّومَ، وَتَهُشُّ الكَوَابِيسَ بَعِيدًا.

خَيمَةٌ يَأوِي إلَيهَا أبنَاءُ السَّبِيل؛
أو شَجَرَة.

بَعِيــدًا، بَعدَ أن انهَارَت القُضبَانُ، تَستَندُ حَافَّةُ السَّمَاءِ عَلَى الأرض. رُبَّمَـا، عِنـدَ البَلـدَةِ المُجَـاوِرَة. ذَاتَ يَـومٍ، سَأصِـلُ إلَيهَـا، وَأتَحَسَّسُهَا بِيَدِي.

لُغَةٌ: بَينَ الأرضِ وَقَدَمِيَ الحَافِيَة.
لَن أبُوحَ بِهَا، وَلَن تَبُوح.
لُغَةٌ بَصِيرَةٌ تَقُودُ- دَائِمًا- إلَى المَجَاهِلِ وَالمَتَاهَاتِ الغَافِية.
أدخُلُهَا. لاَ أُوقِظُهَا.

السَّاقِيَةُ القَرِيبَةُ بَيتُ العَفَارِيتِ، تَنَامُ النَّهَارَ وَتَصحُو الظَّلاَم، تَتَرَبَّصُ بِالعَابِرِين. أبحَثُ عَن آثَارِهِم فِي الصَّبَاح، فَيَهطِلَ التُّوتُ عَلَى رَأسِي.

شَـيخٌ أعمَـى يَقُـودُ المُبـصِرِين. وَرَقَـةٌ مِـن اردِوَازٍ، وَالقَلَـمُ إصـبِعِي. الخَيزَرَانَةُ وَعدٌ مَوقُوتٌ بِالصُّرَاخِ المُعَلَّقِ فَوقَ الرُّؤُوس. لاَ أنتَظِر. إلَى الخَيمَة.

قَفَصٌ لَه جُدرَانٌ عَالِيَة، تَزُفُّنِي أمِّي إلَيه بِثِيَابٍ جَدِيدَةٍ وَحِذَاء. لَه سِتُّ غُرَفٍ تَزدَحِمُ بِالنُّزَلاَء. رِجَالٌ مُرعِبُون يَسُوقُونَنَا بِالعِصِي. وَحِينَ يَنفَتِحُ البَابُ، يَعُودُ لأفوَاهِنَا الكَلاَمُ وَالضَّحِكُ، وَلأقدَامِنَا الهَروَلَة.

فِي الخَفَاءِ، أصنَعُ حِمَارًا وَجَمَلاً، بَطَّةً وَدِيكًا مِن طِينِ الأرض. أنفُخُ فِيهَا مِن رُوحِي. لاَ يَستَجِيبُون. أعرِفُ أَنَّنِي مَازِلتُ إِلَهًا صَغِيرًا.

أقُول: بَعد حِينٍ أكبُر، وَتُوَاتِينِي المَقدِرَة.

اليَمَامَةُ أختِي الشَّقِيقَةُ، لِمَ تَطِيرُ دُونِي؟ أبكِي. تَقُولُ لِي: مِن رِيشِي، سَأصنَعُ لَكَ أجنِحَةً، فِي الغَد. تُكَفكِفُ دَمعِي، فَأنتَظِر.

عُوَاءٌ عَلَى حَافَّةِ الحُلم.
هَرولَةٌ مَسعُورَةٌ فِي حَوَارِي الظَّلاَم.
لِمَاذَا يَهطِلُ المَطَرُ الآن؟

عِيدَانُ الحَصِيرَةِ تتَشَبَّثُ بِجَسَدِي فِي السِّر: كُلُّهُم يَدُوسُونَنِي، إلاَّ أنتَ، تَمنَحُنِي جَسَدَكَ كُلَّ لَيلَة.
أتَحَسَّسُهَا فِي جَسَدِي، وَأكتُمُ الفَضِيحَة.

ظَلاَمٌ كَبِيرٌ، كَبِير.
مَا مِن نَجمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي قَلبِي.
أصَابِعِي بَصِيرَةٌ، وَجَسَدِي ذَاكِرَة.

مَتَاهَةٌ، أرفُلُ فِيهَا بِمُحَاذَاةِ الزَّمَن.
لاَ أشرِعَةَ، لاَ خُيُول.

نَائِمٌ، وَعَينِي سَاهِرَةٌ، وَالمَوجَاتُ تَركُضُ عَلَى نَومِي، أَلِيفَةً دَافِئَة.
لاَ جِرَاحَ، لاَ حَلوَى.
فَمَن يَطرُقنِي الآن؟

أذرِعَةٌ خَضرَاءُ تَضرَعُ إلَى السَّمَاءِ، أَبَدِيَّةً لاَ تَرِيم.
وَالسَّمَاءُ سَقفٌ مِن حَجَرٍ وَغُيُوم.
أقذِفُ الطُّوبَةَ إلَيهَا، لاَ تَصِلُ وَلاَ تَهوِي.
مَرأةٌ تُغَنِّي فِي صُندُوقٍ صَغِير. خَارِجَه، أمِّي تُغَنِّي مَعَهَا.

آه، أيُّهَا السُّؤَالُ الَّذِي لاَ أستَطِيعُ اصطِيَادَه.

وَسطَ القَطِيع، أدخُلُ السِّجنَ المُجَاوِرَ- كُلَّ صَبَاح- مُدَجَّجًا بِالأَنَاشِيدِ وَالرُّعب. نَقضُمُ الطَّبَاشِيرَ وَالأبجَدِيَّة، وَالزَّبَانِيَةُ يَنهَالُونَ بِالعِصِي.
فِي الخَارِج، تَنعَمُ المَاشِيَةُ بِالفَضَاءِ وَالبرسِيمِ الأخضَرِ وَالنُّعَاس.

أجرِي وَرَاءَ الفَرَاشَاتِ البَيضَاءِ، تَهرُبُ، أجرِي.

فِي خَلاَءِ الظَّلاَم، يَدُقُّ الرَّجُلُ طَبلَتَه، يُنَادِي الرِّجَالَ وَاحِدًا وَاحِدًا.
يَذهَبُونَ فِي ظَلاَمِ الخَلاَء.
لاَ يَرجِعُون.

أحتَمِي بِالنَّوم.

خَارِجَه، العَفَارِيتُ تأكُلُ المَرءَ قَضمَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ تركُضُ إلَى السَّاقِيَة.
هَل تَتَسَلَّقُ جُدرَانَ البُيُوتِ فِي اللَّيل؟

نَسقِيهَا الجَازَ فِي الظَّلاَم، تَصبِحُ قَمَرًا سَاطِعًا يُعَرِّي الأركَانَ النَّائِمَة.
قَمَرٌ مَنزِلِيٌّ يُرَاوِدُ النَّومَ، لاَ يَنَام.

تَغَنِّي. يُغَنِّي مَعَهَا البَطُّ وَالأرَانِبُ، القُمَاشُ وَمَاكِينَةُ الخِيَاطَة، المِكنَسَةُ النَّاعِسَةُ وَالقُبقَابُ، الحَصِيرَةُ وَالوَسَائِدُ، المَاءُ فِي الجِرَارِ، الطَّبِيخُ فِي الآنِيَةِ، الظِّلاَلُ فِي الغُرَفِ، الشَّبَابِيكُ وَالجُدرَانُ تُغَنِّي.
الخَارِجُ: سُكُوت.

فِي اكتِمَالِ القَمَرِ السَّاطِعِ، أرنَبٌ يَدُقُّ الهُونَ دَقًّا أبَدِيًّا.
كَيفَ وَصَلَ إلَى هُنَاك؟
يَقُولُ لِي: تَسَلَّقتُ ضَوءَ القَمَر. تَعَال.
هَل أذهَب؟

يَرمُقُنِي، وَالبرسِيمُ فِي فَمِه: هَكَذَا ذَهَبتَ إلَى المَدرَسَةِ دُونِي.
أجِيءُ لَه بِالكُرَّاسَةِ وَالقَلَم، أعَلِّمُه كَيفَ يَكتُبُ اسمَه.
يَصرُخُ فِي وَجهِي: لَستُ أرنَبًا، وَيَجرِي إلَى الجُحر.

شَمسٌ سَودَاءُ أخرَى.
فِي الذُّرَةِ المُجَاوِرَةِ، أُعَرِّيهَا.

مَاذَا يَفعَلُونَ بَعدَ ذَلِك؟

عَلَى ضَوءِ الفَانُوسِ، يَشرَبُ الحَقلُ مِن يَدِي.
أُهَدهِدُه، وَأغَنِّي لَه.
يَنَامُ- فِي حِجرِي- طِفلاً، حَتَّى العَامِ التَّالِي.

عِندَ حُلُولِ الحَصَادِ، تُوقِظُ المَنَاجِلُ زَهوَهَا القَدِيمَ، وَشَهوَةَ الجَرِيمَة.
بُرهَةٌ ذَاهِلَةٌ، فَالفَرَارُ الكَسِير.

أركُضُ عَلَى حَافَّةِ اللَّيلِ وَالنَّهَار، شَعرِيَ أشعَثُ، وَجهِي يَستَدِيرُ إلَى الجِهَةِ المُقَابِلَةِ، هَكَذَا، وَلِلأقدَامِ خُطوَتُهَا الآجِلَةُ، لاَ قُضبَانَ بَعدَ اليَومِ، سَيِّدُ الفَرَارِ وَالبَرَارِي، نَافِرٌ، طَافِرٌ، لِي جَنَاحَان مِن وَلَعٍ وَذَيلٌ مِن هَلَعٍ وَشَهوَةٌ قَاحِلَة، أمِّي خَضرَاءُ بِلاَ سُوءٍ أو سَوأَةٍ، غِنَاءٌ سَاطِعٌ يَفصِلُ الخَيطَ الأبيَضَ عَنِ الأسوَدِ، أذَانُ الفَجرِ فِي الظَّهِيرَةِ، بُرهَةٌ قَادِمَةٌ، وَأقدَامِي تَنتَقِي فِخَاخَهَا القَاتِلَةَ، صَهِيلٌ يَدنُو وَئِيدًا، حَقلٌ مِن شَمسٍ وَظِلٍّ يَحتَلُّنِي، فَأزرَعَه بِالكَلاَمِ الدَّاخِلِيِّ، أغصَانُه ذِرَاعَاي، قَطَافُه رَأسِيَ اليَانِعَة، أيَّتُهَا العَفَارِيتُ: اخرُجِي لِي، وَقتٌ غَائِمٌ، أم عَلَى سَمَاءٍ أقفَالُهَا، طَرقَاتٌ عَلَى البَابِ تَعلُو، لاَ مفتَاحَ لِي، أسعَى إلَى هَجِيرٍ وَعرٍ وَشَمسٍ صَاهِلَةٍ، بَصَرِي طَعَامُ بَصِيرَتِي، حَصِيرَةٌ دَاجِنَةٌ فِي قَيلُولَتِي تَأوِي إلَيهَا الأسئِلَةُ المُخَاتِلَةُ، أرعَى حَشَائِشَ الهَشَاشَةِ، أشرَبُ مَاءَ الانتِظَارِ، مَن؟ يَقُولُ: لاَ تَترُكنِي وَحِيدًا فِي العَرَاء، لاَ رِيشَ لِي، وَمِنقَارِي زَجَاجٌ، جَائِعٌ وَحُقُولِيَ جَردَاءُ، مَا مِن

نَجمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالخَيمَةُ مَفتُوحَةٌ لَيلَ نَهَارٍ لِي، لَيسَت إجَابَةً، لَيسَت طَرِيقًا، وَالتُّوتُ يَعرِفُ مَوعِدِيَ السِّري

عَلَى حَدِّ البُــكَاء

شَــفِيقَة

جَسَدٌ طَميٌّ، وَوَجهٌ أبَـد.
فَردٌ، أحَـد.
عَينَان مِن سَكُوتٍ شَـاسِعٍ،
وَصَرخَةٌ زَبَـد.

تُشِيرُ لِي- أنَا الصَّغِيرُ الغَرِيرُ- أعدُو فِي حَوَارِي النَّومِ أتبَعُهَا إلَى الظَّهِيرَةِ (شَمسُهَا تَسكُنُ رَأسِي سَاطِعَةً، لاَ أرَاهَا)، لَم يَقُل لِي أحَدٌ صَمَدٌ، وَالظَّلاَمُ طَرِيقٌ إلَيهَا تَحُفُّه الشِّرَاكُ، شَهوَةٌ جَاهِلَةٌ تَشكُّ شَوكَهَا فِي جَسَدٍ بِدَائِيٍّ، فَيرتَجِلَ الصَّهِيلَ الدَّاخِلِيَّ (إلَى الهَبَاءِ، إلَى الهَبَاءِ)، حُقُولُ أوهَامٍ بِلاَ حَصَادٍ، لَو مِنجَلٌ يَتِيمٌ، أيَّتُهَا الزِّرَاعَةُ، طَلقَةٌ طَائِشَةٌ (إلَى الفَضَاءِ، إلَى الفَضَاءِ)، فَأينَ صُدفَتُهَا؟ وَأركُضُ خَلفَ ظِلٍّ هَارِبٍ

إلَى حُقُــولِ الفُولِ، أفعَـى تَجَرجِرُنِي تُلَملِمُنِي مِن الفَلَـوَاتِ، تَربِطُنِي بِـذَيلِ غِوَايَتِهَـا، وَتَمضِي بِـي إلَـى مَتَاهَـةٍ هَارِبَـةٍ قَبلَ الأُفُولِ، وَقتٌ رَمَادِيٌّ، وَفِي قَدَمَينِ حَافِيَتَينِ تَمشِي الأرضُ نَحوَ السُّوقِ، عَشٌّ مِن هَدِيلٍ، وَأشلاَءُ عَوِيلٍ غَابِرٍ تَنَامُ فِي يَأسٍ عَلَى الكَتِفَينِ، هَل غَسَقٌ أم شَـفَقٌ؟ شَـبَقٌ يُمَـدِّدُ الـسَّاقَين فِـي الـشَّفَتَين نَاعِـسًا، أرَقٌ نَحِيـلٌ بَخِيـلٌ يَتَمَطَّى فِي افتِرَاقِ النَّهدَين، دَهرٌ مِن انتِظَارٍ يَشُقُّ رِدفَين كَنَهرٍ صَامِتٍ مِن نِسيَانٍ، وَرَبوَةٌ رَابِيَةٌ مِن طَحِينٍ، أيَّتُهَا المَتَاهَةُ، لَم تَقُل لِي أُمِّي وَلاَ المُعَلِّمُون، أنُوثَةٌ تَمتَدُّ لِي، وَأعضَائِي بِلاَ ذَاكِرَةٍ، فَكَيفَ الآنَ؟ أيَّتُهَا الزِّرَاعَةُ: مِنجَلاً، **أنَـا اليَتِـيمُ الـضَّائِعُ فِي المَأدُبَـةِ الـصَّاخِبَةِ**، نَهدَانِ يَستَجدِيَان يَدِي، فَمَن يَحمِلُ عِبءَ المَسَافَةِ عَنِّي؟ مَا الَّذِي قَالَه مُعَلِّمُ الحِسَابِ فِي المَسأَلَة؟ عَينَانِ صَرخَتَانِ تُرَفرِفَانِ فِي لَيلٍ طَوِيلٍ، سُكُوتٌ شَاسِعٌ، لاَ وُصُولَ، مَدرَسَتِي طُوبٌ وَأخشَابٌ عَتِيقَةٌ وَحَدِيدٌ صَدِئٌ، مَا مِن قَشَّةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَن يَسمَعُ الصَّرخَةَ فِي القَاعِ؟ صَخُورٌ وَطَحَالِبُ وَمرجَـانٌ وَمَـاءٌ رَصَـاصٌ، لاَ تَعرِفُنِـي الأسمَـاكُ وَالـسَّرَاطِينُ، غَرِيـبٌ ضَالٌّ، مِن وَرَائِي المَدرَسَةُ، وَفِي الأمَامِ شَهوَةٌ مُثقَلَةٌ بِالقَطَافِ، كَيفَ تُصنَعُ الذَّاكِرَةُ الأُولَى لِلجَسَدِ البِكرِ؟ وَالسُّؤَالُ سَهمٌ نَافِذٌ بِلاَ جَوَابٍ، لاَ جَوَابَ، أيَّتُهَا البِدَايَةُ المُستَحِيلَةُ أينَ تَختَبِئِينَ؟ فِي جَسَدِي، أم فِي أيِّ قَاعٍ ضَلِيلٍ؟ صَحوَةٌ مَشدُوهَةٌ تَمرُقُ مِن نَومٍ قَرَوِيٍّ، ظَهِيرَةٌ فِي اللَّيلِ تَشُبُّ فِي جَسَدَينِ نَاعِسَينِ، مَسَافَةٌ بَاهِظَةٌ بَينَ اليَدِ وَالنَّهدِ، ألفُ عَامٍ مِن الغِيلاَنِ وَالجَانِ وَنَارِ اللَّه المُوقَدَةِ، فَمِن أينَ العُوَاءُ؟ جِدَارٌ مِن حَجَرِ اللَّيلِ بَينَنَا، أنَا الأعمَى يَصُدُّنِي العَمَاءُ، كُلُّ صَخرَةٍ فَمٌ فَاغِرٌ أو شَرَاهَةٌ شَاهِرَةٌ، فَمَن يَقطَعُ الرِّحلَةَ عَنِّي؟ نَشِيدٌ أم نَشِيجٌ؟ أينَعَت وَحَانَ

قَطفُهَا، فَمَاذَا قَالَت الجُغرَافيَا؟ كَيفَ أدخُلُ الخَرِيطَةَ دُون أبجَدِيَّةٍ؟ لِمَاذَا فَرَّت البَصِيرَةُ الآنَ؟ وَالبَصَرُ أعمَى، أيُّهَا الجَهلُ الأَلِيمُ: بَصِيصًا، مَن يَدُلُّنِي؟ أزمِنَةٌ ظُلُمَـاتٌ أكدَاسٌ، فَمَن يُشعِلُ لِي كِسرَةَ ضَوءٍ أو وَمضَةً مَنسِيَّةً، مَرأةٌ أم هَاوِيَةٌ؟ لِمَاذَا كَتَمَت سِرَّهَا الكَائِنَاتُ؟ وَالنَّومُ يَسترِقُ السَّمعَ وَالبَصَرَ، صَوتُهَا حَفِيفٌ أو رَفِيفٌ وَرِيفٌ مُعَلَّقٌ لاَ يَرِيمُ، مَن سَرَقَنِي مِنِّي؟ وَلُوبِينُ مُحَاصَرٌ- عَلَى الحَصِيرَةِ- بَينَ الحَقلِ وَالجِدَارِ (سَيُفلِتُ فِي اللَّحظَةِ الفَارِقَةِ بِالغَنِيمَةِ، أعرِفُ)، مَاتَ الصَّوتُ وَالأعضَاءُ لاَ تَعرِفُ الكَلاَمَ، مِن أينَ تَبدَأُ الذَّاكِرَةُ الأُولَى؟ أيُّهَا الخَوَاءُ الرَّطبُ: أنتَ فَضِيحَتِي وَعَورَتِي العَارِيَةُ، صُرَاخٌ بِدَائِيٌّ يَشِبُّ فِي الذُّرَةِ وَالتُّرعَةِ وَالنَّخِيلِ، نَارٌ وَلاَ دُخَانٌ، يَدٌ تَخترِقُ الجِدَارَ الظَّلاَمِيَّ فِي غَيبُوبَتِهَا (يَدُ مَن؟)، مَا الَّذِي تَقبضُهُ اليَدُ؟ لاَ يَعرِفُ الإعرَابُ شَيئًا، فَمَن ألغَى أدَاةَ الجَزمِ؟ هَل مَشَى إلَى يَدِي؟ كَأَنَّه اختِصَارُ امرَأَةٍ أو صَهِيلُهَا الطَّرِيُّ طَافِرٌ إلَيَّ، مَاتَ الصَّوتُ وَاستَيقَظَ الكَلاَمُ، يَأوِي إلَى يَدِي دَهرٌ مِن انتِظَارٍ أرِقٍ عَلَى قَدَمَينِ حَافِيَتَينِ، يَلهَثُ أو يَبكِي، يَمُوءُ أو يَنُوءُ، مُنفَرِطٌ مَلمُومٌ، خَائِنَةٌ أيَّتُهَا الزِّرَاعَةُ وَالكَرَارِيسُ، أغرِيَتِنِي بِالنَّومِ وَالنِّسيَانِ حَتَّى طَلقَةِ الخَلاَصِ، تَلٌّ تَصعَدُه الأصَابِعُ أو تَهبِطُه (إلَى أينَ؟)، شَجَرُ بَخُورٍ يَصَّاعَدُ، نَهرٌ مِن لَبَنٍ وَنَهرٌ مِن عَسَلٍ أبيَضَ، لاَ نَجَاةَ اللَّيلَةَ، وِديَانٌ دُخَانٌ، غَيمَةُ ابتِهَالاَتٍ تَسُوقُهَا رِيحٌ إلَى المَرَاعِي البَنَفسجِيَّةِ، وَلاَ لُوبِينُ قَالَ لِي (فَرَّ بِالغَنِيمَةِ، دُونَ أن يَبُوحَ بِكَلِمَةِ السِّرِّ)، سُهُولٌ مَفتُوحَةٌ، فَأينَ تَختَفِي العَفَارِيتُ؟ وَكَهفٌ مُوصَدٌ بِالفِخَاخِ (لُعَابُهَا يَسِيلُ لِي، وَلِيمَتُهَا العَمياءُ)، لاَ مفتَاحَ مَعِي، أمشِي عَلَى مَاءٍ وَلاَ تَبتَلُّ خُطوَتِي (فَهَل أكُونُ الخِضرَ، أم يُونُس؟)،

مَاءٌ يَغُوصُ بِي وَيَعلُو (**لَستُ قَشَّةً، لَستُ حَجَرًا**)، وهَادٌ تَهتَدِي إلَيَّ فِي لَيلِهَا الطَّوِيلِ، ضَربَةٌ وَاحِدَةٍ مِن يَقظَةٍ، وَفَضَاءٌ غِيَابٌ، هَل النُّجُومُ عُيُونٌ أم ثُقُوبٌ فِي حَائِطِ اللَّيلِ، رَفِيفُهَا الوَرِيفُ يَسِيلُ، هَل نُبقِي إلَى الغَدِ شَيئًا؟ لَيلٌ فَلَيلٌ فَظَلاَمٌ ظَلاَمٌ (شَمسُه سَوداءُ، وَاليَدُ بَصِيرَةٌ)، عُمرٌ مِن النَّومِ وَالظُّلمَةِ الضَّرِيرَةِ، شَمسُهَا- الآنَ- أنَا طَالِعٌ فِي السَّمتِ فَاصِلَةً مَرِيرَةً، أيُّهَا الكَهفُ: كَيفَ لِي؟ قَادِمٌ مُشرَعٌ بِلاَ انتِظَارٍ، مَا الَّذِي يَهطِلُ- الآنَ- فِي خُطَايَ البَطِيئَةِ؟ برقٌ أم بُرتُقَالَةٌ تَنزُّ مَاءَهَا، أخلَعُ ظِلِّي عَلَى البَابِ (مَن رَمَى لِي بِكِلمَةِ السِّرِّ؟)، أنزَلِقُ وَئِيدًا، عَارِيًا مِنِّي، أتَيتُ أتَيتُ، هَدِيلٌ بَلِيلٌ يَسُلُّنِي إلَيهِ مِنِّي، أينَ سَافَرَت النَّخِيلُ وَالبُيُوتُ الطِّينُ، هَل استَبَانَ الأبيَضُ مِن الأسوَد؟ شَيئًا مَا إلَى الغَدِ، مَا الَّذِي قَالَه التَّارِيخُ وَابنُ العَاص؟ فَلتَكُن لِي طُعمَةً، كِفَايَتِي، إلَى القَاعِ إلَى القَاعِ، أحضَانٌ مِن تَهَالِيلَ تَنهَلُّ (لَبَنًا أم عَسَلاً؟)، أهَكَذَا تَبدَأ الأبجَدِيَّةُ؟ تَدخُلُنِي أم أدخُلُهَا؟ وَظِلِّي- بِالخَارِجِ- مَنسِيٌّ قَتِيلٌ، غَائِرَةٌ فَأُوغِل (لاَ وَرَاءَ، لاَ رُجُوعَ، أمَامًا أمَامًا)، فأينَ مَسرُوقَاتِي أيُّهَا اللُّصُوصُ، أينَنِي؟ أيُّهَا الأنبِيَاءُ الكَذَبَةُ: شَيئًا، تَمُوءُ فِي جَسَدِي مَطَرًا، تَبتَزُّنِي فِيهَا مَحلُولَةً مَلمُومَةً، أيَّتُهَا الزِّرَاعَةُ وَالكَرَارِيسُ: رَحمَتِي عَرضُ السَّمَاوَاتِ وَالأرضِ ادخُلِي، تُعَرِّينِي مِن الطُّفُولَةِ وَالتَّعَالِيمِ خَلفَ ظَهرِ البَيتِ وَالمَدرَسَةِ، فِيهَا تَركُضُ شَهوَتِي الجَاهِلَةُ، تَحضُنُ ارتِجَالاَتِي وَتُوسِعُ لِي، تَمتَصُّنِي، نَهدَانِ مِن نُعَاسٍ يُوقِظُنِي كُلَّمَا أسنِتُ، وَالتِّلاَلُ لاَ تَبلَى، هَل يَبدَأُ التَّارِيخُ فِي جَسَدٍ دَاجِنٍ؟ يَشُقُّ مَتَاهَتَه- بِلاَ انتِهَاءٍ- ضَربَةً ضَربَةً، لاَ قَاعَ، مَضمُومٌ وَمَفتُوحٌ، إلَى أينَ أيَّتُهَا الخُطَى المَارِقَةُ؟ هَل سَاخَت القَدَمَانِ فِي الكُثبَانِ، أم جَسَدٌ تَعَرَّى-

فِي الظَّلاَمِ- مِن الزَّمَن؟ أُحِيطَ بِي، صَلِيلٌ أم صَهِيلٌ؟ وَالتَّهَالِيلُ تَقطُرُ- فِي تَعَبٍ مُترَعٍ- نَسغَهَا، اللَّيلُ يَقَظَةُ الجَسَدِ، وَالنَّهَارُ مذبَحَةٌ، مَاءٌ نَاعِسٌ يَتَمَشَّى- الهُوَينَى- فِي الخَلاَيَا، رِعشَةٌ مَنسِيَّةٌ- فِي النَّومِ- تَصحُو فِي كَسَلٍ، قَوَافِلُ نَملٍ تَسعَى (إلَى أينَ؟)، أيُّهَا النَّملُ: تَعَالَوا إلَى مَسكَنِكُم، فَانتَشِرُوا، ظُلمَةٌ تَبدَأُ التَّارِيخَ سَاطِعَةً، فَأنسَلَّ- خَفِيفًا- إلَى ظِلِّيَ المَنسِيِّ فِي الخَارِجِ، خَلفِي تُوصِدُ الأبوَابَ وَاللَّيلَ القَلِيلَ

مَرأَةٌ
مِن هَدِيلٍ بَلِيـل.
جَسَـدٌ
مِن الصَّهِيلِ الضَّلِيـل.

1967

لِلأَشجَارِ مَذَاقُ النَّدَم.
مَا الذِي قَالَتهُ العَفَارِيتُ لِلسَّاقِيَةِ المَهجُورَة؟

الجَرَّةُ مَقلُوبَةٌ، وَالمَاءُ لاَ يَندَلِق. نَائِمٌ يَقِظٌ، يَرقُبُ أهلَ الدَّارَ فِي السِّرِّ، لاَ يَبُوح.

وَأحلاَمُ اليَقَظَةِ لاَ تُعَرِّي ابنَةَ الجِيرَانِ الحَافِيَة.
ثَورُ اللَّه فِي برسِيمِه.

لِلخُطَى أن تَختَرِعَ طُرُقًا وَسَرَادِيبَ سِرِّيَّة.
أشجَارُ الأسئِلَةِ شَوكِيَّةٌ تُثمِرُ الحَنظَلَ، وَالدَّهشَةُ المُستَرِيبَةُ تَتَرَعرَعُ فِي الأعضَاء. وَالقِيَامَةُ لاَ تَقُوم.

هَل تَتَّسِعُ الجَنَّـةُ لِكُلِّ هَؤُلاَء؟

وَالعَـصَا أحَـدُ أعـضَاءِ أبِـي. كُـلَّ خَمِـيسٍ، فَـرَارٌ إلَـى اللَّيـلِ الـشَّقِيقِ. عَفَارِيـتُ وَأشبَاحٌ وَرَصَـاصٌ يَتَرَاكَضُ فِي الحَوَارِي. مَكمَنِي جَدَّتِي، وَلاَ تَـدرِي. أيَّتُهَـا الحَـوَارِي اللَّيلِيَّـةُ، كَيـفَ تَنغَلِقِينَ عَلَـيَّ كَأُنـشُوطَةٍ أو فَخ؟

صُـندُوقُ الأغَـانِي ينَـامُ- فِـي حـضنِي- عَلَـى الحَـصِيرَةِ، وَالمُغَنُّـونَ لاَ يَنَامُون. خَطٌّ نَحِيلٌ مِن ظِلٍّ بَينَ حَقلٍ وَجِدَار. أتَمَدَّدُ عَلَيه، لاَ أقَعُ. مِن العَتَبَةِ المُقَابِلَة، عَينَـانِ دَاجِنَتَـان تُـوغِلاَن فِيَّ. تَنَامَـان. مَـن؟ مِـن أيـن؟ جِلبَابُهَا يَتَوَاطَأ مَع أنُوثَتِهَا.

أيُّهَا الجَهلُ العَظِيمُ، مَا أجمَلَك؟

شَجَرَةُ المُوزِ تُمعِنُ فِي المَوتِ، فَأمعِنَ فِي الزِّرَاعَة.
لاَ يَـأس.

وَحَمَّالَةُ الحَطَبِ غُولَةٌ لَهَا تِسعُ رُؤُوسٍ، وَعَشرَةُ ذُيُولٍ، تَنفُثُ دُخَانًا وَنَارًا فِي النَّهَارِ؛ وَفِي اللَّيلِ تُوقِظُ الكَوَابِيسَ، تُوَزِّعُهَا عَلَى النَّائِمِينَ بِالمُسَاوَاةِ. فِي الصَّبَاحِ، أبكِي حَدِيقَتِي المَقتُولَةَ، أُلَملِمُ دَمَهَا وَأحلاَمَهَا، أُصَلِّي عَلَيهَا، وَأجِيءُ بِالبُذُور.

أيُّهَا السَّيسَبَانُ، العَبَّادُ، سِتَّ الحُسنِ، الخَروَعُ، أنتُم أبنَائِي الجَمِيلُون.

الحُقُولُ تَنأى، تَتَلَملَمُ عَنِّي.
وَالذُّرَةُ مَخبَأٌ لِلشَّهَوَاتِ المُتَثَائِبَةِ بَينَ صَبِيَّينِ يَصعَدَانِ الزَّمَن.
أدُسُّ إصبَعِي، وَأنتَظِرُ الانفِجَار.
مَذَاقٌ خَائِبٌ أستَبدِلُه بِآخَر، وَأنتَظِر.
لاَ شَيءَ.
أبيَضُ، لَزِجٌ فَحَسب. لاَ شَيء.

وَقتٌ حَامِـض.

وَصَوتُ الرَّجُلِ فِي الصُّندُوقِ سَيِّدٌ، كَأَنَّهُ ظِلٌّ شَامِلٌ أو غَيمَةٌ أبَد.
وَالمُغَنِّي العَاطِفِيُّ الجَمِيلُ يُحَرِّضُ الكَونَ، ويُبَشِّرُ بِالفِردَوسِ عَلَى تُرعَةِ البِلهَارسِيَا (أيَّتُهَا الشَّرِبَةُ اللَّعِينَةُ، السَّاخِرَة). لَكِنَّ عَينَي الفَتَاةِ تَنغَرِسَانِ الهُوَينَى فِي لَحمِي (لاَ أَلَم). أشوَاقٌ جَاهِلَةٌ، وَلُوبِينُ أبَدًا يُفلِتُ مِن المُطَارَدَة.

مَا الَّذِي يُرِيدُه العَــالَمُ بِي؟

طَرِيقٌ مَسدُودٌ، وِسَادَةٌ خَالِيَةٌ، وَخُطَى الوحدَةِ فَوقَ الدَّرَج.
أستَضِيفُهُم عَلَى الحَصِيرَةِ مَملَكَتِي الحُرَّةِ الظَّلِيلَة.

يَأتِي لاَعِبُو الكُرَةِ وَالحُكَّامُ وَالجُمهُورُ، فَيُقِيمُوا المُبَارَاة. مَعَ الصُّفَّارَةِ الأخِيرَة، يَجتَاحُون الطَّرِيقَ، يُمَزِّقُونَ الوِسَادَةَ، وَيُطِيحُونَ بِالدَّرَج.
يَسُوقُونَنِي مَعَهُم أسِيرَا.

تَتَنَاءَى الحُقُولُ وَتَنكَمِشُ كُلَّمَا طَالَت قَامَتِي. وَالفَانُوسُ تَعوِيذَتِي اللَّيلِيَّةُ ضِدَّ العَفَارِيتِ المَاكِرَة، وَأنَا أُطعِمُ الذُّرَةَ وَأسقِيهَا.
هَكَذَا، عَرفَت الحُقُولُ أنَّهَا ابنَتِي.

أتَمَرَّغُ تَحتَ العَصَا، فِي صَبَاحٍ خَرِيفِيٍّ جَمِيلٍ، وَصُرَاخِي لاَ يَبلُغُ السَّمَاءَ الصَّافِيَة. لاَ يُمطِر.
بَعِيدَةٌ، أم مَثقُوبَة؟
أدَّخِرُ لَكَ- أيُّهَا التِّنِّينُ الأُسبُوعِيُّ- انتِقَامَاتِي الهَازِئَة.
أمَّا حُقُولُ القَمحِ النَّاضِجِ، فَمَنذُورَةٌ لِحَرَائِقِي.
وَلِلقَلبِ شَأنٌ آخَر.

"مَلاَيِينُ الشَّعبِ تَدُقُّ الكَعبَ، تقُول كُلنَا جَاهزِين.
يَا أهلاً بِالمَعَارِك".

مَا الَّذِي يَنُوحُ دَاخِلِي؟
وَالعَينَانِ المُتَرَبِّصَتَانِ تَغُوصَان.
أيَّتُهَا الأبوَابُ اللَّيلِيَّةُ المُوصَدَةُ، إلَى أين؟ هَل مِن ثغرَةٍ، أم حُفرَة؟

رِيشٌ يَنمُو، وَمَا مِن أجنِحَة.
وَالجَرَائِدُ كُرَةٌ، وَصَوتٌ يَتَّكِئُ عَلَيه الكَون.

كِتَابَةٌ تَحبُو عَلَى تُرَاب. ضَبَابٌ عَاقِرٌ يَحتَلُّ الفَرَاغَ، يُمَدِّدُ سَاقَيه، وَيَتَمَطَّى، يَتَمَطَّى. العَينَانِ تَكتَمِلاَن أُنثَى تَنفَتِحُ لِي فِي لَيلِ الخَلاَء.

أقِفُ عَلَى العَتَبَة.
أتَرَاوَح.
أنتَظِر.

لِلقَطَارِ نُكهَةٌ أخرَى مُغَايِرَة، وَالمَجهُولُ القَادِمُ خَدَرٌ شَبَقِيٌّ بِلاَ لَذَّة.
خِيَامٌ، طَابُورٌ لِلصَّبَاح، وَاشتِرَاكِيَّةٌ عَرَبِيَّةٌ، وَعَلَم.
وَالكَونُ يَتَّكِئُ عَلَى أنَاشِيد.
يَغفُو.

مُنتَصِبٌ عَلَى العَتَبَـة.
بِلاَ ظِـل.
أمَامًـا، أم وَرَاء؟

المَوتَى يَتَسَامَرُون بَينَ صُفُوفِ المَقَابِر. لاَ تَقتَرِب فِي اللَّيل. يَتَقَافَزُون قَبلَ أذَانِ الفَجرِ، يَندَسُّونَ فِي الأكفَانِ، وَالقِطَارَاتُ تَمرُقُ (لَهَا ذَيلٌ مِن دُخَانٍ وَصَفِير)، لاَ تَدرِي.

حَربٌ بَعِيدَةٌ، فِي مَكَانٍ مَا طَائِرَاتُ الأعدَاءِ تَتَسَاقَطُ فِي المِذيَاعِ، وَفَوقَ وَرَقِ الجَرَائِدِ. قَطَارٌ لَيلِيٌّ أعمَى يُعِيدُنِي إلَى نَفسِي. أطفِئُوا الأنوَار. أينَ العَلَم؟

لَيلٌ جِدَارٌ، وَالأصوَاتُ غَابَةٌ مِن شِجَار.

"أنتَ حُبٌّ، أنتَ شَوقٌ، أنتَ طَيرٌ فِي فَضَاء".
هَكَذَا يَبتَدِئُ الإيقَاعُ فِي الظَّلاَم.

هَل نَفَدَت الطَّائِرَاتُ، أم؟ مِذيَاعٌ يَختَصِرُ العَالَمَ، وَالمِسَاحَةُ المُتَاحَةُ حَصِيرَة.
الصَّوتُ- فِي المِذيَاعِ- يَتَهَدَّلُ، يَتَنَحَّى.
مَن الَّذِي مَـات؟

لِلأشيَاءِ نُكهَتُهَا الحَامِضَة.
وَالقَلبُ هَشِيمٌ، لاَ يَشتَعِل.

لاَ طَعمَ لِلقَيلُولَة. أنسَلُّ أم أنزَلِق؟
لِمَ لاَ؟
هَل رَبٌّ، أم أب؟
لَم يَكُن- إذَن- إلاَّ حَلٌّ وَاحِدٌ: أن يُغلِقَ القفلَ كَمَا كَان.

نُبَاحٌ يَهطِلُ فِي الظَّلاَم. وَصَائِدُ الكِلاَبِ يَجُوبُ الظَّهِيرَة. فَمِن أينَ يَجِيءُ الشِّيَاطُ؟ وَالفَتَاةُ تَفتَضُّنِي كُلَّ لَيلَةٍ، وَلاَ أنزَلِق. بِلَلٌ عَلَى بَلَل. مَصِيَدَةٌ مَاكِرَةٌ تُغرِي بِالفَرَار، تُشبِه الحَارَةَ الحَارَّةَ. فَمَا الَّذِي انفَطَر؟ هَل يُصلِحُ الغِنَاءُ مَا انكَسَر؟

وَقتٌ حَبلٌ مَرخِيٌّ، يَتَرَاخَى، يَتَرَامَى.
هَل انطَفَأ القَلبُ، أم انكَسَرَت الأرجُوحَة؟
أيُّتُهَا اليَقَظَةُ السَّامَّةُ، لِمَاذَا قَتَلتِ النَّوم؟

خَاصَمَتنِي الحُقُولُ، وَاعتَزَلَتنِي. وَالمِذيَاعُ مَا يَزَالُ مِذيَاعًا، يُطعِمُنِي أشيَاءً عَاطِفِيَّةً وَأرَقًا، حَتَّى مَطلَعِ الفَجر.
هُنَا القَاهِرَة.

مَا الَّذِي يَكمُنُ خَلفَ العَتَبَةِ الصَّعبَة؟ جَسَدٌ يَكتَشِفُ جُغرَافيَا الشَّهَوَاتِ، يُوقِظُهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً، وَيَنَام. لَكِنَّ أحلاَمَ اليَقَظَةِ مُحتَشِمَة. وَلِلصَّلاَةِ وَقتٌ وَمُصَادَفَة.
فَبِمَ أضِيق؟

لَستُ تِلمِيذًا فِي الثَّانَوِيَّةِ، **أنَا بَيرَقٌ، نَعَم بَيرَق**. عِندَما تَهُبُّ الرِّيحُ أُرَفرِفُ وَأطِير. يَجِيئُنِي دَرويشٌ أبيَضُ مُستَدِيرٌ، يُرَفرِفُ بِجِوَارِي، يُشِيرُ إلَى فَضَاء.
أيُّهَا الوَزنُ، أيَّتُهَا القَافِيَة.

الأطلاَلُ بَاذِخَةٌ. نَجمَتِي تَمرُقُ فِي البَصِيرَة. كَيفَ أطُولُهَا؟ تَتَسَرَّبُ فِي دَمِي طَلَلاً طَلَلاً. ذَاكِرَةٌ أخرَى تَبدَأ. وَالغُرُوبُ نَشِيجٌ فِي القَلب.
مُتَّسِعٌ، وَأشيَاءٌ غَامِضَةٌ تَثَّاءَبُ عِندَ اليَقَظَة.
كَم السَّاعَةُ الآن؟

ثَديُهَا فِي يَدِي. ثُمَّ مَاذَا؟ مَن يَدُلُّنِي؟
أمشِي عَلَى مَاءٍ، وَالدَّرويشُ يَنتَظِرُنِي عَلَى الشَّاطِئ.
وَالحُقُولُ لاَ تَقُولُ لِي كلمَةَ السِّر، وَلاَ المَنفَلُوطِي.
كَيفَ أتَخَطَّى العَتَبَة؟

هَكَذَا أطلَقَتنِي أمِّي، وَطَلَّقَتنِي.

وَالأبُ الأُسبُوعِيُّ يستَطِيعُ الضَّحِكَ، أحيَانًا.

سَلاَلِمُ المِئذَنَةِ أفعًى مَفغُورَةٌ، تَنتَصِبُ عَلَى ذَنَبِهَا، تَلتَهِمُنِي (رُعبِي شَبِقٌ)، وَتَلفُظُنِي. فَمُهَا المَشدُوخُ الأسودُ إغوَاءٌ لاَ أبلُغُ قَاعَه.
ـ جِنَازَةُ مَن؟
= أختِكَ الصُّغرَى.
أشُوطُ الكُرَةَ، فَأُسَجِّلَ هَدَفَ الفَوز.

مَا القَـادِم؟

مَا الطَّـارِق؟

حَمَّالَةُ الحَطَبِ تَزرَعُ الشَّارِعَ بِالصَّرخَاتِ فِي الصَّبَاح، وَأُمِّي تَحُشُّهَا صَرخَةً صَرخَةً، تُطعِمُهَا لِلفُرنِ المُشتَعِل. وَأَبُو لَهَبٍ يُسَخِّرُ الجَانَ فِي رَبـطِ الرِّجَـالِ، بِـالحِبرِ الأحمَـرِ وَالأزرَقِ وَالأخـضَر. وَالبَنَـاتُ جِنِّيَّـاتٌ لِلشَّهَوَاتِ المَسعُورَة.

قَفزَةٌ قَادِمَةٌ تُولَدُ مِن الامتِحَانِ. لَيسَ رُعبًا. وَالقِطَارُ حَبلٌ سُرِّيٌّ مِن قُضبَانٍ وَعَجَلاَتٍ حَدِيد. حَبلٌ لِعِشرِينَ أمٍّ قَرَوِيَّةٍ وَآلاَفِ الأبنَاء. وَالمَاءُ لاَ يَندَلِق. عَينَاهُ سُؤَالٌ غَائِرٌ لاَ يَخدِشُ الصَّمتَ الرَّاكِد.

مَا الَّذِي يَجرِي هُنَاك؟

فَتَاةٌ تُغَادِرُنِي، وأخرَى تَجِيءُ تَحتَ ظِلاَلِ الزَّيزَفُون.
أأنتِ غَادَةُ الكَامِيلِيَا؟
لَستُ سِيرَانُو دِي بِرجِرَاك؟..

مَا الَّذِي نَفعَلُه- الآنَ- إذَن؟

الصَّــوت

عَلَيه الكَونُ مُتَّكِئٌ كَرَبٍّ غَامِضٍ، مُنذُ ابتِدَاءِ الخَلقِ، عَينٌ تَحرُسُ النَّومَ الشُّمُولِيَّ، بِلاَ نَومٍ، يَدَانِ تَقطُرَانِ الرُّقَى وَالتَّعَاوِيذَ، تَهُشُّ نَامُوسَ الكَوَابِيسِ، سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطلَعِ الفَجرِ سَلوَى فِي السَّرِيرَةِ، أو نُعَاسًا طَافِيًا عَلَى سَطحِ البَصِيرَةِ (لاَ رِيحَ تَسرِقُه، وَلاَ قَاعَ، كَأَنَّهَا مِن زُجَاجٍ)، أم وَارِثٌ لِلقُرَى وَالخَلاَئِقِ، يَخلِقُ مِن شرنَقَاتِ الأَسَاطِيرِ صَوتًا جَهِيرًا، يَسُوطُ بِهِ الغُرَبَاءَ، فَتَرمِي عَلَيهِ الحُقُولُ قُرُونًا مِن التَّعَبِ المُستَطِير

صَوتٌ نَفِيـر.
غَيمَةٌ مِن النِّسـيَان،
أو مَطَـرِ الخُرَافَـة
يَهمِي دَفقَـةً وَاحِدَةً

إلَى قَرَارِهِ الأخِيـر.

صَوتٌ بَصِيـر.

لاَ يَرعَوِي، بَشِيرٌ أم نَذِيرٌ، هَل هُو الصُّورُ؟ يَحتَلُّ الفَضَاءَ أليفًا مِثلَ وَجهٍ غَامِرٍ وَقِنَاعٍ، مَن يُبَالِي؟ عَلَى نَبرَاتِه يَصَّاعَدُ العُمرُ الهُوَينَى، يَصعَدُ الطُّفُولَةَ العَمياءَ نَحوَ الصَّبوَةِ الصَّبِيَّةِ، كَيفَ يَستَحِيلُ الصَّوتُ صُورَةً صَائِتَةً؟ صَوتٌ لَه عَينَان وَأذنَانِ، هَل تَبصِرَان إيقَاعَ الزَّمَانِ أم تَسمَعَان النَّسغَ يَصعَدُ فِي جَسَدِ الكَائِنَاتِ؟ نَامِي هَنِيئًا مَرِيئًا إلَى مُفتَرَقٍ قَادِمٍ، أيَّتُهَا الطُّفُولَةُ الَّتِي تَعدُو إلَى الوَرَاءِ، لِمَاذَا تَهرُبِينَ مِن ثِيَابِي المُبتَلَّةَ بِالمُرَاهَقَةِ الفَاتِرَةِ، صَوتٌ يَقبِضُه القَلبَ فِي أغوَارِه النَّائِمَةِ وَيَنسَى، أم يَقبِضُ القَلبَ فِي جَيبِه الخَلفِيِّ إلَى النِّسيَانِ، زَمَانٌ مَلعَبٌ، وَشَمسٌ تَشُوطُ الكُرَةَ، تَدُسُّ فِي أذنِي أسرَارَهَا العَاطِفِيَّةَ، تَرفُضُ الغُرُوبَ، مَن يَدرِي، عَينَانِ تَرقُبَانِ أم تُرَاقِبَان، تَشخَصَانِ مِن كُلِّ جَدَارٍ، تَمِيمَةٌ أم مُطَارَدَةٌ، وَالصِّبَا يَركُضُ فِي حُقُولِ النُّعَاسِ المُشمِسَةِ مَاعِزًا يَرعَى حَشَائِشَ الحُلمِ وَأعشَابَ الكَلاَمِ، اكتُب، مَا أنَا بِكَاتِبٍ، فَهَل تَخَطَّيتُ النَّهَارَ أم دَقَّت السَّاعَةُ فِي نُعَاسِي؟ كَافُورٌ وَصَفصَافٌ يُدَلِّي شَعرَه فِي مَائِي، سَيسَبَانٌ مُترَعٌ بِالظَّهِيرَةِ، أبَدٌ مُوغِلٌ، أنَاشِيدُ تَهطِلُ أحلاَمًا وَدُخَانًا، أيَّتُهَا الطُّمَأنِينَةُ الَّتِي تُشبِه لَيلاً مَوطُوءًا، وَعَينَاهُ مَفتُوحَتَانِ عَلَى المِصرَاعَين، تُطِلاَّنِ مِن النِّسيَانِ، هَل نَسِينَا البَابَ مَفتُوحًا؟ فَمَن يَخرِقُ الأرضَ وَيَبلُغُ الجِبَالَ طُولاً؟ وَمِن صَوتٍ صَنَعنَا أمَّةً وَجَيشًا وَشُرطَةً، وَمِن كَلاَمٍ مَصِيرًا أسِيرًا، وَالمُغَنُّونَ أنبِيَاءُ الزَّمَانِ، نَلتَقِي فِي الثَّامِنَةِ صَبَاحًا عَلَى الشَّاطِئِ الأيمَنِ لِلفِردَوسِ، غَدًا، بَعدَ

نَومٍ قَلِيلٍ، تُصبِحُونَ عَلَى خَيرٍ، حُلمٌ فِي الظَّهِيرَةِ، أم يَختَرِعُ الكَونَ بَعدَ الكَونِ، وَالخَلِيقَةُ أحرُفُ الكَلَامِ، هَاتُوا مَا استَطَعتُم، لَن تَنَالَوا غَيرَ نَبرَةِ صَوتِـه الغَضبَى، فَمَـاذَا؟ عَلَيه الكَـونُ مُتَّكِئٌ يُدَلِّي فِي مِيَـاهِ الغَفوِ سَاقَيهِ، سَلَامٌ هِي حَتَّى مَهطَلِ المَطَرِ الصَّيفِيِّ فِي القَلبِ الصَّبِيِّ سَلَامًا وَبَردًا، هَل يَلِيقُ بِي أن أترُكَ الرَّكلَةَ الحُرَّةَ حَتَّى انتِهَاءِ الغَارَةِ الجَوِّيَّةِ؟ سَقفٌ مِن طُيُورٍ مِن حَدِيدٍ تَختَرِقُ الصَّوتَ، تُلقِي بُذُورًا غَامِضَةً (مَتَى تَنبُتُ؟)، أيَّتُهَا الصُّقُورُ الفُولاَذُ: لَن نَعدَمَ النَّشِيدَ المُلاَئِمَ المَسنُونَ، رَمَادٌ وَصَيفٌ يَكَادُ أن يَقُولَ خُذُونِي، لاَ بَأسَ، بُرهَةٌ وَاحِدَةٌ، وَالأَنَاشِيدُ البَدِيلَةُ- دُفعَةً وَاحِدَةً- سَوفَ تَجرِفُ الصَّمتَ المُؤَقَّتَ، تُشعِلُ النَّارَ فِي مِيَاهِ الأسئِلَةِ الطَّافِرَةِ، يَجِيءُ صَوتُه يَرأبُنَا، يُرَمِّمُ وَقتَنَا وَيُشِير

صَـوتٌ قَرِيـر.

يَلُمُّ أشوَاكَ السُّؤَالِ،

فَيُشعِلَ النَّيرَانَ فِيهَا،

وَيَرمِيهَا رَمَادًا فِي فَرَاغِ القَلبِ:

كُن: فَيَكُونَ حَقلاً مِن نُعَاسٍ آسِرٍ،

أو سِربَ سَهوٍ مُستَطِير.

صَوتٌ مُجِيـر.

مَطَرٌ نَبِيٌّ فِي الهَجِيـر.

أم مَطَرٌ مِن المِلحِ الأجَاجِ يُشَقِّقُ العَطَشَ المُرَاوِغَ، يُنبِتُ الصَّبَّارَ وَأشجَارَ السَّمُومِ، مَن يَنُوحُ الآنَ فِي لَيلِ القُرَى؟ شَوكَةٌ مَغرُوسَةٌ فِي العَينِ، أم رَصَاصَةٌ فِي صَدرِ الرِّضَاءِ تَلُوبُ، مِن أينَ يَأتِي كُلُّ هَذَا اللَّيلِ؟ هَل هِيَ الأرضُ الَّتِي وَعَـدَ اللَّهُ بِهَـا؟ كَحِـذَاءٍ نَستَبدِلُ الحُلـمَ بِحُلـمٍ، وَالشُّهَدَاءُ لاَ يَجِيئُونَ فرَادَى، يَصعَدُونَ مِن النُّجُوعِ وَالقُرَى اليَتِيمَةِ نَحوَ مَوتٍ يُشبِه الخَدِيعَةَ، نَحنُ القَطِيعُ القَرَوِيُّ مَن يَسُوقُنَا إلَى مَرعَى الرِّمَالِ وَالرَّصَاصِ وَمَاءِ البَحرِ، بَيضَاءُ صَحَائِفُنَا بِلاَ سُوءٍ، صَحَائِفُنَا بِلاَ جَرِيرَةٍ وَلاَ رَغِيفِ خُبزٍ، فَمَن يُعِيدُ لَنَا أسمَاءَنَا سِوَى المَوتِ، هَل يَسنِدُ الكَونَ مَوتُنَا فَلاَ يَنهَار، كأنَّه رَصَاصَةٌ قَاتِلَةٌ فِي عُرسٍ، عَلَى مَن تَنُوحُ المَدَائِنُ وَالقُرَى الآنَ؟ لاَ مَوتَ يَعلُو فَوقَ نَبرَتِه، وَمَن سَيَمشِي فِي المَرَاثِي؟ أيُّهَا الصَّوتُ النَّكِيرُ: أعِد لَنَا الصَّوتَ الجَهِيرَ، وَلَو قَلِيلاً، مَرَّةً أخِيرَةً، مَن يَقبَلُ بِالمُقَايَضَةِ المُستَحِيلَةِ؟ لاَ، دَمعٌ يَصعَدُ سُلَّمَ المَآذِنِ الغَارِبَةِ، أنهَارٌ مِن عَطَشٍ مِلحِيٍّ، وَطُيُورٌ مِن أبَابِيلَ، هَل أرَقٌ يُرَفرِفُ فِي سَمَاءِ القَلبِ، أم بَرقٌ يَشُقُّ صَدرَ السَّكِينَةِ؟ رُبَّمَا يَغفُو الآنَ فِي قَيلُولَتِهِ، قَيلُولَةٌ فِي اللَّيلِ، وَالقُرآنُ قَشَّةُ الغَرِيقِ، هَل انفَلَتَ الوَقتُ مِن عِقَالِه؟ مَن يَكسِرِ التَّرتِيلَ، مَن يُوقِف الدَّوَرَانَ، كَي نَرجِعَ نِصفَ يَومٍ، فَنَختَارَ نَهَارًا آخَر لاَ مَوتَ فِيهِ؟ يَتَامَى الأرضِ، لاَ نَدرِي، تُرَابٌ لِلزَّمَانِ، وَكُلُّ شَيءٍ هَارِبٌ مِنَّا، هَل تَعُودُ إلَى السَّمَاءِ الزُّرقَةُ، وَالصَّحوُ الأليفُ إلَى الصَّبَاحِ الحُر؟ كَأنَّهَا الدَّينُونَةُ، مَن سَيَحتَالُ عَلَينَا، أيُّهَا اللَّئَامُ القَادِمُون: انتَظِرُوا بُرهَةً أخِيرَةً إلَى أن نَدفِنَ الحُلمَ الضَّرِير

يَأوِي إلَى أمِّه الأرض

طِفلاً مِن النِّسرِين وَالسَّلوَى،
شَهِيًّا، شَاهِقًا،
وَيَرمِينَا إلَى شَرَكٍ أجِيـر.

1972

أعـضَائِي أجنِحَـةٌ مُرَفرِفَـةٌ، تَفـتَحُ لَهَـا فَـضَاءَاتٍ أُخـرَى، تُنبِـتُ وَردَةَ الوَجَلِ مُتَفَتِّحَةً زَاهِيَةً، وَجِلَة.

أزِيزٌ، قَرقَعَةٌ، قَعقَعَةٌ، جَعجَعَةٌ، فَرقَعَةٌ، صَفِيرٌ، جَلجَلَةٌ، صُرَاخٌ، وَأشياءٌ أخرَى. مِن أينَ هَذَا الكُل؟
إلَى أين؟

رَجُلٌ حَجَرِيٌّ شَاهِقٌ يَبُولُ بِلاَ انقطَاع. مَبنًى يَلِدُ المِئَاتِ كُلَّ دَقِيقَةٍ، يَقتَنِصُ المِئَاتِـ فِي فَمِه المَفغُورِـ كُلَّ دَقِيقَة. أيُّهَا الصَّخَبُ المَعدَنِيُّ، اخرُج، لاَ تَدخُلنِي. جَسَدِي هَدِيلٌ وَصَفصَافٌ يُدَلِّي شَعرَه فِي المَاء. مَاءٌ يَجرِي بَينَ ضِفَّتَين. ضِفَّتَانِ مِن حَنَانٍ وَأبَدِيَّة.

لَيسَت مِئذَنَةً، لَيسَت قُبَّةَ جَامِع.
أيُّهَا الوَجَلُ الجَمِيل. سَمَاءٌ أخرَى أمشِي عَلَى حَشَائِشِهَا الهُوَينَى، أو أُرَفرِف. ألفُ عَامٍ أو مِيلٍ بَينِي وَبَينَ المَاضِي. لاَ وَرَاء. فَلِمَاذَا يَنصَبُّ العَالَمُ- دفعَةً وَاحِدَةً- فِي رَأسِي الصَّغِير. تَعَالَوا، جَمِيعًا، مَفتُوحٌ عَلَى المِصرَاعَين. بِلاَ جُدرَان. بَعدَ حِينٍ، سَأُطِيحُ بِالبَابِ وَالنَّوَافِذ.

شَوَارِعُ تُرَاوِدُ الأقدَامَ: أنَا لَك.
وَالأقدَامُ تَفتَرِعُ مَا لَم يَجِئ.

أكُلُّ هَؤلاَءِ البَنَاتِ لَسنَ لِي؟ يَا اللَّه. كَيفَ يُمكِنُ اجتِيَازُ السُّورِ بِقَفزَةٍ وَاحِدَة؟ أنَا القَرَوِيُّ الَّذِي يَسكُنُ جَسَدِي التُّوتُ وَالنَّخِيلُ وَالزُّرقَة، أنتَظِرُكُنَّ خَارِجَ الوَهم.
اخرُجنَ لِي، لَن أنتَظِرَ طَوِيلاَ.

وَجُحرِيَ مَفتُوحٌ لأبنَاءِ السَّبِيلِ وَالعَاهِرَاتِ، أُحَدِّثُهُنَّ عَن الفَضِيلَةِ وَالمَنفَلُوطِي. وَأندَهِش. فِي اللَّيلِ، أُرَتِّل: "**يَا مَن يَدُلُّ خُطوَتِي عَلَى طَرِيقِ الدَّمعَةِ البَرِيئَة، يَا مَن يَدُلُّ خُطوَتِي عَلَى طَرِيقِ الضِّحكَةِ البَرِيئَة**". وَأبكِي.

أنتَظِرُ مَا لاَ أدرِي.
مَتَى يَجِيء؟

لِخَولَةَ أطلاَلٌ بِبَرقَةَ ثَهمَدِ. أُدِيرُ لَهَا ظَهرِي، لاَ أسمَعُ الاستِغَاثَةَ تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ. ضَيِّقٌ هُو المُعَلِّمُ. لَعَلَّه يَتَّسعُ قَلِيلاً بَعدَ قَلِيل. لاَ أنتَظِر.

جُوعِي أزَلِيٌّ، أبِدِي.
وَالوَرَقُ طَعَامِيَ الشَّهِيُّ، لاَ يَفنَى، لاَ أشبَع.

طَوِيلاً، نَحِيلاً، أتَمَشَّى فِي الأروِقَةِ وَالقَاعَاتِ، خَجُولاً، جَمِيلاً: لَستُ مِن هَذَا العَالَم. إنَّه صِرَاط. وَالسَّمَاوَاتُ تَتَعَرَّى لِي، وَاحِدَةً بَعدَ أخرَى: خُذنِي. أتَرَدَّدُ قَلِيلاً، وَألتَهِمُهَا وَاحِدَةً بَعدَ أخرَى.

يَا رِيحَ الصُّبحِ الآتِي..
إنِّي مُنتَظِرٌ فِي الطُّرقَات.
النَّجمُ الأوحَدُ غَاب.
وَالشَّوكُ بِحَلقِي، وَشِفَاهِي..
تَقتَاتُ المِلحَ، وَبِالأعصَاب
نِيرَانُ حَرَائِقَ لاَ تَخبُو..
هَل تَأتِين..
يَا رِيحَ الصُّبحِ الآتِي.. هَل تَأتِين..؟
إنِّي مُنتَظِرٌ فِي المُفتَرَقَات.

مُعَلَّمُون يُرَتِّلُون المَحفُوظَات (مُرَبَّعَةٌ وَمُستَطِيلَةُ، زَوَايَاهَا قَائِمَةٌ، لاَ تَلِين). لَهُم نَهَارُ الكَوَابِيس. لِحَشَائِشِ الحَدِيقَةِ، أيضًا. وَلِلسَّاعَةِ الَّتِي تَدُقُّ الفَضَاءَ كُلَّ 15 دَقِيقَة. وَلِلبَنَاتِ الأوزِّ المُتَبَاهِي- فِي صَخَبِه- بِالأردَافِ الرَّجرَاجَةِ
(لِمَاذَا تَنَامُ الشَّهوَةُ فِي جَسَدِي، الآنَ،
وَتَغفُو أحلاَمُ اليَقَظَةِ الشَّبِقَة؟).

أُعَلِّقُ عَلَى الجِدَارِ الجَامِعِيِّ أوهَامِي، وَبَرَاءَتِي. يَتَفَرَّجُونَ عَلَيهَا، وَيَنتَظِرُون البَقِيَّةَ فِي الأسبُوعِ القَادِم. أيَّتُهَا الأوهَامُ البَضَّةُ الَّتِي لاَ تَنتَهِي.

قَبلَ نِهَايَةِ العَام، تَجِيءُ الحَرب.
أنتَظِر، فِي السِّر.

خَدَرٌ طَفِيفٌ لِلرِّشفَةِ الأُولَى. دُخَانُهَا يَنعَقِدُ- فَوقَ رَأسِي- غَيمَةً. مَتَى تَهطِل؟ أحلاَمُ الفَارِسِ القَدِيم. إلَهٌ شَاهِقٌ، لَه صَلَوَاتِيَ اللَّيلِيَّةُ الَّتِي لَم تَرِد فِي كِتَاب. وَلِلحَوَارِيِّينَ بَعضُ الوَقتِ وَالذَّاكِرَة. كُلُّ الطُّرُقِ تُفضِي إلَيه، فَآوِي إلَى ظِلِّهِ، وَأنَامَ عِشرِينَ قَصِيدَة.

وَكرٌ بِلاَ بَابٍ، بِلاَ شُبَّاك. لاَ جُدرَانَ أيضًا. مَا الَّذِي يَنَامُ بِالدَّاخِل: أأنتِ المُومِسُ العَمياءُ، أم زَرقَاءُ اليَمَامَة؟ مَن سَرَقَ مِنِّي حُلمَ اليَقَظَة، أيُّهَا اللُّصُوص؟

أرصِفَةُ المَقَاهِي مَجَالِيَ الحَيَوِي. أحتَسِي فِيهَا أكوَابَ الصَّخَبِ السَّام، حَتَّى الإدمَان. وَفَمِي بُوقٌ يَنفُثُ الدُّخَانَ وَالأفكَارَ الطَّارِئَة. فَهَل يَنفَصِلُ الشَّكلُ عَن المَضمُون؟

يَا طَيرَ الحُبِّ الأوحَد..
إِنِّي مُنتَظِرٌ خَارِجَ كُلِّ الأزمَان،
خَارِجَ كُلِّ الألقَاب،
حَتَّى- حِينَ تَعُودَ إِلَيْ-
تَبدَأَ فِيَّ الزَّمَنَ الأوَّل،
تَغرِسَ فِيَّ اللَّقَبَ الأوَّلَ،
أبدَأَ عُمرًا أوَّلَ يَسكُنُ قَلبَ الأشيَاء.

مَا الَّذِي انفَجَرَ- فِي غِيَابِيَ- هَذَا الصَّبَاح؟
أينَ الحَرب؟

أَيَّتُهَا اليَقَظَةُ التَّائِهَةُ،
هَل آنَ أوَانُكِ الآن؟

ألتَقِطُ النُّثَارَ المَتَسَاقِطَ، قَبلَ أن تَدُوسَه الأقدَام. جُحرِي خَلِيَّةٌ، وَأعصَابِي نَحلٌ مَحمُومٌ، وَالوَرَقَةُ الشَّاسِعَةُ تَختَارُ عُنوَانَهَا: **الغَثَيَان**. هَل يَصلُح الضَّبَابُ شَمَّاعَة؟

عَلَى الجِدَارِ الجَامِعِيِّ، أُعلِنُ سُخطِي العَشوَائِي، وَأُنَدِّدُ بِالضَّبَابِ الخَئُون.

وَحشٌ هَائِلٌ لَه عَشرَةُ آلاَفِ رَأسٍ، وَعِشرُون ألفِ عَينٍ مُشتَعِلَةٍ، وَعِشرُون ألفِ قَبضَةٍ مُشهَرَةٍ، كُلُّ قَبضَةٍ ألفُ صَرخَةٍ، كُلُّ صَرخَةٍ شَجَرَةٌ مَنشُورَةٌ بِالتِّينِ وَالزَّيتُونِ حَتَّى طُورِ سِينِين. يَتَلَوَّى، يَخرُجُ مِن فُوهَةِ القُمقُمِ مِئَةً مِئَةً، يَلتَمُّ فِي فَضَاءِ السَّاحَةِ جَسَدًا مُتَّحِدًا: أيَّتُهَا الشَّوَارِعُ الشَّاغِرَةُ، إلَينَا، نَحوَ الحُلمِ البَسِيطِ الصَّعب. تُفَّاحَةٌ أم قُنبُلَة. نَحنُ الشُّهَدَاءُ القَادِمُون، نَقُولُ لَكُم. أشجَارٌ سَامَّةٌ، كُلُّ غُصنٍ حَربَةٌ مُشرَعَةٌ، كُلُّ وَرَقَةٍ خَوذَةٌ مُدَرَّعَةٌ. وَحشٌ بِدَائِيٌّ مِن حَدِيدٍ صَدِئٍ يُوصِدُ الحُلم. فِي الوَرَاءِ قُمقُمٌ أم رَحِم. نَحبُو إلَى حضنِه الرَّحِيمِ خَوفَ المَطَر.

أيَّتُهَا الحُقُولُ النَّائِمَةُ:
أجِيئُكِ يَقظَانًا، مُرتَبِكًا.
أنتِ أنتِ، أنَا لَستُ أنَا.
هَل تَعرِفِينَنِي؟

الدِّفءُ فَاكِهَةُ فِبرَايرِ الصَّعبَة. وَالنَّومُ مَملَكَةٌ أتَرَبَّعُ عَلَى عَرشِهَا فِي اللَّيلِ، وَأرفَعُ الرَّايَةَ البَنَفسَجِيَّةَ وَالصَّولَجَان. لِمَن الوُجُوهُ الخَمسَةُ فَوقَ رَأسِي؟ وَأبِـــــي؟ أيُّهَا الكَابُوسُ، عَنِّي. أهُشُّ النَّومَ، لاَ

يَنقَشِعُون. يَحَاصِرُون النَّـومَ وَاليَقَظَة. يَخطفُـونَ مِن يَدِي الفَاكِهَـةَ الصَّعبَـة.
يَخطفُونَنِي- عَن عَرشِي- إلَى أين. وَالحَنَانُ المُعَتَّقُ قَوِي. اسمُه أمِّي.
فَلِمَاذَا يُصِرُّون عَلَى تَهشِيمِ أوهَامِيَ اللَّذِيذَة؟

قَلعَـة.

مَا الَّذِي يَعنِيهِ رَقَم 6؟
لاَ يَصِيحُ الدِّيكُ، وَالمُؤَذِّنُ نَسِيَ الأذَان. مَملَكَةٌ مِن ظَلاَمٍ وَحَجَرٍ تَأسِرُنِي، أنَا الطِّفلُ الغَرِيرُ، الفَرِحُ بِالزَّمَن. أحَلِّقُ فِي تِسعَةِ أمتَارٍ مُرَبَّعَةٍ، وَجَنَاحَايَ خَارِج الجُدرَان. قُصَاصَةُ سَمَاءٍ زَرقَاءُ تَرمُقُنِي بَينَ القُضبَانِ، وَكِسرَةُ شَمسٍ تَزُورُنِي- سَاعَةً- كُلَّ ظَهِيرَة.

مَملَكَةٌ أخرَى مِن صَخَبٍ مَعدَنِيٍّ وَحَجَر. تَستَقبِلُنِي الزِّنزَانَةُ بِالحَلوَى. أستَقبِلُهَا بِالنَّشِيدِ:

يَا دَامِيَ العَينَينِ وَالكَفَّين.

أُعَلِّقُه فِي الجِدَار، وَأسهَرُ عَليهِ مُنفَرِدًا. يَرمُقُ الصَّحنَ الصَّفِيحَ وَالعَسَلَ الأسوَد. يَرمُقُنِي عَلَى الأرضِ. يعتَصِمُ بِالصَّمتِ مُنفَرِدًا.

لِشَمسِ الضُّحَى- المُحَاصَرَةِ بِالأسوَارِ وَالحُرَّاسِ وَالشِّتَاءِ- مَذَاقٌ أمُومِي. وَلِلضِّحكَةِ العَارِضَةِ طَعمُ الخَرِيف. وَالوحدَةُ سَاحَةٌ مُستَبَاحَةٌ لِلخُيُولِ وَالذِّئَابِ، بِلاَ أبوَاب. لَكِنَّهَا أليفَةٌ، رَهِيفَة.

يَقفِزُ المَيدَانُ القَرِيبُ الأسوَارَ وَالأسلاَكَ وَالحُرَّاسَ إلَى زِنزَانَتِي: سَيَّارَاتٌ وَبَاعَةٌ وَعَرَبَاتُ كَارُّو وَأُتُوبِيسَاتٌ وَصِيَاحٌ وَمُوَظَّفُون وَشِجَارٌ وَغِنَاءٌ وَتَاكسِيَّاتٌ، يَحتَلُّونَنِي: أهلاً وَسِهلاً، حتَّى مَطلَعِ العَسَلِ الأسوَد.

مَلِكٌ يَحتَمِي بِأحصِنَةٍ وَأفيَالٍ وَطَوَابِي وَحُشُودٍ جُنُود. نَتَلاَعَبُ بِهِم، نَقتُلُهُم وَاحِدًا وَاحِدًا، ثُمَّ نَقتُلُهُم وَاحِدًا وَاحِدًا. لاَ نُقطَةَ دَمٍ وَاحِدَة. إذَن، لاَ فَائِدَة.

الصَّمتُ طَعَامُ الوَقت.

بَينِي وَبَينهُم جِدَارٌ هَوَاء، لاَ تَختَرِقُه الضَّحكَات. لاَ تَهدِمُه الكَلِمَات. يَنهَارُ عِندَمَا نَنَام.

أيَّتُهَا الزُّرقَةُ الرَّحِيمَةُ، اكبُرِي قَلِيلاً، حَتَّى تَتَّسِعِي لِي.

وَلِلضَّوءِ المَعدَنِيِّ البَذَاءَةُ المَبذُولَةُ. لَزِجٌ وَعَطِن. مَتَى تُدرِكُنِي أيُّهَا الظَّلاَمُ، يَا أخِي فِي الرِّضَاع.

قَدَمِي تَستَعِيدُ الخُطَى المَسرُوقَة. كُلُّ خَطوَةٍ شَارِعٌ أو مَيدَانٌ آهِلٌ بِالصَّخَبِ الجَسَدِي. وَالمِحَطَّةُ تُلَمِلِمُ أبنَاءَهَا مِن أفوَاهِ الظَّلاَم. رُمحٌ يَمرُقُ فِي حَائِطِ لَيلٍ عُمرُه ألفُ عَام.

- إلَى أينَ يَا سَيِّدِي الرُّمح؟

- حَتَّى انتِهَاءِ الكَلاَم.

قَدَمَان مِن بَصِيرَةٍ عَارِيَة. وَلَيلُ القُرَى تَوأمِي الشَّقِيق. أيُّهَا البَلَدُ الأمِينُ: خَرَجتُ مِن لَيلٍ، وَفِي لَيلٍ أعُود. بَينَ اللَّيلَينِ: شَمسٌ نَافِرَةٌ، تَنشُرُ أعرَافَهَا فِي فَضَائِي السَّحِيق. يَقَظَةٌ مَسنُونَةٌ سَامَّةٌ تَبدَأ، وَظَهِيرَةٌ أبَد. لاَ حَنِين. وَتُربَتِي لاَ تُنبِتُ النَّدَم. لَكَ الوَيلُ يَا بَصَرِيَ المُخَادِع.

مِن هُنَا، أُولـَد.

فَمَن أُمِّيَ الثَّانِيَـة؟

فِي مُنتَصَفِ اللَّيلِ، أدُقُّ البَاب.

أنَا الإبنُ الَّذِي خَاصَمَ النَّومَ، وَطَعَنَه فِي الظَّهرِ، أدُقُّ بَابَ العَائِلَةِ لِلمَرَّةِ الأخِيرَة. لِي- عِندَكُم- شَجَرَةٌ وَارِفَةٌ مِن رَحمَةٍ أُسَمِّيهَا: أُمِّي؛ وَمَارِدٌ يَنفُثُ اللَّهَبَ وَالصَّلاَةَ أُسَمِّيه: أبِي؛ وَأفرَاخٌ دَاجِنَةٌ طَيِّبَةٌ: أُخوَتِي. وَبَضعَةُ أوهَامٍ قَدِيمَة.

لِي: أنَا القَدِيم.

افتَحُوا لِي كَي أدفِنَه بَينَكُم، وَأمضِي بِلاَ وَدَاع.

بَهجَةٌ مُفَاجِئَة.

وَالطَّيِّبُونَ يَصنَعُونَ لِي عُرسًا بِلاَ عَرُوسٍ، فِي الصَّبَاح.

قَالَ السَّيِّدُ ذَاتَ مَسَاء..
مَن يَلفُظ كِلمَتَه فِي عَرضِ الرِّيح الدَّوَّارَة
سَتَصيرُ الكِلمَةُ سَيفًا يُردِيه.
قَالَ السَّيِّدُ ذَاتَ مَسَاء
مَن يُطلِق كِلمَتَه فِي الآفَاقِ المَمدُودَة
سَتَصيرُ الكِلمَةُ لَحدًا.. يَثوِي فِيه.
فَحَذَارِ مِن الكِلِمَاتِ المَلعُونَةِ تَصرُخُ فِي بَلَدِ الصَّمت.
فَالكِلمَةُ.. لاَ تَعنِي غَيرَ المَوت..
الكلمَةُ.. مَوت.

إلَى أينَ أقُـودُ يَقَظَتِي؟

كُتُبٌ حَمرَاءُ تُضرِمُ النَّارَ فِي هَشِيمِي الهَش. أُشعِلُ وَاحِدًا كُلَّ لَيلَة، وَأرمِي بِنَفسِيَ فِيه: يَا نَارُ، لاَ تَكُونِي بَردًا وَلاَ سَلاَمًا. عَلَى بَوَّابَاتِ قَصرِ الشِّتَاءِ، أقِفُ بِالسِّلاَحِ وَسطَ قُوَّةِ الاقتِحَام. قَالَ أحَدُهُم: هَل بِالدَّاخِلِ خُمُور؟ قَالَ لِي لِينِين: يَومُ 24 سَيَكُونُ مُبَكِّرًا، لِعَدَمِ وُصُولِ المَندُوبِين. وَيومُ 26 سَيَكُونُ مُتَأخِّرًا. وَالفُرصَةُ الوَحِيدَةُ يَوم 25. وَقَّعتُ عَلَى الخُطَّةِ العَسكَرِيَّةِ، وَقَذَفتُ الكُرَةَ إلَى مَلعَبِ الخَصم. فَلاَبُدَّ مِن هَدمِ جِهَازِ الدَّولَة. وَعَلَى مَايَاكُوفسكِي أن يَتَفَرَّغَ لِلأَّفِتَاتِ و- فِي الفَرَاغ- الشِّعرِ التَّحرِيضِي. انتَشِرُوا. نَعَم، فَبِلِيخَانُوف انتِهَازِيٌّ، وَالثَّانِي تَحرِيفِيٌّ، وَالثَّالِثُ رَجعِيٌّ، وَالرَّابِعُ وَالخَامِسُ وَالسَّادِس. فإلَى

العَائِلَةِ المُقَدَّسَةِ، إلَيهَا، مَوعِدُنَا المَضرُوبُ، وَخُبزُنَا اليَومِي. **هَكَـذَا نَكتَشِفُ الإجَابَاتِ المُستَحِيلَةَ، دُفعَةً وَاحِدَة.**

بَصِيرَةٌ تَقفِزُ تَضَارِيسَ الجُغرَافيَا. صَعَالِيكُ، أبطَالٌ، خَوَنَةٌ، شُعَرَاءُ، ثَورَاتٌ، قَتلَى، مَجَانِيقُ، خُيُولٌ، وَإنَّا خَيرُ مَن رَكِبَ المَطَايَا، دِمَاءٌ عَلَى ثُلُوجٍ، بَيَارِقُ مُرَفرِفَةٌ، رَصَاصٌ يَصفُرُ، تَهَالِيلُ، جُنُودٌ مَشدُودُونَ إلَى مَوتٍ، فَصلٌ فِي الجَحِيمِ، فِرقَةُ الإعدَامِ عَلَى الزِّنَادِ، بِلطَةٌ تَنتَظِرُ فِي المكسِيكِ، أقوَالٌ طَيِّبَةٌ لَكِن لاَ تَصنَعُ شَيئًا، يُحَرِّرُ القَصِيدَةَ وَيُتَاجِرُ فِي العَبِيد، فَالمَضمُونُ هُو الَّذِي يَشتَرِطُ الشَّكلَ، جَرِيحٌ يَنزِفُ فِي لَيلٍ شَمَالِيٍّ، هَل أتَى المَرسُومُ القَيصَرِي؟ عِصيَانٌ فِي المَدَرَّعَةِ، حَرِيقٌ فِي حُقُولٍ، ثَورَةٌ دَائِمَةٌ أم دَولَةٌ فِي بَلَدٍ، فَمَاذَا نَفعَلُ بِكَافكَا وَبُودلِير فِي فِردَوسِنَا القَادِمِ؟ اقتَرَبَت سَاعَةُ الصِّفرِ، فَمَن سَيُطلِقُ الصُّفَّارَة؟

صَيفٌ لِلأسئِلَة. كَمصيَدَةٍ مُحكَمَة.
جَسَدِي يُغمِضُ عَينَيه، وَيَرمِي بَصِيرَتَه.
الأشجَارُ تَفتَعِلُ المَسَافَة. مَن حَرَّضَهَا؟
ضَيفٌ عَابِرٌ، وَالآخَرُون عَارِضُون.
كَأنَّ الكَلاَمَ يَمُوتُ بِالنُّطق.
أيَّتُهَا الحُشُودُ المُكَدَّسَةُ فِي جُمجُمَتِي،
مَاذَا أفعَلُ لَك؟
حَتَّى أنتَ يَا لُوبِين؟

هَل أصبَحَ يَنَايرُ المَوعِد. تِنِّينُ العَشرَةِ آلاَفِ رَأسٍ، وَالعِشرِينَ ألفِ قَبضَةٍ مُشهَرَة. لاَ تَنتَظِرِي عَودَتِي مُنفَرِدَا. أنَا جَسَدُ الانتِفَاضَةِ، أعضَائِي صُرَاخ. عَلَى الجِدَارِ مُعَلَّقَةٌ صَحوَتِي، أو مُمَدَّدَةٌ عَلَى الأرضِ لاَ تَدُوسُهَا الأقدَام. ضِد الجَاذِبِيَّة. شَهوَةُ الخُرُوج تُلَملِمُ أطرَافَهَا مِن الأركَانِ إلَى السَّاحَة. عِشرُونَ ألفِ صَبَاحٍ وَشَمسٍ بَازِغَة. تُوتٌ وَنَخِيلٌ وَحُقُولُ قَمحٍ وَبرسِيمٍ وَحَارَاتٌ وَدُعَاءُ أمَّهَاتٍ فِي قُرَى نَائِيَةٍ وَنُجُوعٍ وَصَلَوَاتُ الفَجرِ جَمَاعَةً لَبَّيكَ اللهُمَّ لَبَّيكَ بِلاَدي بَعِيدَةٌ فَتَعَالَي أيَّتُهَا الجَمِيلَةُ كَحَقلٍ مِن زُهُورِ البَشنِينِ كَي أسِيرَ عَلَى الفَيضَانِ وَقَلبِي فِي الفَضَاء أيَّتُهَا البَعِيدَةُ عِشرِينَ ألفِ ذِرَاعٍ مُشرَعٍ نَدًى عَلَى الوُجُوهِ النَّابِتَةِ وَالأصَابِعِ تُورِقُ أحلاَمًا بَهِيجَةً وَطُفُولَةَ جَسَدٍ أضيَقَ مِن حُلمٍ وَشَهوَةً أكبَرَ مِن خَيَالٍ يَا أهلَ مَدِينَتِنَا انفَجِرُوا أو مُوتُوا رُعبٌ أكبَرُ مِن هَذَا سَوفَ يَجِيءُ حَيَوَانَاتٍ مِن حَدِيدٍ صَدِئٍ تُلَملِمُ أطرَافَهَا تَزحَفُ تُوصِدُ مَصَارِيعَ الشَّوَارِعِ وَالسَّاحَاتِ مِن أيِّ كُهُوفٍ وَذَاكِرَةٍ تَأتِي صَفِيحٌ مُصَلصِلٌ يَصطَخِبُ صَارِخًا مُصَرصِرًا يَصطَفُّ فِي الصَّبَاحِ كَالمُصِيبَةِ الصَّاخِبَةِ انفَجِرُوا أو مُوتُوا وَاتَّسِعِي أيَّتُهَا الأبوَابُ لِلخُرُوجِ عِشرُونَ ألفِ صَبَاحٍ يَخرُجُون قَارِعَةً أو مَعصِيَةً فَانفَتِحِي لَنَا الشَّوَارِعُ الأليفَةُ وَالخُطَى الوَرِيفَةُ وَالنَّدَى الرِّيفِيُّ أيَّتُهَا المَرأةُ القَاهِرَةُ نَحنُ أطفَالُكِ اليَتَامَى نَنفُخُ الآنَ الصُّورَ وَنُوقِظُ آبَاءَنَا المَوتَى بِلاَ عَزَاءٍ وُحُوشٌ حَدِيدٌ تَحبُو صَدَأٌ يَسدُّ المَصَارِيعَ مَا الَّذِي يَسقُطُ مِن سَمَاءٍ رَمَادٍ فَتَهطِلَ الدُّمُوعُ سَاحَةٌ دُخَانٌ طَلَقَاتٌ مَكتُومَةٌ وَطلقَاتُ طُوبٍ حَجَرٍ صَفِيحٌ أو حَدِيدٌ خُطوَةً خُطوَةً لاَ أمَامَ لَنَا طُوبٌ حَجَرٌ وَدُمُوعٌ مَطَرٌ لاَ بَأسَ لاَ حَائِطَ فِي الظَّهرِ يَزحَفُ نَرتَدُّ إلَى الرَّحِمِ المَفتُوحِ نَرُدُّ

بَابَه وَرَاءَنَا مِن أيِّ كَهفٍ غَائِرٍ أو كَابُوسٍ غَازٌ وَطُوبٌ وَهكسُوسٌ يَتَسَلَّقُ الوَادِي مَن يَنصبُ المَجَانِيقَ عَلَى الأسوَارِ مَن يَبنِي الكُتبَ مِعبَرًا فِي النَّهرِ وَالجُنُودُ يَأكُلُون الرَّملَ وَالانتِظَارَ أيَّتُهَا الضَّربَةُ الغَادِرَةُ لاَ أَلَمَ أو وَجَعَ لِلدَّمِ طَعمُ بَهجَةِ الرُّوحِ الحَارَّةِ أَلمَسُه فأرَانِي لِلمَرَّةِ الأولَى: أيُّهَا المَجهُولُ لِي كَيفَ اختَبَأتَ عَنِّي فِيَّ عِشرِينَ جَهلاً أو يَزِيدُ كأَنَّنَا التَقَينَا ذَاتَ حُلمٍ أو وَهمٍ غَابِرٍ ثُمَّ افتَرَقنَا أيُّهَا الغَرِيبُ فَالتَقَينَا مَرَّةً أخِيرَةً عَلَى شَفِيرِ القَارِعَة

يَا سَـيِّدَ اللَّحظَـةِ الضَّـائِعَة

زنـزانة 6

رَحِمٌ حَدِيدٌ وَحَجَـر.
فَضَاءٌ عَمَاء.
خُطوَةٌ وَيَبدَأُ السَّفَر.
وَالوَقتُ مَاء.

رِحلَةٌ تَبدَأُ فِي الظُّلمَةِ الخَاوِيَةِ، قَبرٌ أم رَحِمٌ تِسعَةَ أمتَارٍ مُرَبَّعَةٍ وَخَلفِيَ الحُقُـولُ، أم رِحلَـةٌ تَنتَهِـي إلَـى امـرَأةٍ قَلعَـةٍ مُبَاحَـةٍ لِلقَـاتِلِينَ، صَـوتُ الـصَّمتِ صَـارِخٌ فِـي اللَّيـلِ، لاَ صَـدًى سِوَى سَـنَابِكِ الخَيـلِ القَدِيمَـةِ تَطـرُقُ الأسـفَلتَ تَحـتَ ضَـوءٍ مَعـدَنِيٍّ، بَلطَـةٌ بَـاتِرَةٌ أم التَّجـرِيسُ فَالخَـازُوقُ، مَـن يَرفَـعُ مَظلَمَتِي إلَـى السُّلطَانِ، أنَـا السَّجِينُ الأَبَـدِيُّ، عُمرِي مُوَزَّعٌ عَلَى العُهُودِ وَالأزمَانِ، مُنذُ أوَّلِ مَن بَنَى جِدَارًا فَوقَ

أرضِ اللَّه، كُن سِجنًـا فَكَانَ، مُتـرَعٌ جَسَدِي بِالانتِظَارِ وَالسَّنَابِكِ، لاَ أدرِي جَرِيرَتِي، لاَ لَستُ طُومَانبَـاي، رُبَّمَـا، لَعَلَّنِي، لَكِنَّنِي مُعَلَّـقٌ بِالبَابِ مُنذُ 468 سَنَةً هِجرِيَّةً، تَحتِي أرَاهُم يَعبُرُونَنِي مُغمَضِينَ، أنَا وَكـرُ الطُّيُـورِ الجَارِحَـةِ نَـامَ اللَّـه عَنِّـي وَالفُـصُولُ، وَلَـم يَـنَم المَمَالِيـكُ المُوَكَّلُونَ بِي، فَمَن يَطرُقُ البَابَ؟ هَل أعـدَدتُم الوَلِيمَةَ الأَلِيمَةَ؟ مَـا الَّذِي تَبَقَّى؟ رَأسٌ عَلَى طَبَقٍ فِضَّةٍ وَتَختٌ تَحتَ أقدَامِي وَبَهجَةٌ قَاتِلَةٌ، وَسَيِّدَتِي؟ شَهوَةٌ مَسعُورَةٌ مُرتَجَلَةٌ، فَادخُل عَلَى سِعَتِي وَرَحبِي أيُّهَا الضَّبعُ الجَمِيلُ، هَل التَقَينَا ذَاتَ وَيلٍ؟ هَل لَعِبنَا فِي الطُّفُولَةِ لُعبَةَ العَرِيسِ وَالعَروسِ؟ ادخُل عَلَى سِعَتِي، مَفتُوحَةٌ كَمَا تَبغِي، فَرَأسُه ثَأرِي العَقِيمُ، قَبلَ أن يَصِيحَ الدِّيكُ أيُّهَا الخَائِنُ الكَلِيمُ، افتَحُوا المَغَالِيقَ جَمِيعًا لِلغُزَاةِ الفَاتِحِينَ (أعلاَمٌ مُلَوَّنَةٌ، طَبُولٌ صَاخِبَةٌ، خُيُولٌ حَمرَاءُ وَسَودَاءُ، لاَ بَيضَاءَ، فِي الوَرَاءِ العَاهِرَاتُ مُتَوَّجَاتٌ بِاليَقِينِ المُرِّ، قَالَ سَآوِي إلَى جَبَلٍ يَعصِمُنِي مِن المُقَايَضَةِ الخَاسِرَةِ، تَعَالَوا لِي، نَمشِي عَلَى ظَلاَمٍ دُونَمَا ابتِلاَلٍ، ضَوءٌ مِن القَصدِيرِ، وَالسَّرِيرُ لاَ يَنَامُ، هَل يُسَجِّلُ الأحلاَمَ فِي نَومِي، أيُّهَا الحُرَّاسُ: أغلِقُوا عَلَيَّ النَّومَ، وَاخرُجُوا بَعِيدًا، جِدَارُه حَجَرٌ، جَرَانِيتٌ، وَفَوقَ السُّورِ حُلمٌ بِالفَرَارِ إلَى الذُّرَةِ البَعِيدَةِ، نَامَ نَومِي دُونَ أن أنَامَ، وَأحكَمَ المِزلاَجَ، أيُّهَا السَّهَرُ الطَّوِيل:

اللَّيلُ تِنِّينٌ خُرَافِيٌّ رَهِيب.

هَا إنَّ أذرُعَه الكَئِيبَةَ وَالنَّحِيلَةَ تَبصُقُ اليَأسَ الجَدِيب

فِي عَينِيَ التَّعبَى العَلِيلَة

تَغتَالُ مِن عَينِي خُيُوطَ الضَّوءِ
تَرمِينِي إِلَى لَحَدِ الظَّلاَم.
فَأَصِيحُ بِاللَّحدِ العَقِيم:
يَا لَحَدُ.. أَرشِفنِي نِقَاطَ الضَّوءِ كَيمَا أَنظُرَ الوَجهَ الحَبِيب
يَا لَحَدُ.. خَيطَ الضَّوءِ أَنظُرهَا
يَا لَحَدُ.. خَيطَ الضَّوءِ وَارمِنِي إِلَى قَاعِ الجَحِيم
يَا لَحَدُ.. أَرشِفنِي..
وَتَطفُو مُقلَتَاكِ عَلَى الجِدَار.
وَأَرَى مَلاَمِحَكِ الوَدُودَةَ تَبسِمِين
لِعَينِيَ التَّعبَى الكَلِيلَةِ فِي صَفَاء.
وَتَقُولُ لِي عَينَاكِ إِنَّا مَا أَضَعنَا الصُّبحَ فِي لَهوٍ عَقِيم.
قَد كَانَ وَعدًا أَن يَكُونَ لِقَاؤُنَا.. هَذَا المَسَاء.

فَأينَهَا الجُدرَانُ الأسوَارُ الحُرَّاسُ المِزلاَجُ الحَجَرُ الصَّرخَاتُ تَجِيءُ طَحِينًا مَسمُومًا مِن سِردَابٍ مَا وَالدَّمُ يَنفَجِرُ مِنَ العَينَينِ، فَنَامِي الآنَ عَلَى سَهَرِي، سَرِيرٌ شَاسِعٌ يَسَعُ المَسَاكِينَ وَأَبنَاءَ السَّبِيلِ، نَامِي، فَهَل نَفَدَت حِكَايَاتُ الطُّفُولَةِ، أم فَقَدنَا السِّندِبَادَ فِي رِحلَتِه الأَخِيرَةِ، ضَيِّقٌ وَاسِعٌ هَذَا الرَّحِمُ الحَجَرِيُّ، وَقَلبِي وَردَةٌ أَو قُبَّرَةُ تُرَفرِفُ فِي سَمَاءٍ حَدِيدٍ، مَن يُصَوِّبُ سَهمَه الآنَ؟ وَشَمسُ اللَّهِ فَاكِهَةٌ مَحَرَّمَةٌ، هَل

تُشبِه اللَّيمُونَةَ السَّـاقِطَةَ أم القَصِيدَةَ، أشخَاصٌ مِن أبجَدِيَّةٍ مُسَمَّرُونَ فِي الجِدَارِ بِلاَ وُجُوهٍ، مَن يَذكُرُ الآنَ غَيرِي؟ أُسَمِّرُ وَقتِي كَي لاَ يَفِرَّ فَأسقُطَ فِي الهُوَّةِ الهَاوِيَةِ، انظُرُوا، ابتَعِدُوا عَن مَجَالِيَ الحَيَوِيِّ، قَلبِي طَلقَةٌ خَائِبَةٌ أطلِقُهَا، لاَ تُصِيبُ الوَقتَ، أيَّتُهَا الطَّلقَةُ الخَائِنَةُ لاَ بَأسَ، لَنَا مَوعِدٌ آخَرُ فِيمَا مَضَى، أُعَابِثُ الوَقتَ وَالجُنُونَ خَلفَ بَابٍ مُصَفَّدٍ، فَهَل خَرَجُوا إلَى الأسفَلتِ، أطفُو قَشَّةً تَعلُو إلَى السَّقفِ وَئِيدًا، قَشَّةً تَعلُو فَتَنشَعَهُم، تَنزُّ، السَّقف، مَن يَنسَى، سِيَاطٌ، مَوتٌ أم نُشُورٌ، صَهِيلٌ بَعِيدٌ، لِمَ تَركتَنِي، العَرُوسَةُ، مَن، هَل حُقُولُ أشجَارٍ خَضرَاء، رُبَّمَا دَمُ السِّيَاطِ، إلَى أينَ، مُترَعٌ مُفعَمٌ، وَالسَّقفُ سَرِيرِي، أيُّهَا الطَّفُوُ: خَائِنِي، فَمَن سَقَانِي الخَلَّ وَألبَسَنِي الأُرجُوَان، لِمَ شَبقتَنِي، لَن أخرِقَ السَّقفَ أو أبلُغَ الجِبَالَ، كَيفَ؟ ظُلمَةٌ تَسُدُّ النَّافِذَةَ الوَحِيدَةَ، طَافِيًا، مُوصَدًا، سِتَّةُ أضلاَعٍ مِن أحجَارٍ عَمياَءَ بِلاَ بَابٍ، كَيفَ أقَامُوا حَولِي الجُدرَانَ الصَّمَّاءَ؟ فَهَل يَعرِفُ بِي أحَدٌ؟ مِن أينَ تَجِيءُ الوَهوَهَةُ، سَمَاءٌ صَخرٌ، بَحرٌ بِلاَ أسمَاكٍ أو أعشَابٍ، فَمَتَى يَأتِي القُرصَانُ الأعمَى المَجدُورُ؟ مَتَى؟ أطفُو عَلَى مَاءِ انتِظَارٍ رَاكِدٍ، وَالأرضُ تُنبِتُ الجُدرَانَ، هَل يَأتِي أم النِّسيَانُ، طَلقَةٌ خَائِبَةٌ فِي اتِّجَاهِ الحُلمِ، يَرتَمِي عَلَى يَدَيَّ جُثَّةً بَارِدَةً، أحنُو عَلَيهَا، أُضَمِّخُهَا، وَأدفِنُهَا إلَى حُلمٍ بَدِيلٍ، أيُّهَا الحُرَّاسُ: أوقِفُوا النَّزِيزَ كَي أُعِيدَ صِيَاغَةَ الوَقتِ الحَمِيمِ، وَأغرِسَ الأشوَاكَ فِي ثَدِيِ الإجَابَاتِ الأليِفَةِ، مَرَّةً أخِيرَةً، فَأُطلِقَكُم إلَى المَرَاعِي وَالحُقُولِ الآثِمَةِ، لاَ أوتَادَ بَعدَ اليَوم، قَطَعتُ لَكُم حِبَالَكُم، فَافرَنقِعُوا، إلَيهَا، أنَا الرَّاعِي الأليِمُ، أطلَقتُ خِرَافِي إلَى الذِّئَابِ، ثُمَّ جَلَستُ عَلَى لُجَّةٍ أُحصِي النُّجُومَ الآفِلَة.

فَمَن يَحمِلُ عَنِّي رَأسِي المُثقَـلَة؟
حَجَرٌ مُتخَمٌ بِالمَوَارِيثِ وَالصَّرخَاتِ المُقبِلَة.
كَيفَ أثقُبُه، وَأُفرِغُه فَضَاءً بَاهِرًا مُستَعصِيًا،
ثُم أُوصِدُه عَلَى هَبَاء؟
أيُّهَا الحَجَرُ المُبَاحُ لِلفُصُولِ القَاحِلَة:
مِيعَادُنـا: رَقصَةُ العَرَاء.
وَشَارَتُنَا: الطَّلقَةُ الفَاصِلَة.

مِتـلاَ

إلَى أينَ يَا سَيِّدَ الأبجَدِيَّة؟
لَيسَت الأرضَ، فَتَمشِي فِي مَنَاكِبِهَا إلَى خَاتِمَةِ الشَّوطِ، هِيَ الهَامِشُ السِّرِّيُّ، أو الهَاجِسُ اللَّيلِيُّ يُقصِيكَ عَنِ العَادَةِ حَتَّى الهَذَيَان.

لاَ شَمسَ، لاَ أبَ، لاَ طَرِيق.
أيُّهَا الأُفُقُ الغَرِيق.

بُرهَةٌ خَضرَاءُ فِي مُفتَرَقِ الأرضِ. ألهُو بِانتِظَارِي.
أيُّ طَائِرٍ سَيَحُطُّ عَلَى رَأسِي؟ أيُّ صَولَجَانٍ سَيَجِيء؟
إلَى أينَ سَيَرتَمِي ظِلِّي، فَأتبَعَه غَرِيبًا، لاَ صَوتَ لِي، إلَى نِهَايَةِ الرَّملِ وَالأسلِحَة؟

أرَقٌ مِن وَرَقٍ يَجِيءُ لِي بِالوُعُولِ وَالأيَائِلِ وَالأرَانِبِ البَرِّيَّة. أنَا حَطَّابُ الغَابَاتِ المَنسِيَّة. لَم تَعرِف الخَرَائِطُ وَجهِي، وَلاَ بَلطَتِي. فَاذكُرُونِي بَعدَ ألفِ عَامٍ مِن خَشَب. قَيلُولَةٌ قَلِيلَةٌ لاَ تَقِلُّ عَن مَائَةِ يَومٍ تَقرِضُ فِيهَا الكَائِنَاتُ اللَّيلِيَّةُ أشجَارِي، تُثَنِّي بِثِمَارِي، لأصحُو عَارِيًا (لاَ عَورَةَ فِيَّ) كَالصَّبَاح، عَلَى كُلِّ الجِهَات.
أنَا سَيِّدُ الغَابَات.

يُوَشوِشُنِي الرَّملُ: أنتَ خَلِيلِي، سَتَعبُرُ المَاءَ فِي الأصِيلِ لِي، بِلاَ بَلَل.
فِي انتِظَارِكَ عُمرًا مِنَ الرَّملِ وَالحَدِيدِ، تَأتِي خَاوِيَ الأسئِلَةِ، فَاذهَب- الآنَ- بُرهَةً خَضرَاء.
سَنَلتَقِي عَلَى حَافَّةٍ قَاتِلَة.

أعبَثُ بِالانتِظَارِ الرَّجِيم.

وَقتٌ ضَيِّقٌ. فَكَيفَ أمَدِّدُ سَاقَيَّ، وَأقرَأُ "*مَا العَمَل؟*". لاَ مُتَّسَعَ لِي أعرِفُ. سَيَأتِي- فِي مَوعِدِهِ المَضبُوطِ- مُتَّشِحًا بِالنُّفُورِ، مَخفُورًا بِرُؤُوسٍ مَقطُوعَةٍ قَبلَ الإينَاع. أعرِفُهُم. أهلاً بِالقَتلَى القَادِمِين.
- أَلَن تَأتِي؟
- أتَيتُ مُنذُ سَبعَةِ آلاَفِ سَنَة،
أنَا القَتِيلُ المُستَدِيم.
فَامضُوا إلَى مَقتَلِكُم، هَنِيئًا مَرِيئًا.

لَنَا قتلَةٌ أخرَى، تَجِيءُ فَلاَ تَقتُلُنِي، تَعبُرُ بِي إلَى ضِفَّةٍ ثَالِثَةٍ لاُ تُنبِتُ الحَدِيدَ وَالزَّرنِيخ.

صَيفٌ أخِيرٌ قَبلَ الرَّمل.
أيُّهَا المُفتَرَقُ الضَّيِّقُ، مَا أظلَمَك.

هَل يُحَارِبُونَ فِي المِذيَاع، مَرَّةً أخرَى؟
مَا الَّذِي يَتَرَصَّدُنِي- فِي مَكَانٍ مَا- سِرًّا؟ مَن يُبَارِزُنِي؟ أيُّهَا القَبِيحُ، أسفِر عَن وَجهَكَ الخَبِيء.

أيَّتُهَا الحَقِيقَةُ، كَيفَ أرَى جَسَدَكِ العُرِيَانَ الصَّافِي؟ هَل تَخرُجِينَ لِي بَعدَ فَوَاتِ الوَقتِ، أم تَغمِدِينَ خِنجَرَكِ الصُّلبَ فِي قَلبِي، عِندَ المُنعَطَف؟ عَارِيًا، أنتَظِرُكِ، أيَّتُهَا القَاسِيَةُ، عَارِيَة.

يَنكَفِئُ الشَّارِعُ عَلَى مِذيَاعٍ مُرِيبٍ، يَنشُرُ الغَرَابَةَ، وَيُهَشِّمُ الانتِظَارَ شَظَايَا زُجَاجٍ سَامَّة. أنكَفِئُ قَلِيلاً إلَى أن يَسرِيَ السُّمُّ فِي جَسَدِي.
أمضِي فِي الشَّارِعِ مَيِّتًا، دُونَ فَضِيحَة.

بَهجَةٌ لاَ تَشتَعِل (فَالكِبرِيتُ مَبلُول).
خُطوَتِي القَادِمَة: الهَاوِيَة.

رَايتِي مَغرُوسَةٌ فِي رِمَالِ الضِّفَّةِ الأُخرَى (يَقُولُون ؛ هَل أُصَدِّقُهُم؟). أمنَحُهَا فَائِضَ وَطَنِيَّتِي الطَّارِئَة، وأنسَى. سَأَتَذَكَّرُهَا فِي وَقتٍ مَا. أمَّا الآن، فَعَلِّي أرَاقِبُ المَوقِفَ- فِي السِّرِّ- حَتَّى لَحظَةِ التَّدَخُّلِ الحَاسِمِ، بِعَينٍ حَدِيد.

نُكهَةُ الخَرِيفِ الغَامِضَةِ فِي قَلبِي، وَفَمِي مُنطَفِئٌ، عَانِس.
مَا الَّذِي يُفلِتُ مِن دَمِي، يُخلِينِي لِقَادِمٍ بِلاَ خُطَى صَائِتَة.

عَلَى حَافَّةِ الوَقتِ، أنتَظِرُ الخِنجَرَ فِي ظَهرِيَ العَارِي.

مُتَوَّجًا بِالرُّعبِ، أخطُو إلَى حَتفِيَ الوَطَنِيِّ، أرتَدِي ثِيَابَه، أتَدَرَّبُ عَلَيه، يُعِدُّونَنِي لِلوَلِيمَةِ القَادِمَةِ المُزَركَشَةِ بِالنَّيَاشِينِ وَالأوسِمَة. أستَعِدُّ بِإيمَانِ الكَهَنَة، وَرِعًا خَجُولاً.

أنَا القَاتِلُ القَادِم،
القَتِيلُ المُؤَجَّل.

مَائةٌ وَثَمَانُونَ يَومًا- أيُّهَا الرُّمحُ البَطِيءُ الَّذِي رَمَانَا إلَى الجَنُوبِ- كَي يُعِيدُوا صِيَاغَةَ أعضَائِي وَخُطوَاتِي. أنَا الغَرِيبُ الَّذِي وَقَعَ فِي فَخِّ الطَّاعَةِ عَلَى الخَيطِ المَشدُودِ، أمشِي مَرحًا إلَى جُنُونٍ لاَذِعٍ، مُغمَضَ العَينَينِ وَالقَلبُ نَائِم.

جَسَدِي يَرفُضُ البُندُقِيَّة ؛ أتَسَلَّى بِهَا. أيَّتُهَا الصَّامِتَةُ، المُدَجَّجَةُ بِالقَتلَى، مَا الَّذِي أفعَلُه بِحُقُولٍ جَمَاجِمَ وأشجَارٍ دِمَاء؟ مَا الَّذِي أقطُفُه فِي ظَهِيرَتِهَا؟ أيَّتُهَا الصَّامِتَةُ المُدَجَّجَةُ بِالظَّلاَم، فَلتُغمِضِي عَينَيكِ- بُرهَةً- كَي أعبُرَهَا إلَى النِّسيَانِ. كَيفَ أستَلُّ نَفسِي مِن ذَاكِرَتِك؟

لاَ وَقتَ لِلذَّاكِرَةِ. يَتزَلِقُون- جَمِيعًا- إلَى الوَرَاء.

لاَ بَصَمَات،

لاَ آثَارَ أقدَام.

هُتَافٌ غَامِضٌ- فَحَسب- مُعَلَّقٌ فِي سَمَاءٍ شَاحِبَة.

وَيَتزَلِقُون.

أيُّهَا الرَّملُ الغَرِيبُ، ابتَعِد عَن غُصُونِي الخَضرَاءَ، أنَا المُستَعَارُ فِي وَقتٍ مُستَعَار.

لاَ تَقرَبنِي، وَانتَظِر قَفزَتِي أن تَكتَمِل.

كَيفَ أقفِزُ 1171 صَبَاحًا وَظَهِيرَةً وَمَسَاءً وَلَيلاً، نَومًا وَيَقظَةً، ضحكًا وَرُعبًا؟

جَزمَةٌ عَسكَرِيَّةٌ، وَأعضَاءٌ مِيكَانِيكِيَّةٌ سَرِيعَةُ الطَّلقَاتِ، لاَ تَنفَجِر.

وَابنُ "*النَّقدِ المَنهَجِيِّ عِندَ العَرَبِ*" يَأمُرُنَا: الأرضُ زَرقَاءُ، مُخَطَّطَةٌ بِالأحمَر. فَمَن يَستَطِيعُ الإنكَار؟

أيَّتُهَا الطَّاعَةُ المَسمُومَةُ، أتَفَرَّجُ عَلَيكِ، بِلاَ جُرعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلتَعبُرِينِي دُونَ انتِبَاه.

هَكَذَا، أصبَحتُ صَالِحًا لِلقَتل.
فَوَضَعُوا عَلَى كَتِفِيَّ نَجمَةَ الجَرِيمَةِ القَادِمَة.

الجَيشُ الثَّالِث. اللِّوَاءُ الخَامِس. الهَوَاءُ مَلغُومٌ بِالشُّكُوكِ المُرَفرِفَةِ، بِلاَ صَيَّادِين. سُكُونٌ يَكَادُ يَقُولُ خُذُونِي.
مَا الَّذِي جَاءَ بِي إِلَى المَاءِ، أَيَّتُهَا الغَيبُوبَة؟
أينَ ذَهَبَت الحَرب؟
عَلَى المَاءِ أمشِي، لاَ أخطُو، يَمشِي بِي إِلَى سينَاء.
أَيَّتُهَا الأرضُ المُترَعَةُ بِالدِّمَاء، هَاكِ دَمِي عَلَى قَائِمَةِ الانتِظَار.
أخطُو عَلَى حُلمٍ مِن رَملٍ وَجَبَل. إِنَّهَا الأرضُ الَّتِي وَعَدَ اللهُ بِهَا المَقتُولِين.
أينَ ذَهَبُوا؟
جُملَةٌ إِجمَالِيَّةٌ تُكَفِّنُهُم إِلَى النِّسيَان.

إِلَى النِّسيَان.

لَيلٌ مِن قَطِيفَةٍ زَرقَاءَ يَأتِي مِن ذَاكِرَةِ الأسَاطِيرِ، بِلاَ عَفَارِيت، يُهَدهِدُ الطَّلقَاتِ وَالأسلِحَةَ الحَدِيدَ، فَتَنَامَ فِي أيدِي الجُنُودِ وَالمَخَازِن، دُونَ أن تُغمِضَ عُيُونَهَا.

لاَ أحَد. لاَ شَيء.

وَحدِي. وَحِيدًا.
وَكُلُّ هَذَا اللَّيلِ: لِي، وَحدِي.

فِئرَانٌ حَمِيمَةٌ تَسهَرُ عَلَى نَومِي، تَقرِضُنِي عُضوًا عُضوًا.
فِي الصَّحوِ، تَنمُو لِي أعضَاءٌ جَدِيدَةٌ، كَي تَقرِضَهَا.

أخرُجُ فِي اللَّيلِ بَاحِثًا عَن أروَاحِ القَتلَى المَنسِيِّين، يَحرُسُونَ الدَّبَّابَاتِ المُدَمَّرَة، يَستَقبِلُونَنِي بِالتَّحِيَّةِ العَسكَرِيَّةِ، فَالأحضَانِ، يُدَخِّنُونَ سَجَائِرِي، يُثَرثِرُونَ، يُقَهقِهُون (إلَى أينَ فَرَّ المَوتُ عَنهُم؟)، يَصُبُّونَ لِيَ الشَّايَ، وَيُحَمِّلُونَنِي الرَّسَائِلَ المُغلَقَة.
فِي الصُّبحِ، سَأتَلَصَّصُ عَلَيهَا.

حَقلُ ألغَامٍ، عَلَى حَافَّتِه أُمَدِّدُ سَاقَيَّ، أنتَظِرُ الثِّمَارَ المُتَسَاقِطَة.
الكَوَابِيسُ تُغَافِلُ جُندِيَّ الحِرَاسَةِ، وَتَحتَلُّ النَّوم.
عِندَ الفَجرِ، تَبدَأُ فِي الانسِحَابِ التَّدرِيجِي.

مَا رَأيتُ أحَدًا، أنَا السَّاهِرُ عَلَى النَّومِ، أحرُسُه مِن وَهمٍ أو لُغَة. أدخُلُ الأرضَ الحَرَامَ مُترَعًا بِالنَّشوَةِ وَالأسلِحَةِ، خَلفِي ثَلاَثُ شِيَاهٍ تَقضُمُ ظِلِّي اللَّيلِيَّ. أيَّتُهَا الأرضُ المُولَعَةُ بِالأنبِيَاءِ وَالقَتلَى، مَن أنَا؟ أيُّهَا اللَّيلُ، يَا عَشِيقِي، لَستُ ضَابِطَ الاستِطلاَعِ، فَمَا هِيَ المُهِمَّة؟ أنَا لَستُ أنَا الآخَرُ، وَالتَّعلِيمَاتُ لَم تَكُن لِي لَيلٌ دِيسَمبِرِيٌّ يُنبِتُ الصَّهِيلَ وَالحَنِينَ المُطلَقَ، هَل قَالُوا شَيئًا؟ أنَّا المَشَّاءُ الأبَدِيُّ، أحمِلُ فِي جُعبَتِي

دُرُوبًا لَم تَعرِفهَا قَدَمٌ، وَفِي جَيبِيَ المَفقُودِ حِفنَةُ أنَاشِيدَ حَمَاسِيَّةٌ، لِي النَّهَارُ حُفرَةٌ أسقُطُ فِيهَا حَتَّى لاَ تَرَانِي الشَّمسُ وَالأعدَاءُ، حَولِي شِيَاهِي المُرتَعِدَةُ مَن القَادِمُ؟ لَستُ ضَابِطًا رُبَّمَا كُنتُ نَبِيًّا تَائِهًا عَن شِيَاهِهِ أو شَجَرَةً لَستُ بُندُقِيَّةً عَصَايَ أهُشُّ بِهَا غَنَمِي القَادِمَ فَابتَعِدُوا عَن ظِلِّي أنَا المُوَكَّلُ بِالرَّملِ وَالحَصَى فِي فِجَاجِ الأرضِ وَانتَظِرُونِي فِي القَارِعَة.

مَن أنتُـم؟

نَهَارٌ عَدُوٌ ، وَلَيلٌ صَدِيقٌ أحتَمِي بِهِ مِن شَهَوَاتِي.
بَينِي وَبَينِي حَقلُ ألغَامٍ، وَالأغصَانُ تَنمُو فِي اتِّجَاهِ القَاعِ.
هَل أنَا الثَّمَرَةُ المُرجَأة؟

مَتَى يَحِينُ انفِجَارِي؟

قَفَصٌ حَدِيدٌ يُحَلِّقُ بِي عَالِيًا، بِلاَ أجنِحَة.
جَسَدِي نَشوَةٌ، وَأعضَائِي غُيُوم.
وَمِتلاَ حُلمٌ عَسكَرِيٌّ لاَ يَقفِزُ مِنَ الخَرِيطَة. صِرَاطُ المُحَارِبِينَ وَالأنبِيَاءِ الهَارِبِين. ادخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِين.
أقُولُ هَا كُم خُطَّتِي الحَربِيَّةَ النَّاجِعَةَ بِلاَ سُوءٍ: حِفنَةٌ مِن صَاعِقَةٍ، وَقَلِيلٌ مِن هِلِيُوكُوبتَر، وَبِضعُ فَصَائِلَ مُولُوتكَا، وَنَرفَعُ العَلَم. هَيَّا. هَكَذَا، نَعطِي مُبَرِّرًا لِلأنَاشِيدِ الوَطَنِيَّة.

زَمَنٌ يَنزَلِقُ عَلَى جَسَدِي مِثلَ رغوَةٍ، وَالرَّملُ أليفِي.
أقطَعُ الحَقلَ، أستَثِيرُ الألغَامَ، تَنفَجِرُ غَيظًا وَاحِدًا وَاحِدًا، تَقتُلُنِي، تَرمِي أشلاَئِي إلَى الأسلاَكِ الشَّائِكَة. وَحِينَمَا تَنَامُ، أُلَملِمُهَا وَاحِدًا وَاحِدًا، وَأنزَلِقُ عَلَى سَطحِ الزَّمَنِ مِثلَ طُوبَةٍ مَعطُوبَة.

هُم أبنَائِيَ اللُّقَطَاءُ، يَأوُونَ إلَى عُشِّيَ فِي الشِّتَاءِ، وَفِي الصَّيف~ يُطلِقُونَ الرَّصَاصَ عَلَى أبنَائِيَ البَرَرَة. لَيسَوا جُنُودِي. أتَوا بِهِم مِن وَاجِهَاتِ الجَوَامِعِ عِندَ الفَجرِ وَصَنَادِيقِ القِمَامَةِ، وَالنُّجُوعِ المَجهُولَةِ إلَى جُحرِي.

قَالُوا: **نَحنُ أبنَاؤُكَ اللُّقَطَاء.**
قُلتُ: **أنتُم أبنَائِي اللُّقَطَاء.**

فَأطلَقُوا عَلَيَّ الرَّصَاص.

أُبعثِرُ مَا تَبَقَّى مِن زَمَنٍ فِي الرَّمَلِ، وَأرتَجِلُ الفَرَاغ.
خَفِيفًا، وَرِيفًا، أُرَفرِفُ فِي قَفَصِيَ العَسكَرِيِّ، لاَ شَارَاتٍ وَلاَ نَيَاشِينَ، وَأجنِحَتِي غُبَار.
أنَا الرَّصَاصَةُ الأخِيرَةُ فِي جُعبَةِ التَّحرِيرِ، أُدِيرُ وَجهِي إلَى الغَربِ، ظَهرِي إلَى البَرَاحِ المُبَاحِ كَلُعبَةٍ أو مُقَامَرَةٍ أكثَرَ مِن 1171 صَبَاحًا وَظَهِيرَةً وَلَيلاً وَبَهجَةً مُستَعَارَةً، اركُضُوا خِفَافًا، وَاهبِطُوا مِصرَ، هُنَا

القَاهِرَة، أيُّهَا السَّجَّانُ، أطلِقنِي، نَفَدَت قَفزَتِي، وَجَفَّ فِي جَسَدِي الزَّمَنُ، أعُودُ فَارِغًا مِنَ الأنَاشِيدِ وَالأوَامِرِ عَلَى المَاءِ، أمِيلُ لِتَسقُطَ عَنِّي الأسلِحَةُ وَالرُّتَبُ وَالدُّشَمُ وَالطَّائِرَاتُ وَالصَّحرَاءُ وَمِتــلاَ

عَـارِيـا
أجرِي إلَى الرَّحِمِ الرَّحِيـم

بُولاقِيَّة

دَمٌ عَلَى الفِرَاشِ فِي الصَّبَاح، أينَ الصَّرخَةُ الأُنثَوِيَّة؟ لاَ أغَارِيدَ أو مَنَادِيلَ بَيضَاءَ، صَبَاحٌ عَابِرٌ كَالصَّبَاحَاتِ الأليفَة، دَمُهَا أم دَمِي؟ لَم أسمَع الصَّرخَةَ، وَالأُنثَى تَبدأُ- اليَومَ- أُنُوثَتَهَا مِن دَمٍ، تَلُوبُ تَلُوبُ حَولِي، أينَ فَرَّت الكَلِمَاتُ؟ صَوتُ الصَّمتِ يَقطُرُ فِي يَدَينَا، إذَن؟ مَا الَّذِي نَفعَلُه بِهَذَا الصَّبَاح؟ أينَ الجُرحُ؟ لَم يَكُن خِنجَرًا، وَكَانَ البَابَ مَفتُوحًا بَلِيلاً، فَانزَلَقتُ، سَاحَةٌ مِن بُحُورٍ وَابتِهَالاَتٍ، نَدًى طَفِيفٌ، مَوجَةٌ تَصعَدُ بِي فَأهبِطَ مُوغِلاً، آهَةٌ غَامِضَةٌ، مَن يُوصِدُ البَابَ خَلفِي؟ كَأَنَّهُ النِّسيَانُ، أو هُوَ الأَبَدُ المُرَاوِغُ، فَوقَهَا أطفُو، وَفِيهَا أغُوصُ، أينَ القَشَّةُ، لاَ أُرِيدُهَا، كَأَنَّهَا انتِظَارِيَ دَهرًا مِن ظَلاَمٍ، أو كَأَنَّنِي صَحوُهَا مِن غِيبُوبَةٍ مُزمِنَةٍ، جَرَّةٌ فخَّارٌ تَكسِرُهَا القَطرَةُ الأُولَى شَظَايَا وَأعضَاءَ، أُلَملِمُهَا بَضَّةً أُنثَى، وَكَانَ البَابُ مَنسِيًّا خَجُولاً،

تَسوَّلَنِي مِنَ الزَّمَنِ البَخِيلِ، بَكَى، فَمِلتُ، دَخَلتُ، هَل مِن غَيبُوبَةٍ أشهَى؟ مَا كَانَ خِنجَرًا، لَكِنَّهُ دَمٌ عَلَى الصَّبَاح

مَرأةٌ بَــرَاح.
تَفتَحُ بِي وَقتَهَا، وَاشتِعَالَ الزَّعفَرَان.
تَقُولُ: خُذ دَمِي الهَبَاء.
وَاعطِنِي قَطرَةَ مَاء.
أُنثَى انتَظَرتُ أُنُوثَتِي دَهرًا منَ الرَّملِ المُعَادِي.
فَاهطِل كَمَا تَبغِي عَلَى عَطَشِي
تَمرًا أو يَاسَمِينَا.
وَتُوغِلُنِي، فَأُوغِلُ طَلقَةً مِن أُقحُوَان.

لَيسَ يَعرِفُهَا النَّهَارُ الفجُّ، فِي ظِلِّهَا تَمشِي رُوَيدًا فَوقَ بَيضٍ آمِنٍ، تُزَاحِمُ الشَّهَوَاتِ وَالصَّرخَاتِ وَاللُّغَةَ الخَبِيثَةَ، تِلكَ مَرأتِي الضَّرِيرَةُ، بَعدَ عَشرَةِ آلاَفِ يَومٍ مِن عَرَائِيَ البَاهِظِ، خَاصَمتُ جَسَدِي، لأهطِلَ فِي فَرَاغِ البَيتِ شَهوَتِي المُرِيبَةَ، مَاتَ انتِظَارِي، وَالكَلاَمُ لاَ يَختِرُقُ اللَّحمَ، غُبَارٌ يَسَّاقَطُ فِي ثَدَيَّ، لاَ يَبلُغُ الحُلقُومَ، أنفُضُه وَأهطِلُ، مَاءٌ مَالِحٌ أشرَبُهُ كُلَّ يَومٍ، فَكَيفَ يَغفُو جَسَدِي عَلَى صُرَاخ؟ أيَّتُهَا المُشَاجَرَاتُ القَاتِلَةُ فِي أعضَائِيَ السِّرِّيَّةِ، مَتَى؟ أَنُوءُ بِي عَشرَةَ آلاَفِ هَجِيرٍ أجِيرٍ، كَأَنَّنِي مذبَحَةٌ، يَزَّاحَمُ القَتَلَةُ فِيَّ كُلَّ لَيلَةٍ، وَلاَ دَمٌ عَلَى الفِرَاشِ، أنَا القَتِيلَةُ اللَّيلِيَّةُ ضَاقَ بِي شَبَقِي، سَاهِرٌ أبَدًا عَلَى أرَقٍ، صُرَاخٌ نَافِرٌ طَافِرٌ كَيفَ أُطعِمُه، أُعَلِّلُه بِمَاءٍ سَوفَ يَأتِي فِي الصَّبَاحِ المُرِّ

بِاللَّبَنِ الرُّجُولِيِّ المُخَبَّأِ خَلفَ طَرقَةِ انتِصَافِ اللَّيلِ، أفتَحُه عَلَى امتِدَادِ الكَونِ مَبلولاً حَرِيقًا، فَادخُل عَمِيقًـا دُفعَةً وَاحِدَةً مِثلَ طُوفَانٍ، طَلقَةً وَاحِدَةً إلَى القَرَارِ، آهِ آهِ، مِثلَمَا تَبغِي، مَطَرٌ مِن يَاسَمِينٍ أو مَاءِ حَبَّهَانٍ، لَيتَه كَانَ خِنجَرًا يَغُوصُ لاَ يَلوِي، فَيَحرُثَنِي إلَى القَاعِ المُضَاعِ، فَيَنبُتُ الصَّفصَافُ، تَشتَعِلُ الحُقُولُ بِقَمحِهَا، يَأتِي إلَيَّ الجَائِعُونَ الظَّامِئُونَ الضَّائِعُون، أنَا الوَلِيمَةُ الرَّاضِيَةُ، كُلُونِي، وَاغرِسُوا فِي مَفرِقِ الفَخذَين أعلاَمَكُم المُلَوَّنَةَ، إلَى نِهَايَةِ الأَرضِ، تَأتِي بِأبنَاءِ السَّبِيلِ المَارِقِينَ، لَهُم خَلَعتُ أبوَابِي، هَدَمتُ جُدرَانِي، مُبَاحَةٌ بِلاَ أوَانٍ، وَمُشرَعَةٌ عَلَى الجِهَاتِ فِي انتِظَارِ الصَّاعِقَة.

أبَدٌ مِنَ الصُّقُورِ المَارِقَة.
تَفقَأُنِي، وَلاَ تَرمِي بِعُشِّي بَيضَهَا،
تَعبُرُنِي، لاَ تَهمِي عَلَيَّ مَاءَهَا،
كَأنَّهَا أبَدٌ مِنَ السُّعَارِ المُستَكِين
أو غَابَةٌ مِنَ الصَّرخَاتِ النَّافِقَة.

أنَا ابنُ السَّبِيلِ، أطرُقُهَا كُلَّ لَيلَةٍ تَنفَتِحُ لِي، أدخُلُهَا، وَتُوصِدُ خَلفِي الأبوَابَ بِالمِتراَسِ، مَوجَةٌ أم جَسَدٌ يَمُوجُ بِي الهُوَينَى، بَلِيلٌ فَمَا خَوفِي مِنَ الغَرَقِ، كُلَّمَا ابتَلَلتُ اشتَعَلتُ فَأوغَلتُ حَتَّى ضَلِلتُ قُلتُ دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي، دَعُونِي كَي أُرَمِّمَ أطلاَلِي، وَأهدِمَ مَا تَبَقَّى مِن جِدَارِ الكَونِ، لِي أن أصنَعَ اللاَّهُوتَ وَالنَّاسُوتَ فِي وَجهٍ لَهُ لَونُ النُّعَاسِ الكَسُولِ

وَجَسَدٍ عَسَلِّيٍّ تَنُوءُ بِاشتِهَائِهِ المَرَايَا، فَتَنهَارَ شَظَايَا إِلَى الظَّلاَمِ دَامِيَةَ العَينِ البَصِيرَةِ، مَرأَةٌ مِنَ اللَّيمُونِ وَالشَّهَوَاتِ الحَرَامِ تُنكِحُنِي نِسَاءَ الأَرضِ كُلَّ لَيلَةٍ مَرأَةً مَرأَةً، ثُمَّ تَمضِي إِلَى النَّومِ، تَترُكُ لِي نِسَاءَهَا أَعِيثُ فِيهِنَّ مَاءً وَخَمرًا إِلَى مَطلَعِ المَوتِ، تَسأَلُنِي صَبُوحَهَا، وَتَرشُفُ مَا تَبَقَّى: كُلَّمَا رَشَفتُ ابتَلَلتُ فَاشتَعَلتُ فَاحتَرَقتُ، أَنتَ نَارِي وَنَعِيمِي، جَنَّتِي وَجَحِيمِي، كُلَّمَا رَوَّيتَنِي أَظمَيتَنِي، أَبَدٌ مَالِحٌ، وَارتِوَائِي خُزَعبَلَةٌ مُورِقَةٌ، وَعَلَى حَافَّتِي تَتَدَلَّى تُهَدهِدُ الشَّهَوَاتِ سِنَةً مِنَ النَّومِ أَو المَغفِرَةِ، فَلتَنَامِي فِي مُرُوجِ الأُرجُوَانِ، فِي النِّسرِينِ، أَسرَابٌ مِنَ السَّمَكِ المُجَنَّحِ سَوفَ تَأتِي بِفِرَاشٍ مِن نَدًى إِلَيكِ، تَرمِي عَلَيكِ وَردَهَا إِلَى الغَابَاتِ فِي قَاعِ البِحَارِ، فَلتَنَامِي، صَحوُنَا اللَّيلِيُّ أَمطَارٌ مِنَ اللَّبَنِ الإِلَهِيِّ الرَّجِيمِ، وَالنَّهَارُ مَفَازَةٌ إِلَيهَا، شَارِعٌ مِن صَخَبٍ يُورِقُ الشِّجَارَ وَالكَائِنَاتِ الصَّفِيحِ، حَارَةٌ حَارَّةٌ مِن القَيلُولَةِ النَّاعِسَةِ وَالتُّرَابِ القَدِيمِ، سَبعٌ وَعِشرُونَ سُلَّمَةً مِن حَجَرٍ تَشِيخُ فِيهِ الشَّهَوَاتُ وَتَحلُمُ الرَّطُوبَةُ النَّائِمَةُ، نَقرَةٌ فَمَرأَةٌ مِن غُرُوبٍ تَخلَعُ الظِّلاَلَ إِلَى المِشجَبِ، وَاللُّغَاتِ إِلَى الخِزَانَةِ،ـ جَائِعٌ؟ هٰإِلَيكِ، ثَدِيُهَا يَنسَلُّ لاَ أَقطُفُهُ، سَيَسقُطُ بَعدَ بُرهَةٍ فِي حِجرِي طَيِّعًا مَرِحًا كَأَرنَبٍ آمِنٍ، تَجِيءُ بِالسِّكِّينِ ، تُقَشِّرُنِي قِشرَةً قِشرَةً، تُقَلِّمُنِي وَتَرمِي عُرَيَهَا عَلَيَّ، أَيَّتُهَا البَاهِظَةُ الأَلِيمَةُ، كَيفَ لِي؟ صُرَاخٌ صَامِتٌ يَهمِي التِيَاعًا، حَشدٌ مِنَ النِّسَاءِ مُدَجَّجَاتٌ، أَيَّتُهَا الشَّاقَّةُ الشَّهِيَّةُ بَينَ النِّسَاءِ، لَستُ جَيشًا بِأَلوِيَةٍ، لَستُ قَبِيلَةً رِجَالاً، أَنَا ابنُ السَّبِيلِ القَلِيلِ، كِسرَةٌ وَلِيمَةٌ لِي، أَنُوءُ بِهَا أَيَّتُهَا الفَادِحَةُ بَينَ النِّسَاءِ، جَسَدِي أَضيَقُ مِن شَهوَتِي، وَشَاسِعَةٌ أَنتِ شَاهِقَةٌ شَاقَّةٌ كَالحُصُونِ القَدِيمَةِ، ظَامِئٌ، وَكَيفَ أَرتَوِي

مِن طُوفَانٍ، يَحبُو بِلاَ حَفِيفٍ، فَأحبُو بِلاَ رَفِيفٍ إِلَى انفِرَاجِهَا الغَرِيقِ غَرِيقًا، أُرَفرِفُ فَوقَهَا فَتَمُوءُ، مِثلَ مَوجَةٍ مَائِجَةٍ، وَثَديَاهَا حِصَانَانِ بَرِّيَّانِ طَافِرَانِ، بَطنُهَا عَجِينٌ مُختَمِرٌ، أَيَّتُهَا المُزدَحِمَةُ بِاللَّذَّات، كُلَّمَا رَوَّيتَنِي أظمَيتَنِي، عَطَشِي إِلَيكَ مِلحٌ أُجَاجٌ وَجُرحٌ كَلِيم

أَنَا العَابِرُ الأثِيم.
أَفِرُّ فِي الثُّغرَةِ الأُولَى إِلَى المَصِيرِ الكَظِيم.
مَرأَةٌ مِنَ اشتِجَارِ الشَّهَوَات،
وَانتِحَارِ اللُّغَاتِ،
تَفتَحُ بِي أُنُوثَتَهَا،
وَتَهوِي إِلَى احتِضَارٍ حَمِيم.

1977

بِقَفزَةٍ وَاحِدَةٍ، أعبُرُ المَاءَ إلَى الوَادِي المُقَدَّسِ، خَاوِيًا مِنَ الرَّصَاصِ وَالحَدِيدِ وَالنُّجُومِ المَيِّتَةِ عَلَى الكَتِفَين.
إلَى البَرَاحِ المُبَاحِ لِلجُنُونِ وَالخُزَعبَلاَتِ الجَمِيلَة.
أرضِيَ المُحَرَّرَةُ، فَوقَهَا عَلَمِي يُحَلِّقُ بِسَبعَةِ ألوَانٍ وَامرَأةٍ عَارِيَةٍ، مَلهُوفَةً تَنتَظِر.
إلَيهَا، وَإلَيهَا.

ذِرَاعَايَ جَنَاحَانِ، وَذَيلِيَ حِنَّاءٌ، وَرِيشِيَ لُغَةٌ قزَحِيَّة.
هَل يَتَّسِعُ الفَضَاءُ لِي؟

أُرَفرِفُ فَوقَ المَدَائِنِ المَجهُولَةِ وَغَابَاتِ السَّافَانَّا، فَوقَ القِبَابِ وَالمَوَاخِيرِ، فَوقَ القَبَائِلِ الاستِوَائِيَّةِ، وَطُيُورِ البَطرِيق.

أُرَفرِفُ، ظِلِّي يَتَقَافَزُ عَلَى الجُغرَافيَا.
وَلَمَّا تَقُولُ القَمحِيَّةُ لِي: أُحِبُّكَ، يَنكَسِرُ جَنَاحَايَ فِي المِينَاءِ البَحرِي.

لاَ وَقتَ لِلهُوَينَى.
عَاصِفَةٌ مَارِقَةٌ فِي الشَّوَارِعِ وَالحَارَاتِ الكَابِيَة.
ابتَعِدُوا عَن طَرِيقِي الهَمَجِي. ابتَعِدُوا.
لاَ وَقتَ لِلهُوَينَى.

مَا الَّذِي يَحتَــرِق؟
وَطَــنٌ.. أم وَرَق؟
غَسَقٌ.. أم شَفَق؟

سَيِّدَةُ المَدَائِنِ تُكَشِّرُ عَن أنيَابِهَا، الانكِشَارِيَّةُ يَهرُبُونَ إلَى الجُحُورِ، دُخَانٌ يُسَقِّفُ الفَضَاءَ، وَجَسَدٌ شَاسِعٌ يَنتَفِضُ، حَارَاتٌ تَخلَعُ جَلاَبِيبَهَا المُرَقَّقَةَ، تَخرُجُ عَارِيَةً، مَا الَّذِي يَبقَى؟ هَل نَصنَعُ مِنَ الأوهَامِ المُورِقَةِ رَغِيفًا مُورِقًا، أيُّهَا القَاتِلُون؟ هَاتُوا المَنجَنِيقَ وَالمَقَالِيعَ وَكُرَاتِ النَّفطِ المُشتَعِلَةَ، أيُّهَا الزُّجَاجُ المُلَوَّنُ الَّذِي يَشُدُّ الحَجَرَ مِن القَبضَةِ المُشرَعَةِ، أيَّتُهَا النِّفَايَاتُ الفَاتِنَةُ الَّتِي تُرَاوِدُ الحَرِيقَ، لَيسَ الرَّغِيفُ قَمَرًا، بَل كُرَةً مِن لَهَب، وَطَنٌ مِن ضِبَاعٍ، أم قُنبُلَةٌ مَوقُوتَة؟ بُرجُوَازِيَّةٌ بِيرُوقرَاطِيَّةٌ أم بُونَابَرتِيَّةٌ أم طُفَيلِيَّة؟ ثَعَالِبُ مِن وَرَقٍ، وَالمَلهَى يَرتَجِلُ رَقصَةَ الحَرِيقِ، تُرَابٌ يَحتَسِي الوِيسكِي، فَيَترَنَّحَ، يَرمِي وَرقَةَ التُّوتِ، لِمَن الوَطَن؟ ألفُ مِئذَنَـةٍ تَصُمُّ آذانَهَا، ذِئَــابٌ تَنهَشُ الأطفَـالَ، بِالطُّوبِ وَالكِبرِيتِ

تَرتَقِي سَيِّدَةُ المَدَائِنِ عَرشَهَا عَلَى تُرَابٍ، وَالحَرِيقُ إجَابَةٌ بِلاَ سُؤَالٍ، أيتَامٌ عَلَى مَأدُبَةِ اللِّئَامِ، فَلينَفجِر- إذَن- كُلُّ شَيءٍ، وَأبُو الهَولِ يَحرُسُ الصَّمتَ وَالفُرجَةَ الأبَدِيَّةَ، أيُّهَا المَمَالِيكُ، لَكُم مذبَحَةٌ قَادِمَةٌ بَعدَ حِينٍ، لَنَا الشَّوَارِعُ وَالمَيَادِينُ الَّتِي تَرتَوِي دَمَنَا، وَكَانَ عَرشُهَا عَلَى نِيلٍ، وَتَاجُهَا مِن قَصَبٍ وَسُنبُلاَتٍ، وَكَانَت الأرضُ خَرِبَةً أطلاَلاً، وَعَلَى وَجهِ الغَمرِ ظُلمَةٌ وَأعمِدَةُ نَارٍ، مَن يَهرُبُ الآنَ مِنَ السَّفِينَةِ الغَارِقَةِ، شَوَارِعُ بِلاَ لَجَامٍ، رَقصَةٌ نَارِيَّةٌ، أصنَامٌ تَتَهَاوَى، وَالكَهَنَةُ عَورَةٌ، أحلاَمٌ مُزمِنَةٌ تَشرَئِبُّ بِأعنَاقِهَا بُرهَةً، لِمَن الحُكمُ اليَوم؟ خُيُولٌ بَيضَاءُ تَمرُقُ فِي اللَّيلِ، بِلاَ فُرسَانٍ، إلَى أينَ؟ نُبَاحٌ فِي الظَّلاَمِ، يَا نَارُ لاَ تَكُونِي بَردًا وَسَلاَمًا، مِن أينَ يَأتِي الرَّصَاصُ؟ كَائِنَاتٌ حَدِيدٌ تَهبِطُ أو تَزحَفُ، دَمٌ يَفِيضُ فِي الشَّوَارِعِ، دَمٌ فِي الوَاجِهَاتِ، دَمٌ فِي قَصرِ الرِّئَاسَةِ المَهجُورِ، دَمٌ فِي قُضبَانِ التِّرَامِ المَحرُوقِ، فِي الأُتُوبِيسَاتِ، دَمٌ عَلَى عَتَبَاتِ المَلاَهِي وَالفَنَادِقِ وَالجَرَائِد

دَمٌ عَلَى وَجهِ الصَّبَاح.
لاَ مَطَرُ الشِّتَاءِ يَغسِلُه، وَلاَ عَرَقُ الصَّيف.
لاَ تُرَابُ الذَّاكِرَةِ المَاكِرَةِ، وَلاَ المَجزَرَةُ التَّالِيَة.
لاَ نَدَم.

عَرُوسٌ بِلاَ ثَدِيَين، وَعِرِيسٌ بِلاَ ذِرَاعَين.

كَيفَ أُلَملِمُ دَمِي مِنَ الشَّوَارِع، وَأحلاَمِي مِن الظُّلُمَات؟
عَينَاهَا دَعوَةٌ عَارِيَةٌ، وجَسَدُهَا وَلِيمَةٌ مِن عَسَلٍ، يَقُولُ: هيتُ لَك.
وَيَـدَايَ: ذَاكِرَتِـي الأُولَـى، وَبَـصِيرَةُ جَـسَدِي. فِـي اللَّيـلِ، تَـشتَعِلُ وَتُضِيء، فَأحتَرِق.

لاَ تَقتَرِبُوا. لاَ تُطفِئُونِي.

تَحتِي: الأرضُ هَروَلَةٌ سِرِّيَّةٌ، وَأنِينٌ أليم. أتَسَمَّعُهَا قَلِيلاً، وَأُرَفرِفُ أخضَرَ يَانِعًا، أعبُرُهَا- بِخُطوَةٍ وَاحِدَةٍ- إلَى الوَكرِ، أضِيءُ فِيهِ جَسَدِي بِطَلقَتَين أو ثَلاَثٍ، كُلَّ لَيلَةٍ، أُضَوضِئُه، وَأمضِي.
فِي الصَّبَاح، تَقُولُ لِي: مَن أنت؟

مَدِينَـةٌ فَاضِـلَةٌ مِـن وَرَقٍ وَقَـصَائِدَ وَرَصَـاصِ المَطبَعَـةِ (المُـدُنُ الحَجَرِيَّـةُ مُوصَدَةُ الأبوَابِ، حُرَّاسُهَا مُدَجَّجُون). شَمسٌ صَغِيرَةٌ بَحَجمِ الكَفِّ، هَل تَكفِي لإضِاءَةِ الكَونِ؟ قُلتُ: شَمسُ العَرَّافِينَ وَالأنبِيَاءِ المَرجُومِين، أو دِيكٌ يُؤَذِّنُ فَوقَ الأطلاَلِ وَالظُّلُمَاتِ (لاَ نَنتَظِرُ فَجرًا، لاَ صَبَاحَ يَأتِي إلَى البَالِ، هُمَا فِي الخَيَال، فِي الخَيَال).

أعِيثُ فِي الأرضِ مَرَحًا. كَيفَ تَتَّسِعُ لِي؟
بِقَفـزَةٍ، أعبُرُ المَدَائِنَ إلَى المِينَـــاءِ البَحـرِيِّ: سَيِّـدَةُ المَاءِ مُتَّشِحَةٌ بِاليُـودِ وَصَـفِيرِ الـسُّفُنِ العَـابِرَةِ وَالنَّـوَارِس. شُـدَّنِي بِحَبلِ مَحَبَّتِـكَ فَنَجـرِي، اجعَلنِـي خَاتَمًـا عَلَـى قَلبِـكَ، خَاتَمًـا عَلَـى خَـصرِكَ، فَالمَحَبَّـةُ قَوِيَّـةٌ

كَالمَوتِ، مُوجِعَةٌ كَالهَاوِيَة. عَينَانِ نَورَسَانِ يُرَفرِفَانِ، خَصرٌ يَختَصِرُ المَدَّ وَالجَزرَ، فَخذَانِ يَصعَدَانِ إِلَى رَبوَةٍ مِن حَرِيق. كُلُّ خُطوَةٍ شَهِيق. كُلُّ شَهقَةٍ صَلاَةٌ وَثَنِيَّةٌ وَامتِحَان.

تَقُولُ: هَل فَاتَ الأوَان؟

تُهَشِّمُ المَرَايَا العَائِلِيَّةَ، تَخمِشُ الطِّلاَءَ المَعدَنِيَّ لِلمَدِينَةِ المَفتُوحَةِ، تَخمِشُ الأصلَعَ النَّحِيفَ، وَتَقفِز.

أقُولُ: أيَّتُهَا القَمحِيَّةُ، المَائِيَّةُ، أنتِ لِي.

وَأنتَظِـر.

أشرَئِبُّ إِلَى مَا يَسَّاقَطُ مِن قَبضَةِ الوَقتِ، ألقُفُه بِفَمِي، حتَّى إذَا وَجَدتُه مُرًّا لَفَظتُه، وَلَقَفتُ مَا بَعدَه. هَكَذَا.

فَوقَ الأطلاَلِ، نَهطِلُ بِالإضَاءَةِ وَالغُمُوض. صَفعَةٌ فِي الوَجهِ العَام، أو رَكلَةٌ فِي الأردَافِ الرَّخوَة. كأَنَّنَا سَنَخرِقُ الأرضَ، وَنَبلُغُ الجِبَال. مَن يَخرُجُ لِلمُبَارَزَة؟ بَاطِلُ الأبَاطِيلِ، الكُلُّ بَاطِلٌ وَقَبضُ رِيح. بَيتًا بَيتًا، نَبتَنِي مَدِينَةً مِن الخُرُوفِ المَصهُورَةِ، تَفتَحُ أبوَابَهَا لِلآبِقِينَ، المَارِقِينَ، نَرفَعُ العَلَمَ: عَظمَتَانِ وَجُمجُمَةٌ عَلَى أسوَارِهَا. نَرفَعُ عَقِيرَتَنَا بِالنَّشِيد.

لِمَ لاَ يَنفَدُ الانتِظَـار؟

فِي جَسَدِهَا العَسَلِيِّ، أُرَاوِغُ الوَقتَ فِي انتِظَارِ سَيِّدَةِ المَاءِ وَالنَّوَارِس.
كُلَّمَا أوغَلتُ، سُختُ، وَابتَعَدتُ عَنِ اليُودِ وَالمِينَاء.
وَفِي العَسَلِيِّ، أورَقَ النِّسيَانُ أعشَابَ العَزَاء.

تَجمَحُ الأعضَاءُ مِنِّي إلَى البَرَارِي الشَّائِكَةِ (كَيفَ أُلَملِمُهَا، وَقَد خَرَجَت عَن طَاعَتِي؟). صَهِيلٌ مُوجِعٌ شَهِيٌّ إلَى الجِهَاتِ الحَالِكَة (كَيفَ أُرَوِّضُه، وَأُرضِيه، وَقَد انفَلَتَ مِن يَدِي هَارِبًا؟). خَلفَه، أمضِي مُضَوضِئًا، مُضِيئًا.

مُطلَقًا، أعدُو فِي البَرَاح.
عَلَى ظِلِّي، يَسَّاقَطُ الغُبَارُ وَالشَّظَايَا، فِي الوَرَاء.
مَن يُدرِينِي؟
شَاخِصٌ، مُستَوفِزٌ، وَقَفزَتِي بَربَرِيَّةٌ، أرتَجِلُهَا كُلَّ حِينٍ- عَلَى غِفلَةٍ- وَأمضِي مُتَوَّجًا بِالنُّوَاح.

لاَ لَيلَ يَعرِفُنِي، وَلاَ صَبَاح.

دَمعٌ، أم دَمٌ؟
إلَى القَتلَةِ، مَتَى جَفَّ الدَّمُ فِي الصَّحرَاءِ؟ يَتَقَافَزُ إلَى الحَرَامِ، فَيَصطَفَّ

القَاتِلُونَ لَه، كَأنَّه القَاتِلُ العَائِدُ إلَى وَكرِه، أو الجَرِيمَةُ إلَى فَاعِلِهَا. بُومٌ قَادِمٌ يَنعَقُ فَوقَ أطلاَلٍ قَادِمَةٍ. دَمٌ يَتَخَثَّرُ تَحتَ أحذِيَةِ جَيشِ الدِّفَاع.

وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُون. مَا الَّذِي يَنهَارُ فِي نَهَارٍ وَاحِدٍ؟ مَن يَقتُلُ الوَقتَ، فَلاَ يَخطُو القَاتِلُ العَتِيقُ إِلَى عَارِنَا؟ مِن أينَ رَصَاصَةٌ وَاحِدَة؟ أيُّهَا الوَقتُ اللَّصُّ، تَسرِقُنَا وَتُسلِمُنَا. أيُّهَا الوَقتُ الصَّفِيقُ. جَفَّت أَنَاشِيدُ الطُّفُولَةِ وَالمَحفُوظَاتِ فِي كُرَّاسَةِ المَدرَسَةِ. الحَائِطُ مِن وَرَائِنَا، وَفِرقَةُ الإِعدَامِ فِي الأَمَامِ. لاَ مَوتَ بَعدَ المَوت.

لَن نَخسَرَ- بَعد- سِوَى مَوتِنَا.

فَأمعِن- أيُّهَا الوَجهُ القَبِيحُ- فِي الحَرَام.

طِفلَةٌ فِي جَسَدِ امرَأَةٍ تَسُلُّنِي مِنَ امرَأَتِي العَسَلِيَّةِ، فِي خَرِيفٍ مَا. كَانَ الجَسَدُ مُترَعًا إِلَى الحَافَّةِ، وَالقَلبُ حَامِضًا حُمُوضَةً، مُوَزَّعًا بَينَ الفُصُول. جَسَدٌ يُعشِي الحَوَاسَّ، وَيُرجِئُ الذَّاكِرَة. أَنَا الطِّفلَةُ الغَابِرَةُ، مِن حُقُولِ الشَّمَالِ البَعِيدِ أَتَيتُ، مُتَوَّجَةً بِالصُّنُوبَرِ وَالكَلاَمِ، أَنفُضُ الآنَ عَنِّي التُّرَابَ القَرِيرَ، أَبحَثُ عَن سَاحِلٍ أَو هَبَاء.

تَسُلُّنِي ؛ أَنسَلُّ، وَأَنسَى العَسَلِيَّةَ فِي الوَرَاء.

هَكَذَا، نَقطُفُ مِنَ الكَلاَمِ وَالأَنَاشِيدِ شَوكًا وَمَوتًا. مُستَبَاحُونَ- عَلَى قَارِعَةِ الأَرضِ- لِلضِّبَاعِ الكَامِنَة.

وَجهُه ذَاكِرَةٌ لِلذِّئَابِ (مَا الَّذِي أَخرَجَه مِن وَجرِه؟)، وَصَوتُه أَسرَابُ عَنَاكِبَ جَائِعَةٌ (مِن أَيِّ ظَلاَمٍ تَجِيء؟). ذَاكِرَةٌ لِلطَّوَاعِينِ، وَالصُّرَاخِ فِي الأَقبِيَةِ، مَوجَاتِ الجَرَادِ، السِّيَاطِ تَنزُّ دَمًا وَفُتَاتَ لَحمٍ، وَالهَمَجِيُّونَ يَجتَاحُونَ المَدَائِنَ وَالقُرَى.

عُرسٌ عَارِضٌ. لاَ زُغرُودَةَ أَو أُغنِيَة. لاَ دُفَّ، لاَ طَبلَة. لاَ رَقصَ وَلاَ. مَا الَّذِي يَجرِي؟ فَهَل كَانَت تَدرِي؟

نَهرُ عَسَلٍ وَلَبَنٍ يَتَفَجَّرُ بَينَنَا. طُيُورُ الحُلمِ تَشرَبُ، وَتَستَحِم. مَملَكَةٌ، وَالفِرَاشُ عَرشٌ، وَأَعضَاؤُهَا رَعَايَايَ الشَّهِيُّون. فِي السُّرَّة، أَنصُبُ رَايَتِي تُرَفرِفُ فِي وَجهِ الزَّمَنِ، وَفِي الرَّبَوَاتِ، تَركُضُ الشَّهوَة. كُلُّ رَبوَةٍ صَبوَة، وَكُلُّ صَبوَةٍ صُبحٌ صَبُوح.

قَبلَ صَيحَةِ الدِّيكِ الثَّالِثَةِ عَلَى الأَطلاَلِ، أَسلَمُونِي. فَحِيحُ حَيَّاتٍ يَحبُو، وَالعُيُونُ كِلاَبٌ مَسعُورَةٌ مُرَاوِغَة. كُلُّ هَذَا السَّوَادِ: مِن أَينَ يَأتِي؟

هَكَذَا، تَسَّاقَطُ عَنِّي البَرَاءَةُ، وَالطُّفُولَةُ العَالِقَة.

أَورَاقٌ صَفرَاءُ، وَأَغصَانٌ ذَابِلَة.
وَتَنبُتُ الأَسئِلَة.

رُكَامٌ وَشَظَايَا، دُخَانٌ وَغُبَارٌ، عُوَاءٌ وَنُبَاح. نِصَالٌ تَتَكَسَّرُ عَلَى نِصَال. الأَقبِيَةُ- عَلَى المِصرَاعَينِ- مَفتُوحَةٌ، بِلاَ خُرُوج. وَجهُه ذِئْبٌ، وَعَلَى شِدقَيه دَمُ الأَطفَال. عُوَاؤُه يَكسِرُ النَّومَ، وَيُطفِئُ الصَّبَاح. وَالصُّرَاخُ غَيمَةٌ تَطفُو، لاَ تُمطِر. هَل عَادَ المَمَالِيكُ المُختَبِئُونَ فِي المَاضِي، قَفَزُوا مِنَ الكُتُبِ القَدِيمَة؟ أَم التَّتَارُ هَزَمُوا قُطُزَ وَبِيبَرس، يَجتَاحُونَ أُمَّ

المَدَائِن؟ أسرَى أَيَّةِ مَعرَكَةٍ، أَيِّ زَمَن؟

مَن يَطرُقُ البَـاب؟
مَـن؟
مَن يَعبُرُ عَنِّي هَذِهِ الكَأسَ المَوقُوتَةَ، قَبلَ الانفِجَار؟

أخطُو عَلَى وَرَقٍ وَلُغَةٍ أُخرَى، عَكسَ اتِّجَاهِ الرِّيح. شَجَرَةٌ تَنمُو مِن كِتَابَاتٍ وَحُمَّى. فَهَل نَـامَ المُخبِرُونَ، وَعُيُونُهُم سَـاهِرَة؟ أَم نَـامَت الكَائِنَـاتُ فِـي سُـطُورِهَا؟ غُـصنًا غُـصنًا تَنمُـو، فَتَعلُـو أَلسِنَةُ الحُمَّـى وَالأَرَقِ، أَحمِلُهَا فِي قَلبِي، أُوَزِّعُهَا- بِالعَدلِ وَالقسطَاسِ- عَلَى الشَّوَارِعِ وَالمَيَادِينِ وَأَهلِ الطَّرِيقَة. هَذَا جَسَدِي، فَكُلُوا. هَذَا دَمِي، فَاشرَبُوا.

طُفُولَةٌ تَدِبُّ فِي أَعضَائِهَا. لاَ أَرَاهَا، أَتَحَسَّسُهَا بِيَدِي.
مَا الَّذِي يَجرِي بِالدَّاخِل؟
نَشتَعِلُ مَعًا، لاَ نَنطَفِئ. نَهرُ عَسَلٍ وَلَبَنٍ يَجرِفُ الطَّحَالِبَ الرَّاكِدَةَ بَعِيدًا، فَيَصفُو لَنَا، وَنَعِب.
أَقُولُ: رُدِّي عَلَيَّ طُفُولَتِي المَسـرُوقَةَ فِي الطُّفُولَة. أَنَا طِفلُكِ العَارِي مِن طُفُولَتِه. هَل الزَّمَنُ لِصٌّ، أَم أُمٌّ رَءُوم؟ لاَ أُرِيدُ أَبًا فِيَّ، مُكتَظٌّ بِأَبِي، انتَظِرِي قَلِيلاً إِلَى أَن أَفرَغَ مِنه، لاَ أُرِيدُ، رُدِّيهَا عَلَيْ.

عَلَى رَأسِي- وَفِي القَلـبِ- تَسقُطُ الـشَّاهِقَاتُ الجَمِيلَـةُ، تُـصِيبُنِي فِي مَقتَلٍ، لاَ تَقتُلُنِي. تُشَقِّقُنِي، فَتَأوِي إِلَيَّ الطُّيُورُ وَالفَرَاشَاتُ. شَجَرَةٌ مِن

أَعشَاش. أَمشِي فِي الشَّوَارِعِ الشَّائِكَةِ مَخفُورًا بِالشِّرَاكِ الكَظِيمَةِ. لاَ تَقتَرِبُوا، ابعِدُوا عَنِّي، ابعِدُوا.

طِفلَةٌ تُولَدُ فِي انتِصَافِ اللَّيل.
مَن يَتَّسِعُ لَهَا؟

أَفتَحُ البَابَ فِي اللَّيل:
أَشلاَءُ **الغَجَـــرِ** مُبعثَرَةٌ فِي الغُرفَةِ: أَعضَاءُ كِلاَبٍ وَدِبَبَةٍ، مِزَقُ الخِيَامِ وَالارتِحَالاَتِ، جَمَرَاتُ نِيرَانٍ مُنطَفِئَةٌ، عَجَلاَتٌ حَطَامٌ، شَهَوَاتٌ مُرجَأَةٌ، أَصَابِعُ مَبتُورَةٌ، ثَديَا زَمفِيرَا بِلاَ أَجنِحَةٍ، وَالخِنجَرُ مَرمِيٌّ فِي مَكَانٍ مَا، **الفَـــارِسُ البُرُونـــزِيُّ** سَاقِطٌ عَنِ الجَوَادِ، مَطَرٌ يَنهَلُّ فِي العَاصِمَةِ الجَلِيدِيَّةِ، شَوَارِعُ مُتَنَاثِرَةٌ، وَالحِصَانُ المُحَلِّقُ مُمَزَّقٌ، وَاختَلَطَت الخُطوَاتُ الرَّاكِضَة. دَمِيَ المُبعَثَرُ فِي الأَركَان.

لاَ عَـــزَاء.

آه، يَا أُمِّي.

أُلَملِمُهَا، أُرَمِّمُهَا.
أُلَملِمُ السُّهُولَ وَالشَّهوَاتِ، أُرَمِّمُ المَركَبَاتِ، أُشعِلُ النِّيرَانَ، أَرتُقُ الارتِحَالاَتِ وَالخِيَامَ، أَنفُخُ فِيهِم مِن رُوحِي، يَستَعِيدُونَ الذَّاكِرَةَ الغَجَرِيَّةَ، يَنطَلِقُونَ، أُعَيدُ لِلفَارِسِ جَوَادَه، لِلجَوَادِ حُلمَ الطَّيَرَانِ،

وَلِلمَطَرِ شَبَقَ الهُطُولِ، لِلخُطَى الرَّاكِضَةِ الرُّعب.
أُعِيدُ دَمِي إِلَى مَجرَاه.
أَبكِي.

أَعشَابُ الرُّعبِ تَنمُو فِي الذَّاكِرَة. لاَ خَرِيفَ لَهَا.
هَل انهَارَ الجِدَارُ الَّذِي يَسنِدُ السَّكِينَة؟
هَل انكَسَرَ القَلبُ كِسرَتَين؟
هَل؟
مَا الَّذِي يَختَبِئُ لِي خَلفَ الأَكَمَة؟

أُطَارِدُ اللَّبَنَ المُعَلَّبَ، أَقتَفِي أَثَرَه، وَأَنصبُ لَهُ الفِخَاخ. أَصطَادُ كُلَّ يَومٍ عُلبَتَين، فَتَكتَشِفَ دِينَا الضَّحِك.
أَطفُرُ بِطِفلَتِي الوَرَقِيَّةِ، تَكبُرُ فِي يَدِي. نَسهَرُ كُلَّ لَيلَةٍ حَتَّى مَطلَعِ الفَجرِ (وَدِينَا نَائِمَة). لاَ دِيكَ يُؤَذِّنُ فَوقَ الأَطلاَلِ، لاَ صَاحِبَ الطَّبلَةِ يَقرَعُ النَّوم. نَطفُرُ مَعًا طِفلَينِ مِن أَرَقٍ وَوَرَقٍ عَلَى نُعَاسِ الأَرصِفَة.

وَسَيَكُونُ لِي أَن أَكتُبَ **سُورَةَ المَوَاعِين**، حِينَ أَبلُغُ الأَربَعِين.
لاَ حَاجَةَ إِلَى أَيِّ جِبرِيل.

وَجهُهُ الذِّئبُ يَنقَضُّ عَلَينَا (دَمُ مَن عَلَى مَخَالِبِه وَفِي أَنيَابِه؟). يَعوِي، فَيَنشُرَ الدَّمَ فِي عُيُونِ الصُّبحِ، وَالمَوتَ فِي القُرَى. يَرمِي عَلَى البِلاَدِ عُوَاءَه غَيمَةً مِن خَفَافِيشَ، تَهطِلُ الظُّلمَاتِ الصَّدِئَةَ وَالصَّدِيدَ، تَخطُفُ

الضَّوءَ مِنَ القَنَادِيلِ، تُوصِدُ النَّهَارَ بِالمَزَالِيجِ وَالعَسَس. وَطَنٌ يُسَاقُ إِلَى السَّرَادِيبِ السِّرِّيَّةِ، وَالإِصبَعُ عَلَى الزِّنَاد. هَل عَادَ المغُولُ، التَّتَارُ، الهكسُوس؟ هَل جَاءَ البَرَابِرَةُ المُنتَظَرُون؟ هَل هِيَ القِيَامَة، أَيَّتُهَا الكِلاَبُ السَّعرَانَةُ، الَّتِي تَنزُّ ظَلاَمًا وَنُبَاحًا؟ صَدَأٌ يَهمِي، أَرضٌ تُجَرجِرُ سَلاَسِلَهَا فِي الأَسرِ ذَاتَ صَبَاحٍ خَرِيفِيٍّ، فَيَنكَسِرَ الفَضَاء.

أَمشِي عَلَى أَرضٍ أَسِيرَة.
وَكُلُّ خُطوَةٍ جَرِيرَة.

أَمشِي عَلَى أَرضٍ جَرِيحَة.
وَكُلُّ خُطوَةٍ فَضِيحَة.

أَمشِي عَلَى أَرضٍ قَتِيل.
وَكُلُّ خُطوَةٍ عَوِيل.

أَمشِي، أَم أَطفُو خَاوِيًا مِنَ الشَّهوَة.
لاَ أَلَم.
دَمٌ يَنزِفُنِي قَطرَةً قَطرَةً، يَتبَعُنِي أَو أَتبَعُه.
وَعَلَى كَاهِلِي جُثَّةُ الوَقتِ المُستَحِيل.

طَلقَاتٌ فِي المَقهَى القَرَوِي. مَا لَلأُمنِيَةِ تَسبِقُ المَعرِفَة؟ قُرآنٌ يَفِيضُ عَلَى

جَمِيعِ المَوجَاتِ، فَيَستَعِيدُ الكَونُ خُطوَتَه، يَرأَبُهَا، وَيَبسَطُهَا عَلَى العَالَمِين. خَدَرٌ شَهِيٌّ فِي الرُّوحِ اللاَّهِثَةِ يَتَمَشَّى. وَالأَرضُ تَستَوِي تَحتَ القَدَمَين. لِلحُقُولِ أَن تَعُودَ إِلَى مَدَارَاتِهَا، وَالقَلبِ إِلَى مُستَقَرِّه. أَيُّهَا القَاتِلُ الرَّحِيمُ: طَلقَةٌ هَشَّمَت المَرَايَا وَرَمَت بِالصَّولَجَانِ إِلَى التُّرَابِ، وَطَلقَةٌ تُعِيدُ القَاتِلَ العَتِيقَ إِلَى سِيرَتِهِ الأُولَى، تُضِيءُ وَجهَ المُجرِمِ الهَارِبِ لَحظَةَ المَوتِ، تَكسِرُ الزَّمَنَ الزُّجَاجِيَّ الصَّقِيل. وَالمَمَالِيكُ يَحتَمُونَ بِالتَّعَاوِيذِ وَالكَرَاسِي، يَهرُبُونَ- إِلَى سُدَّةِ العَرشِ- مِنَ القَاتِلِ وَالقَتِيل. وَجُثَّةٌ مَطرُوحَةٌ تَحتَ الكَرَاسِي المُبَعثَرَةِ، تَنزِفُ الزَّمَنَ المُستَعَارَ وَالظُّلُمَاتِ الغَابِرَة.

لِلصَّبَاحِ الآنَ طَعمُ الصَّبَاح.
لِلَّيلِ رَائِحَةُ الرَّاحَةِ المُستَحِمَّةِ، تَقطُرُ نَدًى أَلِيفًا.
وَالرُّوحُ بُحَرَانٌ مِنَ النَّشوَةِ النَّاعِسَة.
أَبوَابِيَ مَفتُوحَةٌ عَلَى النَّهَارَاتِ، وَقَلبِيَ مَرعًى لِلحَنِين.

ادخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِين.

أَشجَارُ الشِّجَارِ سَامِقَةٌ وَرِيفَة. أَغصَانُهَا تُثمِرُ الشَّوكَ وَالحَرِيقَ فِي الأَعضَاءِ. كَأَنَّ ثَأرًا خَفِيًّا يَرقُدُ بَينَنَا عَلَى الفِرَاشِ، أَو كَأَنَّنَا قَابِيلُ وَهَابِيلُ مَنذُورَانِ لِلمَجزَرَة.
بُرهَةٌ هَدنَةٌ، نَشرَبُ الشَّايَ، نَغسِلُ الدِّمَاءَ، نُمَارِسُ الجِنسَ، نَجلُو

خَنَاجِرَنَا مِن جَدِيد.
مَعرَكَةٌ فَاصِلَةٌ غَيرُ فَاصِلَةٍ. حَربٌ بَربَرِيَّة.

كَيفَ أَنفُذُ مِن أَقطَارِ الأَرضِ بِلاَ سُلطَان؟

صُدَاعٌ فِي الرَّأسِ، وَصَدعٌ فِي الرُّوح.
يَقُولُ لِي **مَايَاكُوفسِكِي**: لَستُ رَجُلاً، وَإِنَّمَا غَيمَةٌ فِي بَنطَلُون. يَقُولُ لِي **لِيرمُونتُوف**: كَمَا الشُّمُوسِ الغَارِقَةِ فِي البَحر، تَرقُدُ فِي أَعمَاقِ رُوحِي الأَحلاَمُ المُحَطَّمَة. يَقُولُ لِي **نِيرُودَا**: يُمكِنُنِي اللَّيلَةَ أَن أَكتُبَ أَكثَرَ الأَشعَارِ حُزنًا. وَسَيَقُولُ لِي **كَفَافِي**: مَا الَّذِي سَنَفعَلُهُ بِلاَ بَرَابِرَة؟ وَيَقُولُ اللهُ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبلَةً تَرضَاهَا.
وَالرُّوحُ حُقُولٌ مِن شَوكٍ وَصَبَّارٍ، تَرعَى الأَفَاعِي فِيهَا، وَتُفرِخُ الغِربَان.

مَا الَّذِي يَطرُقُنِي الآن؟
مُتخَمٌ، مُترَعٌ، وَلاَ أَفِيض.
مُوصَدٌ، وَلاَ مفتَاح.
لُغَةٌ بِلاَ أبجَدِيَّةٍ، وَلاَ لِسَان.

طِفلَةٌ أُخرَى تَحبُو إِلَيَّ (مِن أَين؟ مِمَّن؟). تَسأَلُنِي عَينَاهَا. أَقُولُ: **لَستُ أَنَا، لَستُ أَنَا**. أُدِيرُ وَجهِي إِلَى الجِدَارِ، تَستَدِيرُ عَائِدَة.

تَقُولُ: لَستَ أَنتَ، لَستَ أَنت.

شَوكَةٌ فِي القَلبِ تَصحُو عِندَ نَومِي.
هَل مَرَّت القَافِلَةُ الأَخِيرَة؟
مَن يَتَسَلَّقُ أَشجَارَ الغُبَارِ، يَقطُفُ ثِمَارَهَا اللاَّذِعَة؟
كَيفَ يُصلِحُ العَطَّارُ مَا أَفسَدَ الدَّهر؟
شِبهُ امرَأَةٍ فِي سَرِيرِي 4 آلاَفِ لَيلَةٍ مِن شَوكٍ وَشَبَق.

تَقُولُ لِي: مَن أَنتَ؟ أَقُولُ: أَنَا. تَقُولُ: مَنذُورَةٌ لَك. تَصعَدُ لِي.
تُمَدِّدُنِي، تَشُقُّ صَدرِي، تَدُسُّ حَرِيقًا صَغِيرًا بِقَلبِي.
تَمُصُّنِي بُرهَةً، وَتَنَامُ لِي.
أَستَيقِظُ فِيهَا، لاَ أَجِدُهَا.

أَزرَعُ الرِّيحَ فِي الفَرَاغ.

أَرعَاهُ بِالتَّعَاوِيذِ المَاكِرَةِ وَالرُّقَى السِّحرِيَّة. تَنبُتُ لِي زَوَابِعُ سَاخِرَةٌ وَصَرخَاتٌ لَيلِيَّة. أَحصُدُهَا فِي الصَّيفِ، أَطهُوهَا فِي الشِّتَاء، أُوَزِّعُهَا صَدَقَةً جَارِيَةً عَلَى البُؤَسَاء.
أَرجِعُ، أَزرَعُ الرِّيحَ فِي بَهَاءِ الهَبَاء.

تَقفِزُ لِي مِن نَافِذَةِ النِّسيَانِ القَرِيب.
تَفتَحُ لِي جَسَدَهَا عَلَى مَصَارِيعِهِ: أَدخُلُ، فَتُوصِدُه عَلَي.

تَمشِي طُفُولَتُهَا إِلَي، تَرمِي ضِحكَهَا فِي حِجرِي.
يَحتَرِقُ الظَّلاَم.

مَا الَّذِي يَنَامُ فِي سَرِيرِي؟ مَرأَةٌ أَم مَعصِيَة؟
لِمَاذَا تَحشِدُ لِي- فِي غُرفَةِ النَّومِ- القُضَاةَ وَالبُولِيسَ وَفُولتِيرَ وَرُوسُّو وَمَاركِس وَفرُويد؟
أَصحُو، فَأَجِدَهُم فِي انتِظَارِي. يَسبِقُونَنِي إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّايِ، إِلَى الحَمَّامِ، إِلَى سَجَائِرِي.
يَنتَظِرُونَ عَودَتِي مِن عَمَلِي، لِتَبدَأَ المُحَاكَمَة.

أَنَا النَّعَامَةُ، أَدفِنُ رَأسِي فِي **غَيمَةٍ فِي بَنطَلُون**، أَو أَعتَصِمُ **بِالشَّيطَان**، أَو أَفِرُّ إِلَى **الغَجَرِ**، أَو أَختَرِعُ خُزَعبَلَةً ذَابِلَةً أَتَخَفَّى فِي ظِلِّهَا سَاعَــةً أَو سَاعَتَينِ إِلَى أَن يَحِينَ الحَينُ، فَأَمتَطِي فَرَسِيَ النُّحَاسِيَّ بِلاَ سُوءٍ: **لَستُ أَنَا، أَيُّهَا الأَفَاضِلُ، إِنَّنِي الآخَرُ البَاقِي مِنَ السَّابِقِ القَتِيل. كَانَ وَجهِيَ الجَمِيلُ يَسبِقُنِي بِخُطوَةٍ وَاحِدَةٍ، لَيَفتَحَ الطُّرُقَ المُوصَدَة. شَاهِدُه وَيَتِيمُه، وَتَحتَ ثَوبِي جُثَّتُه: وَردَةٌ حَاقِدَة. لاَ صَمتَ يَعرِفُنِي، وَلاَ كَلاَم. كُنتُ ظِلَّه فِي الزَّمَانِ القَدِيمِ. يَجِيءُ لِي بِالحَلوَى وَالضَّحِكَاتِ، يَدُسُّ بِجَيبِي سِرًّا أَو بُرتُقَالَـةً. تَعوِيـذَتِي وَطَـائِرِي. فَمَـن القَاتِـل؟ مَـن سَـمَّمَ دَمَـه الوَردِي، مَن أَطلَقَ النَّارَ عَلَى وَجهِهِ النَّبَوِي؟ لَستُ أَنَا، يَتِيمُه البَاقِي مِن سِيرَتِه، شَاهِدُ القَتلِ وَالقَتِيل. رَأَيتُ مَا رَأَيتُ. كَانَت تَأتِي بِالسِّكِّينِ تُقَشِّرُه إِلَى مَنبَتِ الرُّوحِ- تُفَّاحَةً نَاضِجَةً- لِتَرمِي مَا يَبقَى إِلَى الكِلاَب الضَّالَّةِ فِي الهَزِيعِ الأَخِيرِ. فَاسأَلُوهَا، أَو السِّكِّين. دَمُهُ فِي عُنُقِي. أَنَا**

المَذعُورُ المُنزَوِي فِي ظِلِّه. تُفَّاحَةٌ أعطَبَهَا الوَقتُ. رَأَيتُ فَانكَسَرتُ إِلَى هَشِيمٍ مَبلُولٍ، يُذَرِّينِي الهَوَاءُ العَابِرُ، لاَ أَشتَعِل. ظِلٌّ بِلاَ قَامَةٍ، كَلاَمٌ بِلاَ أَبجَدِيَّة. لاَ شَأنَ لِي. فَافرَنقِعُوا عَنِّي قَلِيلاً، كَي أَصُوغَ شَرِيعَتِي. لَيسَ مِن هَذَا العَالَمِ شَعبِي وَشِيعَتِي. وَشَعرَةُ مُعَاوِيَةَ فِي يَدِي مُنذُ أَلفِ عَامٍ أَشُدُّهَا وَأُرخِيهَا، لَكِنَّهَا- فِي نَومِي- قَطَعَتهَا، وَنَاحَت عَلَيهَا، فَتَعَلَّقتُ فِي الهَبَاءِ البَهِي، أَرَاقِصُ الهَوَاءَ طَرِبًا، أَنَا الآخَرُ، مَا تَبَقَّى مِنهُ أَو مِنِّي، كِسرَةٌ قَدِيدٌ عَلَى رِيحٍ، أَو حَجَرٌ مَرمِيٌّ عَلَى زَمَنٍ غَابِرٍ، ضَاعَت الشَّعرَةُ مِنِّي وَالمَوَاقِيتُ، فَاحتَرَقتُ إِلَى رَمَاد:

وَردَةٌ مِن حِدَاد

يُفَتِّحُنِي الظَّلاَمُ فِي السِّــرِّ (سِكِّينُهَا صَــاحِيَةٌ، وَعُنُقِي هَزِيل)، فَيَصحُو فِي دَمِي القَتِيل:

- هَل مِتُّ كَثِيرًا؟

- أَلفَ مِيتَةٍ وَمِيتَة.

- فَهَل أَصحُو طَوِيلاً؟

- بُرهَةً لِلشَّايِ وَالنِّسيَانِ، تَرأَبُ مَا تَسَاقَطَ بَينَنَا، وَتَختَصِرُ المَسَافَة:

إِنَّهَا أَرضُ العِرَافَة.
فَاخلَع عَلَى عَتَبَاتِهَا الزَّمَنَ المُرِيب،
وَحَمحَمَاتِ الذَّاكِرَة.

لاَ ظِلَّ لِلمَوتَى.
فَارفَع- بِوَجهِ المَوتِ- ظِلَّك:
رَايَةً أَو مَغفِرَة
وَابدَأ- الآنَ- الخُرَافَة.

غريبَة

لاَ آخِرَ لِلأَرضِ، وَلاَ لامرَأَةِ الشَّوكِ النَّاشِزَةِ، عَلَى المَاءِ التَقَينَا، فَصَارَ دَمًا لِلشَّهَوَاتِ المُرتَطِمَةِ، أَو طَرِيقًا إِلَى أُفُولٍ غَابِرٍ،

- مِن أَينَ يَدخُلُنَا العَوِيل،
يَا سَيِّدَةَ الصُّدفَةِ الجَرِيئَة؟

- مِنَ انطِفَاءِ الصَّهِيل،
يَا سَيِّدَ القَفزَةِ البَرِيئَة.

مَن يَفتَحُ البَابَ لِقُطعَانِ الظَّلاَمِ تَقضُمُ أَعشَابَ السَّكِينَةِ، أَيُّهَا الزَّمَنُ السَّابِقُ، لِمَ خَدَعتَنِي؟ لاَ حَنِينَ وَلاَ رِثَاءَ، تَكَسَّرَت النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ، كُنتُ غَيمَةً تُرَفرِفُ عَلَى الغُدرَانِ، فَأَطلَقَت سَهمَهَا العَفوِيَّ، فَانحَلَلتُ مَاءً عَلَيهَا، وَانكَسَرَ الجَنَاحُ، مَن يُشعِلُ النَّارَ فِي غَيمَةٍ؟ مَن

يُرَوِّضُ البَرَارِي الصَّارِخَة

غَير مَرأَةٍ مِن لَيلٍ وَنَهَار.
مَرأَةٌ مِن بُهَار.
تُشعِلُ النَّارَ فِي المَاءِ،
تَطهُو فِيهِ أَحلاَمَ الغُبَار.
مَرأَةٌ، أَم حَرِيقُ احتِضَار

يُضرِمُ النَّارَ فِي مَرَاعِي النَّومِ يَرتَجِلُ الرَّقصَةَ الحَجَرِيَّةَ صُدفَةً، فَيَنهَشِمُ الفَضَاءُ شَظَايَا مِن القِرمِيدِ بَينَ شَهوَتَينِ شَاهِقَتَينِ، تَرتَمِي سَمَاءٌ عَلَى القَدَمَينِ ضَارِعَةً كَسِيرَةً، فَمَن يَصعَدُ مِن تُرَابِ الحَربِك غَيرُ طَائِرَينِ مِن رَمَادٍ فَاتِنٍ، يُرَفرِفَانِ فَوقَ هَاوِيَةٍ حَانِيَةٍ، تَشُدُّهُمَا بِخَيطٍ هَبَاء.

هَاوِيَةٌ رَحِيمَةٌ، قَاتِلَة.
مَقبَرَةٌ مُزَركَشَةٌ بِالشُّمُوسِ الآفِلَة

أَتَدَلَّى فِيهَا طَربًا، مَن قَطَع الخَيطَ المَرخِيَّ المَشدُودَ؟ يُؤَرجِحُنِي طَلُّ اللَّيلِ، وَيَلهُو فِي أَرَقِي وَقتًا مِن أَسَنٍ، ثُمَّ يُغَادِرُنِي مُحتَرِقًا، تَحتِي لُجَّةٌ بَهِيجَةٌ تُصَلِّي لِي لأَهوِي، مَفتُوحَةٌ لانزِلاَقَتِي الطَّارِئَةِ، لاَ قَاعَ لاَ قَرَارَ، مَن يَشُدُّ خَيطِي، أُرجُوحَةٌ أَم مِشنَقَةٌ، أَيُّهَا الغَيبُوبَةُ المُرِيبَةُ: مَتَى تَفِيضِينَ عَلَى الذَّاكِرَةِ السَّاهِرَة؟ نِسيَانٌ مِن حَلِيبِ العَصَافِيرِ، وَمَرأَةٌ مِن

صَخَبٍ وَكُتُبٍ تَزحَمُ الفَضَاءَ دُونِي، تُوصِدُنِي وَتَسهَرُ حَارِسًا يَقِظًا عَلَى المِزلاَجِ وَالرِّتَاجِ، تَبتَزُّنِي صَبوَةً صَبوَةً، حَتَّى إِذَا خَوَيتُ مِنِّي رَمَتنِي إِلَى الصُّقُورِ وَلِيمَةً حَامِضَة

أَنَا الصَّرخَـةُ العَارِضَـة

يُطَارِدُنِي دَمِيَ المُستَبَاحُ، يَقتَفِينِي خُطوَةً فَخُطوَةً نَازِفًا صَهِيلِي، تَنُوشُنِي السِّهَامُ سَامَّةً (أَهُشُّهَا، تَسقُطُ تَحتَ ظِلِّي هَشِيمًا مُحتَضَرًا)، فَمَا الَّذِي تَسُوخُ فِيهِ أَقدَامِي؟ أَمرَأَةٌ تَفتَحُ لِي سُهُولَهَا السِّرِّيَّةَ، أَم غَيبُوبَةٌ تَفتَحُ لِي سَرَابَهَا الشَّهِيَّ، انكَشِفِي لِي أَيَّتُهَا الغَامِضَةُ المُتَأَرجِحَةُ عَلَى الخَطِّ الفَاصِلِ بَينَ ضَيَاعَينِ، ضَبَابٌ هَذَا اليَومُ المَفتُوحُ عَلَى هَاوِيَةٍ، وَبَصِيرَتِي الرَّعنَاءُ حَرُونٌ، تَأبَى أَن تَشتَعِلَ، ابتَعِدِي دَهرًا كَي أَعرِفَ خَطوِي، وَأُعِيدَ دَمِي لِمَدَارِ جُنُونِي، لاَ لَستُ أَنَا، لاَ، أُشبِهُهُ كَقِنَاعٍ خَزَفِيٍّ مَشرُوخٍ، أَو ظِلٍّ مَشدُوخٍ لِلزَّمَنِ المَاضِي، مَن يَبتَلِعِ الطُّعمَ، يُدَارِي سَوأَتِيَ المَكشُوفَةَ فِي الطُّرقَاتِ؟ كِسرَةَ شَمسٍ تَدخُلُنِي فَتُضِيءَ رُكَامِي، أَو مِزقَةَ زَمَنٍ تَرتُقُ أَوقَاتِي يَا أَهلَ الخَيرِ، مَضَى مَا انقَضَى، لاَ عَزَاءَ، لاَ أَنِين

أَنَا آخِرُ الضَّالِّين.
جَسَدِي غَابَةٌ مِن صُرَاخٍ،
وَأَعضَائِي دُخَانٌ سَجِين.
أَرمِي عَلَيهَا رُقَيَتِي، فَتَغفُو بُرهَةً ضَارِيَةً،

ثُمَّ تَصحُو لِي حَرِيقَةً مُورِقَة.
فَأَبتَنِي لَهَا عُشًّا وَرِيفًا فَوقَ حَدِّ الصَّاعِقَة.
أُهَدهِدُهَا- هُنَيهَةً هَارِبَةً-
وَأَقفِزُهَا إِلَى مَوتٍ مُبِين

غَزَالَةً تَعدُو إِلَى السَّهمِ فِي يَقِينٍ شَبَقِيٍّ، تُتَوِّجُهَا رِيَاحٌ حَانِيَةٌ (كَأَنَّهَا أُمُومَةٌ خَافِقَةٌ) وَأَسرَابُ هَمهَمَاتٍ دَافِقَة

يَا صَائِدَ الخَلاَئِقِ الخَارِقَة
أَنَـا الفَرِيسَـةُ المَارِقَــة
يَا صَائِدَ البُــرُوقِ النَّبِيلَة
أَنَــا فَرِيسَتُكَ الجَمِيــلَة

مُطلَقًـا، لاَ تَجِـيءُ الـضَّرْبَةُ القَاصِـمَةُ، فَادِحًـا فِـي العَـرَاءِ الرَّمَـادِيِّ، مُـرتَجَلاً كَالخَمَاسِـينِ أَو الـسَّمُومِ، رَقرَاقًـا كَطِفلَتِـي الجَمِيلَـةِ لَحظَـةَ الفَجِيعَةِ، وَجهُهَا بُكَاءُ نَبِيٍّ هَارِبٍ مِنَ الكَارِثَةِ القَادِمَةِ، مَن أَمسَكَ الخِنجَرَ؟ مَن أَغمَدَه إِلَى النَّصــلِ؟ وَمَن أَعَدَّ المَرَاثِي الصَّقِيلَة؟ لاَ بَأسَ، طِفلَتِيَ القَتِيلَةَ، نَامِي قَلِيلاً أَو عَوِيلاً، خَيطُنَا يَنسَلُّ مِن يَدَينَا إِلَى فَرَاغٍ مُرَاوِغٍ كَضَبعٍ يَحُومُ، سَنَلتَقِي طَوِيلاً فِي صَبَاحِ اليَاسَمِينِ، مَرَّةً أُخرَى وَأُخرَى، يَومُنَا القَـادِمُ يَقتَفِي دَمِيَ المَسفُوكَ- بِالقِسطَاسِ- بَينَ قَاتِلَةٍ أَجِيرَةٍ وَفَضَاءٍ مُسَيَّجٍ بِانتِظَارِ مَا يَسَّاقَطُ مِن يَدِ العَوَاصِفِ، طَلقَةُ الرَّحمَةِ أَم قُبَّرَةٌ، أَلقُفُهَا فِي جَسَدِي المُبَــاحِ لِلفُصُولِ العَابِرَةِ، أَلهُو بِهَا إِلَى حَافَّةِ

اللَّحظَةِ الخَاثِرَةِ، فَأَرمِيهَا بَجَانِبِ الجِدَارِ رَحمَةً أَو مَعصِيَةً، وَأَنسَى العَوِيلَ وَالهَدِيلَ فِي الوَرَاءِ، سَاحَةٌ مِنَ الأَشلاَءِ، قَاتِلَةٌ تُدِيرُ ظَهرَهَا إِلَى مَقبَرَةٍ، تُرَاوِدُ مَيِّتًا عَن مَوتِهِ، فَيَصحُو- سَهوَةً غَائِبَةً- يَمُدُّ شَهوَتَه يَدًا إِلَى انفِرَاجَةِ السَّاقَينِ، تَهوِي قَبلَ صَرخَةِ الهُطُولِ (لاَ تَذكُرُ- الآنَ- هُطُولاً سَاخِنًا، نَهرًا مِن لَبَنٍ وَخَمرٍ، عَلَى شَطَّيهِ أَعشَابُ الشَّهَوَاتِ شَاهِقَةٌ، تَرتَوِي الرَّبَوَاتُ وَالسُّهُولُ، يَحسُو طَائِرِي مِن مَائِهَا السِّرِّيِّ، مَاءً بَمَاءٍ، سَورَتَانِ تَصعَدَانِ تَمرُقَانِ تَرفُلاَنِ ثُورِقَانِ تُوغِلاَنِ تَهبِطَانِ تَجرِيَانِ تَدخُلاَنِ فَانفِجَارُ الفَجرِ عَن شَمسٍ قُرُنفُلَةٍ وَصُبحٍ زَعفَرَان)، آنَ أَن أَلُمَّ الآنَ أَوقَاتِي شَظَايَا مِزَقًا هَشِيمًا عَلَى كَتِفِي، فَأَدفِنَهَا وَأَسقِيهَا دَمِي، لَعَلَّهَا تُزهِرُ- فِي المُفتَرَقِ القَادِمِ- ذَاكِرَةً بَنَفسَجِيَّةً، فَافسِحُوا لِي ثُغرَةً بَرِيئَةً مِنَ النُّبَاحِ المَوسِمِيِّ، كَي أَقفِزَ مِنهَا إِلَى البَرَاءَةِ الأَخِيرَة

خَارِجٌ إِلَى خُطَايَ الأُولَى،
إِلَى قَبِيلَتِي وَمَملَكَتِي القَرِيرَة.
خَارِجٌ، وَخَلفِي حُقُولُ سُعَارٍ،
وَصَرخَاتٌ ضَرِيرَة.
خَلفِي جُثَّتِي وَقَاتِلَتِي،
مَقبَرَتِي وَحُنُوطِي،
وَفِي المَدَى المَلغُوم:
أَشتَعِلُ ارتِجَالَةً أَخِيرَة.

مملكَــة

عَلَى الرَّصِيفِ أَدُقُّ أَوتَادِي، وَأَدعُو عَوَامِلَ التَّعرِيَة:

هَا كُم جَسَدِي، هَا كُم أَرَقِي.
وَالأَيَّامُ القَادِمَةُ أَعضَائِي وَغُصُونِي، تَنبُتُ فِي نَومِي.
أَمَّا لَيلَتِي الفَائِتَةُ، فَرَمَيتُهَا إِلَى الكِلاَب.
إِلَى الكِلاَب.

رَحِمٌ قَبرٌ يَلفُظُنِي إِلَى الشَّوَارِع.
أَنتَزِعُ الجُثَثَ المُتَشَبِّثَةَ بِي، تَضرَعُ لِي، تَتَسَوَّلُنِي.
اخرُجِي مِنِّي، عِشرِينَ عَامًا تَقتَاتِينَ أَوقَاتِي، تَمتَصِّينَ دَمِي.
عِشرِينَ دَهرًا، كُلُّ دَهرٍ قَصَاص.
كُلُّ قَصَاصٍ وَكرٌ لِلذِّئَابِ وَالأَفَاعِي، وَكُلُّ وَكرٍ أَلفُ مِخلَبٍ وَنَاب.

انخَلِعِي مِنِّي، كَمَا انخَلَعت.

نُدُوبٌ فِي الرُّوحِ، أُدَاوِيهَا بِاليُودِ وَالمِيكرُوكرُوم، وَبَعضِ النِّسَاء. عَلَى القَارِعَةِ، مَفتُوحٌ لِلرِّيحِ وَالشُّمُوسِ العَابِرَة. أَدعُوهَا إِلَى قَهوَتِي، إِلَى قَيلُولَتِي، إِلَى فِرَاشِي. أَحرُسُ نَومَهَا الخَاطِفَ بِالمُدَرَّعَاتِ وَمَدَافِعِ المُورتَار وَطَائِرَاتِ الاستِطلاَع. فإِذَا استَغرَقتُ فِي النَّومِ، قَصَفَتهَا دُفعَةً وَاحِدَةً، مِن كُلِّ نَاحِيَة.

لاَ قُضَاةَ لِي، أَيُّهَا السَّادَةُ، لاَ.
أَنَا القَاضِي وَالجَلاَّد.
وَأَنتُم شَهَادَتِي وَاتِّهَامِي.

يَخفُرُنِي المُوَاءُ وَالعُوَاءُ الضَّالُّ إِلَى قَلعَتِي (مِن ظُلمَةٍ، فَوقَهَا رَايَتِي الخَفَّاقَة، شِعَارُهَا: بُومَةٌ مَعقُوفَة). يُتَوِّجُونَنِي، يَرمُونَ عَلَيَّ خِرقَةَ الخَرَاقَةِ المُلَوَّنَةِ، يَصطَفُّونَ صَفَّينِ ذَاهِلَينِ، يَقرَعُونَ النَّشِيدَ (يُشبِهُ نَشِيدًا وَطَنِيًّا، أَو أُمَمِيًّا)، يَتَسَلَّقُونَ الأَسوَارَ، يَنصبُونَ المَنجَنِيقَ، يَرصُدُونَ الجَحَافِلَ القَادِمَة.

أَجلِسُ عَلَى سَطحِ العَالَم. أُدَلِّي سَاقَيَّ فِي المَاءِ، وَأَقذِفُ الطُّوبَ فِي الغُرُوب.
أَيَّةُ أُغنِيَةٍ تَلِيقُ- الآنَ- بِالمقَام؟
أَيَّةُ رَايَةٍ سَأَرفَعُهَا؟

سَتَأتِي، سَتَأتِي.

بَدَوِيٌّ بِجوَارِي يُدَلِّي جَسَدَه، وَيَنصُبُ خَيمَتَه.
فِي دَاخِلِه، صَحرَاوَاتٌ وَعَوَاصِفُ وَجِمَالٌ، يُخَبِّئُهَا فِي النَّهَارِ، وَيُطلِقُهَا فِي اللَّيلِ تَرعَى عُشبَ الذَّاكِرَة.
فِي نَومِه، يَصَّاعَدُ غِنَاءٌ رَمليٌّ لَه أَوراقٌ خَضرَاءُ وَحَمرَاءُ، يُلَوِّنُ السَّمَاءَ بِالحَمحَمَةِ وَالصَّهِيلِ وَانتِظَارِ مَا لاَ يَجِيء: لاَ يَجِيء.

كُلُّ شَيءٍ عَابِرٌ سِوَى اللَّونِ يَندَاحُ عَلَى فَضَاءٍ مُضِيءٍ يَجِيءُ بِمَا لاَ يَجِيء.
نُعَابِثُ اللَّيلَ وَالنَّهَار. نُمَازِحُ اللَّونَ وَاللُّغَة.
كَافَافِي يَدُسُّ لِه وَرَقَةً تَحت طَرفِ الخَيمَة: **مَا دُمتَ خَرَّبتَ حَيَاتَكَ فِي هَذَا الرُّكنِ الصَّغِيرِ مِن العَالَم، فَهِيَ خَرَابٌ حَيثُمَا حَلَلت**. يَصنَعُ مِنهَا تَمِيمَةً، وَيَرتَجِلُ الشَّايَ وَالقَهقَهَة. يُطَارِدُ الشَّوَارِعَ وَالمَقَاهِي سَهوَةً هَارِبَةً، فَتَهرُبَ فِي اتِّجَاهِ النِّيلِ، يَهرُبَ فِي اتِّجَاهِ الغَيمَةِ الغَارِبَة.

تَعرَى مِن عُرِيِهَا.
قَبَائِلُ نِسَاءٍ تَحتَشِدُ فِي امرَأَة.
رَجُلٌ وَحِيد.
وَحِيد.

تَحــتِي: كَعَاصِفَةٍ أَو إِعصَار. تَتَفَتَّقُ بِالحَرِّ وَالبَردِ، بِالصُّرَاخِ وَالهَدِيلِ،

بِالمَوتِ وَالانفِجَار.
قُطعَانُ نِسَاءٍ تَرعَى جَسَدِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ يَومِيًّا، وَتَنَامُ وَهيَ تَبكِي الجُوع. أَسهَرُ عَلَيهَا، أَقضُمُهَا كُلَّ شَهِيقٍ وَزَفِيرٍ (طَرِيَّةً شَهِيَّة).
فَتَكتَمِل.
تَنَامُ ، وَشَهوَتُنَا سَاهِرَة.

رَحمَةٌ ـ عَلَى الحَافَّةِ ـ تُشبِهُ اللَّيلَ الصَّيفِي. هَل تَدرِي أُمِّي أَنِّي أَتَدَلَّى عَلَى السَّطح، وَأَوتَادِي عَلَى الرَّصِيف؟
قُلتُ لَهَا: قَايَضتُ قَفَصًا بِسَمَاءٍ ذَات نُجُومٍ وَقَمَرٍ لاَ يَعرِفُ الأُفُول.
قُلتُ لَهَا: **سَمَائِيَ زَرقَاءُ فِي كُلِّ حِين**.
قُلتُ لَهَا: **أُحِبُّك**.

أَسمَعُ بُكَاءَهَا فِي اللَّيل.
فَمَن يُلَملِمُ لِي شَظَايَا القَلبِ وَالأُبُوَّةِ المَنشُورَةِ فِي الشَّوَارِعِ المَهجُورَة، لأُقَايِضَ أَيَّ شَيءٍ بِضِحكَتِهَا؟
لاَ تَستَعِيدُ الأَقدَامُ خُطَاهَا المَاضِيَة.
لاَ بَأسَ، إِذَن.

أَنصُبُ أُرجُوحَةً، أَشبكُ حِبَالَهَا فِي غَيمَةٍ عَابِرَةٍ (يَقِفُ البَدَوِيُّ مَدهُوشًا، وَالجَمَلُ، وَالرَّملُ المُلَوَّن). أَدفَعُهَا إِلَى أَعلَى:
ـ تَعَالَ مَعِي.
ـ أَنَا شَاهِدُ الأَرَاجِيح، لاَ أُرجُوحَةَ لِي. كَسَرتُهَا.

إِلَى أَعلَى.
إِلَى الأَعلَـى.

فِي اللَّحظَةِ القُصوَى، أَقطَعُ حِبَالَهَا. تَطفُو عَلَى مَاءِ الفَضَاءِ قَارِبًا مِن الهِيرُوغلِيفِيَّةِ وَالبَردِي. تَطفُو بِي، أَنَا سَيِّدُ الوَجهَين، صَولَجَانِيَ الحيَّةُ الرَّقطَاءُ، وَجَوهَرَةُ التَّاجِ عَينُ الصَّقرِ لاَ تَنَام.
أَطفُو وَسطَ شَعبٍ مِن غُبَارٍ مُعَلَّقٍ لاَ يَتَبَدَّدُ (شَعبٌ طَيِّبٌ، بِلاَ حُكَمَاءَ مُتخَمِينَ بِالمَوَاعِظِ، لاَ فُصَحَاءَ مُدمِنِينَ لِلشَّكَاوَى. شَعبٌ أَلِيف).
فَمِن أَينَ تَجِيءُ هَذِهِ الأَبوَاق؟
أَيَّهَا الحُرَّاس.

لاَ نِسيَانَ، لاَ غُفرَان.
أَبَـدًا.

مَا الَّذِي يُطفِئُ الجَسَد؟
جُيُوشٌ مِنَ النَّملِ تَسعَى فِي يَقِينِ الأَنبِيَاء.
مِن أَينَ جَاءَ المَاء؟

رَمَادٌ مَبلُولٌ، وَجُثَّةٌ تَمشِي فِي ذَاكِرَتِهَا السَّحِيقَة.
هَل فَرَّت قُطعَانُ النِّسَاءِ مِنهَا، أَم سَاقَهَا ذِئبٌ خَجُولٌ إِلَى مَرعَاه، وَتَرَكَهَا بِلاَ امرَأَةٍ وَاحِدَة؟

نَلتَقِي- إِذَن- فِي امرَأَةٍ أُخرَى.

لاَ مُتَّسَعَ لِلأَسَى وَالحَنِين.

تَركُضُ عَلَى سَطحِ العَالَمِ إِلَيَّ، وَضِحكَتُهَا إِكلِيلٌ يُتَوِّجُ الفَضَاء.
يَأتِي لَهَا البَدَوِيُّ الجَمِيلُ بِجِمَالِه وَرِيَاحِهِ وَصَحرَائِه.
تَركَبُ الجِمَالَ، وَتَسوقُ الرِّيَاحَ فِي الصَّحرَاءِ إِلَى الوَاحَةِ الغَامِضَة.
تَجِدُ نَفسَهَا فِي حضنِي. تَنَامُ نَومًا جَمِيلاً.

أَيُّهَا الرَّعَايَا الغَابِرُون: تَعَالَوا إِلَى مَملَكَتِي العَالِيَةِ، عَالِيًا. وَلَكُم مِنِّي مَا لاَ عَينٌ رَأَت، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَت، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَر: **أَنَــا**. لاَ فَرَادِيسَ، لاَ جَحِيم.

لاَ وَصَايَا، لاَ مَوَاعِظَ عَلَى جَبَلٍ، لاَ نُبُوءَات.
عَالِيًا، هُنَاكَ، فِي مَملَكَتِي العَالِيَة.

عَرَاءٌ جَمِيل.
تَحُطُّ الطُّيُورُ فِي جَسَدِي. تَقُولُ: إِنَّهُ شَجَرَةٌ ذَاتُ أَكمَام.
تُلَملِمُ القَشَّ وَالرِّيشَ، تَبنِي أَعشَاشَهَا، تَبِيضُ وتُفرِخ.
أَنَا شَجَرَةُ الأَعشَاشِ، فِي هَذَا العَرَاءِ الجَمِيل.
لاَ عُشَّ لِي.

أَختَزِنُ الزَّمَنَ فِي بَدَنِي.

أَسرَابُهُ السَّحِيقَةُ تَأوِي إِلَى كُهُوفِي، تَنَامُ وَتَصحُو، تَشَّاجَرُ وَتَصفُو، تَرمِي بِالسِّهَامِ وَالنِّبَالِ وَالمَنجَنِيقِ حُشُودًا قَادِمَةً وَقِلاَعًا مَنِيعَة. غُبَارٌ فِي أُفُقٍ، صَلصَلَةٌ وَصَهِيل. بِدَائِيُّون يَخرُجُونَ مِن كَهفٍ بِالبُلَطِ وَالسَّكَاكِينِ (إِلَى أَين؟ لِمَن؟)، مَركَبَةٌ ذَهَبِيَّةٌ ذَاتُ سِتَّةِ أَحصِنَةٍ وَعَجَلَتَينِ وَمَلِكٌ بِلاَ حَاشِيَة (أَيُّهُم؟)، هُتَافَاتٌ بِلاَ أَبجَدِيَّةٍ فِي الكَهفِ الشَّرقِيِّ، حَربَةٌ تَنغَرِسُ فِي الظَّهرِ، أَيُّهَا الأُخوَةُ المُوَاطِنَون، قَطِيعٌ يَرعَى أَعشَابَ الصَّمتِ، وَأَصحَابُ الكُهُوفِ فِي جُحُورِهِم يَرفَعُونَ أَكُفَّهُم، يُسَبِّحُونَ بِحَمدِكَ، طُبُولُ حَربٍ أَم عُرس؟ جَادَكَ الغَيثُ إِذَا الغَيثُ هَمَى، خَازُوقٌ مُشرَعٌ يَنتَظِر.

فَلتَنَامِي، أَيَّتُهَا الحُرُوبُ قَلِيلاَ.

أَو

فَاخرُجِي مِنِّي صَلِيلاً صَلِيلاَ.

قَادِمٌ.

لَستُ مَاضِيًا، وَلاَ مُضَارِعًا.

زَمَنٌ آخَر. زَمَنٌ رَابِع.

زِنزَانَةٌ سَوداءُ تَستَقبِلُنِي.

يَقُولُ المَجنُونُ لِي: هِيَ لَك، وَأَنتَ لِي، فَاعتَرِف.

يَأتِي بِالطَّعَامِ وَالشَّايِ فِي سَرِيرِي، كَزَوجَةٍ عَاشِقَة.
يَغسِلُ قَدَمَيَّ بِالمَاءِ وَأَفكَارِي، وَيَرعَى أَرَقِي.
هَل أَتَزَوُّجُه؟

تَقُولُ لِي: مَن أَنت؟
أَقُولُ: أَنَا.
تُرخِي أُنشُوطَتَهَا لِي، أَتَعَلَّقُ بِهَا إِلَيهَا.
تَقُولُ: مَوعِدُنَا المُنتَصَفُ، فَانتَظِر شَارَتِي عَلَى طَرفِ الخَطِّ، حِينَ يَبِينُ الخَيطُ الأَبيَضُ مِنَ الأَسود.
بَضَاضَةٌ أُنثَى صَاخِبَة.
وَلِيمَةٌ تَفِيضُ عَن شَرَاهَتِي.

أَستَأجِرُ جُدرَانًا بِلاَ سَقف. لاَ أَبوَابَ، لاَ شَبَابِيك. وَعدٌ بِقَلعَةِ المَملَكَةِ الجَدِيدَةِ (مَملَكَةٌ لِلفَرَاغِ وَالمُطلَق). أُربِّي فِيهَا طُيُورِي وَأَوهَامِي. أَزرَعُ فِيهَا خُزَعبَلاَتِي وَأَشجَارِي، وَأُلاَعِبُ الفُصُولَ الأَربَعَةَ كَأَرَانِبَ مَذعُورَة، أَتَفَقَّدُهَا كُلَّ صَبَاح، أُلقِي عَلَيهَا خُطبَةً عَصمَاءَ، ثُمَّ أُفضِي لَهَا بِكَلِمَةِ السِّرِّ،
وَأَمضِي.

بِلاَ رِيشٍ: جَنَاحَاي. وَعَدَانِي بِالرِّيشِ فِي الشِّتَاءِ القَادِمِ ؛ رِيشٍ لَه ذَاكِرَةُ الصِّفر. كَيفَ أُعِيدُ ذَاكِرَتِي إِلَى الفَرَاغِ، وَبَصِيرَتِي إِلَى حَجَر؟
أَيَّتُهَا الوُعُودُ الَّتِي مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلطَانٍ:

هَا أَنَا مُنتَظِرٌ تَحتَ المَطَر.

فِي الظَّلاَمِ، يُفَتِّشُ المَجنُونُ رُوحِي وَعَقلِي (يَبحَثُ عَنِّي)، يَعِيثُ فِيهِمَا، وَيَخلِطُ العَنَاصِرَ وَالفَضَاءَاتِ (هَل يُحَاوِلُ سِرقَةَ شَيءٍ مَا؟).
أُمعِنُ فِي النَّومِ (مَا الَّذِي يَستَحِقُّ اليَقظَة؟).
فِي الصَّبَاحِ، أَصحُو مُختَلِطًا: مَا أَنَا؟
عِندَ النَّاصِيَةِ الثَّانِيَةِ، أُفرِغُ نَفسِي.
أَعُودُ خَاوِيًا، جَمِيلاً.

شُمُوعٌ وَمَائِدَةٌ، وَفَضِيحَةٌ شَاسِعَةٌ تَنتَظِر.
بَانَ الأَبيَضُ مِنَ الأَسوَد: ثَديَانِ يَندَلِقَانِ مِن خَمرٍ إِلَى تَلٍّ مُختَمِرٍ يَهبِطُ وَيَعلُو إِلَى رَبوَتَينِ رَابِيَتَينِ بَينَهُمَا فَجٌّ عَمِيقٌ عَمِيق. أَنزَلِقُ فِيهِ، يَمتَصُّنِي، أَنَا الغَرِيقُ الغَرِيق. مَوجَةٌ تَئِنُّ تَحتِي كَلَبوَةٍ، تَهبِطُ بِي إِلَى قَاعٍ، أُوغِلُ تَمتَصُّ مَا يَنِزُّ، تَصعَدُ لِي عَن آخِرِهَا فَأَنقَضَّ مَارِقًا إِلَى مُنتَهَاهَا. أَتَرَجَّلُ عَن حُلمٍ يَركُضُ، كَأَنَّهُ أَوَّلُ الحُلمِ، لاَ يَعرِفُهُ الزَّمَنُ وَلاَ يَعرِفُ الغُبَار.
تُلَملِمُ الفَضِيحَةَ المُبَعثَرَةَ، وَتُطفِئُ الشُّمُوعَ المُحتَضَرَة:
ـ نَفَدَ الكَلاَمُ المُبَاح.
أَيُّهَا السَّيَّافُ، إِلَى العَمَل.

رَأسِي تَتَدَحرَجُ فِي الطُّرقَاتِ، وَعَينَايَ شَاخِصَتَانِ إِلَى نَجمَةٍ بَعِيدَة.
هُنَاكَ، السَّمَاءُ زَرقَاءُ زَرقَاء.

وَنَجمَتِي تُومِئُ لِي.
ذَاتَ يَومٍ، رُبَّمَا، ذَاتَ يَوم.

هِيَ مَملَكَتِي الَّتِي أَرِثُهَا مِنَ الهَبَاءِ: مُلكٌ لاَ يَبلَى.
قَلعَةٌ مُحَصَّنَةٌ بِالرُّقَى وَالتَّعَاوِيذِ، مُدَجَّجَةٌ بِالأَحلاَمِ وَالخَيبَات. عَلَى أَسوَارِهَا الأَربَعَةِ أَربَعَةُ أَوهَامٍ بَخوذَاتِهِم وَأَسلِحَتِهِم المُشرَعَة. عَلَى بَابِهَا الرَّسمِيِّ، أَرتَدِي قِنَاعَ البَهلَوَانِ وَبَسمَتِهِ المَيِّتَة، فِي انتِظَارِ البِدَائِيِّين. وَعَدُونِي بِرِيشَةِ القلنسُوَةِ المُلَوَّنَة. البِدَائِيُّون. يَا لَهَا مِن رِيشَةٍ مُلَوَّنَة. سَيَأتُونَ بِهَا، لاَبُد.

تَنفُثُ عَينَاهُ نَارًا وَدُخَانًا، أَسنَانُه تَقطُرُ عُوَاءً وَدَمًا، وَفِي يَدِهِ السَّيف (فِي التَفَاتَتِه، لَمَحتُ ذَيلَهُ المَقطُوع): حَانَ- الآنَ- حَينُك. صَمتُكَ سِجنٌ ذُو قُضبَانٍ تَحبِسُنِي، بِلاَ جَرِيمَة. حَانَت- الآنَ- حُرِّيَّتِي.

وَسَيَأتُونَ لِي بِذَاكِرَةٍ بِدَائِيَّة.

مَن يَطرُقُنِي؟
لاَ، أَيَّتُهَا الأَشبَاح.
اغتَسَلتُ مِن غُبَارِ الزَّمَنِ وَسَنَابِكِه.

لاَ، لَستُ أَنَا.
وَسَيَأتُونَ لِي بِذَاكِرَةٍ بِدَائِيَّةٍ مُحَدَّبَة.

ذَاكِرَةٍ بِلاَ حَرِيق.
سَأَجلُوهَا فِي ظِلِّ الشَّجَرَةِ حَتَّى تَلمَع.

هَل تَنتَظِـرُونَ مَعِي؟

جَمَــل

أَنَا الجَمَلُ الرَّملِيُّ لاَ سِنَامَ لِي، أَجِيءُ مِن رِيحٍ إِلَى مَاءٍ، عَبَاءَتِي غَيمَةٌ غُبَارٌ، قَافِلَتِي الَّتِي تَقتَفِينِي إِلَى الغَيبِ، وَخَيمَتِي سَمَاءٌ زَرقَاءُ أَحمِلُهَا بِجَبِينِي، أَدُقُّ أَوتَادَهَا بِظِلِّ الجِدَارِ، مَفتُوحَةً لأَبنَاءِ السَّبِيلِ الضَّالِّينَ، طَعَامِي لَهُم عُشبُ الكَلاَمِ وَالشَّايِ، خَمرِيَ اللَّونُ، وَمَائِدَتِي وَرَقٌ جَمِيل

أَنَا الجَمَـلُ الضَّلِيـل

خَرَجتُ مِن قَبِيلَتِي إِلَى قَبِيلَتِي، انسَلَلتُ مِن ظِلِّي إِلَى أُرجُوحَتِي يُطَوِّحُهَا الهَواءُ أَينَمَا يَشَاءُ، قَابِضٌ عَلَيهَا بِقَبضَةٍ حَدِيدٍ، وَحِيدًا، وَاحِدًا، أَحَدًا، كَوَردَةِ البَازَلتِ فِي مَفرِقِ الأَرضِ، عَالِيًا فِي القَاعِ، مَشدُودٌ إِلَى غَامِضٍ رَمَادِيٍّ يَقُولُ لِي: مُصطَفَايَ أَنتَ مُرِيدِي، فَالزَمِ

خُطَايَ صَامِتًا جَرِيئًا

وَكُنتُ أَطفُـو مُضِيـئًا

فَتَطفُرَ السِّهَامُ مِن وَرَائِي عَاوِيَةً، فَأَطفُو إِلَى نَهرٍ أُمُومِيٍّ يَمُدُّ اليَدَين لِـي، لاَ الخَـرَائِطُ تَعرِفُـه وَلاَ بَحـرُ الرِّمَـال، هَـا هُنَـا أَغـرِسُ أَوتَـادِي وَحُلمِي، أَسقِيهَا فِي المَسَاءِ بِمَاءِ البُكَاء، فَأَصحُو عَلَى وَاحَةٍ مُبَاحَةٍ لِلتَّائِهِينَ، لاَ سَرَابَ، أَقطُفُهَا يَانِعَةً أَلِيفَةً مِن جُوعٍ، لأَنثُرَهَا عَلَى السَّائِرِين

أَنَا الخَـارِجِيُّ الضَّنِيـن

أَخـزِنُ الرِّيَـاحَ وَالعَوَاصِـفَ لاَ أُنفِقُهَـا أَو أُعِيرُهَـا، دَاخِلِي دَاجِنَةً تَنَـامُ وَتَـصحُو، رَوَّضـتُهَا بِالتَّعَاوِيـذِ وَالبُخُـورِ، مِيرَاثِـي وَثَروَتِـي، أَهلِـي وَخَيمَتِي، أَسكُنُهَا كَأُمٍّ رَؤُومٍ، فَتَسكُنَنِي كَعَاشِقِهَا الضَّالِّ بَينَ التُّخُومِ، لاَ يَرَاهَا سِوَايَ، ظِلِّـيَ الـدَّاخِلِيُّ أَو قَرِينِيَ الـوَفِيُّ، أَحمِلُهُ إِلَى الحِمَى الحَرَام

فَيَنكَسِـرَ الكَـلاَم

مِثلَ غُصنٍ جَـافٍّ فِي خَرِيفٍ عَلَى يَدِي، أَيَّتُهَا السَّيِّدَةُ القَاهِـرَةُ، فَمَاذَا غَيرَ أَن أَختَرِعَ الأَبيَضَ الشَّاهِقَ كَي أَرمِي عَلَيهِ اللَّونَ كَائِنَاتٍ مِن دُخَانِ

الكُهُوفِ، بِأَجنِحَةٍ فَزَعٍ وَذُيُولٍ هَلَعٍ وَمَنَاقِيرَ ضِيَاءٍ، تَطِيرُ بِي فِي فَضَاءٍ بَهَاءٍ، مُغمَضَةَ العَينَينِ مَمرُورَةَ الضَّفَائِرِ

فَتَهمِي نَزِيفَ السَّـرَائِرِ

تُبَلِّلُنِي بِلاَ مَاءٍ، شَظَايَا أَسَاطِيرَ أُرَمِّمُهَا فِي الفَرَاغِ، لأُطلِقَهَا- فِي فَضَاءِ الخَيمَةِ- مَاعِزًا وَصُقُورًا وَجِمَالاً مَربُوطَةً مِنَ الأَعنَاقِ بِخَيطِ الذَّاكِرَةِ اللَّئِيمِ، أَشُدُّه وَأُرخِيهِ حِينًا بَعدَ حِينٍ إِلَى مَلَلِي، فَأُسدِلَ الخَيمَةَ، أُحكِمَهَا، وَأمتَطِي صَقرًا يَحُطُّ بِي فَوقَ سَطحٍ كَظِيمِ

أَنَا الرَّائِـي القَـدِيم

أَمُـدُّ بَـصِيرَتِي وَبَـصَرِي، لاَ يَـدِي، صَـخرَةٌ فِـي مَـاءٍ، أُدَلِّـي جَـسَدِي أُرجُوحَةً بِلاَ حِبَالٍ فَوقَ هَاوِيَةٍ جَائِعَةٍ تَمُدُّ شَهوَتَهَا تَلعَقُنِي، تَعُضُّنِي، أَرمِي لَهَا قَلبِي (*اسفِنجَةً حَجَرِيَّةً، لاَ تَعرِفُ الضَّحِكَ، وَلاَ العَزَاءَ*)، تَقضُمُهُ مَرِيرًا، آسِنًا، فَترمِيهِ فِي الرُّكَامِ نَجمَةً مُجهَضَةَ

أَنَا الرَّغبَةُ الحَامِضَـة

أَلِي مَوطِئٌ فِي الأَرضِ، أَم عَدُوٌّ مُطَـارَدٌ كَكَلبٍ ضَـالٍّ، طَعَامِي كِسرَةٌ عَجفَـاءُ، سِـلاَحِيَ الـسِّرِّيُّ قَهقَهَـةٌ لاَ تَخِيـبُ، أُطلِقُهَـا فِـي انفِجَـارَةِ الطَّاعُونِ، لَحظَةَ اختِرَاقِ السَّهمِ لِلظَّهرِ، لَحظَةَ التِفَافِ الحَبلِ حَولَ

الرَّقَبَةِ، أَنَا الغَنِيُّ وَمَا لِي مَوعِدٌ آجِلٌ أَبَدًا، كُلَّمَا قُلتُ آنَ تَلاَ شَى بَدَدَا

سَـرَابًا مَاكِـرًا أَو زَبَـدَا

لاَ أُطَارِدُه (*رُبَّمَا كَانَت مَكِيدَةً أَو شَرَكًا، رُبَّمَا، وَرُبَّمَا*)، كُلُّ شَيءٍ سَيَأتِي، سَيَأتِي، وَكُلُّ شَيءٍ عَارِضٌ، فَلاَ تُمسِكِ الحَبلَ (*أُنشُوطَةٌ أَم مِشنَقَة؟*)، لاَ خُطوَةَ وَاحِدَةً خَارِجَ البَدَنِ، اعتَصِم بِالأَبيَض الصَّامِتِ ضِدَّ الشَّهَوَاتِ البَائِدَةِ، انتَصِب نُصبًا صَاغِرًا لِلاحتِضَارِ البَطِيء

أَيُّهَا القَاتِـلُ البَـرِيء

تَقتُلُنِي وَتَمشِي فِي جِنَازَتِي، تَنُوحُ فِي مَأتَمِي، مَا مِن طَائِرٍ فِي القَلبِ، سَمَاءٌ صَحرَاءُ، وَالنُّجُومُ رَملٌ أَو حَصًى فِي العَينِ (*مَن يُطفِئُهَا؟*)، مَا أَكثَرَ الكِلاَبَ الضَّالَّة؟ مَا أَبعَدَ المَسَافَةَ، آجِلٌ كَعَانِسٍ نَاعِسَةٍ عَلَى زَمَنٍ، كَطَلقَةٍ مُعَلَّقَةٍ- أَبَدًا- فِي انتِصَافِ المَسَافَةِ بَينَ الفُوَّهَةِ وَالجَسَد

أَنَا سَـلِيلُ الأَبَـد

لاَ أَفنَى وَلاَ أَجِيءُ مِن عَدَمٍ (*مِن رَملٍ أَجِيءُ*)، خَفِيفًا، طَفِيفًا، أَمُرُّ بِلاَ أَثَرٍ فِي الزِّحَامِ، مَرَايَا مُبهرَجَةٌ، وَقُرُودٌ لَهَا رِيشُ الطَّوَاوِيسِ، لُصُوصٌ يَحمِلُونَ المِسبَحَاتِ، وَنَفطٌ يَرِثُ المَدَائِنَ وَالقُرَى، يَنسَلُّ فِي العُرُوقِ

وَالشَّرَايِينِ؛ فَعَلَى الوَجهِ مِزلاَجٌ، وَعَلَى القَلبِ قُفلٌ مِن صَدَأ

فَمَن يُعِيـدُ المُبتَـدَأ

سَرَابٌ يَنَامُ دَهرًا فِي ذَاكِرَتِي، لِيَصحُو فِي اللَّحظَةِ الآفِلَةِ مُوَلوِلاً لَئِيمًا؛ طُفُولَةٌ تَركُضُ فِي مَرَاعِي الرَّملِ، تَقضُمُ الفَضَاءَ عَلَى مَهَلٍ، وَتَبنِي مِن حَصًى وَهمًا وَاهِيًا لِلزَّوبَعَةِ القَادِمَةِ، تَركُضُ خَلفَ مَاءٍ يَنأَى، يَتَنَاءَى، يَتَنَاءَى، فَتَركُضَ خَلفَهَ، فَلِمَاذَا يَهرُبُ المَاءُ مِنَ الأَصَابِع؟

ضَائِعٌ، وَالقَلبُ جَائِع

لاَ شَيءَ يُشبِعُنِي تَمَامًا، يُلاَمِسُنِي وَيَسقُطُ كَالغُبَارِ المَوسِمِي (*لاَ يَدِي تُمسِكُهُ، وَلاَ الرَّغبَةُ الفَاتِرَة*)، دُخَانٌ، أَينَ يَمضِي، وَمِن أَينَ يَجِيءُ، لاَ صَهِيلَ، حَمحَمَةٌ هَمهَمَةٌ غَمغَمَةٌ غَامِضَةٌ لاَ تَمضِي وَلاَ تَأتِي، أَين؟ مَن يُعِدُّ الشَّايَ الفَاتِرَ- الآن- لِلفَجِيعَةِ البَاهِتَة

سِوَى طِفلَـةٍ مَيِّتَـة

هَارِبَةٍ إِلَى الهُرُوبِ المُرِّ وَالرُّعَاةِ البَدوِ، فَاشرَبِ الشَّايَ وَئِيدًا، رِشفَةً فَرِشفَةً وَحِيدًا، مِثلَ كَركَدَن دُونَ قَرنٍ، فَاتِرًا بَائِرًا عَلَى قُبَّةِ الوَقتِ، تَبسُطُ البَيَاضَ (*أَيُّهَا الثُّعبَانُ الَّذِي أَخفَيتُه تَحتُ ثِيَابِي، كَيفَ*

تَخدَعُنِي؟)، وَتَرمِيهِ بِالرُّقَى المُلَوَّنَةِ، تَقُولُ: كُن، فَيَكُون

شَـهقَةَ الجُنُـون

أَرتَقِيهَـا- إِلَـى انتِصَافِهَا- بِقَفـزَةٍ وَاحِـدَةٍ (*كَيفَ انسَرَبَ المَلَلُ النَّملِـيُّ إِلَيَّ؟*)، أَصعَدُ أَم أَهبِطُ؟ مَن يَأتِينِي- الآنَ- بِنَومِي مِن مَكمَنِهِ السِّرِّيِّ؟ المَاءُ، فَأَينَ المَاءُ؟ وَأَينَ الطِّفلَةُ، كَيفَ انفَلَتَت مِنِّي؟ وَضَفِيرَتُهَا رَفرَفَةٌ غَائِرَةٌ فِي القَلبِ، فَمَن يَأتِينِي- الآنَ- بِحِفنَةِ نَومٍ بَيضَاء

أَنَا الجَمَلُ الرَّمِلِيُّ، سَيِّدُ الهَبَاء.
لاَ أَمَامَ لِي، وَلاَ وَرَائِي وَرَاء.
سَيِّدٌ لِلعَـرَاء.

سَــرَاب

مَرأةٌ قَدِيمَة.
أَكَانَت نَائِمَةً فِي الذَّاكِرَةِ، أَم خَارِجَهَا؟
وَالسَّهمُ مَرشُوقٌ فِي قَلبِ الثَّورِ البَرِّيِّ، عَلَى كُلِّ جِدَار (*هَل هُوَ الأَبيَض؟*).
لاَ دَمَ، لاَ خُوَار.
وَالعَينَانِ نَافِذَتَانِ تُطِلاَّنِ عَلَى الأَبَد.
أَينَ المَرأَةُ القَدِيمَة؟

أَمشِي فِي حُلمٍ أَم كَابُوس.
أَعضَائِي رَمَادِيَّةٌ، وَقَلبِي رَمَاد.
ذَاكِرَتِي بِدَائِيَّةٌ، فِي الصِّفرِ، صَافِيَة.
لاَ قَمَرَ، لاَ نُجُوم.

فَمَن المَرأَة؟

هَذِهِ الأَشيَاءُ الصَّاجُ وَالخَشَبُ، لِمَاذَا تَغمِزُ لِي؟
طِفلَةٌ فَاتِنَةٌ تَرمِي قَلبَهَا عَلَيَّ، أَدُسُّهُ فِي قَلبِي. أَحكِي لَهَا عَن عُصفُورَةِ الضَّوءِ، تَنَامُ فِي حضنِي.
لِمَاذَا تَسُلُّنِي المَرأَةُ؟ مَا الَّذِي تَفعَلُه بِي؟

ضِحكَتُهَا تَفتَحُ أَبوَابَ السَّمَاء.
هَل هِيَ الأُنشُوطَة؟

فِي الشَّبَكَةِ، مَرَّةً أُخرَى؟ تُلدَغُ مِن جُحرٍ مَرَّتَين؟
أَيَّتُهَا الأَقدَامُ العَمياءُ، أَيَّتُهَا البَصِيرَةُ الضَّرِيرَةُ، لَستِ مِنِّي، لَستِ مِنِّي.
فَمَن يُمسِكُ بِيَدِي إِلَى الهَاوِيَة؟

لاَ أَسَى، لاَ بَهجَة. غَائِبٌ، وَالأَشيَاءُ حَاضِرَة.
مَسَافَةٌ مِن ضَبَابٍ، أَو زُجَاج.
هُل أُفِيقُ مِن غَيبُوبَةٍ، أَم أَنحَدِرُ إِلَيهَا؟

تَزحَمُ المَكَانَ بِالكَلاَمِ، تَسُدُّ فَرَاغَاتِ الوَقتِ بِالصَّوت.
لاَ مَكَانَ لِي، لاَ وَقت.

لِمَاذَا تَنَازَلتُ عَنِ العَرشِ، وَأَسلَمتُ القَلعَةَ دُونَ مَعرَكَةٍ وَخُطبَةٍ

لِلتَّبرِير؟
أَيَّتُهَا الخِيَانَةُ، أَنتِ تَاجِيَ الذَّهَبِي.
أَيَّتُهَا الرَّحمَةُ، أَنتِ قَاتِلَتِي، وَغَرِيمِيَ المُترَعُ بِالغِل.
أَيُّهَا الوَقتُ: هَل تَتَّسِعُ لِي؟

طَرِيَّةً تَتَلَوَّى، تَعلِكُنِي فَوقَهَا، مِثلَ قَشَّةٍ تَرُوحُ وَتَجِيء. كَأَنَّهَا امرَأَتِي وَكَأَنَّنِي. حَارَّةٌ وَفَاتِرٌ، بَيضَاءُ سَوداءُ وَرَمَادِيٌّ. أَنحَدِرُ أَم أَطفُو؟ العَلَمُ مُنكَّسٌ، وَالحُرَّاسُ استَسلَمُوا لِلنُّعَاسِ، وَالأَبوَابُ مَفتُوحَة.
مَن القَادِمُ فِي الظَّلاَم؟ عَدُوٌّ أَم صَدِيق؟
كَلِمَةُ السِّرِّ أَوَّلاً، وَإِلاَّ

أَصرُخُ فِي كُثبَانِ قُطنٍ، تَغُوصُ بِي وَتَنفُضُنِي.
وَرَاءَهَا مَاءٌ يُومِئُ لِي، ظَامِئٌ بِلاَ ظَمَأ. هَل أَصِل؟
طُيُورٌ تَنهَشُنِي بِلاَ أَلَم، مَن فَقَأَ عُيُونَهَا؟ مَن دَلَّهَا عَلَي؟
أَينَ فَرَّت الأَشجَار؟ لِمَن الهَمهَمَة؟
تَلاَّنِ يُطِلاَّنِ عَلَيَّ مِن خَلفِ زُجَاجٍ، صَامِتَانِ، يَنتَظِرَان.
أَيَّتُهَا الكُثبَانُ، مَتَى؟
لِمَاذَا يَتَوَقَّفُ الوَقتُ، يَقطُرُ عَرَقًا عَلَى كَاهِلِي؟
هَل تَضِيقُ المَسَافَةُ، أَم تَتَّسِع؟
قُبَّرَتَانِ تَحُطَّانِ عَلَى كَتِفِي، تَهطِلاَن سَلوَى وَيَاسَمِين.
أُحَلِّقُ مَعَهُمَا بُرهَةً، وَأَبكِي:

خُذَانِي بَعِيدًا، بَعِيدًا

إِلَى حُقُولِ القَمحِ وَالفُول،
إِلَى عُصفُورَةِ الضَّوءِ وَالضَّحِكِ، بَعِيدَا
مَا الَّذِي فَعَلَتهُ الأَحلاَمُ القَدِيمَةُ بِنَا؟
خُذَانِي.

مَا الَّذِي يُشعِلُنِي؟
حَرِيقٌ يَنشَعُ فِي أَعضَائِي. مَن أَشعَلَ الكِبرِيت؟
تَتَسَلَّلُ- رُوَيدًا- مِن أَبوَابِيَ المُوَارَبَة.
تَغرِسُ- فِي الذَّاكِرَةِ- أَشجَارًا قَدِيمَةً، تُطلِقُ فِيهَا طُيُورًا وَأَحلاَمًا مُلَوَّنَة.
تَزرَعُ- فِي جَسَدِي- بِذرَةَ الرَّغبَة. تَرمِي عَلَيهَا مَاءَهَا وَصَحوَهَا.
رُبَّمَا، رُبَّمَا.

أَرضٌ مُستَعَارَةٌ، وَوَقتٌ مُرِيب.

تَحتَ سَمَاءٍ أُخرَى، أَمشِي فِي مَدِينَةٍ بَيضَاءَ، وَاللَّيلُ أَبيَض.
تَنزِلُ التِّلاَلَ بَربَرِيَّةٌ، تَقُولُ: أَنَا صَيدُكَ الشَّبَقِيُّ، انتَظَرتُكَ دَهرًا مِن رُقًى وَطَلاَسِم. قَالَت لِيَ السُّلاَلاَتُ وَالوَدَعُ البَحرِي. قَالَت لِيَ التِّلاَل. فَانظُرنِي تَجِدنِي.

أَنَا الأَبيَضُ أَمشِي فِي بَيَاضِ اللَّيلِ. بَربَرِيَّةٌ فِي جُعبَتِي نَائِمَةٌ، وَالمَدِينَةُ كَهنَةٌ وَقُضبَانٌ بَيضَاء. فَإِلَى أَين؟ هٰ سَتَعرِفُنِي فِي الجَامِعِ المَلَكِي: صُنَجٌ وَدُفُوفٌ، رَاقِصَاتٌ وَخِصيَانٌ، حُرَّاسٌ وَقَوَّادُونَ وَسُقَاة. فِي

المُنتَصَفِ، عَارِيَةٌ بَربَرِيَّتِي مِن وَرَقَةِ التُّوتِ، فَادِحَةً تَهطِلُ الرَّقصَ وَالحُمَّى. يَترَنَّحُونَ إِلَى نُعَاسٍ هْ رَأَيتَنِي، مَا عَرَفتَنِي. أَوَّلِي أَن تُغمِضَ العَينَين كَي تُبصِرَنِي، آخِرِي أَن تَرمِي البَصِيرَةَ كَي تَعرِفَنِي، فَأَعرِفَك.

أَغمَضتُ عَينَيَّ، وَسِرتُ فِي البَيضَاء.
مَا دَلَّنِي أَحَد.
لاَ أَحَـد.
بَينِي وَبَينِي جِدَارٌ ضَبَاب.
لاَ نَلتَقِي.
كُلٌّ مِنَّا يُدِيرُ ظَهرَهُ لِلآخَر، يَمضِي بِلاَ رُجُوع.

قُلتُ لَهَا إِنَّ شَمسَ الهُنُودِ الحُمرِ كَانَت مُخَبَّأَةً فِي صُندُوقٍ عِندَ اللُّصُوصِ، هِيَ وَالقَمَر. عِندَ نَومِهِم، سَرَقَ الصَّقرُ وَالثَّعلَبُ الصُّندُوق. مَدَّ الثَّعلَبُ يَدَه لِيَتَحَسَّسَ الغَنِيمَةَ المَجهُولَةَ، فَأَحرَقَتهَا الشَّمسُ، وَانفَتَحَ الصُّندُوقُ، فَفَرَّت إِلَى السَّمَاء. وَفِي المَرَّةِ الثَّانِيَةِ، فَرَّ القَمَرُ، فَعَرَفَت الأَرضُ الضَّوء.
قَالَت: هَل نَحنُ مِنَ الهُنُودِ الحُمر؟

أَشجَارُ الشِّجَارِ تَستَعِيدُ أَغصَانَهَا وَفُصُولَهَا، فَأَرتَقِي الجُنُونَ- خُطوَةً خُطوَةً- إِلَى الأَسئِلَةِ الأُولَى. قَابِيلُ وَهَابِيلُ يُشهِرَانِ أَسلِحَةً صَدِئَةً، وَالغُرَابُ يَنتَظِرُ سُدًى.
خُطوَةٌ أُخرَى إِلَى الجُنُونِ وَالحِكمَة.

التَّالِيَةُ إِلَى الدِّير.

أَشبَاحُ مُونتِسكيُو وَفُولتِير وَمَاركِس تَجُوسُ فِي الغُرَفِ، تَتَفَقَّدُ الحَيَاةَ اليَومِيَّةَ، وَتُسَجِّلُ الانحِرَافَات: أَهلاً وَسَهلاً، مُجَرَّدُ شَاعِرٍ، يَا سَادَتِي الكِرَام. لاَ مِنَ اليَعَاقِبَةِ وَلاَ الجَبَل. لاَ مِنَ البَلاَشِفَةِ وَلاَ المَنَاشِفَة. بُرجُوَازِيٌّ بُرُولِيتَارِيٌّ تَوفِيقِيٌّ تَلفِيقِيٌّ تَبرِيرِيٌّ تَقَدُّمِيٌّ عَدَمِيٌّ رَجعِيٌّ لاَ غَير.

أَنتَظِرُ كِسرَةَ شَمسٍ وَقِطعَةَ قَمَرٍ تَحتَ المَطَرِ، لاَ غَير.
يَقضُمُنِي الوَقتُ قَضمَةً قَضمَةً، فِي غَيبُوبَتِي، وَيَرتَشِفُ دَمِي.
كَأَنَّنِي صَيدُهُ الحَلاَل.
مَن انتَزَعَ مِنِّي ترسِي وَسِنَانِي؟
يَقُولُ: ثَأرِيَ أَنتَ، وَلِيمَتِي المَسمُومَة. كُلُّ قَضمَةٍ هَزِيمَة. كُلُّ رِشفَةٍ طَعنَةٌ كَلِيمَة.
وَأَنتَ- لِي- جَرِيمَة.

تُشبِهُ أُمِّي، فَتَتَّسِعُ لِي. لاَ مُسَاءَلَةَ وَلاَ مَلاَم. شَاسِعَةٌ، دَافِئَةٌ، تُقَدِّمُ النُّعَاسَ لِي وَالشَّايَ وَالسَّكِينَة. تُقَدِّمُ لِي الهُرُوبَ الجَمِيلَ لَحظَةَ الانـدِحَار. تَعرِفُهَا خُطَايَ فِي الظُّلُمَاتِ، فَتَمضِي بِي إِلَيهَا دُونَ استِئذَان.
لاَ تَضيق.

وَاحَةٌ لِلتَّائِهِ الغَرِيق.

لاَ لَستُ غَيمَةً فِي بَنطَلُون.
إِنَّنِي الفِردَوسُ المَفقُود.

كُلَّ لَيلَةٍ، تُفَتِّشُنِي قَبلَ النَّوم: أَينَ العُصفُورَةُ الذَّهَبِيَّةُ، وَتَاجُ الجَزِيرَةِ، وَالسَّمَكَةُ المُجَنَّحَة؟ أَينَ مَدِينَةُ النُّحَاسِ، وَالثَّعلَبُ المَكَّار؟ لِمَن أَعطَيتَهُم؟ أَقُولُ: إِنَّهُم- الآنَ- نَائِمُون، وَسَنَلتَقِي بِهِم فِي النَّوم.
تَنسَلُّ مِنِّي إِلَيهِم، وَتَترُكُنِي وَحِيدًا.

أَيُّهَا السَّادَةُ: أَنَا المُطلَقُ، المُجَرَّدُ،
مَن يَتَبَنَّانِي؟
دَاجِنٌ كَصَاعِقَةٍ، أَلِيفٌ كَقُنبُلَةٍ مَوقُوتَة.
مَن يُرِيد؟

قَفَصٌ وَقُضبَانٌ صَدِئَةٌ، يَشُدُّنِي آخِرَ اللَّيلِ مِن عُنُقِي إِلَى ظَلاَمِه. يَبلَى كُلُّ شَيءٍ. عَنكَبُوتٌ وَغِربَانٌ، هُرَاوَةٌ وَخِنجَرٌ ذُو حَدَّين. عِظَامٌ وَجُمجُمَةٌ فَارِغَةٌ قَدِيمَة (لِمَن؟ لِي؟). صَرَخَاتٌ مَيِّتَةٌ عَلَى القُضبَانِ، وَصَلِيلٌ يَتَدَلَّى فِي البَاب.
مَا الَّذِي جَاءَ بِي؟
مَن أَنَا؟

مَرأَةٌ مِن صُدَاعٍ تَشُدُّنِي بِحَبلٍ مِن مَلَل. تَمشِي خَلفَ ثَدييَهَا إِلَيَّ كُلَّ لَيلَةٍ (يَنَامَانِ النَّهَار). أَسقِيهِمَا البِيرَةَ المَحلِّيَّةَ حَتَّى الفَجرِ، يَقفِزَانِ إِلَى يَدَيَّ، يَستَظهِرَانِ الأَنَاشِيدَ وَالمَحفُوظَاتِ وَالإِعلاَنَاتِ المُبَوَّبَة.
أُرَبِّتُ عَلَيهِمَا، إِلَى الشَّمسِ، يَنَامَانِ فِي الهُذَاء.

أَنَا البُومَةُ العَمياءُ، أَطِيرُ فَوقَ أَطلاَلِ الظَّلاَمِ، تَقُودُنِي الظُّنُونُ وَالأَوهَامُ، بَعدَ أَن تَهَرَّأَت بَصِيرَتِي القَدِيمَة.
وَكُلُّ هَذَا الظَّلاَمِ لِي حُقُولُ الوَحشَةِ الشَّائِكَةُ وَاحتِضَارُ الكَلاَم.

أَختَرِعُ مَرَحًا مُرِيبًا، أَحمِلُهُ فِي جَيبِيَ المَثقُوب. أَرتَكِبُ أُغنِيَاتٍ مُنطَفِئَةً أُوَزِّعُهَا- بِالقِسطَاسِ- عَلَى الأَصدِقَاءِ وَالمَسَاكِين. أَستَبقِي وَاحِدَةً طَرِيَّةً أَعبَثُ بِهَا فِي القَيلُولَةِ المَبلُولَةِ إِلَى اختِنَاقَةِ الضَّجَرِ، فَأَرمِيهَا فِي فَمِي. فِي الغَدِ، أَصنَعُ غَيرَهَا، طَازِجَةً، بِلاَ قسطَاس.

الطَّهطَاوِيُّ يَدعُونِي إِلَيه. فَمَن يَثقُبُنِي لأَنزَّ ظَلُمَاتِي حَتَّى الفَرَاغِ، الفَرَاغ؟ جِدَارٌ مِلحٌ قَرِينِي، مُنتَصِبٌ فِي وَجهِي، يَأكُلُ مِن طَبَقِي، وَيَحتَلُّ سَرِيرِي وَسَرِيرَتِي. مَرأَةٌ مِن رِضًا تَتَمَشَّى خَلفَ الجِدَارِ، عَلَى مَرمَى ظِلِّي. تَحُومُ، فَتَحُطُّ عَينَايَ عَلَيهَا قَلِيلاً قَلِيلاً، لاَ تَبرَحَان.
تَقُولُ لِي إِنَّهَا- فِي طُفُولَتِهَا- كَانَت سَمَكَةً فِي إِنَاءٍ مِنَ القِيشَانِي، وَأَحيَانًا دُولفِينًا، تَتزَلِقُ، وَتَغُوصُ إِلَى الطَّحَالِبِ وَالقَوَاقِعِ الفَارِغَة.
قَبضَتَانِ مِن رَملٍ وَمِلحٍ، كُلَّ مَرَّةٍ، مِن زَبَدٍ وَبَهجَة.
أُخفِيهَا عَنِّي وَسطَ ظُنُونِي، وَلاَ أَقُول.

لاَ أُرخِي الخَيطَ. أَشُدُّه- دفعَةً وَاحِدَةً- فَيَنقَطِع.
أَستَدِيرُ إِلَى بَقِيَّةِ الخُيُوطِ، خَيطًا خَيطًا.
لاَ أَنقَطِع.
مَن يَشُدُّنِي شدَّةً وَاحِدَةً، أَنَا المَرخِيُّ المَعقُود؟

أَسهَرُ عَلَى نَومِ العَالَم، حَارِسَه وَرَاعِيَه. أَهُشُّ عَنهُ الكَوَابِيسَ وَالوُحُوشَ الخُرَافِيَّة (أَحتَفِظُ لِنَفسِي بِهَا). أَهُشُّ عَنهُ البَردَ، أَسحَبُ الأَغطِيَةَ عَلَى أَطرَافِهِ العَارِيَة، وَأُوصِدُ البَابَ عَلَيهِ (لاَ لُصُوصَ فِي المَدِينَةِ. مَدِينَةٌ مِن أَنبِيَاءٍ وَمَلاَئِكَة. لاَ لُصُوصَ، لاَ قَتَلَة).

جِئتُكِ بِتَاجِ الجَزِيرَةِ، بِشَمسِ الهُنُودِ الحُمرِ، بِالجِمَالِ المُحَمَّلَةِ بِالزَّوَابِعِ المُلَوَّنَةِ الَّتِي تُغَنِّي. جِئتُكِ بِالجِبَالِ الثَّلجِيَّةِ، وَمَاعِزِ التِّلاَلِ، وَالمَدِينَةِ المَسحُورَةِ، وَبِي، جِئتُكِ، فَمَا وَجَدتُكِ.
تَسَلَّلتُ إِلَى سُهُولِ النَّومِ، نَادَيتُ، أَطلَقتُ صَوتِي يَصعَدُ الأَشجَارَ، يَهبِطُ الكُهُوفَ، يَركُضُ فِي المَرَاعِي، وَجَدتُ العَصَافِيرَ وَاليَمَامَ، اليَنَابِيعَ وَالغُدرَانَ، الأَرَانِبَ وَالغُزلاَن.
وَمَا وَجَدتُك.

مَرأَةُ اليَقِينِ وَالإِجَابَةِ، شَجَرَةُ قَطِيفَةٍ سَمَائِيَّةٍ، تَنشَعُ- قَطرَةً قَطرَةً- إِلَى دَمِي.
وَقتٌ مِنَ الآسِ يَنمُو عَلَى حَافَّتِي المُحتَرِقَة (أَكُلُّ هَذَا الرِّضَا وَاليَقِين؟).
تُهَدهِدُ أَشوَاكِي وَوَحشَتِي، تُرَوِّضُ ظُلُمَاتِي، تَبكِي فِي يَدَيَّ (أَيَّتُهَا

الغَامِضَةُ الغَرِيبَةُ، كَيفَ أَعرِفُك؟).

مَرأَةٌ بِلاَ سُؤَال؛ رَجُلٌ بِلاَ إِجَابَة.

تَحرُثُ الأَرضَ إِلَيَّ، تَرمِي وَقتَهَا وَبَهجَتَهَا عَلَيَّ (تَستَبقِي الظِّلاَلَ ثَوبًا دَاكِنًا لاَ تَخلَعُه. ثَوبٌ مِن أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ مُهتَرِئَة).
أَنَا امرَأَةُ الظِّلِّ، رَمَيتَ ظِلَّكَ عَلَيَّ صِرتُ ظِلَّك.
هَل تَكُونِينَ قَيلُولَتِي فِي الهَجِيرِ، أَم هَجِيرِي؟
إِن تَكُن طَائِرًا، سَأَكُونُ الفَضَاء، أَو نَخلَةً سَأَكُونُ المَاء، أَو دُولفِينًا أَنَا البَحرُ الشَّاسِعُ، أَو صَحرَاءَ أَنَا المَطَر. فَمَن أَكُون؟
وَردَةَ انتِظَارِي عِشرِينَ ظُلمَةً ظَالِمَةً، وَيَأسَينِ فَارِعَين.

هَل عَرَفتَنِي؟

أَنتِ أَنتِ

قَيلُـولة

وَردَةً أَو رَصَاصَةً تَدخُلُنِي، أَنَا الهَارِبُ الأَبَدِيُّ فَأَغفِرَ مَا تَقَدَّمَ مِن ذُنُوبِ الزَّمَنِ الوَحشِيِّ أَو تَأَخَّرَ، أَصحُو مِنَ المَوتِ (أَم أُولَدُ؟)، وَهِيَ ظِلِّيَ المُورِقُ، قَيلُولَتِي يَنَامُ فِيهَا أَرَقِي، فَتَغسِلَهُ بِرَحمَتِهَا كَرَبَّةٍ، تَقُولُ *جِئتَنِي بَعد عِشرِينَ يَأسًا وَحُلمَين، ثَدَيَايَ بُرجَانِ مُشرَعَانِ يَخفِقَانِ انتِظَارًا مُتعَبًا، تُجَفِّفُ الشُّمُوسُ شَهوَتِي (لاَ تُشعِلُهَا)، فَأُشعِلَ النِّيرَانَ فِي اللَّيلِ شَارَةً وَصَلاَةً عَلَى القَارِعَةِ، سَنطَةً تَجهَلُهَا الفُصُولُ، أَفرَغتُ ذَاكِرَتِي مِنَ الغُبَارِ وَالذُّبَابِ وَأَبنَاءِ السَّبِيلِ، تُرَابٌ قَدِيمٌ عَلَى قَدَمَيَّ، رَمَادُ السِّنِينِ عَلَى بَابِيَ المَقفُولِ، مَرُّوا خَارِجِي، بَعِيدًا بَعِيدًا، مَسِيرَةَ عُمرٍ مِنَ الصَّمتِ وَالخَيبَةِ، كُنتُ أَدرِي فَتَأَجَّلتُ تَأَجَّلتُ إِلَى مَطلَعِ المَوتِ، بِكرٌ أَنَا فِي انتِظَارِكَ، أَعضَائِي فَرحَانَةٌ وَقَلبِي بُرتُقَالَةٌ نَاضِجَةٌ فِي يَدَيكَ*، تُلَمِلِمُنِي تَعوِيذَةً فَوقَ سُرَّتِهَا، وَتَنفَرِطُ عَلَيَّ، لاَ سِكِّينَ عِندِي، لاَ وَردَةَ، مُزدَحِمٌ فَارِغٌ وَقَبضُ رِيحٍ، كَأَنَّهَا أُنثَايَ مُنذُ أَلفِ

كَآبَةٍ، أَعرِفُهَـا فَأَمنَحَهَا جِرَاحِي لَيـلَةً فَلَيلَةً (أَنَا الغَنِيُّ وَتِلكَ أَموَالِي)، فَتَغسِلَهَا، تَسُلَّهَا مِنِّي إِلَى النِّسـيَانِ، لاَ تَنسَى، تَستَدِيرُ إِلَى قَطِيعٍ مِن شِيَاهٍ يَأكُلُ الظَّلاَمَ فِي مَرَاعِي اللهِ، يَقضُمُهَا، فَتَبكِي فِي يَدِي حَنِينَهَا إِلَيهِ، ثُمَّ تَنثَنِي عَلَيهِ رَاعِيًا لِذِئَابٍ بَرِيئَةٍ، فِي ثَدِيهَا نَابٌ قَدِيمٌ (مِن أَيِّ ذِئبٍ غَابِرٍ؟)، وَفِي سُرَّتِهَا رَايَةُ المَلِكِ الغَازِيِّ مُشرَعَةٌ (لاَ يَرَاهَا سِوَاي)، وَأَصدَاءُ صَهِيلٍ ضَلِيلٍ، فَمِن أَينَ رَذَاذُ البَحرِ وَاليُودُ، شَمسٌ حَامِضَةٌ، وَأَشلاَءُ حُرُوبٍ، صَلصَلَةٌ عَتِيقَةٌ، مَركَبَاتٌ وَأَفرَاسٌ، دَمٌ بَينَ الفَخذَينِ، تَقُولُ: بِكرٌ أَنَا ـ كَمَا تَرَى ـ كَأَرضٍ مَوطُوءَةٍ بَعدَ مَطَرٍ، مَرُّوا خَارِجِي، لَم يَعرِفُوا أَبوَابِيَ الصَّامِتَةَ، لَم تَصرُخ عَلَيهِم، عِشرِينَ يَأسًا كُنتُ نَائِمَةً عَلَى فِرَاشٍ مِن تُرَابٍ، مَن كَسَّرَ أَقفَالِي وَفَضَّ بَرَاءَتِي، فَلَم يَعرِف كَلِمَةَ السِّرِّ، فَنَامَ فِي أُرجُوحَةِ الوَهمِ عَلَى الأَسوَارِ قَرِيرًا، لاَ بَرَابِرَةَ الآنَ فِيَّ (طَرَدتُهُم جَمِيعًا، فَمَا الَّذِي يَنَامُ فِي فِرَاشِي كُلَّ لَيلَةٍ، فِي ظَهرِي؟)، قَيلُولَةٌ مِن غَيرِ سُوءٍ (فَمَن يُوقِظ الرَّاحِلِينَ، مَن يُضِيءُ الظِّلاَلَ المُنطَفِئَةَ؟)، قُل: كُونِي، أَكُن مَا تَشَاءُ، قَبضَةً مِن طِينٍ فَاتِرٍ فِي يَدَيكَ، مَا تَشَاءُ، مَرأَةً أَو شَجَرَةً، سَهلاً أَو مَطَرَةً، وَيَدَاكَ فَاعِلِي مِن عَدَمٍ إِلَى امرَأَةٍ سَافِرَة

تُعَتِّقُ الشَّهَوَاتِ دَهرًا مِن حَنِينٍ غَامِضٍ،
فَتُهرِقَهَا عَلَيكَ مُهرَةً مَاطِرَة.
مَرأَةٌ مِن أَرَقٍ شَبِقٍ،
وَمِيَاهِ بُرُوقٍ سَاهِرَة

عَارِيَةً مِن العُري تَنَامُ لِي جَائِعَةً شَهِيَّةً، جَسَدٌ مِنَ الهَدِيلِ النَّاعِسِ فِي الظِّلِّ أَربَعِينَ أُمُومَةً قَروِيَّةً وَسُلاَلاَتٍ مِنَ المَوَارِيثِ وَالوَصَايَا الصَّفرَاءِ تُكَدِّسُنِي، فَتَنمُو فِي بَدَنِي طَحَالِبُ الطَّاعَةِ الرَّاضِيَةِ، مَا قُلتُ لاَ أَنَا الصَّبِيَّةُ الذَّاهِبَةُ إِلَى الوَادِ وَسطَ الأَغَارِيدِ وَاخضِرَارِ الوَهمِ، قَاتِلَةٌ تُكَفِّنُهَا التَّعَالِيمُ الأُمُومِيَّةُ وَالبَهجَةُ الصِّنَاعِيَّةُ، أَيُّهَا البَرَابِرَةُ الغَارِبُونَ: مُقَايَضَةٌ رَابِحَةٌ، أَنَا الخَسَارَةُ الفَادِحَةُ، لِي بَهجَةٌ بَخِيلَةٌ أَنزِفُهَا سَاهِيَةً فِي السَّرِيرِ كُلَّ لَيلَةٍ ظَامِئَةً، وَلِي نَهرٌ سَرَابٌ طَوِيلٌ يَشبِهُ العَزَاءَ، أَمشِي عَلَى مَائِهِ الهُوَينَى، عِندَمَا يَنَامُ النَّومُ وَالبَرَابِرَةُ، أَغسِلُ جَسَدِي مِن غُبَارِ الغَزوِ، أَقُولُ: جَسَدٌ مُستَبَاحٌ وَرُوحِي مُوصَدَةٌ، مَن يَفتَحهَا يَفتَحنِي عَلَيهِ، أَقُولُ: سَرَابٌ يُشبِهُ الشِّيزُوفرِينيَا، فَمَن يَعقِدُ الصُّلحَ بَينِي وَبَينِي، بَعضِي يُحَارِبُ بَعضِي، انتَظَرتُكَ لَيلاً طَوِيلاً طَوِيلاً إِلَى اليَأسِ حَتَّى أَتَيتَ، فَلاَ تَطرُقِ البَابَ، لاَ بَابَ، فَادخُل سَيِّدًا وَتَاجًا لِي، مَفتُوحَةً مُستَبَاحَةً كَمَا تَشتَهِي، تَبدَأُنِي فَأَبدَأُ، لَم أَكُن فَكُنتُ، ابتِدَائِي وَصَحوِي، صَبوَتِي وَزَهوِي، بِكَ اكتِمَالِي وَاشتِعَالِي، تَعَرِّينِي مِنَ القَبِيلَةِ وَالوَصَايَا، فَيرتَمِي ثَدَايَ فِي يَدَيكَ يُرَفرِفَانِ هَشِيمًا قَلِيلاً، وَيَنعَسَانِ شَبَقًا وَبِيلاً، تُشعِلُ الظُّلُمَاتِ فِي جَسَدِي سُهُولاً تَرتَعُ الشُّمُوسُ فِيهَا، تَستَبِيحُنِي حَرِيقًا شَبِقًا يَرعَى الهَشِيمَ، يُضِيءُ رُوحِي، لَيسَت امرَأَةً، قَطِيعُ نِسَاءٍ جَائِعٍ يَأوِي إِلَى جَسَدِي، وَيَستَجدِي يَدَيَّ وَأَعضَائِي تَشُبُّ إِلَيهِ مِثلَ رَاهِبٍ يَرَى اللهَ فَينسَى الصَّلاَةَ، ظَامِئٌ أَزَلِيٌّ يَخَافُ ابتِلاَلَ الشِّفَاه، لَم أَكُن حَيًّا وَلاَ مَيِّتًا لأَعرِفَ لَونَ البُرُوقِ الَّتِي انفَجَرَت بَينَنَا، كَأَنِّي عَلَى غَابَةٍ وُعُولٍ تَجمَحُ بِي عَلَى مَاءٍ، فَأَطفُو فَوقَهَا خَفِيفًا أَلِيفًا، تَمُوجُ أُوغِلُ حَتَّى المُنتَهَى، فَأَقطُفَ الغُيُومَ مِن

سَمَائِهَا، يَنهَلُّ مَاؤُهَا خَمرًا حَلاَلاً لِي، أُحَلِّقُ فَوقَهُ غَرِيقًا تَمتَصُّنِي إِلَى قَـــاعٍ بَعِيدٍ (أَيُّهَا الزَّمَنُ ابتَعِـد عَنِّي لأَبلُغَ سِدرَتِي)، فَأَمرُقَ تُوسِعُ لِي، تُـصَوِّبُنِي لأَبلُغَهَـا، *انتَظَرتُـكَ صَـومًا دَهـرًا، فَـأَفطِرنِي إِلَـى الحَافَـةِ، احتَرَقَت غُصُونِيَ مِن ظَمَإٍ وَرَملٍ، أَنَا المَرأَةُ الآجِلَةُ مِن أَجلِكَ طُوفَانًا يَدخُلُنِي فَيَأخُذَنِي لَه، يُحيِي المَوَاتَ، وَيُوقِظُ النَّومَ الطَّوِيل*

مَرأَةُ الوَقتِ البَخِيل.
صَالَحتُ أَعدَائِي،
عَفَوتُ عَنِ الرِّمَاحِ المُستَحِمَّةِ فِي دَمِي،
رَمَيتُ ذَاكِرَتِي القَدِيمَةَ لِلصُّقُور،
تَوَضَّأَت بِمَائِكَ الأَعضَاءُ،
فَاكتَشَفتُ بِكَ الصَّهِيل.

لاَ جِـــدَارَ، لاَ بَابَ، بَرَاحٌ مُبَـــاحٌ مَفتُوحٌ عَلَيَّ، لاَ يَعرِفُه لَيلٌ وَلاَ نَهَـارٌ، أَنحَنِي لأَرتَوِي كَسَمَاءٍ تَنحَنِي فَوقَ مَـــاءٍ، تَشُدُّنِي، وَتَلتَـــمُّ عَلَيَّ، تُوغِلُنِي فَأُوغِلَ، لاَ وَرَاءَ لِي، إِلَى السِّدرَةِ مِثلَ سَهمٍ وَالِغٍ لاَ يَعرِفُ اليَأسَ، تُوسِعُ لِي تَضِيقُ عَلَيَّ، مَا الَّذِي يَهطِلُ بِي أَيُّهَا الجُنُونُ، ابتَعِد عَنِّي أَيُّهَا الزَّمَنُ، لِي كُلُّهَا، وَشمِي وَنَجمِي، صَهوَتِي وَصَبوَتِي، مُلكِي وَمَملَكَتِـي الَّتِي لاَ تَبـلَى، تَقُـولُ: *أَنَا امـــرَأَةُ الظِّـــلِّ، كُلَّمَـا طَعَنتَـنِي شَهِدتَنِي، فَعَرَفتَنِي، فَكُنتُ- إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ- لَكَ الظِّلَّ وَالمَاءَ وَاليَاسَمِين*، أَقُول: قَيلُولَتِي أَنتِ الَّتِي تَمتَدُّ لِي وَتَلُمُّنِي مِنَ التِّلاَلِ

وَالهَجِيرِ، نَبعٌ لاَ يَغِيضُ أَو يَفِيضُ، ظِلٌّ لاَ يَحُولُ أَو يَمِيلُ عَنِّي، أَنَا المُؤَرَّقُ الأَبَدِيُّ أَسعَى فِي فِجَاجِ الأَرضِ مَسفُوعًا وَمَسفُوحًا أُطَارِدُ طَائِرًا مِن زُرقَةٍ شَهبَاءَ، لَم أَرَه سِوَى فِي الحُلمِ، أَنتِ النَّومُ وَوَردَتِي البَلِيغَةُ، فِيكِ أَقطُفُهَا وَأَنثُرُهَا عَلَى أَرَقِي، فَكَيفَ ضِعتِ مِنِّي كُلَّ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ الظَّالِمَةِ، وَبَينَ ثَدييكِ وَشمِي وَصَوتِيَ القَادِمُ بَيرَقًا نَافِرًا؟ هَل تَأَخَّرنَا طَوِيلاً؟ هَل جَرجَرَ البَربَرِيُّ الأَخِيرُ مَلاَمِحَهُ مِن تُرَابِكِ، أَم بُرهَةٌ عَابِرَةٌ نُسَمِّيهَا الأَبَد؟ سَرَابٌ هَذِهِ الأُرجُوحَةُ المُرَاوِحَةُ بَينَ لَيلٍ وَنَهَارٍ، بَينَ رَملٍ قَاحِلٍ وَحَقلٍ بَهَارٍ، تُرَابٌ هَذِهِ الهَيَاكِلُ الخَاوِيَةُ- بِلاَ رَبٍّ- نَحرُسُهَا مِنَ الرِّيَاحِ وَارتِعَاشَةِ الانهِيَارِ، كُونِي كَامِلَةً مَوفُورَةً أَو لاَ مُتَّسَعَ لِلنِّسيَانِ مَرَّةً أُخرَى، هُوَ النَّجمُ الأَخِيرُ يَجِيءُ فِي وَقتِنَا الضَّائِعِ، دَعِي الأُفُولَ يَأكُلُ الأَوهَامَ فِي الوَرَاءِ، وَارمِي عَلَيَّ مَا سَيَسقُطُ فِي يَدَيكِ مِن ظِلاَلِ القَادِمِين، لَم يَكُن البَرَابِرَةُ التُّرَابِيُّونَ حَلاًّ، وَلاَ القَبِيلَةُ النَّافِقَةُ، مَرأَةٌ تَصعَدُ سَنطَةً عَجفَاءَ، كَي تَرَى- لِلمَرَّةِ الأُولَى- أُنُوثَتَهَا وَهُطُولَ شَهوَتِهَا فِي الأَربَعِينَ إِذعَانًا وَعِشرِينَ أُمُومَةً رِيفِيَّةً، بِكرًا- تَقُولُ- جِئتُ كَي تَفُضَّ خَتمِي، وَتَسكُنَنِي نَارًا صَاهِلَة

إِنَّهَا أَرضِي
أَحرُثُهَا وَأَغرِسُهَا
بِالشُّمُوسِ المُرتَجَلَة.
فَأَقطُفَهَا:
شَهوَةً شَهوَةً مُؤَجَّلَة.

كُلُّ شَهوَةٍ مَرأَةٌ مُكتَمِلَة.
وَكُلُّ مَرأَةٍ أَسرَابُ مَوجٍ هَائِجَة.
وَكُلُّ مَوجَةٍ وَقتِي.

لِمَـاذا

لِمَاذَا تُدمِنُنِي المُفترَقَات؟
كُلُّ الطُّرُقَاتِ مَفتُوحَةٌ عَلَيَّ، لِي،
وَظَهرِي إلَى كُلِّ الطُّرُقَات.
شُمُوسٌ كَثِيرَةٌ تَختَبِئُ فِي جَسَدِي،
وَطُيُورٌ زَرقَاءُ لاَ تُهَاجِرُنِي.
تُكَلِّمُنِي، وَتُغَنِّي لِي.
أنَامُ فِي غِنَائِهَا، وَلاَ تَنَام.

أنَا مُفتَرَقُ الأوقَات.
لاَ وَقتَ لِي.

صَخرَةٌ فِي هَزِيعِ الفُصُـول.
تَخزِنُ الرِّيَاحَ وَالشَّهَوَاتِ الغَامِضَة.
كَصَرخَةٍ صَامِتَةٍ فِي مَفرِقِ الذُّهُـول.
صَخرَةٌ صَارِخَةٌ عَلَى صَمتِ الأُفُـول.

فَلِمَاذَا تَضِيقُ العِبَارَةُ وَالوَقت.
لِمَاذَا يَضِيقُ عَنِّي الجَسَد؟

حَقلٌ خَصِيبٌ لاشتِجَارِ الشَّهَوَاتِ النَّافِرَة.
أرضٌ تُنبِتُ الرَّغَبَاتِ الجَائِرَة.
سَمَاءٌ مِن طُيُورِ الأرَق.
جَنَاحٌ بِلاَ رِيشٍ، وَفَضَاءٌ بِلاَ أجنِحَة.

فَمَن يَطلِقُ- مِن جَسَدِي- الصَّرخَاتِ النَّابِحَة؟

هَكَـــذَا

صَحوٌ جَارِحٌ، وَظَهِيرَةٌ رَأسِيَّةٌ لاَ تَمِيل (مَن يكُفُّ الشَّمسَ عَنِّي بُرهَةً أجلُو بَصِيرَتِي الفَاتِرَة، أو أُمَشِّطَ شَعرِي بِالرِّيَاحِ الغَابِرَة؟).
لاَ لَيلَ لِي، وَلاَ نُعَاس.
مُنتَصِبٌ عَلَى قَارِعَةٍ ضَائعَةٍ، مِثلَ ذَنبِ شَرِهٍ أو خَطِيئَةٍ بَرِيئَة.

مُنتَظِرٌ لَحظَتِي المُضِيئَة.

لاَ سِهَامَ فِي جُعبَتِي.
صَوَّبتُهَا جَمِيعًا إلَى كَبِدِ كَائِنٍ غَامِضٍ (لاَ اسمَ لَه عِندِي).
نَفَدَت وَمَا نَفذَت.
قَبضَةٌ خَاوِيَةٌ عَلَى عَرَاء.

هَبَـاءٌ أم بَهَـاء

ظِلِّي إلَى الوَرَاءِ جُثَّةٌ طَوِيلَةٌ بِلاَ أكفَان (لَيسَت الشَّمسُ فِي مُوَاجَهَتِي، وَلاَ القَمَرُ فِي رَأسِي).
فَلِمَن تِلكَ الجُثَّةُ الطَّوِيلَةُ فِي الأمَام؟

لاَ نَدَمَ، سَيِّدَتِي، وَلاَ عَزَاء.

لَم نَقطُف الوَقتَ فِي وَقتِه، وَنَسَينَا المَوَاسِمَ حَتَّى تَخَثَّرَ فِينَا، وَأدرَكَه العَطَن.
فَادفِنِي الجُثَّةَ مِن سَاعِدَيكِ بِأقرَب مَقبَرَةٍ قَادِمة.
لاَ أطلاَلَ، لاَ رِثَاء.

أُسَمِّيكِ قَيلُولَتِي (قَيلُولَةٌ مَثقُوبَةٌ بِالطَّعنَاتِ الصَّدِئَةِ، رَاضِيَةً مَرضِيَّة).
كَيفَ أنَامُ فِيكِ، وَالطَّعنَاتُ تَستَيقِظُ فِي جَسَدِي؟

مَن يَنتَزِعُ الخِنجَرَ المَسمُومَ مِن لَحمِ الذَّاكِرَة؟

مَن الَّذِي قَتَلَ النِّسيَانَ وَالنَّوم؟

آه، يَا أُمِّــي.

مُترَعٌ بِالرُّعبِ وَالرَّمَاد.
أمشِي عَلَى هَوَاءٍ مَرِحًا، فَخُورَا.
مَن يُشبِهُني؟
سَأعرِفُـ بَعدَ هَاوِيَةٍـ كَيفَ أختَرِعُ نَفسِي، وَأكتَشِفُ ضَلاَلاَتٍ مُلَوَّنَةً تَلِيقُ بِي. سَأقُولُ لِنَفسِي: مَا فَاتَ مَات. أقُولُ لِلنِّسيَانِ: كُن، فَيَكُون.
وَأمشِيـ عَلَى بُكَاءٍـ مُتَوَّجًا بِالحِدَاد.

أيَّتُهَا التَّوَارِيخُ، اخرُجِي مِنِّي قَلِيلاً، لأتَّسِعَ لِي قَلِيلاَ.
ضَيِّقٌ كَثُقبِ إبرَةٍ عَلَى نَفسِي. لاَ أنفُذُ مِنِّي.
مَحشُورٌ فِيَّ بِلاَ ثُغرَةٍ طَيِّبَةٍ تَرأفُ بِي (مَا الَّذِي يَنتَظِرُنِي خَارِجِي؟ أهوَ جَدِيرٌ بِي؟).

لاَ أنحَنِي، وَلاَ أنكَسِر.
فَارِغٌ، عُشًّا لِلرِّيَاحِ وَالعَوَاصِفِ المَوسِمِيَّة. أُطعِمُهَا وَأُغَنِّي لَهَا. تَنَامُ عَلَى صَوتِيَ الوَثِيرِ حَتَّى لَحظَةِ الجُنُونِ المَوعُودَة.
تَهُبُّ فِيَّ، لاَ أنكَسِرُ وَلاَ أنحَنِي.

عَلَى ظَهِيرَةٍ قَائِظَةٍ أُغَنِّي غنوَةً بَاهِظَةً بِلاَ كَلاَم. مَا حِيلَتِي؟ فَكَم رَصَاصَةً سَأحتَاجُ لِقَتلِ كُلِّ هَذَا الصُّوَاتِ؟ كَم مَقبَرَةً تَتَّسعُ لِهَذِه الشِّقشَقَةِ البَقبَقَةِ الهَمهَمَةِ الغَمغَمَةِ الجَمجَمَةِ الحَمحَمَة؟ تَقُولُ: أنتَ صُدفَتِي، خَرَجتُ مِن صَدَفَتِي عَلَى صَوتِكَ عَارِيَةً لَكَ مِن إذعَانِي وَأُمُومَتِي. جَسَدٌ لُغَةٌ أخرَى، أبجَدِيَّتُهَا شُهُبٌ وَنَيَازِكُ وَكَهرُبَاء. قُلتُ: لاَ أدرِي، أنَا الطِّفلُ الضَّالُّ، أمِّي بَعِيدَةٌ بِأربَعِينَ هَاوِيَةٍ أو مَتَاهَة، وَطَرَفُ الخَيطِ فَرَّ مِن يَدِي إلَى النِّسيَانِ (لاَ أسَى، وَلاَ اعتِبَار). مِزحَةٌ عَارِضَةٌ كغيمٍ يُؤَرجِحُهَا الهَوَاءُ بَينَ وَقتَين. مَتَى تَتَّسِعِينَ لِي، أيَّتُهَا الضَّيِّقَةُ بِرَمَادِ الوَصَايَا وَالتَّعَالِيم. كَلاَمٌ هَشٌّ هَشِيمٌ لاَ يُورِقُ غَيرَ أشبَاحِ الغُبَار. أيَّتُهَا الضَّيِّقَةُ بِالمُغتَصِبِ الرَّحِيم، مَتَى؟ لاَ وَقتَ لِي. كَصُدفَةٍ تَجرِي عَلَى قَضِيبَينِ حَدِيدٍ لاَ يلتَقِيَان. مَوعِدُنَا الحَاقَّةُ القَادِمَةُ (كَامِنَةٌ تَحتَ سَرِيرِ السَّهوِ، سَاهِيَةً أو مَيِّتَة)، وَذِرَاعَايَ جَنَاحَان مَنشُورَانِ مِن غَرَابَةٍ زَاهِيَةٍ، مُعَلَّقَان عَلَى فَضَاءٍ غَائِبٍ وَرِيحٍ نَائِمَة. كَم صُدفَةً سَأحتَاجُ كَي أُشعِلَ أحطَابَ المَسَافَةِ الغَائِمَة؟ مَن يُوقِفُ الأُرجُوحَةَ المُرِيحَةَ تَحتَ ظِلِّي سَاعَةً أو دَهرَا؟ شَهقَةً أو حجرَا؟ فَأُعِيدَ تَرتِيبَ التَّوَارِيخِ فِي جَسَدِي، وَأغفُو أبدًا فِي الهَدِيل

سَـيِّدَ الوَقتَ القَتِيـل

❖

كَأَنَّهَا نِهَايَـــةُ الأَرض

(2000)

كَأَنَّهَا نِهَايَــةُ الأَرض

تَقُول: "صَبَاح الخَير"
يَنشَقُّ مُنتَصَفُ الليـل
عَن نَهَـار.

تَقُول: "مَسَاء الخَير".
يَبِينُ الخَيطُ الأبيَضُ مِن الأسوَد؛
أمضِي
مُتَوَّجًا بِالشُّمُوسِ وَالأقمَـار.

عَــرَاء

تَأتِـــي:

مُدَجَّجَةً بِالمَرَاثِي وَالمَوَارِيثِ وَالأُمُومَةِ وَالبَربَرِيِّ الأخِير.
تُرَبِّيهِم فِي الذَّاكِرَةِ، تَرعَى خُطَاهُم فِي جَسَدِهَا أَطرَافَ النَّهَار، تُهَدهِدُ أحلاَمَهُم الوَثَنِيَّةَ آنَاءَ اللَيلِ، يَنَامُونَ فِيهَا، لاَ تَنَامُ الصَّرخَاتُ وَالمَجَانِيقُ وَالسَّنَابِكُ، الأَسوَارُ مَلغُومَةٌ بِالحُرَّاسِ الشَّاهِرِين، نَفِيرٌ ضَالٌّ أم نَفخَةُ صُور، مَن القَادِمُ المُرِيب؟ تُرُوسٌ مَنثُورَةٌ، مَركَبَاتٌ مَكسُورَةٌ، والخُيُولُ- نَافِقَةً- تَعلِكُ الوَقتَ وَالرَّمَاد، أيُّهَا اللَيلُ اللئِيمُ، مَا حِيلَتِي؟ مِن أينَ يَأتِي الهَدِيل، دُخَانٌ سَامٌّ، أشيَاءٌ مَبقُورَةٌ، مَتَى كَانَت اليَقَظَة؟ أم النُّعَاسُ مَملَكَتِي الشَّاغِرَة؟ نَامُوا إلَى أن يَشبَعَ النَّومُ، سَاهِرَةٌ عَلَى أحلاَمِكُم، أرعَى الطَّعنَاتِ البَائِرَةَ، تَصحُو وَتَغفُو طَوِيلاً، وَأُغَنِّي غُنوَةً عَتِيقَة

أنَا المَرأةُ الغَرِيقَة

أَنَامُ دَهرًا مِن خَرِيـــف
وَأصحُو غَابَةً طَلِيقَـــة

مُتخَمَةً بِالعَوِيلِ وَالنِّسيَان، مِن أينَ جَاءُوا، مَتَى؟ وَذَلِكَ الزَّوجُ الجَهَنَّمِيُّ، أيُّهَا الغَرِيبُ، مَا أتَى بِكَ بَينَ ثَدِيَّ، فِيَّ، أيُّهَا الغَرِيمُ، جَسَدِي مَملَكَةٌ عَلَى هَاوِيَةٍ، تَدخُلُنِي فَلاَ تَدخُلُنِي، فَمِن أينَ ابتِلاَلِيَ المَوقُوت، كَأنِّي سَرَابُكَ السُّرِّيُّ لاَ تَبلُغُنِي، فَأنحَنِي عَلَى الوَقتِ طِفلِي اليَتِيمِ، يَقطُرُ فِي فَمِي العَزَاءَ وَالسُّدَى

قَطرَةً مِن رَمَـــاد
وَ
قَطرَةً غَـــــدا

يَعبُرُهَا فِي انخِطَافِ الوَقتِ بَينَ قَوسَين، لاَ يَدرِي، مَطرُوحَةً، مَفتُوحَةَ الأَبوَاب، مُشرَعَةً عَلَى انتِظَارِ آسِنٍ، بِاسمِ الله بَاسِطِهَا، طَعنَةً فَطَعنَةً، **أنت مَملَكَتِي المُستَبَاحَةُ، اللذَّةُ المَجَّانِيَّـةُ الأُولَى، وَسيِّدَةُ فَرَاغِـي؛ كُلمَا طَعَنتُك اقتَصَصتُ من الوَقت وَالخَـوَاء، عَلَى أبرَاجِك أعلاَمِـي وَشَارَاتُ مُلكِـي، آهَـةً فَآهَـةً، عُوَاءٌ منَ القَـاعِ البَلِيل، فَانتفَاضَةٌ فَاغِـرَةٌ إِلَى الفَرَاغِ الفَـرَاغ**، أنَا العَاهِرَةُ الشَّرعِيَّةُ، وَالشُّهُودُ أبِي وَأُمِّي وَأبنَاءُ السَّبِيل، وَلِيمَةٌ مِن جَسَدٍ لاَ تَشبَعُ أو تَفنَى، لِمَن ابتَنَى لِي الوَهمَ أطفَالاً مِن اليَاقُوتِ وَالحَبَّهَان، أطيَارًا مِن الرَّغبَةِ المَارِقَة، لَه ابتِلاَلِي كُلمَا رَاوَدَته الفَكرَةُ الطَّارِئَةُ أو الخَوَاءُ الكَظِيم

مَرأةٌ حَمِيـــم

مَفتُوحَةٌ لِمَا يَجِئُ بِه الغَيث:

نَجمَةً رَاكِـــدَة،

أو

مُوَاءً أَلِيـــم.

أنَا امرَأةُ الصِّـــراطِ المُستَقِيم

أنسَلُّ إلَى غَابَةِ الوَهمِ قَلِيلاً مِن السَّلوَى الخَفِيفَةِ وَالمُرَاوَغَةِ الطَّفِيفَةِ، حَتَّى يَنتَهِي، **فَهَل تَكفِي بِحَارُ الأَرضِ لاغْتِسَالِي**، أَيُّهَا العَابِرُ جَسَدِي كُل آنٍ، جَسَدِي سَاهِرٌ لَكَ مَفتُوحٌ، فَلاَ تُوقِظِ الغِفلَةَ وَالنِّسيَان، كُلُّ مَا تَشَاءُ، لاَ بَهجَةَ أو أسَى، كَمَاءٍ فَاتِرٍ فِي فَمِي، رُبَّمَا أدرَكَنِي اليَأسُ وَالنَّشوَةُ رُبَّما، أو رُبَّمَا، لاَ بَأس، هَكَذَا، فَمَتَى مَتَى؟ عَلَى حَافَّةٍ عَمَاءٍ أُرَاوِحُ أو أُرَاوِدُ الزَّمَنَ العَصِيَّ، هَل مَا ضَاعَ ضَاعَ، جَسَدٌ يَعبُدُ التَّعَالِيم، كُلمَا نَدَّت شَارَةٌ تَدَاعَى للرُّكُوعِ الحُر، تَارِيخٌ أنَا خَطَّه البَربَرِيُّ الأَخِيرُ 3650 شَهوَةً حَامِضَةً، رَغْبَةً مُجهَضَةً، دَفقَةً خَاثِرَةً بَينَ **لاَ** و **نَعَم**

لَحظَـــةٌ عَـــدَم

مُعَلقَةٌ فِي فَرَاغِهَا الرَّمَادِيِّ بِوَهمٍ، كُلمَا شَدَّه أَرخَيتُه، كُلمَا أرخَاه بَكَيتُ خَيبَتِي وَضَيَاعِي، أنَّت الأَعضَاءُ للطَّعنِ، وَحَنَّ للنَّهبِ الجَسَـــد

أحَـــــدٌ

أحَـــد

يُبَعثِرُني فِي المُفترَقَاتِ، خَيطِي فِي يَدِه، كَأَنَّه لاَ يَدرِي، أو كَأَنَّني، لاَ أشَدُّه، لاَ أقطَعُه، أتَسَلى بُرهَةً بالوَقتِ، أصنَعُ مَا تَيَسَّرَ مِن خُزَعبَلاَتٍ، أنفُخُ فِيهَا مِن رُوحِي وَردَةً فَاتِنَةً مُؤَجَّلَة

أنَا المَرأةُ الآفِـــلَة

أتَلَهَّى بِالهَبَاءِ البَهِيجِ، إلَى مَتَى؟ أو يَشُدَّ الخَيط، مَوصُولٌ بِالسَّرِيرِ، أم بِسَرِيرَتِي، أيَّتُهَا الرَّغبَةُ الظَّالِمَةُ: انفَجِرِي فِيَّ، كَي أجِدَ العَزَاءَ العَذبَ وَالتَّبرِير، أنتِ نَجمَتِي الضَّالةُ أو شَمسِي الضَّائِعَة

جَسَـــــدِي مُتخَـــــم
وَرُوحِـــــي جَائِعَـــــة

فَمَن يَعقِدُ الصُّلحَ بَينِي وَبَينِي؟ خَصِيمَان لَدُودَان حَمِيمَان، بَينَنَا دَمٌ وَوَردَةٌ ذَابِلَةٌ فِي مُفتَرَقِي، كُلمَا ظَمِئتُ أهرَقتَنِي إلَى الرِّمَالِ ملحًا يُنبِتُ الحَنظَلَ وَالذِّكرَى الغَادِرَة

دَمٌ ،
وَردَةٌ غَائِـــرَة.
يَقطُفُنِي مِنهَا قَبلَ صَيحَةِ الدِّيك
فِي اللحظَةِ العَابِـــرَة.
وَيَترُكُنِي:
جُرحًـــا عَلَى أُفُـــق،

أرَقًـــا عَلَى أرَق،
أنَا الفَرِيسَـــةُ المَاكِـــرَة

نَصَبتُ مِنِّي شَرَكًا، أغمَضتُ نَفسِي فَلاَ أرَى، أيُّهَا الصَّائِدُ الأعمَى، لِمَاذَا؟ صَائِدِي أم صَيدِي؟ فَرِيسَتَانِ نَحنُ لَنَا، أم لِلثَّالِثِ المَرفُوعِ بِالضَّمِّ، نَلتَقِي عَلَى فِكرَةٍ سِرِّيَّةٍ تَخدَعُنَا، وَتُسلِمُنَا إلَى الشُّرطَةِ عَورَتَين عَارِيَتَين، إلَى الخَازُوقِ وَالتَّجرِيس، فَالحَبلِ المُدَلى مِن سَمَاءِ اللهِ، لِمَن الأُنشُوطَةُ فِي طَرفِه السُّفلِي؟ لاَ بَابَ زُوِيلَة لاَ الفُتُوح، فَمَن المُعَمَّم؟ لاَ، مُعَلقَان تُؤَرجِحُنَا الرِّيَاحُ عَلَى هَاوِيَةٍ فَاغِرَةٍ تَخُضُّنَا، تُفرِغُنَا مِن الذِّكرَيَاتِ وَالتَّوَاطُؤِ المَذعُور، بَندُولَين يَرتَطِمَان، يَفتَرِقَان، وَالوَقتُ غَرِيب

ذِئبٌ عَصِيب.
يَقتَفِي دَمَنا المُقَسَّم
بَينَ أشجَارِ التَّعَالِيمِ
وَوَهمِ المَملَكَة.
يَعقُرُنَا عَقرَتَين،
يَمضِي إلَى أُفقٍ مُرِيب؛
فَتَنفَجِرَ الرَّقصَةُ الحَالِكَة.
قَفزَةٌ فِي الهُرَاء،
اثنَتَان.
جُمجُمَةٌ، وَعَظمَتَان.
تَاجُهَا: صَرخَةٌ هَالِكَة.

أنَا المَــرأةُ الشَّـــــائِكَة

تَاجِي: الحَيَّةُ الرَّقطَاء

صَولَجَانِي: العُوَاء

لاَ يَسمَعُه سِوَاي وَالَبرَبرِيُّ فَوقَ سُرَّتِي، فِي مُنفَرَجِي يَطعَنُنِي إلَى مَطلَعِ البُكَاء، مَاءٌ عَلَى مَاءٍ، نَجمَةٌ فِي سَمَاءِ الغُرفَةِ الوَاطِئَة، لاَ أُمسِكُهَا، تَرُوغُ فِي الأركَان، يَطعَنُنِي، نَجمَةٌ خَاثِرَةٌ أم نَجمَتِي الضَّالة، أعدُو وَرَاءَهَا إلَى الحَقلِ القَرِيب، قَصَبٌ، أم ذُرَةٌ شَاهِقَةٌ تَحتَوِي طُفُولَتِي؟ تَرمُقُنِي، فَيَطعَنُنِي، وَيُوغِل، يَا الله، كَيف، إلَى أين، يَسُوخُ، مِن أينَ الفَحِيح؟ أعدُو قَابَ قَوسَين، مَطَرٌ دَافِئٌ يَسِيلُ لاَ يَنهَلُّ، ألعَقُه، وَأعدُو خَلفَهَا، هَل مَاتَت الكَائِنَاتُ، لَدُودَان مُنفَرِدَان بِالكَونِ، رَقصَةُ المَوتِ حَتَّى المُنتَهَى، فَأين رَاحَت أيَّتُهَا الحُقُولُ وَالجَوَامِيسُ المُجَنَّحَةُ، أيَّتُهَا النَّجمَةُ الجَارِحَةُ، لاَ فَرَاشَات بَعدَ اليَوم،

لاَ طُفُولَة،

لاَ عَصَافِير،

شَاخَ الزَّمَنُ دفعَةً وَاحِدَةً، بُومٌ وَفِئرَانٌ وَسَحَالِي مُبَرقَشَةٌ، أطلاَلٌ بِلاَ بُكَاءٍ أو حَنِين

فَادخُلُوا

آمِنِيـــــن

أنا البربَريُّ الرَّحِيـم

أحمِلُ فِي جُعبَتِي سُلاَلَتِي البَائِـــدَة
أحمِلُ فِي سَرِيرَتِي وَردَةً رَاكِـــدَة
أحمِلُ فِي دَمِي النُّطفَـةَ الكَاسِـدَة

أُديرُ ظَهرِي لِلنَّوَاعِيـرِ النَّاعِقَةِ وَالفُصُـولِ الفَارِقَة، سِهامٌ كَلِيلَـةٌ وَبَصِيرَةٌ قَلِيلَة، أمضِي إِلَى مَدَائِنِ اللهِ الصَّاخِبَـة، *أُصَلِّي رَكعَتَين استِخَـارَةً*، إِلَى الشَّمَالِ الشَّمَـال، أَنَا البِدَائِيُّ الجَهُـولُ أقتَرِفُ اللُّغَةَ الصَّعبَةَ، أخطُو عَلَى شَظَايَا جَارِحَـة، أغرِسُ الحُرُوفَ المَسـنُونَةَ فِي لَحمِي، تَشبُّ بَيتًـا وَمَرأةً وَبَنِيـن، *زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنيَـا*، سَيَأتُونَ سَيَأتُون بَعدَ أَلف شَـظِيَّةٍ أُخرَى، وَعُمرٍ مِنَ الرَّمـلِ وَالحُرُوب، انتِصَارِي القَادِمُ قَـادِمٌ، أَنتِ أَنتِ، أَيَّتُهَا المُهرَةُ الرَّاكِضَـةُ فِي المُرَاهَقَة، كَامِنٌ مُستَتِرٌ وَرَاءَ البَـالِ، وَرَاءً وَرَاءً،

سَاعَتي آتيَـةٌ لاَ رَيبَ حَتَّى مَكمَني،
فَاركُضـي، بَينَنَا حَبـلٌ سُرِّيٌّ وَدَمُ السُّلاَلَة البَائـدَة، سَهَوتُ عَنك كَي
تَكتَملي لِي، تَركُضيـنَ عَلَى مَاء مُطيعٍ لاَ يَنثَني، *عَلَى الحَافَّة وَاقفٌ*
مَخفُـورًا بِمَا سيجيء، أمُدُّ الحَبلَ، أُرخيه، *لاَ أُفلتُـه*، كَأنِّي غَائبٌ أو
غَيمَةٌ خَارِجَ الدَّائـرَة، *مَن يُبصر الأُنشُوطَةَ وَاللِّجَـامَ، لاَ سَرجَ، مَن يَرَى*
مَا سَيَجـيءُ فِي لَحظَتِي المُبَاغتَة؟
عَلَى سنَامِ زَمَـنٍ مُنتَصبٌ، أرَى مَا أرَى، رهَـاني العَشوَائيُّ زَمَـنٌ دَاجنٌ
يَلقُطَ الحَبَّ من يَدِي، فَيَأوِي لِي، أقُولُ: كُن صَهـوَتي إلَى صَبوَتِي، كُن
رَفيقـي فِي طَرِيقِي، فَيَكُون، وَئِيداً وَئِيـداً، يَدُسُّ فِي يَدِي خَاتمَه،
يُقَلِّدُني الصَّولَجَـان

وَردَةٌ سَـودَاء وَعَظمَتَان؛
كُلُّ عَظمَةٍ: بُرهَـــان؛
كُلُّ بُرهَان: ضِحكَةٌ آفِلـةٌ
وَامتِحَـــان؛

فَانثُر عَلَى سَطحِ المِيَـاه طُيُورَكَ الرَّقطَاءَ تَرعَى الزَّبَـدَ الصَّافي، تَسُوقُ
السَّرَاطِينَ إلَى سِردَابكَ السِّـرِّيِّ سَاعَةَ الخُسـرِ، رَسُولٌ سَائِغٌ سَاغِبٌ لَه
السُّـؤَالُ المُستَحِيلُ وَسَـورَةُ الجَسَد الحَسِير، اغْرِس سِهَـامَكَ فِي
السَّدِيمِ السَّهلِ سَيسَـبَانًا وَبَانًا يَسلُبُ السَّبِيلَ من السَّائِرين سـر إلَى
السِّرِّ سَـرِيعًا سَافِراً لاَ بَأسَ مُستَوفزاً سَـرَابٌ سَابِغٌ سُؤَالٌ عَسِيرٌ لاَ
تَستَدِر وَاسحَب من الأسفَـار سَيفَكَ السَّـامِرِيَّ وَاستَلِب السَّـرَابَ إلَى
سِـربٍ من النُّسُورِ السَّائِمَة تَغسِلُ السَّـرِيرَةَ فِي السَّعِير المَرِيـرِ المُر

هَكَـــــــذَا

أعقدُ الحَبـلَ فِي معصَمِهَا، *لاَ تَرَاه*، ابنَتِي مُهرَتِي القَادمَـةُ، أُطلقُهَا فِي
مِيَاه أُسَوِّرُهَا بفطنَتِي الفطريَّـة، مَبلُولَةً لاَهِثَـةً تأتِي إِلَى حضنِي، فِي
زَمَنٍ قَادمٍ تَأتِي مَبلُولَـةً لاَهِثَةً تَحتِي، أُغَطِّي طُفُولَتَهَـا برَحمَتِي، *تَستَنِيمُ
لِي، تَستَغرِقُ، تَغـرِقُ*، اغرِسِي فَسَائِلَ الحُلـمِ تُنبِت النّسـرِينَ
وَالخشـخَاشَ وَالوَهمَ القَلِيـل، أَنَا سَيِّدُ الزِّرَاعَـة وَالفُصُولُ قَطِيعِي، لُعبَـةٌ
هِي لُعبَةٌ، فَامرَحِي وَتَرَاقَصِي فِي الضَّـوء، غَدُنَا أمرٌ بلاَ خَمـرٍ، أربطُ
الحَبلَ فِي وَتَـد، أغرِسُ الوَتَدَ فِي انتصَافِ السَّـرِيرِ أَبَدًا، لتَقضُمِي
عُشبَ الذِّكرَيَـات، حَشَائِشَ انتظَارِي إِلَى المَسَـاء، واشتِهَاءَ قَفزَتِي
الخَاطِفَة، قَضمَةً قَضمَـةً، لاَ تَفنَى وَلاَ تُشبِـعُ،
دُورِي فِي المَـدَارِ،
أَنَا مَركَزُ الدَّائِـرَةِ الأَبدِيَّة

لَحظَةٌ صَاعِقَـــة.
لاَ مَوتَ،
لاَ حَيَاة.
أَيَّتُهَا المُهرَةُ المَارِقَــة؛
أنت آنِي،
وَانفِرَاجَتِي إِلَى الأَبَد.
سَاحَتِي المُستَبَاحَــة،
وَقتِي الزَّبَـــد.

كَلمَا أمسكتُه
فَرَّ فَارعـًا
إلَى الجِهَات الفَارقَـة.
وَرَمَانِي فِي البَدَد.

وَاحِـدٌ،
وَحِيـد.
طَلَلٌ آدَمِيٌّ مِن الغُبَـارِ القَرَوِي،
وَصَرخَـةٌ عَالِقَـــة.

فَلمَاذَا، كُلمَا شَدَدتُ الحَبلَ تَبتَعـدين،
أمتَطِيك إلَى وَهـمٍ، أم أمتَطِي الزَّمَنَ الخَئُـون، قَطرَةً قَطرَةً إلَى رَملٍ
خَيَالِيٍّ، لاَ مَفَـر، سَنَلتَقِي فِي الليل، نُطلقُ الطُّيُـورَ الحَبِيسَةَ فِي الأعضَاء
إلَى فَضَـاء مَنِيع، لجَامٌ وَلاَ سَرْج، طَعَامي الليـلِيُّ وَلِيمَتِي، وَإفطَارُ
صِيَامِي المَوصُـول، تَنتَظِرِينَ عَلَى حَافَّة شَهوَتِي، بَلِيلَةً جَائِعَـةً، لاَ
مُرَاوَدَة، جَسَدٌ طَـازِجٌ دَعوَةٌ فَاضِحَةٌ إلَى النَّهب، مُفتَرَقٌ شَبِـقٌ إلَى
اللمسَة الأُولَى، مُحتَـرِقٌ إلَى اختِرَاقِه،
تُوسعِين لِي إلَيك فِيـك،
من أين الأنينُ، هَل بَلَغتُ القَاعَ وَانتَهَى الشَّـوطُ،
جَسَدٌ شَـاسِعٌ وَشَهوةٌ قَصِيرَةٌ أُطلقُهَا- كُل صَحـوَة- فِي الرَّحمِ المُبَـاحِ،
ضدَّ الوَقت وَالمَوت، وَالخَوَاء وَالعَنَـاء، وَالعَوِيل وَالهَدِيـل، وَالنَّهَار
وَالشَّجَـار، وَالكَلاَمِ وَالأحـلاَمِ، وَالثِّيَاب وَالكلاَب، وَالنِّفَـاق وَالطَّلاَق، وَشَارَةُ
المُلك **اللِّجَـامُ**، وَلعبَتِي مَعَهَا **الزَّمَن**

جَسَـــدٌ: وَطَـــن

أدُقُّ فيه وَتَـدي، وأَنشُرُ خَيمَتي، *فَوقَهَا تُرفرِفُ خَيبَتِي*،
أَنَـامُ أصحُو، أُنجِبُ البَنِيـنَ، طَعَامِي وَشَرَابِي، لَهوِي وَزَهـوِي، أَدُسُّ
فِيهِ سَأمِي وَكَلاَمِي، مَسَرَّتِي وَأَسقَـامِي، فَالخَارِجُ مَوتٌ هُرَاءٌ *كَأَنَّه*
الحَـرَامُ، مَا الذِي يَقُولُه الصَّمتُ وَالجَسَدُ الخَـاضِعُ؟
لُغَةٌ أخرَى خَادِعَـةٌ بِلاَ أبجَدِيَّة، لَم تَقُل لِي السُّـلاَلَةُ وَالمَوَارِيثُ، لَم تَقُل
لِي الهَندَسَـةُ الفَرَاغِيَّةُ، لاَ أعرِفُ مَا يَنأَى، كَأَنَّه ظِلٌّ غَيمَةٍ عَابِـرَةٍ أو
صَدًى صَدِئ، كَأَنَّـه، لاَ أدرِي،
مَا الذِي يَنسَرِبُ رُوَيداً رُوَيـداً، لَكِنَّهَا مُهرَتِي تَحتِي كَمَـاءِ بُحَيرَةٍ، لاَ
مَوج، أَنَا الفَاعِلُ أَبَـداً، وَحَبلُهَا يَرتَخِي، طَرفُه فِيهَا لاَ تُفلِتُـه،
كُلُّ مَا كَانَ يَكُون، مُنتَظِرٌ عَلَى الحَافَّـة، لاَ يَأسَ أو مَلاَم، شَهوَةٌ مُدَبَّبَةٌ
ستَأتِي شِهَابًـا وَنَيَازِكَ مَسعُـورَةً تَدمِي،
مَا الذِي يَطرُقُ البَـال؟ نَزوَةٌ عَارِضَةٌ، أَنَا الوَتَدُ الأَبَـدِيُّ، مُنغَرِسٌ بِالقَاعِ،
فَاجلِس عَلَى شَاطِئِهَا، وَمَدِّد السَّـاقَين فِي المَاءِ،
كُلُّ آتٍ سَيَأتِي رَصَاصَـةً أو يَمَامَة

فِي التَّأَنِّـي : السَّـــلاَمَة
فِي العَجَلَة : النَّدامَـــــة

سَتَضرِبُهَا الشَّهـوَةُ بَعدَ حِين، تَسُوقُهَا مَحلُولَـةً، مَكسُورَةَ العَيـن،
تَتَسَوَّلُنِي مِن النَّـومِ المُفَاجِئ، هَل أُحصِي نُجُومَ الليـلِ، أم أُرَبِّي فِي
الفَرَاغِ المَاعِـزَ الوَهمِيَّ مِن أجلِ الذِّئَاب

لَيلَةٌ مِن تُـرَاب.

أُحَادِثُ الهَبَـاءَ العَذبَ،

أُجَادِلُ الغِيَـاب.

لِمَـاذَا؟

كَيـف؟

هَـل؟

مَتَـى؟

مَـن

يَشُدُّ حَبـلَ الزَّمَن؟

يَتَرَاااااااااااااااا

خَى

يَتَـ

رَاااااااا

خَـــــــــــى

ثَابتٌ صَـامتٌ،

مَتَى تَكُفُّ الأَرضُ عَن دَوَرَانِهَـا، مَا الذي يَصعَدُ فِي الرَّأس عِندَ النَّـومِ،

زِئبَقٌ يَفُورُ أطفُـو فَوقَه قَشَّةً بلاَ رِيَـاح، *لاَ شرَاعَ لِي، لاَ دَفَّة لاَ مجـذَاف*،

إِلَى بَرَاحٍ نُبَـاحٍ، مَا الذي يَعقُرُنِي؟

دَعُونِي دَعُونِي طَافِيًا نَائِمًـا،

فَنَومِي رَحمَةٌ رَحبَـةٌ، وَصَحوِي ابتِـلاَء

سَيِّد العَـــزَاء

فِي يَدِي المَوَاقِيتُ الجَـاهِلَة.
فِي خُطَاي غُربَةٌ ذَاهِلَـة .
فَاترُكُونِي:

سَيِّدَ الشُّمُوسِ الآفِلَـة؛

لاَ أُفُـولَ لِي،
بَرزَخٌ يَعبُرُنَا *طُولُه 730* قَذفَـةً مُهدَرَةً، تَتَنَـاءَى، كَأَنَّي مَا فَضَضتُ الخَتـمَ، وَامتَطَيتُهَا إِلَى البِلاَد العَارِبَـة،
حَنظَلٌ وَشَوكٌ يَنمُـو، فَمن أين البُذُورُ؟ غَفوَةٌ أم غِفـلَةٌ؟ فَرَّت الأَبجَدِيَّةُ مِن بَدَنِي، وَالسُّـؤَالُ تَاجِي الشَّوكِيُّ، مَن يَرمِي لِي كِسـرَةَ ضَوءٍ أو كَلاَمٍ،
أَنَا البَربَـرِيُّ الفَقِيرُ، فِي المُفتَرَقَاتِ ضَاعَت، مَن يَدُلُّنِـي؟ أعمَى بِلاَ عُكَّازٍ أو بَصِيـرَة، أَيُّهَا الزَّمَنُ رِهَانِـي، هَل تَخُونُنِي؟ لاَ صَـلاَةَ لاَ أوراَد، أَيَّتُهَا السُّلاَلَـةُ البَائِدَةُ، المَوَارِيثُ الرَّاكِـدَةُ، الشُّمُوسُ الحَاقِـدَةُ، البَرَارِي الكَامِدَةُ، الأَبجَدِيَّةُ الفَاسِـدَةُ، المُهرَةُ الكَاسِـدَةُ، كَذَبتُمُونِي، أَيُّهَا الخَبِيثُـون، أَسلَمتُمُونِي، لاَ رَغبَةً لاَ نَكَايَـةً، عَلَى حَافَّةِ هَاوِيَةٍ يَشُدُّنِي قَاعُهَا القَرِيـرُ، يُومِئُ لِي، يَعـرَى لِي عَن السَّاقَين فَالفَخذَين فَالبَطنِ الشَّـهِيِّ،
أَنَا المَغـرُوسُ لاَ أَمِيلُ، ظِلِّي مَمدُودٌ عَلَيهَا إِلَى آخِـرِ الأَرضِ، مَكمَنِي، فِردَوسِيَ الضَّـالُّ،

كَأنَّ شَيئًا لاَ يَكُـونُ، كَأنَّه مَا كَانَ، لَن يَكُـونَ،
كَصَخرَةٍ عَلَى الصِّـرَاطِ لاَ تَمِيلُ عَنهَا الحَوَادِثُ وَالرِّيَـاح

لاَ أُشـــبهُ الليـــل،

وَلاَ يُشبِهُنِي صَبَـاح.

قِنَاعٌ غَابِرٌ لِلَحظَة عَابِـرَة، أَضَاعَته قَافِلَةٌ آفِلَـةٌ قَبلَ الخَلِيقَة،
مَن يَرُدُّنِي إِلَى آلائِي الأُولَى
عَلَى المِيَـاهِ أرعَى الشِّيَـاهَ اليَتِيمَة

كُلُّ شَـاةٍ: مَرأةٌ أَليمَة.
كُلُّ مَرأةٍ: شِقـوَةٌ أو شَهـوَةٌ كَلِيمَة.
وَكُلُّ شَهوَةٍ: جَرِيمَـة.

سِربُ نِسَاءٍ يَقُودُنِي إِلَيهَا، خَارِجًا مِن ظِلِّي وَسِيرَتِي، افتَضَنَ بَرَاءَتِي، مَضَين نَحوَ الغَربِ، رَمَينَنِي إِلَى القَارِعَة

شَهــوَةً ضَارِعـــَـة

إِلَى الهَبَاءِ رَصَاصَةً صَائِبَةً أو شَظِيَّةً جَائِعَة

أنَا الرَّميَـــــةُ الضَّائِعَة

أُرَفرِفُ فِي فَضَاءٍ فَضَاء؛
غَيمَةً مِن غُبَـــارِ البَهَاء،
أو صَرخَةَ البَوَارِ السَّاطِعَة.

كَأنِّي مَلِكُ الوَقتِ،

أسُوطُه إِلَى الوَرَاءِ إِلَى الوَرَاءِ، لاَ أمَامًا، خَلفِي بِخُطوَتَين أو دَهرَين لاَ فَرقَ، أخطُو وَئِيدًا وَئِيدًا، بَاطِلٌ كُلُّ شَيءٍ سَاخِرٌ مَاكِرٌ،

فَالهُوَينَى، عَبَرنَ أو عَبَرتُهُنَّ إِلَى البَلَدِ الخَرَاب

وَكُلُّ خُطوةٍ سَــرَاب

فَاشرَبِ الكَأسَ حَتَّى تَرى النَّهَارَ أُفعُوَانًا ذَاهِلاً، وَاللَيلَ خِنجَرًا فِي الظَّهرِ، مَن خَانَنِي؟ حَتَّى أنت، أنت؟ مَن يَستَحِقُّ ضَغِينَتِي؟
أفرَغتُ قَلبِي مِن تُرَابِ الذَّاكِرَةِ وَثَرثَرَاتِ الكَونِ،
قُلتُ: جَسَدِي خائِبٌ وَرُوحِي لَيلَةٌ فَاتِــرَةٌ صَالِحَةٌ لِلقَتلِ الجَمِيل

وَجهِي: صَرخَةٌ فِي فَاصِلَةِ الأرض،
وَأعضَائِي: عَويـــــل

خَاوِيًا إِلاَّ مِنَ الجِرَاحِ أمضِي خَجُولاً، مُترَعٌ إِلَى حَافَّتِي بِالخَاثِرَاتِ،
أُحَادِثُ الهُرَاءَ فِي اللَّيلِ القَلِيلِ وَالكِلاَبَ النَابِحَةَ،
زَادِي الصَّمتُ، سِلاَحِي البَصِيرَةُ الجَارِحَة،
فَمَن يَستحِقُّ شــرُورِي سِوَى القَتِيلِ الضَّلِيــل

أنَا النَّــدَمُ النَّحِيـــل

مَن يُوقِظنِي مَن الغَيبُوبَةِ المُرِيبَة؟ مَرأَةٌ مِن السَّلاَمِ تَبتَزُّنِي إِلَيهَا مُغمَضًا، كَأَنِّي طِفلُهَا الضَّائِعُ فِي المَوَاقِيتِ، طَعنَةٌ أم وَردَةٌ؟
لاَ يَأسَ، سَرَابٌ هِيَ حَتِّى مَطلَعِ المَوتِ،
هَل غَيبُوَبَةٌ أُخرَى؟ حَارٌّ بَارِدٌ، سَأمٌ سَامٌّ، جَسَدٌ مِنَ الخَوَاءِ اللذِيذِ، مَن يُوقِظُنِي؟ أيَّتُهَا المَجنُونَةُ مَا أغرَاكِ بِي؟

تَنسَرِبِين تَنسلِّين، لاَ أسوَارَ لاَ مَصَارِيع (مَا الفَائِدَة؟)، مُبَاحٌ عَلَى القَارِعَةِ، أهلاً وَسَهلاً، أيُّهَا الغِلمَانُ وَالعَبِيدُ، السِّكِّينَ والنَّاقَةَ الأخِيرَةَ وَالنَّارَ، إلَى الوَلِيمَةِ سَيِّدَتِي، انتَظَرنَاكِ حَتَّى العَمَى، هَل جِئتِ بَعدَ الأَوَان؟ كَيفَ نُوقِظُ الانتِظَارَ مِنَ المَوتِ؟ أيُّهَا العَبِيدُ: الدُّفَّ وَالرَّبَابَةَ المَقطُوعَةَ، أهلاً حَلَلتِ سَهلاً، يَومُنَا خَمرٌ وَغَدُنَا سِوَى امرَأةٍ بائِدَةٍ مِن جُنُونِ الكَلاَمِ، لاَ تَطرُقِيهَا: سَهلٌ مِنَ الوَلوَلَةِ القَاحِلَةِ والنُّبَاحِ المُبَاحِ يَكسِرُ النَّهَار

كُلُّ كلمَــةٍ: جـــــدَار

فَمَن تَكُونِينَ أيَّتُهَا المُضِيئَةُ فِي الرُّكَامِ؟
المُنسَلَّةُ قِطَّةً رَعُومًا إلَيَّ فِي عَرَائِي،
لَكِ الجِرَاحُ والجَسَدُ الخَاوِي مِنَ الشَّهَوَاتِ،
كَأنَّكِ الصَّحوَةُ الأُولَى، النَّهَارُ الأَوَّلُ، المَطَرُ الشِّتَائِيُّ عَلَى طُفُولَتِي القَرَوِيَّةِ، طَعمُ التُّوتِ فِي فَمِي الغَرِير، رِعشَتِي المُرَاهِقَةُ البِكرُ، صَلاَةُ أُمِّي فِي الفَجرِ، دُعَاؤُهَا لِي، لاَ بَابَ، فَادخُلِي، كَيفَ يُصبِحُ الصَّوتُ رَحمَةً وَالصَّمتُ صَفحَةً بَيضَاءَ بِلاَ سُوءٍ، يُهَدهِدُ المَاضِي فَيَنَامَ فِي مَاضِيه، كَي أصحُو عَلَيكِ

أيَّتُهَا الصَّحــوَة الصَّاخِبَـــــة

مَاءٌ عَلَى يَدِي، صَبَاح الخَير، مَرأةٌ قَطِيفَــةٌ تَقطُفُنِي لِتَغرِسَنِي فِي قَلبِ قَلبِهَا، كَأنِّي لَهَا وَعلُهَا، كَأنَّهَا نِهَايَةُ الأَرضِ وَالتِئَامُ الرُّوحِ

وَالجَسَد

فَــردٌ، صَمَــد

شَمسُ انتِصَافِ اللَيلِ، وَنَجمَةُ البَصِيرَة

طَلقَتِــي الأَخِيـــــرَة

صَوبَ أُفقٍ غامِضٍ، إِلَيهِ إِلَيه، لاَ لَيلَ لاَ نَهَار

مَــدَارٌ بِلاَ قَرَار
سَدِيــمٌ مِنَ الشَّهَوَاتِ الشَّهبَــاء
أَرَقٌ بِلا أَرَق
مَطَــرٌ مِنَ اليَنسُــونِ وَالبَهَــار
يَنهَــلُّ فِي جَسَــدَين صَــاخِبَين
فِي مَــدَارٍ مِن دُوَار

أُفرِغُ جَسَدِي مَن النِّسَاءِ، وُضُوئِي قَبلَ الصَّلاَةِ فِيكِ، فَافتَحِي الأَبوَابَ أَدخُلهَا جَمِيعًا، صَلاَةَ جَمَاعَةٍ فَرضَ عَينٍ عَلَى الأَعضَاءِ، طَاهِرًا بِلا عَورَةٍ أُقِيمُ رَاكِعًا سَاجِدًا، وَكُلُّ لَمسَةٍ بَابٌ إِلَى جَنَّةٍ وَجَحِيم، كُلُّ شَهقَةٍ شَيطَانٌ رَجِيمٌ يَفتَحُ السِّــرِّيَّ فِي السِّرِّ، أَنسَلُّ صَاعِدًا هَابِطًا، مِن أَينَ الحَفِيفُ وَالرَّفِيفُ يَخفُرُنِي كُلمَا أَوغَلت، مُلكِي مَلِيكَتِي، كَأَنَّ الرِّيحَ تَحتِي، مُحَلقًا طَافِيًا، إِلَى القَاعِ، تُوغِلُنِي، أَغلِقِي عَلَيَّ الأَبوَابَ مِن خَارِجٍ بِالمصَارِيعِ، هَا هُنَا مَقَامِي النِّهَائِيُّ

وَصبوَتِي، أنَا الدَّاخِلِيُّ المُستَدِيمُ، لاَ خَارِجَ لِي، تَصعَدُ بِي، مَا الذِي جَاءَ بِالهَدِيلِ، نَهرٌ عَسَلٌ ولَبَنٌ، أعبُّ لاَ أرتَوِي، يَمُوجُ بِي أمُوجُ، رَفرَفَةٌ وَارِفَةٌ وَطُبُولٌ استِوَائِيَّةٌ، أيَّتُهَا الرَّقصَةُ البَرِّيَّةُ امتَدِّي إِلَى آخِرِ الأرضِ، لاَ ظُلمَةَ لاَ نُورَ، شَفَقٌ غَسَقِيٌّ أو غَسَقٌ شَفَقِيٌّ، مَا الذِي يَأخُذُنِي؟ هَكَذَا أمُوتُ وَأُولَدُ بَينَ ثَدَيَيهَا وَفَخذَيهَا بَاحَتِي المُبَاحةُ، خُيُولٌ رَاكِضَةٌ عَلَى جرفِ الجُنُون، لاَهِثَةٌ عَلَى حَافَّةٍ مِن هَذَيَانٍ، صَهِيلٌ صَابِئٌ وَقَفزَةٌ مَسعُورَةٌ صَائِبَةٌ، لاَ هَوَادَةَ، عِشرُونَ دَهرًا مِن انتِظَارٍ وَاحتِضَارٍ غَرِيمِي وَثَأرِي الآنِيُّ، لاَ رَحمَةَ أو نِسيَان، جَامِحٌ أطعَنُ المَاضِي وَرُكَامَ الغَابِرَاتِ، أمضِي إِلَى حُلمِيَ المُستَحِيل

طَلقَــةٌ،
طَلقَتَــان،
أسرَابٌ مِن الرَّصَاصِ الحُرِّ،
تُشعِلُ الفَضَاءَ بِالصَّهِيل.
فَاتَّسِعِي لِمَا سَيَأتِي
مِن صُرَاخٍ صَاخِبٍ
أو هَدِيـــــل.

هَكَذَا صَحَوتُ مِن مَوتِي عَلَيكِ، *لاَ مُتَّسَعَ فِينَا لِلمَوتَى، وَلاَ البرَابِرَة؛ غُبَارٌ قَدِيمٌ يَسَّاقَطُ عَن جَسَدَينَا طَلَقَةً طَلَقَةً، بِلاَ رِثَاءٍ أو نَدَم،* أُعَرِّيكِ مِن العَائِلَةِ وَالتَّعَالِيمِ طَائِعَةً، تُعَرِّينَنِي مِن نَفسِي، لاَ ظِل بَينَنَا، أنحَنِي عَلَيكِ أُفقًا يَشرَبُ مِن نِيلٍ، فَألقُفَ فِي فَمِي مَا يَشرَئِبُّ يَشبُّ لِي

شَهوَةً لِلقَطفِ، يَمنَحُنِي خَمرَه الحَلاَلَ زُلاَلاً، لاَ سَرجَ لاَ لِجَام،
مُشرَعَةٌ عَلَى مُفتَرَقِ الشَّبَقِ، تُشهِرُ لِي الشَّهوَةَ الشَّاهِقَةَ،
كُلمَا دَخَلتَنِي هَدَمتَ سُورًا، وَأطلَقتَ طُيُورًا مَأسُورَةً كَسِيرَةً كُلمَا نِلتَنِي،
سَأعرِفُ بَعدَ طَلقَتَين أنَّكِ جَسَدِي وَأنِّي جَسَدُكِ،
فَكَيفَ يَتَسَلَلُ البَرَابِرَةُ وَالقَبِيلَةُ العَابِرَةُ، اخلَعِيهم خَارِجَ الأبوَابِ، إِلَى غَابِرِهِم الغَارِب،
لاَ وَقتَ لِلأَطلاَلِ وَالمَرَاثِي مُنذُ صَفِيرِ القِطَارِ،
مَن تُرِيدِينَ يَا امرَأَةَ الصُّدفَةِ الكَامِنَةِ فِي السَّهوِ المُرِيبِ؟
أنتَ، يا سَيِّدَ انتِظَارِي العَصِيب،
مَا آيَتُكِ؟
عَرَفتَنِي لَمَّا رَأيتُك، رَأيتَنِي لَمَّا عَرَفتُك،
فَمَا آيَتِي؟
أنَّكَ لِي: بَارِئِي وَقَاتِلِي، كُلمَا دَخَلتَنِي خَلَقتَنِي، كُلمَا خَرَجتَ مَنَّي قَتَلتَنِي،
عَرَفتُكِ أنتِ أنتِ لِي آيَةُ الأَوَان

وَردَةُ النِّسيان
تَخرُجِينَ مِن ذَاكِرَتِي
إِلَى جَسَدِي
كَشَمسِ الاستِوَاء.
تَرشُقِينَ قَلبِي بِنَجمَةٍ عَفوِيَّةٍ،

بِطَلقَةِ الأَمَـــــان.

تَدخُلِين:

آيـــــةً بِلاَ بُرهَان.

شَاسِعٌ لَكِ، مَحفُوفَةً بِالمُؤَلفَةِ قُلُوبُهُم وَالمَسَاكِينِ وَأبنَاءِ السَّبِيلِ البَائِدِين،
هَا كُم قَلبِي أُوَزِّعه بِالعَدلِ وَالقِسطَاسِ، لاَ يَنفَدُ حِينَ تَنفَدُون،
هَا كُم دَمِي، لاَ تَرتَوُون،
فَامضُوا خِفَافًا مُرَفرِفِين، أضيَافِي وَأخوَتِي فِي الرِّضَاعِ، هَيَّا، كَفَى، حَانَ
حِينُ حَينِكُم، هِيَ امرَأتِي وَوَقتِي، قَيلُولَتِي وَلُقيَتِي،
حَطَطتُ فِيهَا وَاحتَمَيتُ مِنَ البَوَار

وَخَارِجَهَا: احتِضَار.

سُرَادِقٌ بِاتِّسَاعِ الأرضِ

مُوصَدٌ عَلَى المَوتَى القَادِمِين.

لاَ فَـــــرَار.

نَمشِي عَلَى وَتَرٍ مِن الخَرِيفِ الأَلِيفِ،
لاَ يُصِيبُنَا رَصَاصُ الصَّائِدِين البائسين وَصَرخَاتُ الثَّعَالِبِ الصَّغِيرَةِ،
خَلفَنَا مَدَائِنُ الغُبَارِ وَالنَّمِيمَةِ، *لَهُم*، إِلَى فِردَوسِنَا المَفقُودِ، نُشعِلُ
الشُّمُوسَ وَالنَّرجَسَ الأَوَّلِيَّ، نِطلِقُ النَّدَّ وَالصَّندَلَ، نَدعُو إِلَى الوَلِيمَةِ
قَوَافِلَ الغَرَائِزِ البَرِّيَّةِ وَقُطعَانَ الشَّهوَاتِ الجَارِحَةِ تَقفِزُ مِن أوكَارِهَا
السَّحِيقَةِ، أسرَابٌ وَحشِيَّةٌ تُحَوِّمُ غَيمَةً وَاعِدَةً، تَنقَضُّ تَغرِسُ المَنَاقِيرَ

وَتَطفُو مَرضِيَّةً رَاضِيَة

بَــرَاءَ ةً أو مَعصِية

وَعلَينِ هَارِبَينِ مِنَ اللِّئَامِ، نَعدُو عَلَى مِيَاهٍ مَائِجَةٍ تَقذِفُنَا بِالأسمَاك
وَالسَّرَاطِينِ وَالقَرَاصِنَةِ الغَابِرِين، نَرمِيهِم بِرُقَيَةٍ أو وَردَةٍ سِرِّيَّةٍ
يُذعِنُون، إِلَى الأَعرَافِ، نَرتَقِي السِّدرَةَ المُشتَهَاةَ أَلِيفَين، مَبلُولَين، أفلَتَا
مِنَ الزَّمَن

مَــرأةٌ : وَطَــن

أجِئُ إِلَيهَا مِن حُرُوبِي كَسِيرًا، تُلَملِمُنِي وَتَغسِلُنِي بِمَاءِ الزَّعفَرَانِ،
تَدُسُّ فِي كُلِّ جُرحٍ قُبلَةً مِنَ النِّسيَان، تُطلِقُنِي فِي فِجَاجِهَا أرعَى
وَأقضُمُ، تَنثَنِي تَمِيدُ تَلتَوِي تَتَّسِعُ تَضِيقُ، مَلمُومَةً مُبَعثَرَةً مَضمُومَةً
مُنفَرِجَةً، فَوقِي تَحتِي، تُحِيطُ بِي تُوسِعُ لِي، خَلِيجٌ مُختَلِجٌ يَمتَصُّنِي،
مَفَازَةٌ تَغمِزُ لِي، أطفُو أغُوصُ، شَــهوَاتٌ شَاسِعَةٌ وَجَسَدِي ضَيِّقٌ، لاَ
عِبَارَةَ، شَاهِقَةٌ وَبَاعِي قَصِيرٌ، وُحُوشٌ تُطَارِدُ الفَرَائِسَ الهَارِبَةَ،
الجَوَارِحُ تَنقَضُّ، لاَ هَوَادَةَ، لاَ يَــأسَ، صَحوَةٌ أم إغمَاءَةٌ، مَن
الفَرِيسَةُ؟ نَرتَقِي نَصَّاعَدُ نَعلُو وَنَقفِزُ القَفزَةَ الهَاذِيَة

نَهوِي إِلَى ذروَةٍ عَارِيَــة.
لاَ لَيلَ يَعرِفُنَا وَلاَ نَهَار.
سَمتُ الفُصُــولِ وَانفِجَارَةُ المَدَار.
نَهوِي إِلَى قِمَّةِ الهَاوِيَــــة.

أنَا المَرأةُ السَّـــاجِية

رَمَتنِي البراءَةُ فِي المُفتَرَقِ الوَعر،
فَاختَرتُ النَّـــدَم.
لاَ فَرحَ يَعرِفُنِي،
وَلاَ أَلَـــم.
مُرَاوَحَـــةٌ فِي الرَّمَادِيِّ،
ظِـــلٌّ بِلاَ قَامَةٍ،
وُجُودٌ: عَـــدَم.
أَنَامُ فِي أرجُوحَةٍ مُرِيحَةٍ
بَينَ لاَ وَ نَعَم.

لاَ مُسَيَّرَةٌ أو مُخَيَّرَةٌ، مَن يَحمِلُ عَنِّي صَلِيبَ الاختِيَارِ الصَّعبِ، لاَ تُدخِلنِي

فِي تَجرِبةٍ، أُرِيدُ لاَ أُرِيـــدُ، فَمَن يَقُولُ لِي؟ بَينَ الأبيَضِ وَالأسوَدِ لاَ أرِيمُ، لاَ أمِيلُ، مَغرُوسَةٌ فِي انتِصَافِ المَسَافَةِ وَكـــرًا لِلطُّيُورِ وَالأغَانِي العَاطِفِيَّةِ، هَكَذَا رَمَتنِي البَرَاءَةُ بَينَ فَخذَي عَابِرٍ يَدهَسُنِي إِلَى مَطلَعِ النَّومِ، هَل جَاءَ مِن القَبِيلَةِ أم الكَوَابِيسِ، وَجهُه أعرِفُه لاَ أعرِفُه، يَنهَبُنِي إِلَى الخَوَاءِ، ثُمَّ يَمضِي إِلَى الضِّفَّةِ المُقَابِلَة

مَـــرأةٌ آفِلـــة
أُرَمِّمُ فِي الشَّمسِ أعضَائِي،
وَأجلُو أُنُوثَتِي إِلَى الليلِ،
فِي انتِظَارِ اللحظَةِ المُخَاتِلَـــة.

لاَ أمُدُّ اليَدَ، لاَ أكُفُّهَا، أذهَبُ أم أجِيءُ؟ انتِظَارٌ لِمَا يَسَّاقَطُ مِن مِخلَبِ الصُّدفَةِ المَارِقَةِ، أو مَا يَجِيءُ بِه القِطَارُ الجَنُوبِي،

مَن تَكُونُ أيُّهَا القَادِمُ فِي الثَّلاَثِين مِن فِبرَايِرِ المَرِير؟
أنَا رِهَانُـــكِ الأخِير؛
انتَظَرتُكَ تِسعَةَ آبَادٍ وَدَهرَين،
حَتَّى تَكتَمِـــلِي لِي،

لَكَ اختَزَنتُ أُنُوثَتِي حَتَّى صُرَاخِ الجُوعِ وَالشَّبَقِ الأليم،
لَكَ الصَّهِيلُ وَالهَدِيلُ، وَالأنِينُ وَالحَنِينُ، أنَا عَبَّادَةُ الشَّمسِ أرَاكَ حِينَ لاَ أرَاكَ، أتَّجِه إِلَيكَ حِينَ لاَ تَرَانِي، شَمسِي وَذُهُولِي، قِبلَتِي الوَثَنِيَّةُ وَهُطُولِي،

أجِيءُ خَاوِيَةً مِن الغَرِيبِ، استَبَاحَنِي مَا دَخَلَنِي، لَمَسَنِي مَا مَسَّنِي، بِكرًا
أتَيتُ إِلَى الجَنُوبِ كَي تَرَانِي، تَفتَضَّنِي بَعدَ 7300 لَيلَةً مِن مُرَاوَغَةٍ
وَنِكَاحٍ، مَرأةٌ أُخرَى كَانَت فِرَاشَه الليلِيَّ، اخترَقَنِي مَا بَلَغَنِي، لَكَ أخفَيتُ
نَفسِي لاَ يَرَى سِوَى رَغبَتِه خَضرَاءَ كُل حِينٍ، وَمُهرَةٍ مِن وَهمٍ دَاجِنَةٍ، لَكَ
يَصحُو جَسَدِي مِن مَوتٍ، أُرِيقُه عَلَيكَ عَارِيَةً مِنَ العُرِي، فَارتَع فِيَّ،
جُوعِي كَافِرٌ وَعَطَشِي لِمَائِكَ شَيطَانٌ رَجِيم

جَسَدِي مِن حَمِيـــم.
نَافِرٌ، مُستَنفرٌ،
يَعُضُّنِي، يَأكُلُنِي إِلَيكَ إِلَيك،
يُوقِظُنِي مِن مَوتِي الرَّحِيم؛

دَهرًا مِن النَّومِ أو المَوتِ سِرتُ إِلَيكَ،
كُنتُ أدرِي، مَا مَسَّنِي بَشَرٌ، غُبَارٌ أنفُضُه عَن خَاطِرِي وَبَدَنِي، مَن
يَستَحِقُّنِي؟ وَمَن يَلِيقُ بانتظَارِي، أيُّهَا المُرَاوِدُونَ: انقَشِعُوا، ذُبَابٌ آدَمِيٌّ
يَطِنُّ فِي خُطَايَ إِلَيكَ، أنتَ تَمِيمَتِي فِي مَفرِقِ الثَّدِيَين وَالفَخذَين، تَصرُخُ
لَكَ أعضَائِي، تَشبُّ، أُهَدهِدُهَا، أُعَلِّلُهَا، كَي تَغفُو قَلِيلاً مِن الحَبَّهَان

جَزِيرَةٌ، وَدَلاَفِينُ صغِيرَة.
تَلحَسُ الحُبَيبَاتِ عَن جَسَدِي قَرِيرَة.
وَحِينَ تَكتَفِي مِنِّي، تُسلِمُنِي
لِسَيِّدِ الجَزِيرَةِ الصَّغِيرَة.

جَسَدُكَ بَيتِي، فَاغلِقِ الأبوَابَ وَالنَّوَافِذَ عَلَيَّ،
خَارِجٌ: نُبَاحٌ وَرَصَاصٌ، مِن أين يَأتِي وَشِيشُ البَحرِ وَصَوتُ الكَرَوَانِ،
صَرخَةُ الإوز البَيتِيِّ وَصَيحَةُ الدِّيكِ فِي المَسَاءِ، سَمَاءٌ لاَزَورد تُومِئُ مِن
شُبَّاكِنَا، وَجَسَدِي لَكَ مَحلُولٌ مَبلُولٌ، بَيتُكَ الحَلاَلُ، لاَ حَرَامَ فِيَّ، لَكَ
انتَزَعتُ الأبوَابَ وَالنَّوَافِذَ، لاَ مَصَارِيعَ لاَ مَفَاتِيح، أَنَّى شِئتَ، بِمَائِكَ تَنمُو
أعضَاءٌ جَدِيدَةٌ كُلمَا وَلجتَنِي، لِمَاذا تَأخَّرتَ طَويلاً؟ أنَا المَرأةُ المَرجُ كُلمَا
لَمَستَنِي اسَّاقَطتُ أعنَابًا وَرُمَّانًا كُلمَا هَزَزتَنِي، اقطُفنِي وَالقُفنِي، لاَ مُعَلقَةً
بَينَ الشَّهوَةِ وَالقطَافِ، تَلعَبُ بِي الرَّغبَةُ المَاكِرَة

كُلُّ شَهقَــةٍ : ذِئبَةٌ غَــادِرَة

لاَ اكتِفَــاء

جُوعِي مُطلَــقٌ
وَأنتَ الوَلِيمَــة
عِشرُونَ دَهرًا مِن صِيَامٍ آسِنٍ،
وَانتِظَارٍ لِمَن لاَ يَجِيء.
مَوتٌ بَطِيء.
أيُّهَا الغَازِي الجَرِيء؛

صَرَفتُ لَكَ الحُرَّاسَ وَفَتَحتُ الأبوَابَ فِي السِّرِّ، أنَا المَنِيعَةُ، بَيَارِقِي تُرَفرِفُ عَلَى خُطَاكَ دَاخِلِي، وَدُرُوبِي تُضِيئُهَا طَلَقَاتُكَ القَاتِلَة

كُلُّ طَلقَــةٍ : شَــمس.

كُلُّ شَمـــسٍ : فِردَوس.
كُلُّ فِردَوسٍ : غُفـــرَان.

سَامَحتُ نَفسِي وَصَالَحتُ بِكَ الزَّمَانَ المُرَّ، أغفِرُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذُنُوبِ الكَونِ، لَكَ السَّلاَمُ، تَدحُونِي يَدَاكَ، أكُن لَبؤَةً أو شَجَرَة، مَوجَةً أو ثَمَرَة، لَكَ فُجرِي الأُنثَوِيُّ، خَبَّأتُه عَن جَسَدِي، شَرَاهَةُ شَهوَتِي فِي انتِظَارِ اللمسَةِ الأُولَى، ثَدَيَايَ عُنقُودَانِ مَعقُودَانِ بِاشتِهَاءِ القَضمِ، سُرَّتِي سِرٌّ مُستَشِيطٌ إِلَى الفَضحِ، فَخذَايَ بُرجَانِ مِن مُرجَانٍ يَحلُمَان بِالهَدمِ، رِدفَايَ رَبوَتَانِ رَابِيَتَان عَلى نَهرٍ يَتَشَهَّى الفَيَضَانَ، فَرجِي فَرحٌ فَادِحٌ بِكَ، اهتَبِلنِي رَاكِعَةً سَاجِدَةً مُبتَهِلَة

لاَ شَهـــوَةٌ مُؤَجَّلَـــة.

قُطعَانٌ بَرِّيَّـــةٌ تَركُضُ فِي جَسَدِي،
تَقضُمُنِي، وَتَأتِي عَلَيْ.
فِي انتِظَارِ خَطـــوِكَ الشَّهِي.
وَكُلُّ خُطوَةٍ نَعِيـــمٌ مُقِيمٌ
وَنِعمَـــةٌ آجِلـــة

لاَ تَبلَى، جَسَدِي غَيمَةٌ مَن تَهَالِيلَ تَطفُو، مُنَقَادَةً لَكَ، أيُّهَا اللذِيذُ، تَوَغَّل إِلَى آخِرِي لاَ آخِرَ لِي، تُرَفرِفُ دَاخِلِي أطِير، جَنَاحَانِ بَهِيجَانِ وَذَيلٌ قزَحٍ، سَمَاءٌ أم مَاءٌ مَا يَحتَذِي شَفَقَ الجَسَدِ السَّكرَانِ، مَا الذِي تَفعَلَه بِي؟ خُطَاكَ

تَجُوسُ بَعِيدًا فَأعرِفَ المَجَاهِلَ، جَسَدِي بَصِيرَتِي الحَدِيدُ وَبَابُ المَعرِفَة

لَحظَةٌ وَارِفَة.

أكبُرُ فِي كُلِّ الجِهَات:

حُقُولاً وَقُطعَانًـــا،

أمكِنَـــةً وَأزمَانًـــا،

زُرَافَاتٍ وَوِحدَانًا،

وَرَجفَةً جَارِفَـــة.

أنَا المَرأةُ الآزِفَـــــة

أزِفتُ فِيكَ، كَيفَ تَهرُبُ مِنِّي دَاخِلِي؟ وَاندَحتُ فِيكَ لَك، مَلِيكِي وَبَيرَقِي المُحَلقُ فَوقِي، بِكَ يَعرِفُنِي الضَّالُّونَ وَالقَوَافِلُ التَّائِهَةُ واليَتَامَى، يَأتُونَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيق

رَجُـــلٌ حَرِيق.

أشعَلتَنِي أبَدَا؛

شَفَقًا شَاهِقًا أو بَلَـــدَا.

لاَ يَرَونَنِي، قِنَاعُ مَرأةٍ مِن كَلاَمٍ وَرِضًى، أطلاَلٌ مِن وَرَقٍ إِلَى النِّسيَان، لاَ سِوَاكَ، صَائِدُون فِي الماءِ العَكِرِ يُطلِقُون الرَّصَاصَ فِي الفَرَاغِ الرَّخوِ، لَهُم الرِّثَاءُ، وَلِي جَسدٌ مِن بَازَلتٍ أحيَانًا وَيَأس، وَقَلعَةٌ ذَاتُ مَتَارِيس اسمُهَا حَبِيبِي، لاَ سِوَاكَ، صَغِيرَةٌ فِيكَ، تَحمِلُنِي، تَقذِفُنِي فِي الهَوَاءِ تَلقُفُنِي امرَأةً

مِنَ الرُّمَّانِ وَالزَّعفَرَانِ، اعتَصِرهَا إِلَى نَهرٍ مِن اللذَّةِ، لِمَاذَا تَحُومُ حَولِي الفَرَاشَاتُ كُلمَا أخَذتَنِي، لاَ تَدَعنِي، وَغَيمَةٌ مِن رَفِيفٍ، يَا الله، أيَّتُهَا الرَّحمَةُ المُهَروِلَةُ إِلَيَّ: أهلاً، أدرَكتِنِي قُبَيلَ قِيَامَتِي بِدَقِيقَةٍ وَالجَسَدُ يَتِيم

أُيُّها المَاضِي الغَرِيم،
آنَ أوَانُ مَغفِرَتِي وَسَهوِي،
حَانَ حِينُ نِسيَانِي الرَّحِيم.
أُيُّهَا المَاضِي اللئِيم.

مَن يَرُدُّ عَنِّي صُقُورَ الذِّكرَيَاتِ، لاَ بَأسَ أو يَأسَ، قَافِلَةٌ رَاحِلَةٌ وَكِلاَبٌ نَابِحَةٌ، وَوَقتٌ يَجِيءُ طَافِرًا إِلَى يَدِي، هَكَذَا أستَدِيرُ وَأمضِي، فِي شَعرِي بَسَاتِينُ نُجُومٍ، وَفِي سُرَّتِي شَمسٌ صَاهِلَةٌ، فَاقطُف مَا تَشَاءُ مَتَى تَشَاءُ، تَجِدنِي قَطِيفَةً طَفِيفَةً طَافِيَةً عَلَى أطرَافِ رَغبَتِكَ الرَّهِيفَةِ، كُونِي أكُن، لاَ ظِل بَينَنَا وَخَارِجنَا تُرَاب

عَاصِمِي أنتَ مِنَ الزَّمَنِ اليَبَاب؛
أبجَدِيَّتِي العَصِيَّةُ،
لاَهُوتِي وَنَاسُوتِي،
بَصِيرَةُ قَلبِي فِي البِلاَدِ الخَرَاب.

أقتَفِي أثَرَ الجُنُونِ عَلَى خُطَاكَ، نَسَيتُ ثَأرِي مِن خَطِيئَتِي، تَجُوبُنِي فَأنسَى مَا تَقَدَّمَ مِن ذُنُوبِ قَبِيلَتِي، أطرُدُهُم مِن دَمِي وَاحِدًا وَاحِدًا لأصفُو لَك، فِي حَارَاتِ ذَاكِرَتِي، يَتَقَافَزُون، يَصرُخُون، يَسُبُّونَنِي: "أيَّتُهَا المُومِسُ

العَمياءُ"، أنَا لَهُم غَابَةُ الرِّثَاءِ، أرمِي عَلَيهِم ظِلِّي سَاعَةً أو أرَقًا، أُمُومَةً أو غَسَقًا، إِلَى النَّومِ الجَمِيل

مَرأةُ الحُلمِ القَلِيـــل.
رَمَيتُ أشلاَئِي إِلَى الغِرِيم،
يَلهُو بِهَا،
يَلُوكُهَا، يَعلِكُهَا،
وَيَنسَانِي إِلَى وَقتٍ نَحِيل.
عَرُوسٌ دَامِيَةٌ،
وَفَرَحُ بَخِيـــــل.

لاَ برَابِرَةَ الآنَ فِي جَسَدِي،
هَل يَبقَى سِوَى الغُبَارِ وَالحَنِين؟ مُدَجَّجُون فِي ضِفَّةٍ أُخرَى بِمَا مَضَى، هَل نَلتَقِي فِي ضِفَّةٍ ثَالِثَةٍ لِلنَّهرِ؟ رَغبَةٌ وَرَهبَةٌ، فَاعتَصم بِي، بَصِيرَةٌ قَصِيرَةٌ، أَيَّتُهَا المَحَبَّةُ القَاصِمةُ، لَك نِصفِي البَاقِي وَنَارِي المُورِقَة

بِهِمَا أهرُبُ مِنِّي إِلَيـــك
وَردَةً
أو
صَاعِقَـــة.

فضَـــاء

عَلَى شــرَكٍ
نَلتَقِــي.

صَعَدتِ لِي
مِنَ الحُلُــم،
أم الغَيبُوبَة؟

طِفلَتِي الضَّالــة،
أم
امرَأتِي المُستَحِيــلَة؟

مَرأةٌ تُوَزِّعُ الوَقتَ
عَلَى العَابِرِين، وَأبنَاءِ السَّبِيل.
حَفنَةً، حِفنَة.
تَجِئُ لِي
خَاوِيَــة.

أتَيــتُ لَك
مَنهُوبًا، فَارِغًا.
أنَا المَغدُور المُستَدِيم.
سَرَقُــونِي.

أُلَملِمُ لَكِ نَفسِي.
أُرَمِّمُهَا،
أرتُقُهَا،
وَأرمِي خُطَى العَابِرَات.

تَدخُلِيــن.
تُوصِدِينَ خَلفَكِ

الذَّاكِــرَة.

مَرأةٌ: شَفَــق،
أم
غَسَــق.

تَعَرَّىْ مَن غُبَارِ الكَلاَم،
وَتَعَالَي.

مُنتَظِرٌ عَلَى الحَافَّــة.

مَوعِدُنَا:
اكتِمَالُ الظُّلمَــة،
وَمَوتُ الزَّمَن.

تَنسَلُّ يَدَاهَا إِلَى ذَاكِرَتِي.
تَغسِلُ عَنهَا الزَّمَنَ وَالتُّرَاب

وَالكَائِنَاتِ الحَامِضَة.
تَغسِلُنِي
مِن نَفسِي.

يَدَاهَا
تَكشِفَانِ عَنِّي الغِطَاء،
فَقَلبِي
حَدِيـــد.

جَسَدِي: تَارِيخ.
وَأعضَائِي: حُقُول.
لاَ مَاءَ يُرويهَا،
وَلاَ نِسيَـــان.

جَسَدُهَا حَقلٌ مِن الفِخَاخِ المَنصُوبَة.
أفتَعِلُ النِّسيَان.
أُغمِضُ عَينِي.
أقفِز.

أيُّهَا العُمرُ الذِي مَضَى،
أنتَ غَرِيمِي.
سَرَقتَنِي مِنِّي.

أنَا صَبِيٌّ الفُصُولِ الأربَعَة.
أكبُرُ فِي جَمِيعِ الاتِّجَاهَات
نَحوَ
جَسَدِك.

أعضَائِي: غُصُونٌ مُثقَلَةٌ بِالنُّوَاح.
لاَ غَفوَ يَعرِفُهَا،
وَلاَ صَبَاح.

سَيِّدُ اللحَظَات الآفِلَة.
لاَ أُفُولَ لِي.
أعتَلِيه
إِلَى اللحظَةِ الصَّاهِلَة.

جَسَدِي سِدرَةُ رُوحِي.
بَابِي المَفتُوحُ عَلَى مُنتَهَاي.
وَئِيـــــدًا.
وَئِيـــــدًا.

بِعَينَيَّ،
أتَحَسَّسُ الثَّدييَين،
وَالبَطنَ الطَّرِى،
وَالفَخذَين.
أمَّا البَاقِي،
فَلِلقَصِيدَةِ القادِمَة.

صَوتُهَا
يَزحَفُ فِي جِسَدِي
بِلاَ دَبِيب.
أقتَفِي أثَرَه.
لاَ أصِل.

لِشَفَتَيهَا:
طَعمُ الوُصُول.

يَدَاهَا تُفَجِّرَان اليَنَابِيعَ النَّائِمَة.
يَدَان رَبَّتَان
تَبعَثَان مِن مَوتٍ كَظِيم.
وَتَشتَعِلاَن
مَرأَةً مِن جَحِيم.

تُضرِمُ النَّارَ فِي حَشَائِشِي الهَشِيم.
تُوقِظُ فِي جَسَدِي الصَّحوَ الأَلِيم.
كَأَنَّهَا رَصَاصَةُ الرَّحمَة،
أو
شَمسُ القِيَامَة.

جَسَدِي: لَيلٌ وَنَهَار.
أستَدِيرُ إِلَى صَارِيَةِ الوَقت،
أرفَعُ بَيرَقِي،

وَأمضِي.

أدخُلُ الأحرَاش
رَقرَاقًا،
رَشِيقَا.
مِثلَ سَهمٍ فِي مِيـــاهٍ دَافِقَة.
أخرِقُ الأَرضَ
أو أمرُقُ
مَجنُونًا،
طَلِيقَا.
وَتَحتِي
مَرجُ بُرُوقٍ مُورِقَة.

أنزَلِق
كَآهَةٍ نَاعِسَةٍ،
أو
أرنَبٍ بَرِّي.

آهَتُهَا تَختَصِرُ اللُّغَاتِ وَالنِّسَاء.
تُضِيءُ الطَّرِيق
إِلَى الهَاوِيَة.

تُبَلِّلُنِي بِمَائِهَا المُقَدَّس،
مِن قَيظٍ
وَظَمَأ:
المَــرأةُ المُبتَــدَأ

كُلمَا شَرِبتُ: ظَمِئت.
كُلمَا احتَرَقتُ: استَوَيت.
جَنَّتِي وَجَحِيمِي.
قَاتِلِي وَرَحِيمِي.
فَانغَرِس فِي سُرَّتِي:
صَلِيبًا
أو
مَغفِرَة.

صَولَجَانِي مَغرُوسٌ فِي المُنفَرَج.
وَالدَّغلُ: عُشبٌ نَائِمٌ
وَوَردَةٌ مُشتَعِلَة.
كُلَّمَا قَطَفتُهَا،
شَبَّت وَردَةٌ مُرتَجَلَة.

جَسَدُهَا:
وَعدٌ دَائِم بِالصَّرخَةِ الكَونِيَّة.

مَن أنتِ
أيَّتُهَا الرَّاكِضَةُ فِي أحرَاشِي؟

تُشبِهِينَ نَجمَةَ الذُّهُول.
تُشبِهِينَ الفُصُول.

أنَا البَحَّارُ الأبَــدِي ؛
ضِعتُ فِي الخُلجَانِ وَالأرخَبِيل.

عَارِيَين، نَمضِي.
نُشعِلُ الحرَائِقَ فِي المَسَافَاتِ وَالسَّكِينَة.
لاَ رِثَاءَ.
لاَ نَـــدَم.

كَغَيمَـــة،
أو
نُعَاس.

كَقَطِيعِ نِسَاءٍ هَمَجِي.

قَشَّةٌ عَلَى مَوج،
يَرُوحُ بِي وَيَجِئ.

شَهوَةٌ عَلَى شَمس.
تُضِيئُنِي
وَتَهطِلُ فِيَّ السَّهَر.

يَنفَرِجَان.
يَصرُخَانِ– بِلاَ صَوتٍ– لِي،
وَيُمطِرَان
غَيبُوبَةً
وَحَبَّهَان.

أنَا الطَّارِئُ المُقِيــم.
غَرَائِزِي طُيُورٌ جَارِحَة.

لَيتَ الزَّمَنَ حَجَر.

ثَدَيَاكِ: صَقرَان أرِقَان،
يَنهَشَان سَكِينَتِي.

أَلقُفُه فِي فَمِي؛
أنَا الجَائِعُ الضَّالُّ فِي الأزْمِنَة.

أرشُف،
أرشُف؛
يَقتُلُنِي الظَّمَأ.

صَرخَتُهَا
تَكسِرُ النَّوَافِذَ وَالأبوَاب،
تَهدِمُ الجُدرَان،
وَالسَّقفُ يُحَلِّقُ فِي الفَضَاء
إِلَى الهَبَاء.

عَلَى صَرخَتِهَا،
أُرَفرِفُ الهُوَينَى،
وَأطفُو مُعَلقَا.
لاَ ظِل يَعرِفُنِي،
وَلاَ أوَان.

كَطَائِرٍ رَفرَفَ بُرهَــةً،
فِي غَسَقِي،

وَحَطَّ فِي أرَقِي.
يَحسُونِي:
قَطرَةً
قَطرَة.

طَائِرٌ مِن نَزَق.
يُشعِلُنِي،
فَيَحتَرِق.
يَفِرُّ
غَيمَةً مِن أرجُوَان.

جَسَدٌ يَختَزِنُ الزَّمَن.
يُطلِقُه فِي اللحظَةِ الفَاصِلَة.
أقُول:
أنتِ لَحظَتِي القَاتِلَة.

شَـــايٌ سَاخِن.
وَالثَّدِيَان يَرمُقَان رِشفَتِي:

عَينَانِ مِن بُن
مَلهُوفَتَان،
تَنتَظِرَان.

قِيَامَتِي.
أُقِيمُ فِيهَا.
أفتَحُهَا عَلَى الشُّمُوسِ وَالأقمَار،
أدعُوهُم إِلَى الوَلِيمَة.

كُلمَا اشتَعَلَ الجَسَد،
انطَفَأَت الأَبجَدِيَّـــة.

أنَا الحَرِيق؛
لاَ تُطفِئُونِـــي.

حِينَمَا أخرُجُ مِنكِ،
يَحزَنُ جَسَدِي

حَتَّى المَوت.

مَن أينَ يَأتِي صَوتُ الطَّلقَات؟

رَصَاصَةٌ تَمرُقُ بَينَ الجسَدَين.

دَم مَن؟

قَاتِلاَن

هَارِبَان أبَدَا.

خَلفَنَا: كِلاَبُ الصَّيدِ وَالبَنَادِقُ المُصَوَّبَة.

خَلفَنَا: نُبَاحُ المَوَارِيثِ الغَارِبَة.

وفِي الأمَام: جُمجُمَةٌ وَعَظمَتَان.

أيُّهَا البَرَابِـــــرَة.

أيُّهَا القَاتِلُـــــون.

هَا كُم غُبَارِي وَدُخَانِي.

هَا كُم هُرَائِي.
ولِي:
مَرأةٌ مِن بُرُوقٍ وَصَاعِقَة.
هِيَ المَرأةُ المَارِقَـــة

مَرأةٌ لاَ تَعرِفُ النَّوم،
وَلاَ يَكتُبُهَا الكَلاَم.
وَردَةُ الظَّــلاَم

إِلَهَينِ غَابِرَين،
نَستَبِيحُ الوقتَ
وَالشَّهَوَاتِ القَاتِلَة.
نَصنَعُ مِنهَا
مَملَكَةً بِلاَ حَــرَام.

أَلفُ نُبَاحٍ وَعُــوَاء
يَكسِرُون النِّســيَان.
نُلَملِمُه، نُرَمِّمُه،

نَنسَـــى.

أنَا الشَّحَّاذُ النِّهَائِي.
جَسَدُكِ رَغِيفِي
الذِي لاَ يُسمِنُ مِن جُوع.

ابنَتِي اليَتِيمَـــة.
مَرأتِي الأرمَلَـــة.

سَنَلتَقِي
مَرَّةً أُخرِى.
فِي المَرَاثِي المُقبِلَـــة.

أيَّتُهَا الأُنثَى
المَجبُولَةُ مِن حِنَّاء،
أنتَظِرُكِ
كُلَّ صَاعِقَـــة.

هَل أنتِ يَقَظَتِي الأخِيــرَة؟

دَثِّرِينِـــي.

أنتَ جهَتِي الأصلِيَّة.
أينَمَا أُوَلِّي وَجهِي،
فَأنت.

أنتِ بَيتِي؛
فِيه: أصحُو وَأنـــَام.
فِيه: أختَرِعُ الكَلاَم.

بِلاَ حِيلَـــة.
أنَا الغَرِيقُ؛
مَا مِن قَشَّةٍ،
أو وَهـــم.

أنَا الوتَر المَشدُودُ فِي قَوسِك.

أطلِقِينِـــي.

يُرَفرِفَان فَوقِي.
يَصرُخَان.
يَستَجدِيَان أعضَائِي.
يَهدِلاَن، بُرهَةً،
وَيُوغِلاَن.

أنَا فَرِيسَتُكَ الدَّائمَـــة.
فِي دَمِي شَهوَةُ الفَتكِ بِي،
وَاختِرَاقِي
مِن كُلِّ الجِهَات.

شَهَوَاتٌ مُعَتَّقَةٌ فِي السِّر،
مَحبُوسَةٌ فِي ظُلمَة الجِسَد.
تَرعِى حُلمَهَا

بِالطُّوفَـــان.

أنصبُ فِخَاخًا لِنَفسِي،
كَي أقَعَ فِيهَا،
وَأنتَظِرُك.
يَا صَائِدِي المُتَوَاطِئ.

مَا الذِي تَقُولُه حلَمتُكِ
فِي فَمِي؟

جَسَدٌ مَن شُمُوسٍ وَنُجُوم.
أقطُفُهَا.
أغرِسُ مَكَانَهَا سِهَامًا مُورِقَة.
تُزهِرُ فِي اللحظَاتِ الفَارِقَـــة.

أحرُثُهَـــا.
أبذُرُ فِيهَا أطفَالِي المَوعُودِين.

لاَ يُورِقُون.

صَفِيــرٌ عَلَى حَافَّةِ المَسَــاء.

رَأسِي عَلَى بَطنِك.
يَدَاي تَرتَعَان.
كَيفَ أضرِبُ عُصفُورَين
بِحَجَرٍ وَاحِــد؟

مِن أين تَأتِي الزَّغَارِيد؟

مَا الذِي يَنتَظِرُنَا
فِي المُفتَرَق؟

فِي جَسَدِك: مَائَةُ عُصفُور.
بِضَربَةٍ وَاحِدَةٍ، أصِيدُهَا جَمِيعًا.

ثُم
أُطلِقُهَا.

أُلَملِمُ- فِي الخُلجَانِ وَالتِّلاَلِ وَالوِديَان-
الذِّكرَيَاتِ القَادِمَة.
أسمَعُ وَقعَ الخُطَى النَّادِمَة.

تَهبِطِينَ بِي إِلى الأعمَاق، بَعِيدَا.
بَعِيـــداَ.
وَتَتسَلِّيـــن.

أيَّتُهَا الغَيبُوبَةُ المُضِيئَة؛
أيُّهَا الضَّيَاعُ الشَّهِي.

أنتَ غُفرَانُ الزَّمَـــن.

صَرخَةٌ تُؤَاخِي الطُّيُورَ الليلِيَّة.
تَرِفُّ بُرهَةً غَامِضَة،
وَتَطعَنُ الزَّوَايَا المنفَرِجَة.

تَقضُمِينَنِي؛
أَلتَهِمُك.

هَل أنتِ نَدَمِي الغَيبِي؟

لاَ بَأس.

مَا الذِي يَطرُقُ الأبوَابَ وَالنَّوَافِذ؟
مَـــا ؟

سُــؤال

خُيُولٌ بَيضَاءُ تَعدُو عَلَى حَافَّةِ الحُلمِ، أعرَافُهَا صَهِيلٌ جَائِعٌ، لاَ سَنَابِكَ أو سُرُوج، إِلَى غَابَةٍ مِن بُرُوقٍ، طُيُورُهَا زَبَرجَدٌ وَيَاقُوتٌ، تَلقُطُ الحَبَّ السَّمَاوِيَّ، لاَ رَفِيفَ أو حَفِيف، شَاةٌ تَرعَى مَعَ الذِّئبِ الحَنُونِ، يَروِي لَهَا سِيرَتَهَ السِّرِّيَّةَ، *فَاتِحَةً لِلمُفَاتَحَةِ الشَّبَقِيَّةِ*، أبقَارٌ تَقضُمُ المَلَلَ الشَّهِيَّ رُوَيدًا، وَعَلَى حَافَّة الجرفِ تَعدُو الخُيُول

كُلُّ خُطوَةٍ ذُهُــول

وَالصَّبَاحُ مَفَازَةٌ شَاسِعَةٌ تَضِيقُ عَلَى الجَسَد

كُلُّ عُضوٍ بَلَـــد

شَاهِقٌ عَمِيقٌ يَنفُذُ مِن ثُقبِ الزَّمَن بِلاَ سُوءٍ أَو سَوأةٍ، مُفرَدًا مُنفَرِدَا

زَبَـــدًا أو بَـــدَدَا

كَغَيمَةٍ مِن غِيَابٍ تَسُوقُهَا رِيحٌ مُخَاتِلَةٌ إِلَى المَرَاعِي القَاحِلَة

كُلُّ قَضمَـــةٍ زَلزَلَـــــة
كُلُّ زَلزَلَـــةٍ قَافِلَـــــة

تَأتِي مِن العُهُودِ البَائِدَةِ بِالفُلفُلِ الأسودِ وَالكَمُّون، تَرمِيهَا عَلَى الفِجَاجِ الجَائِرَةِ، تَتلُو قَلِيلاً مِن رُقًى وَتَعَاوِيذَ، تَخضَرُّ حَتَّى اشتِعَالِ النَّار، تَرمِي ظِلَّهَا عَلَى المَوتَى، يَقفِزُوا إِلَى الغِنَاءِ البَهِيج

كُلُّ غُنوَة نَشِـــــيج

يَعلُو سَحَابَةً تَهطِلُ المَنَّ وَالسَّلوَى عَلَى النَّائِمِين، يُورِقُون أرَقًا وَنِسيَانًا جَمِيلاً، إِلَى الصَّبَاحِ المُتَاحِ، يَنقَشِعُون مُهَروِلِين إِلَى الجُحُورِ العَمِيقَةِ أرَانِبَ سَاطِعَةً أو سَنَاجِيبَ مُجَنَّحَةً، بِلاَ بَصَرٍ أو بَصِيرَةٍ، إِلَى الظَّلاَمِ إِلَى الظَّلاَم

لاَ سَـــلاَمَ أو كَـــلاَم

سَكِينَةٌ رَيبٌ فَارِعٍ يَتَسَلَّقُ الفَرَاغَ مُرَاوِدًا مُرَاوِغًا، يَحتَلُّ السَّهوَ وَالنِّسيَانَ فِي السِّرِّ، يَرِثُ الذِّكرَيَاتِ العَتِيقَةَ، *تَبلَى، تَتَاكَلُهَا العُثَّةُ فِي الذَّاكِرَةِ المَهجُورَةِ*، حَتَّى يَنتَصِبَ عَمُودًا مَاءً يَقسِمُ صَفوَ الأسَن

السَّاجِي نِصفَين أَليفَين، بَينَهُمَا يَمرُقُ سِربُ الأَسئِلَةِ السَّائِلَةِ، كَزَيتٍ مَنسِيٍّ فِي رُكنٍ مَهجُورٍ، صَوبَ النِّسيَان

كُلُّ سُــؤَال بُهتَان

يَسعَى فِي الأَروِقَةِ المُعتِمَةِ عَلَى وَجَلٍ، *هَل يَأخُذُ شَكلَ القُنفُذِ، أَم أَشوَاكِ السَّنطِ*، وَئِيدًا سِرِّيًّا، يَخِزُ الغِفلَةَ، يُوقِظُ مِن نَومٍ، *تَنفَجِرُ الصَّحوَةُ صَارِخَةً، صَاخِبَةً، دُونَ شَظَايَا أَو بُرهَانٍ*، نَحوَ خَوَاءٍ مُلتَصِقٍ بِالأَطرَافِ المُرتَخِيَةِ كَالذِّكرَى العَشوَائِيَّةِ، وَقتًا أَو مَقتًا، فَيَنجَلِي عَن هَبَاء

آيَــةٌ بِلاَ انتِهَــاء
بِلاَ ابتِــدَاء
كُلُّ آيَــةٍ عُــوَاء

فِي الفَضَاءِ المُرَاوِغِ يَنحَلُّ إِلَى مَطَرٍ يَهمِي عَلَى الأَعضَاءِ طُيُورًا نَافِرَة

كُلُّ طَائِــرٍ صَبــوَةٌ كَافِــرَة
كُلُّ صَبوَةٍ بُكَاء

يَسِيلُ مَاءً بَينَ الصُّلبِ وَالتَّرَائِبِ، يُروِي الأَرَاضِينَ المَحرُوقَةَ وَالسَّمَاوَاتِ المَفتُوقَةَ، تُنبِتُ الوَلَعَ الطَّفِيفَ، *ثِمَارُه زَرقَاءُ سَائِغٌ طَعمُهَا*

اللاَّذِعُ، أشجَارًا تَشبُّ كلَّمَا آنَ الأوَانُ، تَسَّاقَطُ نُجُومًا زَاهِرَة

كُلُّ نَجمَــةٍ مَرأةٌ فَاجِــرَة

أُلُمُّهُنَّ فِي حِجْرِي، وَأجرِي إِلَى الجِهَاتِ الغَادِرَة، أصُفُّهُنَّ، أرمِي عَلَيهِنَّ التَّعَاوِيذَ وَالكَلاَمَ، أبُوحُ بِكِلمَةِ السِّرِّ لَهُن، كُنَّ: يَكُنَّ، وَشمِي عَلَى السُّرَّةِ المَعْقُودَةِ، وَجهِي عَلَى الثَّدِي المُشرَئِبِّ، فِي المُفتَرَجِ الصَّعبِ أصَابِعِي، وَفِي الخَصرِ صَوتِي، سِيرَتِي فِي الأغوَارِ، أُسَمِّيهِنَّ بِاسمِ حَبِيبَتِي، يَكتَمِلنَ امرَأَةً سَافِــرَة

قَطِيعًــا مِن الشَّهوَات الجَــائِرَة

أسُوقُه إِلَى حِمَايَ الحَمِيمِ، أُهَدهِدُه وَأحنُو عَلَيه، أُرخِي لَه حَبلَ الغِوَايَةِ، يَستَنِيمُ فَلاَ يَرِيم، أشُدُّه إِلَيَّ يَرعَى حَشَائِشِي، يَأوِي إِلَى غَرَائِزِي صَرخَةً غَائِرَة

إِنَّهَا
امرَأتِــي الطَّــــافِرَة

مَا الَّذِي يسعَى فِي جَسَدِي؟

سِــربُ نِمَــــال

أم

الجِمَــالُ مَشيُهَا وَئِيــدَا؟

هَل أقبِضُ المَاءَ فِي أصَابِعِي، أم أمتَطِي الدُّخَان أتَانًا إِلَى عَرشٍ عَلَى جَزِيرَةٍ مَسحُورَةٍ، لاَ يَقِينَ لاَ وَهمَ، أنَا المَرأَةُ المَقسُومَةُ بَينَ لَيلٍ وَصَبَاح، بَينَ النَّشِيدِ وَالنُّوَاحِ، أمشِي إِلَى عَرشِي كَمَا تَمشِي البِلاَدُ إِلَى السُّهَاد

مــَرأةٌ مِن حَصَــاد

نَسَيتُ خُطَى الخَاطِبِينَ، وَرُعبَ طُيُورِ السَّكِينَةِ مِن ضَربَةِ الفَأسِ، صَرخَتُهَا تَكسِرُ الزُّرقَةَ البَازِغَةَ، تَأوِي إِلَى زَهوِي الرَّحِيمِ، أتَيتُ بِلاَ ظِلٍّ فِي الظَّهِيرَةِ، كَالظِّلِّ عَلَى المِيَاهِ الجَارِيَة

كُلُّ خُطــوَةٍ أُغنِيَـــــة

إِلَيكَ إِلَيكَ، أَيُّهَا القَادِمُ مِن وَجَعِي الطَّوِيلِ، هَل أعدَدتَ الشَّايَ بِالحَلِيبِ؟ مِنَ الهُرُوبِ صَنَعتُ تَارِيخًا إِلَيكَ مِنَ المُرَاوَغَةِ الغَرِيزِيَّةِ، أعدَدتُ لَكَ البَيضَ وَالجُبنَ وَفَاكِهَتِي الجَائِعَة

كَلُّ قَضمَـــةٍ وَاقِعَـــــة

تَخُضُّ التَّوَارِيخَ فِي جَسَدِي، تُعِيدُهَا إِلَى الصِّفرِ بَيضَاءَ، تُعِيدُه إِلَى بَكَارَتِه، تَهُزُّنِي أَسَّاقَطُ فِيكَ، تَنفَرِطُ عَنَاقِيدِي شَهِيَّةً مَلمُومَةً فِي حِجْرِكَ الدَّافِئِ، لاَ سِوَاي، لاَ غَيرِي، أنتَ المُوَكَّلُ بِي بَعدَ فَرَاغِي مِن أبِي الرَّاحِلِ وَأُمِّي وَزَوجِي وَابنَيَّ وَشَقِيقَيَّ وأطفَالِهِمَا، وَالخَالاَتِ وَالعَمَّاتِ، وَالأخوَالِ وَالأعمَامِ، وَأبنَائِهِمَا فَردًا فَردًا، وَأبنَاءِ السَّبِيلِ وَالصَّحَفِيِّينَ وَالأُدَبَاءِ والأَفَّاقِين وَاحِدًا وَاحَدًا، وَالخُزَعبَلاَتِ الزَّاهِرَةِ وَالأوهَامِ البَاهِرَةِ، أجِيءُ بِهَا إِلَيكَ، وَاحِدَةً وَاحِدَةً، وَغَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم وَلاَ الضَّالِّين، إِلَى الفِرَاشِ الأرضِيِّ يَندَسُّون بَينَنَا فِي الدِّفءِ: قَبِيلَتِي البَائِدَة

أضغَاث أحـــلاَمٍ شَـــارِدَة.
تَحتَلُّنِي،
تَقتَاتُنِي فِي الصَّحو وَالمَنَام.

أنَا امـــرَأةُ الكلاَم

أحمِلُهُم جَمِيعًا، ذَوِي *القُربَى*، فِي بَدَنِي، لاَ يَرَاهُم سِوَاي، زِيجَاتٌ طَلاَقَاتٌ وَفِيَّاتٌ حكَايَاتٌ أصنَعُ مِنهَا أرضًا آمِنَةً، أو أوتَادًا لِلوَقتِ المُنهَارِ، مِلحُ الأرضِ وَحَجَرُ الزَّاوِيَةِ المَنقُوضَةِ، هَل تَدرِي؟ دَائِرَتِي الدَّافِئَةُ كَشرنَقَةٍ تَحمِينِي مِن نَفسِي الأمَّارَةِ، الحَبلُ السِّرِّيُّ يَشُدُّ الرَّفضَ إِلَى الطَّاعَةِ، *أمنًا وَسَلاَمًا*، أرمِيهِم فِيكَ إِلَى التُّخمَةِ كُلَّ صَبَاحٍ أو عُرِي، كُلَّ نِكَاحٍ أفرِطُهُم فِي الوَهَجِ المَحمُومِ، فَينهَمِرُوا مِن كُلِّ الفَتَحَاتِ عَلَيكَ صُرَاخًا أو أَسَنًا، لاَ فَرقَ، سَيَنقَشِعُون رُوَيدًا، يَرتَجِلُونَ الهَرَبَ العَشوَائِيَّ إِلَى أقرَبِ شقٍّ، لاَ شيءَ، أنَا الفَارِغَةُ المَرحُومَةُ بِالأَشيَاءِ تُثرثِرُ فِيَّ عَلَى رَحبِي، وَتَفِيضُ عَلَى سِعَتِي، تَقفِزُ مِن بَينَ الشَّفَتَين، كَأَنِّي لَم أتَكَلَّم دَهرًا، هَل أنطِقُ كُفرًا؟ لاَ سُلطَانَ عَلَيهِم، هَل ثَرثَرتُ كَثِيرًا؟ ابتَعِدُوا حِينًا مِن جِنسٍ ثُم انقَضُّوا،

بُرهَةَ إِيلاَجٍ وَارتَدُّوا،

امرَأَةٌ مُستَعمَرَةٌ بِالأشبَاحِ المُرتَجَلَة

تَعِيثُ فِي بَدَنِي وَوَقتِي:

رَقصَةً مُفتَعَلَـــة.

ثُمَّ تَغفُو بُرهَةً فَارِهَةً، أو بُرهَتَين،

إِلَى أن يَحِينَ الحَيـــن

فَأُصَوِّبَ نَفسِي إِلَى الهَدَفِ الوَاضِح، *لاَ أرَى سِوَاه*،

كَطَلقَةٍ عَمياَء أو زَوبَعَة

أنَا المَرأَةُ الجَائِعَـــة

لاَ أُرِيدُ سِـــوَى
كُلِّ شَـــيءٍ، مَعًا الآن،
سِوَى مَا أُرِيـــد.
بَصَرِي: حَدِيـــد.
بَصِيرَتِي: رَصَاصَةٌ ضَائِعَـــة.

أنَا المَرأةُ الفَاجِعَـــة

مَا الَّذِي يَزحَمُنِي فِي أُنُوثَتِهَا الغَافِلَـــة؟

وَردَةٌ

أم

قُنبُلَـــة؟

أذَانُ العَصرِ أمِ الفَجرِ؟ لاَ أطرُقُ البَابَ، أرمِي بِكِلمَةِ السِّرِّ يَنفَرِجْ عَن المَملَكَةِ العَادِيَّةِ، *فِي الحَمَّامِ: المَلِكَةُ تَصنَعُ شَيئًا مَا لأُنُوثَتِهَا، تَتَخَفَّفُ مِن شَيءٍ مَا، كَي تَفرَغَ لِي، وَرَعِيَّتُهَا تَتَشَبَّثُ بِالنِّسيَانِ وَتَغفُو فِي الأرفُفِ، مِن خِشَبٍ يَتَوَاطَأ:* تَارَاس بُولبَا بَيتٌ مِن لَحمِ النَّاسُ فِي بِلاَدِي وَلِيمَةٌ لأعشَابِ البَحرِ الأبلَه الشَّيطَانُ السَّيِّدُ الرَّئِيسُ المُومِسُ العَمِيَاءُ وَردَةُ الفَوضَى الجَمِيلَة أزهَارُ الشَّرِّ أعرَاسٌ غَيمَةٌ فِي بَنطَلُون عَشِيقَةُ الضَّابِطِ الفِرنسِي جُورنِيكَا شَرَف المَجُوسُ وَالسَّحَرَةُ رَغبَةٌ تَحت الدَّردَارِ اللَّذَّةُ الأُولَى مَرثِيَّةُ العُمرِ الجَمِيلِ تَعلِيقٌ عَلَى مَا حَدَثَ

فِي الشِّعرِ الجَاهِلِي الفَرقُ بَينَ الفِرَقِ قَنطَرَةُ الَّذِي كَفَر عبد الهادي الجَزَّار مَالِكُ الحَزِين الفَرَاشَةُ ثَورَةُ الشِّعرِ الحَدِيثِ أُنشُودَةُ الشَّبَحِ الفَارِسُ البُرُونزِي كَالِيجُولا أَرضٌ لاَ تُنبِتُ الزُّهُور مُدُنُ المِلحِ المِلَلُ وَالنِّحَلُ بِنيَةُ الاستِلاَب مَائَةُ عَامٍ مِنَ العُزلَةِ الشَّمَندُورَة طَرِيقُ الحَرِيرِ شَكَاوَى الفَلاَّحِ الفَصِيحِ الخُبزُ الحَافِي، مَن الهَاتِفُ الدَّاعِي؟ المُقَامِرُ دُونَ شَهَادَة

فَالصَّمتُ أَوَّلُ العِبَـــادَة
وَالغُبَارُ أَوَّلُ الشَّهَـــادَة

مَملَكَةٌ مِن الفَرَارِ، مَلِكَةٌ مُتَوَّجَةٌ بِعُرِيهَا، *لاَ وَرَقَةَ تُوت*، تَطهُو البَيضَ وَالصَّمتَ، تَلُوكُ كَلاَمًا يَزحَمُ الفَرَاغَ الوَقتِي، يُفرِغُ البَدَنَ المُترَعَ بِالعَابِرِينَ اليَومَ، *شُوبِيرت فِي الغُرفَةِ الدَّاخِلِيَّةِ يَعزِفُ سِيمفُونِيَّتَه النَّاقِصَة؛ لَن نَدخُلَ إِلاَّ إِن أَكمَلَهَا*، نَشرَةُ أَخبَارِ العَائِلَةِ وَأَقوَالُهُم المَأثُورَةُ، مَاذَا تَشرَبُ سَيِّدَتِي قَبلَ الوَطءِ؟ **كَلاَمًا بِاللَّبَنِ الدَّافِقِ كَي يَتَهَيَّأَ جَسَدِي**، هَل نَسِيَت سَيِّدَتِي الشَّيءَ الأَصلِي؟ الضَّوءُ رَمَادِيٌّ، مِزَقٌ مِن أَزرَقَ تَرمُقُ عُرِيَ المَلِكَةِ، *مَاذا يَزحَمُنِي فِيهَا؟* وَالسِّيمفُونِيَّةُ رَاسِخَةٌ فِي النُّقصَانِ، *لِمَاذَا لاَ يُكمِلُهَا الآن*؟ الدِّيكُ يُؤَذِّنُ فِي الظُّهرِ، خُطًى تَتَصَاعَدُ فَوقَ الدَّرَجَاتِ الحَجَرِ وَتَصَّاعَدُ، تَدنُو، تَنغَرِسُ أَمَامَ البَابِ المُوصَدِ، *طَرقٌ، فَالأَسلِحَةُ المُشرَعَةُ مُصَوَّبَةٌ فِي الرَّأسِ، عَلَى الزِّنَادِ الإِصبَعُ، هَل يَنفَجِرُ الزَّمَنُ*، حَفِيفٌ أَم رِيحٌ؟ هَل عَبَرُوا أَم

تَسَمَّرُوا؟ أيُّهَا السَّادَةُ، هَيَّا اضرِبُوا دفعَةً وَاحِدَةً فِي السُّوَيدَاءِ، عَرَايَا مِنَ العُرِي، ظَهرُنَا إِلَى الجِدَارِ، أيتَامٌ فِي مَآدِبِ اللِّئَامِ، أطلِقُوا، عَرَايَا مِنَ الحُلمِ وَاليَأسِ، مَقتُولُونَ بِلاَ دِيَّةٍ أو ثَأرٍ، فَاضرِبُوا،

نَحنُ القَتلَى الدَّائِمُون

نَزوَةٌ زَهرَاءُ فِي خَاصِرَةِ الرِّيح،

أو

وَردَةٌ مِن جُنُــون.

لَنَا قَتلَةٌ أُخرَى لَهَا وَقتُهَا، يَكفِي أن تُعِدِّي القَهوَةَ السَّوداءَ وَالجَسَدَ القَمحِيَّ، مُتَّسَعٌ بَخِيلٌ، هَل يَكفِي لأسأَلَ السُّرَّةَ عَن سِرِّهَا، وَالحَلمَةَ عَن حُلمِهَا، سَيَكفِي لاحتِسَاءِ الذِّكرَيَاتِ، وَإِشعَالِ سِيجَارَةٍ مَبلُولَة

أيَّتُهَا المَرأَةُ

القَيلُولَــة،

لِمَاذَا تَسَّاقَطُ الألفَاظُ بَينَنَا

جُثَثًا مَبقُورَةً

فِي اللَّحظَةِ المَخبُولَة؟

لاَ بَأسَ،

فَالرَّحَى تَطحَنُ الوَقتَ وَالعِظَامَ،

مَا الَّذِي يَدُقُّ؟ هَل غَفَوتُ سَاعَةً أو بَعضَهَا؟ هَل مَرَّ المَوكِبُ الذَّهَبِيُّ وَالخُيُولُ المُطَهَّمَةُ؟ لِمَاذَا لَم أسمَع القَرقَعَةَ المَلَكِيَّةَ؟ هَل يَأتُون؟ أعِدِّي المَائِدَةَ الآنَ لإعلانِ العُرسِ المَوعُودِ، لِنَفتَح كُلَّ نَوَافِذِنَا وَالأبوَابِ،

دَعِي *السَّقفَ يُظَلِّلَنَا فِي الحَرِّ*، أزِيلِي الجُدرَانَ وَأعمِدَةَ الخَرسَانَةِ، *وَانتَبِهِي لِلسَّقفِ*، سَيَتَّسِعُ الوَقتُ لِمَا لاَ عَينٌ مِن قَبل رَأت، أو خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَر

وَقتٌ: حَجَــر.

وَأنَــا: المُنحَــدَر.

بِخُطَى الذِّئبَةِ البَتُولِ أمضِي إِلَى غَايَتِي الغَرِيبَة

نُقطَةُ الزَّوَالِ: أَنَـــا،

وَلحظَتُه الخَصِيبـــَة.

شَمسُ هَذَا الزَّمَانِ العَصِيبَـــة.

لاَ يَرَانِي سِوَايَ، فِي صَحوِي: قِنَاعُ امرَأَةٍ عَابِرَةٍ، تَتَفَادَى الشِّصَّ المَمدُودَ، وَتَرمِي أُنشُوطَتَهَا العَفوِيَّةَ، صَيدٌ لاَ يَخدِشُ صُورَتَهَا فِي المِرآةِ المَاكِرَةِ، وَيُهدِيهَا مَقطُوعَةَ غَزَلٍ ذَاتِيٍّ، تُلصِقُهَا فِي عَينِ قِنَاعِ امرَأَةٍ عَابِرَةٍ مَرضِيَّةٍ، بَاطِلٌ وَقَبضُ رِيحٍ، فَانتَحُوا لِي كَي أمُرَّ وَحدِي وَحِيدَةً إِلَى السَّمتِ القَرِيب

أُيُّهَا الوَقتُ المُرِيب؛

مَطِيَّتِي وَغَرِيمِيَ أنت،

ثَأرِي وَقَاتِلِي،

مَسيحِي الَّذِي تُسلِمُنِي
(بلاَ ثَمَن)،
وَرَبِّيَ المُرِيب.
أُيُّهَا الوَقتُ الغَرِيب.

فَافسحُوا لِي، لاَ سِوَايَ خَارِجَ المِرآةِ، أصعَدُ، *لاَ التِفَاتَةٌ أو سُؤَال*، أرتَقِي لأبلُغَ صُورَتِي السِّرِيَّةَ، *لاَ، مَا فَقَأتُ عَينًا، أو قَطَعتُ يَدًا مَمدُودَةً*، أعرِفُه كَشَمسِ لَيلٍ، لاَ سِوَاه، يُومِضُ لِي، يَشُدُّنِي بِشِصٍّ مِنَ الوَهمِ مَزرُوعٌ بِقَلبِي، لاَ يَرَاه سِوَايَ، انقَشِعُوا، *لَكُم دَورُكُم فِي فَقرَتِي التَّالِيَةِ*، كَي أصُوغَ خُطَّتِي، ذَرَائِعِي لِكُلِّ شَيءٍ دَانِيَةٌ قُطُوفُهَا، لاَ خَطَأ أو خَطِيئَةَ، لاَ إِثمَ لاَ عُدوَان

أنَا الأوَان.
لَيسَ فِي المِرآةِ غَيرِي،
فِي اكتِمَالِ العُنفُوَان.

سَنَلتَقِي ذَاتَ يَومٍ، أنتُم الحَشَمُ القَادِمُونَ حَولِي، وَعَرشِي مِنَ ضَوءٍ وَبَهرَجَة

أنَا المَرأةُ المُســـرَجَة.
يَمتَطِينِي،
أم أمتَطِيـــه،
إِلَى الغَايَةِ الدَّارِجَـــة.

فَلَكَ الوَقتُ الفَرَاغُ، حِينَ أَفرَغُ مِن غَرَائِبِيَ المُغِيرَةِ، حِينَ أخلَعُ القِنَاعَ
ضَعِيفَةً ضَائِعَةً كَي تَلُمَّنِي، *أَيُّهُمَا الوَجهُ، أَيُّهُمَا القِنَاعُ، مَن يَدُلُّنِي؟*
يَدَاكَ عَلَى جَسَدِي تُعِيدَانِ لِي مَا فَرَّ مِنِّي فِي الجِهَات

فَلِمَاذَا تَرتَبِكُ عَلَى قَدَمَيَّ الطُّرُقَات؟
أعرِفُ مَا أعرِف،
لَكِنِّي سَيِّدَةُ المُفتَرَقَات.
تَقطَعُنِي،
وَتُطَوِّحُنِي أشلاَءً
فِي السَّبعِ سَمَاوَاتٍ وَالسَّبعِ أرَاضِين:
عَشرَةً لِلجَاهِلِيـــن.

فَمَن يَحمِلُ عَنِّي وِزرِي؟
مَن يَمنَحُ أوهَامِي سَاقًا وَأوراقًا، تُثمِرُ عَرشًا وَنُجُومًا ذَات جَنَاحٍ رِيشٍ وَمَنَاقِيرَ وَشِيش، شَمسُهَا: ***أَنَا***، *طَالِعَةً مِنَ الرِّحَامِ الحَيِّ*، ***أَنَا:*** *الخُزَعبَلَةُ المُنتَظَرَة*، التَفُّوا عَلَيَّ، بَردَانَةٌ أَيَّتُهَا الحَاشِيَةُ القَادِمَةُ، لَكُم عَطفِيَ القَادِمُ وَالصَّدَقَاتُ الفَوقِيَّةُ بَعدَ قَلِيلٍ، وَعَلَيكُم عَاصِفَةٌ مِن تَهلِيل، *نَجمُهَا:* ***أَنَا،*** *صَاعِدَةً مِنَ الغِيَابِ المُرِّ*، ***أَنَا:*** *الوَردَةُ المُنفَجِرَة*، مَن يَحمِلُ عَنِّي الاختِيَارَ الصَّعبَ؟ مَن يَلُمُّ لِي كُلَّ شَيءٍ فِي وَاحِدٍ، فَردٍ، مُفرَدٍ، فَرِيدٍ، مُنفَرِدٍ، أُرَاوِدُه هُنَيهَةً فَيَرتَمِي فِي يَدِي؟ فَلتَنَم قَيلُولَةً قَلِيلَةً يَا جَسَدِي الحَرُونُ إِلَى أن أُرَتِّبَ أحلاَمِي وَبرنَامجَ التَّتوِيجِ، خُطبَةَ العَرشِ، قَائِمَةَ الخُطَبَاءِ

وَالمَسئُولِينَ، لَحنَ الافتِتَاحِ وَنَشِيدِي الوَطَنِيَّ، قَصَائِدَ المَدِيحِ المُقَفَّاةَ، زِيَّ الحَرَسِ الشَّرَفِيِّ وَلَونَ الشَّارَاتِ الرَّسمِيَّةِ، مَوضِعَ تَصفِيقِ الجُمهُورِ العَفوِي، إِلَخ، إِلَخ، نَم يَا طِفلِيَ الجَمِيل

بُرهَـــةً
إِلَى الصَّحوِ الوَبِيل.
وَافتَحِ الألوَابَ مُشرَعَةً
عَلَى الصُّرَاخِ وَالهَدِيـــل.

قَتِيــلِي وقَاتِلِي.
أقتَفِي خُطَاه إِلَى حَتفِي
سَادِرًا، بَرِيئًا،
كَابِيًا، مُضِيئًا،
وَصَلِيبِي عَلَى كَاهِلِي.

يُرَاوِغُنِي، يَرُوغُ مِنِّي، ويَرمِينِي إِلَى الهَبَاء

سَيِّــدًا للعُــوَاء

بِوَادٍ غَيرِ ذِي زَرعٍ، بَصِيرَتِي مَثقُوبَةٌ نَزَّت رُؤَاهَا صَخرَةً صَخرَةً إِلَى عَمَاء

كُلُّ صَخرَةٍ: صَرخَةٌ جَائِعَــة،
تُوقِظُ الغَرَائِزَ الضَّائِعَــة.

تَعدُو إِلَى الوَرَاءِ،

إِلَى الوَرَاء.

خَاوِيًا مِنهَا، وَمِنِّي، أقتَرِفُ قَيلُولَةً قَرِيبَةً بِاسمِي، أَتَمَشَّى فِي حَدَائِقِهَا، أُغَنِّي غُنوَةً مَرِيرَةً، *فِي جَيبِيَ الخَاوِي: يَدَايَ؛ فِي قَلبِي: وَردَةٌ ذَابِلَة*، أشُوطُ الحَصَى بِقَدَمِي اليُمنَى، *إِلَى المَرمى*، وَأعبَثُ بِالخَوَاءِ الرَّحبِ بُرهَةً أو بُرهَتَين بَلِيلَتَين، *أينَ القَهوَةُ الفَاتِرَةُ؟ وَالثَّديَانِ قُطنٌ مَبلُولٌ، يَرمُقَان، يَنتَظِرَان*، هَل أُحصِي نُجُومَ النَّهَارِ، أم أُسَدِّدُ سَهمِي فِي جُمجُمَةِ الشَّمسِ، أقطُفُهَا رُمَّانَةً جَاهِلَةً، *مِن أينَ يَجِيءُ صَوتُ الكَروَان؟ سَمَاءٌ صَحرَاءُ سَودَاءُ، تُومِضُ فِيهَا الصَّيحَةُ وَتَغِيبُ، تَجِيءُ وَتَمضِي عَارِيَةً رَاضِيَةً، وَالثَّوبُ قَتِيلٌ فِي الرُّكنِ، أحَانَ الوَقتُ؟ اشعِل سِيجَارَتَكَ القُصوَى وَاتبَعنِي*، فَأينَ امرَأةُ الدَّلاَفِينِ وَالطَّحَالِبِ؟ أينَ الجَزِيرَةُ المَسحُورَةُ وَالنَّوَارِسُ؟ أيُّهَا القَرَاصِنَةُ الأوفِيَاءُ، رُدُّوا عَلَيَّ اللَّحظَةَ الغَارِبَة

مَــرأةَ اليَقِيــنِ الهَارِبَــة

تَنسَابُ شَارِدَةً إِلَى الجِهَاتِ الكَاذِبَةِ، تَرمِي إِلَى جَسَدِيَ النَّابِحِ عَظمَةً فِي سَمتِ امرَأةٍ، أَلهُو بِهَا، *أكَانَت دُمِيَةً مِن البِلاَستِيكِ المُلَوَّن؟* إِلَى الرَّمَق الأخِير

عَاجِلاً

أَو آجِلاً، سَتَأتِي

عَلَى المِيَاهِ طَافِيَة:
جُثَّـــــةً
أو
عَافِيَـــة.
فَلِي أن أُدَلِّي فِي المِياهِ سَاقَيَّ،
أبذُرَ الوقتَ فِي الرِّمَالِ
الغَافِيَـــة.
وَأنتَظِـــــر.

أُسَوِّي مَرأةً أُخرَى مِن سَأمٍ وَأرَقٍ، *لَهَا أيطَلاَ ظَبيٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ، وَإِرخَاءُ سرحَانٍ وَتَقرِيبُ تَتْفُلٍ*، احرُثِي لِي سَهوِي وَجُوعِي اللَّيلِيَّ، امنَحِينِي بُرهَةَ نِسيَانٍ، وَهلَةً لِكَفِّي تَكفِي لاقتِنَاصِ السَّرَابِ، وَاشتِعَالِ التُّرَابِ، جَائِعٌ ضَائِعٌ يَتِيم

كُلُّ مَـــرأةٍ هَشِـــــيم

أيَّتُهَا الصَّغِيرَةُ بَينَ النِّسَاءِ، اركُضِي عَلَى جَسَدِي، ثَدياكِ رُمَّانَتَانِ مَقضُومَتَانِ، بَطنُكِ دَربٌ عَبَّدَته الأقدَامُ، سُرَتُكِ كَأسٌ احتَسَاهَا الشَّارِبُون حسوَةً حسوَة، وَصَرخَتُكِ طَائِرٌ صَادَه القَانِصُونَ القَانِطُون

أنَا سَيِّدُ الفَرَاغِ المَجنُون.
أُسَدِّدُ السَّهمَ فِي كَبِدِ الصَّمت،
أُسَدِّدُ الرُّمحَ فِي انفِرَاجِ الوَقت،

أُطلِقُ الرَّصَاصَةَ فِي جَبِينِ المَوت،
وَأرفَعُ العَقِيرَةَ بِالعُــوَاء

عَلَى شَاطِئٍ مُضِيءٍ بِالشَّهَوَاتِ البَائِرَةِ، أُحصِي الحَصَى وَأُذَرِّي ذَرَّاتِ الرِّمَالِ، أَخُطُّ أَشكَالاً وَأَمحُوهَا لأَخُطَّهَا أَشلاَءَ مَرأةٍ فَاتِرَةٍ، أَمحُوهَا لأَخُطَّهَا أَشلاَءَ شَهوَةٍ فَائِرَةٍ، فَأَمحُوهَا لأَخُطَّهَا نَزوَةً عَاثِرَةً، أَمحُوهَا فَأَخُطَّهَا شَهقَةً كَافِرَةً، أَمحُوهَا لأَخُطَّهَا امرَأَةً فَاجِرَةً، بِاسمِ الله مُرسِيهَا عَلَى جَسَدِي سَلاَمًا، أَمتَطِيهَا إِلَى سَرمَدٍ بَائِدٍ وَغَيهَبٍ سَرَاب

سَــيِّدًا لِلغِيَــاب

مَرأةٌ مِن نِفَايَاتٍ يَستَدِيرُ إِلَيهَا فِي انكِسَارَةِ البَصِيرَةِ، كَيفَ؟ أَيَّتُهَا الطَّعنَةُ العَمياءُ، لاَ سَكِينَةَ بَعدَ اليَومِ وَالنَّومُ قَتِيل

جَسَـــــدِي مَقبَــرَة

وَأعضَـــائِي عَــوِيل

مَن يُوقِف الرَّحَى أَخرُج مِنهَا غُبَارًا غَارِبًا كُلَّ صَمتٍ وَضَغِينَةٍ، سِكِّينٌ تَمُدُّ جُذُورَهَا، تُورِقُ البُومَ وَالغِربَانَ تَنعَقُ فِي خَلاَءِ الرُّوحِ، تَطلُبُ الثَّأرَ الهُرَاء

أَيُّهَا السَّهوُ، رَاوَدتَنِي،
وَرَمَيتَنِي إِلَى العَرَاء.
دَمِي الحَرَامُ مَسفُوحٌ
عَلَى وَجهِ الهَبَاء.
لاَ ثَأرَ لِي،

وَلاَ عَزَاء.

فَمَن يَقتَلِع السِّكِّينَ مِن ذَاكِرَتِي؟
مَن يَغرِس النِّسيَانَ وَالسَّلوَى،

مَرأةٌ بِنتُ آوَى قَاسَمَتنِي الدَّفقَةَ النَّبِيَّةَ، بَعدَ عِشرِينَ دَهرًا مِن صِيَامٍ، هَل يَلِيقُ بِي؟ أَيَّتُهَا المَسعُورَةُ، أَيُّهَا الغَادِرُ الَّذِي يَدخُلُنِي الآنَ سُمًّا، يَأسِي يَائِسٌ وَذَاكِرَتِي حَرُون

أَيَّتُهَا الطُّمَأنِينَةُ السَّاحِقَة؛
أنتِ العَقرَبُ المُرَاوِغُ،
وَالخِلُّ الخَئُــون.

نَلتقِي – مَرَّةً أُخرَى–
بَعدَ المَفَازَةِ الوَازِعَة.
عَينٌ مُغمَضَةٌ، وَعَينٌ قَارِعَة.
لاَ نَومَ، لاَ سَهَــر.
نَلتَقِي، أو لاَ،
نُلَملِمُ الخُطَى الضَّائِعَة.

لَعَلِّيَ أنسَى وَلاَ أنسَى،
سَرَابٌ أم الخُيُولُ ضَلَّت عَن صَهِيلِهَا فِي سُرَّتِي وَفَرَّت إِلَى البَرَارِي؟
سَنَلتَقِي، قَلِيلاً مِن ضَلاَلٍ حَامِضٍ إِلَى حَافَّةِ الحَاقَّةِ فِي صَيفٍ عَدُوٍّ يُمطِرُ الرُّطُوبَةَ وَالذُّبَابَ المَوسِمِيَّ، ثُمَّ يَنجَلِي عَن زُرقَةِ اللاَّزَوردِ، دَورَةٌ تَستَكمِلُ

الدَّائِرَةَ اللاَّهِثَةَ حَتَّى التِقَاءِ البِدَايَةِ بِالنِّهَايَةِ، صَبرًا جَمِيلاً وَبِيـــلاً

بُرهَةٌ مَن بَهَاء.
أُحَمِّمُ الأعضَاءَ بِمَاءِ الآسِ وَالسَّكِينَةِ البَلهَاء.
هُوَّةٌ هُنَيهَةٌ مِن غِيَابٍ بُرتُقَالِيٍّ،
أهُشُّ الذُّبَابَ بِكلمَةٍ بَلِيغَةٍ،
وَأنسَى عَورَتِي فِي العَـــرَاء.
أنَا المَرأةُ نَامَت عَلَى الهُوَّةِ مَرجًا مُستَحِيلاً.

غُبَارُ الطَّرِيقِ الوَعرَةِ أَذرُوه عَن ذَاكِرَتِي، وَأمضِي،
لاَ وَقتَ لِلرِّثَاء أو هِجَاءِ الزَّمَنِ الوَغْدِ،
لاَ بُكَاءَ عَلَى مَا يُرَاقُ عَلَى القَارِعَةِ، *يَفتَحُنِي وَيَرقَانِي، فَيدخُلَنِي- فِي خُطَاه- السُّؤَالُ الصَّعبُ، لاَ لَذَّةَ لِلَّذَّةِ القَاصِمَةِ، أَيَّتُهَا الجَرِيمَةُ، أَيُّهَا الأسَنُ، أُرِيدُ لاَ أُرِيدُ، لَيلٌ وَنَهَارٌ، خَالِقِي وَقَاتِلِي، مَفتَرَقٌ أرِقٌ تَلتَقِي فِيَّ الشُّمُوسُ وَالظُّلُمَاتُ، الشَّهَوَاتُ وَالطَّعنَات*، لاَ بَأسَ أيَّتهَا المَفَازَةُ، أمَّا الزَّبَدُ، كَأنَّه نُشُورٌ أو صُورٌ، وَكَأنَّنِي، خُطوَةً خُطوَةً أتَحَسَّسُ الأرضَ وَأطلِقُ الصَّيحَةَ المُدَبَّبَةَ، أُصَوِّبُ السِّهَامَ عَلَى الأسئِلَةِ الحَائِمَةِ تَسَّاقَطُ وَاحِدًا وَاحِدًا، أُلُمُّهَا وَأدفِنهَا بِقَلبِي، *مَقبَرَتِي السِّرِّيَّةُ*، هَيَّا إِلَى الأمَامِ، إِلَى سُدَّةِ العَرشِ بِالخُطوَةِ السَّرِيعَةِ، أينَ المُصَوِّرُون وَالصَّحَفِيُّونَ وَالقَنَاةُ الثَّالِثَةُ؟ المُوسِيقَى العَسكَرِيَّةُ تَعزِفُ مَارشَ الانتِصَارِ؟ أين الـــC.N.N الـــB.B.C الـــM.B.C؟ الآنَ، سَأصعَدُ، انتِبَاه، هَل تَرُونَ كَيفَ أرفَعُ سَاقَيَّ؟ *كَم تَغَزَّلَت النِّسَاءُ*

بِهَا، أينَ المُصَوِّرُون؟ هَكَذَا أرفَعُهَا مُنذُ نُعُومَةِ أظفَارِي، مَا عَلَّمَنِي أحَدٌ،
عِصَامِيَّةٌ، حُقُوقِي مَحفُوظَةٌ، لاَ وَقتَ لِلتَّحقِيقِ

والأدِلَّةِ، إِنَّهَا لَحظَتِي البَاهِـــرَة

وَأنَا نَجمَتُهَـــا البَائِـــرَة

مَا الَّذِي يَطرُقُنِي فِي الغِيَاب؟

فَرحَـــةٌ أم يَبَـــاب

أطلاَلٌ أجُوسُ فِيهَا مَرِحًا، *لاَ رِثَاءَ فِي جَبِيبِي، لاَ أَنَاشِيد*، فَوقِي غَيمَةٌ مِن طَلَقَاتٍ تُظِلُّنِي، تَحتِي امرَأَتِي تَمُوجُ بِي بِلاَ زَبَد

كَم خَلَقنَا الإنسانَ فِي كَبَـــد

لَيسَت امرَأَتِي تَمَامًا، نَهَارُهَا لِي وَلَيلُهَا لِكَائِنَاتٍ بَرَابِرَةٍ، يُشعِلُونَ حَولَهَا النِّيرَانَ، يَشتَعِلُونَ رَقصَةً طَوطَمِيَّةً، فَالوَلِيمَة اللَّيلِيَّة

مرَأتِـــي الجَوهَرِيَّـــة

خَلَقتُهَا مِن نَارٍ وَطِينٍ، قُلتُ لَهَا كُونِي، فَكَانَت

زَهرَةَ الأَبجَدِيَّـــة.
أقطُفُهَا فِي صَحوِي،
ثُمَّ أُطلِقُهَا إِلَى الشَّوَارِعِ وَالمَيَادِين
رَقصَةً سَاذَجَةً،
أو وَمضَةً آنِيَّـــة.

أشُدُّهَا لَحظَةَ انطِفَائِهَا، مَرخِيَّةً ذَابِلَةً، أنفُخُ فِيهَا مِن رُوحِي، أدخُلُهَا بَطِيئًا، أنسَابُ فِي البَرَاحِ خَفِيفًا عَلَى رِيحٍ عِنَانُهَا فِي يَدِي، تَخِبُّ بِي وَئِيدًا فِي التِّلَالِ وَالوِديَانِ، *مِن أينَ يَأتِي المَطَرُ الدَّافِئُ وَالحَفِيفُ الخَفِيفُ عَلَى خُطَايَ، هَيِنَمَاتٌ هَمهَمَاتٌ وَهَدِيلٌ بَلِيلٌ يَصَّاعَدُ أو يَسَّاقَطُ مِن أين*، لَستُ حَيًّا وَلاَ قَتِيلاً، تَركُضُ بِي جَمِيلاً، لَيسَ لَيلاً وَلاَ نَهَارًا، عَلَى خُطُوطِ الضَّوءِ وَالعتْمَةِ، النَّارُ وَالثَّلجُ، تَبُوحُ بِي إِلَى اللَّذَّةِ الأُولَى تَنهَبُنِي، لاَ أكتَفِي، سَرَابٌ أُطَارِدُه لاَ أشتَفِي، كُلَّمَا كِدتُ انثَنَى هَارِبًا مُرَاوِدًا، كُلَّمَا كَادَ انثَنَيتُ عَائِدًا، تُؤَرجِحُنِي الهُوَينَى هَابِطًا صَاعِدًا، مَاتَ الوَقتُ وَانفَلَتَ المَدَارُ مِن المَدَارِ بِلاَ مَدَار، لَيسَت امرَأتِي، فَمِن أينَ الجُنُونُ يَجِيءُ، قُطعَانٌ مِنَ السُّعَارِ لاَ تَلوِي بِلاَ أَبجَدِيَّةٍ، فَالتُ كُلُّ شَيءٍ وَمَمسُوكٌ، مَا الَّذِي تَقبِضُه الكَفُّ غَيمَةً أم ثَدِيُهَا يَفِيضُ عَنِّي؟ هَبَاءٌ بَهِيٌّ، تَغسِلُ الذُّنُوبَ وَالمَكتُوبَ، غُفرَانٌ وَنِسيَانٌ إِلَى الصِّفرِ، لاَ يَأسَ أو رَجَاءَ، قِيَامَةٌ بِغَيرِ صُورٍ أو نُشُور، كُلُّ شَيءٍ رَاهِنٌ مُستَوفِزٌ، أبَدٌ مُنتَصِبٌ أبَدًا عَمُودِيًّا بِلاَ صَدَى، نِهَايَةٌ بِدَايَةٌ غَائِرَةٌ، لاَ مَكَانَ أَو زَمَانَ، مُطلَقٌ غَيبٌ، وَرَكضٌ فِي البَرَاحِ المُبَاحِ، إِلَى أينَ يَا اللَّه؟ إِلَى

مَتَى؟ اركُضِي بِي إِلَى أبَدِ الآبِدِين

كُلُّ قَفــزَةٍ حَنِيــن.
كُلُّ شَهقَةٍ يَقِيـــن.
لاَ عِقَــالَ لِي.
أنَا المُطلَــقُ السَّجِيــن.

ضَالٌّ ضلِّيلٌ، أحرَقتُ المَرَاكِبَ فِي الوَرَاءِ، مَحَوتُ آثَارَ الخُطَى، قُلتُ لِنَفسِي: البَحرُ فِي الوَرَاءِ وَالأمَامِ، فَاخْرِقِي الأرضَ وَالفَضَاءَ عَارِيَةً مِنَ النَّاسُوتِ وَاللاَّهُوتِ وَالكَلاَمِ، بُرهَةً هَارِبَةً إِلَى وَقتِهَا، أو سَحَابَةً إِلَى مَائِهَا، قُلتُ: رَحبٌ عَمِيمٌ، فَهَل تضيقِين؟ شَاهِقٌ فَادِحٌ، هَل تَصغُرِين؟ سَتُنكِرِينَنِي قَبلَ صَيحَةِ الدِّيكِ، فَهَاكِ دَمِي، هَاكِ جَسَدِي، لاَ شَيءَ لِي، هَنِيئًا مَرِيئًا،

لَيسَ حُلمِي.
لَقِيطٌ مَنَحتُه اسمِي وَدَمِي.
رَبَّيتُه فِي جِسَدِي؛
فَشَبَّ فِي خُطَاه أَلَمِي.

أمحُو، لاَ أخُط،
أُرَفرِفُ، لاَ أحُط .
ذَاكِرَتِي: رِيحٌ فَصِيحَةٌ بِلاَ عُنوَان.

فَهَل تُنكِرِينَنِي قَبلَ الصَّبَاحِ، غَبَشٌ طَفِيفٌ، بُرُودَةٌ مُوقِظَةٌ، تَصحُو

البَنَايَاتُ وَأَطفَالُ المَدَارِسِ، مَا الَّذِي جَرَى؟ صَبَاحٌ بِلاَ قبلَةٍ، مُتخَمٌ بِالخُطَى البَائِدَة، *أينَ رَاحت؟ هَل تُعِدُّ قَهوَةَ الغَرِيب؟* بَعدَ حِينٍ يَنجَلِي مَا يَنجَلِي، بَعدَ سَاعَةٍ أَو سَاعَتَين، يَومَينِ أَو شَهرَين أَو عَامَين أَو قَرنَين أَو دَهرَين

لاَ نَدَامَـــةَ لاَ غُفُـــــرَان

لَستُ مقبـــرَة.
كَلَّمَا ابتَعَدتُ نَمَت لِي غُصُونٌ
وَأَورَاقٌ،
تَهَدَّلتُ ثِمَارًا مُعَتَّقَةً، دَانِيَة.
كَلَّمَا أوغَلتُ نَمَا لِي رِيشٌ وَأجنِحَةٌ،
رَفرَفتُ إِلَى مَفرِقِ الأرضِ وَالسَّمَاء.
لَستُ مَقبَـــرَة.

أنَا المَرأَةُ القُبَّـــرَة

لاَ أحُطُّ عَلَى غُصنٍ، وَجَدتُ عُشِّي *البَدِيلَ*، أَحُومُ فَوقَ الرُّؤُوسِ وَالأبصَارِ، *بَعِيدًا عَنِ الأيدِي، لاَ يُصِيبُنِي الرَّصَاصُ، قَد أرمِي لَهُم رِيشَةً أو رِيشَتَين زَاهِيَتَين، غِوَايَةً طَفِيفَةً قُبَيلَ اليَأسِ، فَوقَ أطرَافِ الأَصَابِعِ، لاَ سَهوَ أو تَفرِيطَ، لُعبَةٌ عَلَى الحَافَةِ القزَحِيَّةِ، كَرٌّ وَفَرٌّ وَخَيطٌ لاَ أُرخِيه لاَ أشُدُّه،*

خَارِجَ السِّرب، *كُلَّمَا أوغَلتُ نَمَا لِي رِيشٌ وَأجنِحَةٌ لاَ أعرِفُهَا، وَافتَعَلتُ النِّسيَانَ البَرِيء، إِلَى الأَمَامِ الأَمَام، كَيفَ أُفرِغُ نَفسِي مِنَ نَفسِي، نَامُوا- بِلاَ أنِينٍ- بُرهَةً أو دَهرًا، إِلَى أن أنتَهِي، لَستُ مَقبَرَةً، وَأنتُم رَعِيَّتِي الآمِنَةُ، لاَ صُرَاخَ أو تَهَالِيلَ، كَيفَ أقطَعُ الحَبلَ السُّرِّيَّ دُونَ انتِبَاهٍ؟ أيَّتُهَا الرَّعِيَّةُ البَائِسَةُ سَلاَمًا*، مَن يَدُقُّ النَّوَاقِيسَ فِي المَدِينَةِ النَّاعِسَةِ، سَلاَمٌ هِيَ، أقطَعُهَا كَسِكِّينٍ، *لاَ يَرَانِي أحَدٌ*، مِنَ الأقصَى إِلَى الأقصَى، *أسكُبُ الرَّعِيَّةَ العَالِقَةَ فِي الكَبَارِي المُعَلَّقَةِ*، إِلَى الوَكرِ الوَرِيف

مَملَكَةٌ مِن خَرِيف.

تَسَاقَطَ الوَهمُ المُلَوَّنُ،
حَتَّى وَرقَةِ التُّوتِ المُرِيبَـــة.
عَلَى حَافَّةِ الجرفِ أدُقُّ أوتَادِي،
وَأنشُرُ فِي العَرَاءِ خَيمَتِي وَاشتِعَالِي الطَّفِيف.
فِي انتِظَارِ القَفزَةِ القَرِيبَة.

أعرِفُهَا كَقِنَاعِيَ الغَرِيزِي،
تَسكُنُ نَومِي،
تَنخسُنِي فِي حُلمِي،
تَشُدُّنِي إِلَى القَاعِ الأَلِيف.

حَانَ وَقتُ الشَّايِ وَالنِّسيَان، فَاهبِطُوا عَن كَاهِلِي قَلِيلاً، اخرُجُوا مِنِّي بُرهَةً

كَي أُصَفِّفَ شَعرِي لِلحَفلِ المَسَائِيِّ، ألغَيتُ كُلَّ المَوَاعِيدِ عَدَا الصَّحَفِيَّين وَالمُصَوِّرِين، لاَ وَقتَ لِلعَاطِفِيَّةِ وَالبَلاَغَةِ، رُبَّمَا يَتَّسِعُ الوَقتَ قَد، بَعدَ الفَرَاغِ مِنَ الفَرَاغِ، إِلَى النِّسيَانِ، يَومِي قَادِمٌ عَلَى حِصَانٍ طَائِرٍ أرَاه، *انتَهَى دَورِي مَعَكُم، دَورِيَ الآنَ مَعِي، فَاهبِطُوا عَنِّي لأرتَقِي إِلَيَّ*، قَالَت لِيَ السَّاحِرَاتُ وَقَارِئَاتُ الكَفِّ وَالعُصفُورَةُ، قُلنَ إِنَّنِي المَكنُونَةُ، مَن يَكشِفنِي يَمتَلِكنِي حِينًا مِن الدَّهرِ، سَيِّدِي وَحَبِيبِي مَسَّنِي فَاكتَمَلت لَه

أنَا المَرأةُ المُكتَمِلَــة

أقرَأُ أيَّامِي المُقبِلَــة.
سَاطِعَــةٌ آفِلَــة.
يَشُدُّهَا حَبِيبِي إِلَى خُطَايَ الجَاهِلَة.

لَه فَائِضُ الوَقتِ وَكُلُّ الجَسَد، *حَرُونٌ أُرَوِّضُه بِمَعسُولِ الكَلاَمِ حَتَّى يَنَامَ، مَطِيَّتِي المُطِيعَةُ لَحظَةَ الصِّفرِ، أسُوقُه- أمَامِي، لاَ خَلفِي- صَامِتًا بِلاَ ذَاكِرَةٍ إِلَى أن يَحُلَّ فِيهِ حَبِيبِي*، قُلت:

أنَا المَوءُودَةُ القَدِيمَة؛
بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلت؟

لاَ أُشبِه قَبــرًا، أنَا القُبــَّرَة

بَصِيرَتِي: أجنِحَتِي الخَاثِرَة .

تَسُوقُني، مَعَ الرِّيَاحِ فِي البَرَاحِ،
إِلَى اللَّحظَةِ المُقَامــرَة.

إِلَى الأمَامِ وَالخَلفِ، مُفتَرَقٌ حَامِضٌ يَنصَبُّ فِيَّ، كَيفَ؟ ظِلٌّ، فَأينَ قَامَتِي؟ قَيلُولَةٌ، فَأينَ شَمسِي؟ مَن يُوَلِّينِي قِبلَةً مُرضِيَة؟ حَانَ الآنَ حَينُ الشَّايِ والنِّسيَانِ، سَيِّدِي وَحَبِيبِي، حِنتَ لِي وَحِنتُ لَك.

بَرَاحٌ هَذِهِ الأرضُ كَثُقب إِبرَةٍ، ضَيِّقَةٌ كَامرَأتِي الشَّاسِعَةِ، فِيهَا أحُطُّ الرِّحَالَ، مِن *يَأسٍ بِدَائِيٍّ*، أُسنِدَ الجَسَدَ العَلِيلَ إِلَى الجِدَارِ، *فَهَل يَنهَارُ فَوقِي*، وَأُشعِلُ السِّيجَارَةَ الأخِيرَةَ، *هَل نَفَدَت الأَنَاشِيدُ مِن الجُعبَةِ المَثقُوبَةِ؟ هَل تَخَطَّفتهَا نِسَاءُ الطَّرِيقِ المَرِحَاتُ؟ أم الجَانُ وَالسَّاحِرَاتُ؟* تَبدَأُ الرِّحلَةُ أم تَنتَهِي؟ جَسَدٌ أضيَقُ مِن حُلمٍ، وَسَمَاءٌ مُطبِقَــة

أيَّتُهَا الشَّمسُ النَّافِقَــة؛
مَا الَّذِي أطفَأَ الضَّوءَ فِي جَسَدِي،
وَرَمَانِي فِي الطَّرِيق.
تَنوشُنِي الرِّيَاح،
تَدهَسُنِي الفُصُولُ الصَّاعِقَــة.

أنَا نَدَمُ الحَرِيـــق

لاَ غَايَةَ، ذَاكِرَتِي يَدَايَ، وَالقلبُ بُرتُقَالَةٌ قَضمَتهَا الأوقَاتُ الجَائِعَة

خَاويًا كَطَبلٍ، تَقرَعُنِي القَارِعَة.
لاَ نُورَ، لاَ مَطَر.
حَجَرٌ مِن البُرُوقِ المَفلُولَة،
مَطرُوحٌ عَلَى خَطِّ الزَّوَال.
لاَ نَومَ، لاَ سَهَر.
سَادِرًا، كَصَرخَةٍ ضَائِعَة.

تَعثُرِينَ عَلَيَّ، تَدُسِّينَنِي، *مَن يُزَاحِمنِي فِيكِ؟*

مَا أضيَقَ الخُطَى وَالوَقت،

مَزحُومَةٌ فَارِغَةٌ، تَلهَثِينَ خَلفَ الصَّدَى وَالوَمِيض، *قَابِعٌ فِي انتِظَارِ الفَرَاغِ، أرقُبُ أردَافَ العَابِرَاتِ، أرصُدُ التَّمَائِزَ البَلِيغَ*، إِلَى أن يَنفَدَ انتِظَارِي فَتَجِيئَنِي تَهلِيلَةً بَرِيئَةً، لاَ تَرَينَ دَمِي، تَندَسِّينَ فِيَّ، *مَن الوَجهُ، مَن القِنَاعُ؟* غَائِرًا حَائِرًا، بِلاَ يَقِينٍ، أُشِيحُ وَجهِي عَن الوَقتِ خَصِيمِي وَخَائِنِي، ثَأرِي وَقَصَاصِي، خَدِيعَتِي وَمِحنَتِي، *مَا الَّذِي تَرَاه فِي مِرآتِهَا؟ مَا الَّذِي يَصرُخُه صَمتُهَا؟* سَاحِرَاتِي قُلنَ لِي، لَكِنَّهَا البَصِيرَةُ المُخَاتِلَــة

كلُّ خُطــوَةٍ شَهوَةٌ زَائِلَــة.
كُلُّ شَهــوَةٍ طَلقَةٌ قَاتِلَــة.

أنَا القَتِيــلُ الجَمِيــل

غَرِيمِي المُستَحِيـــــل

أُصَوِّبُنِي إِلَيه،
فَيَرمِينِي إِلَى الجِهَاتِ الآفِلَــة

كَانَت الجِمَالُ مَشيُهَا وَئِيدًا، *قُلتُ: هَل يَحمِلنَ جَندَلاً أم حَدِيدًا؟* وَالأشجَارُ تَمشِي الهُوَينَى فِي الصَّبَاحِ الصَّحو، *قُلتُ: كَيفَ صَارَت الجُذُورُ أقدَامًا؟* وَاستَسلَمتُ لِلقَيلُولَةِ المَعسُولَةِ، جَسَدِي *مُستَيقِظٌ وَرُوحِي نَائِمَةٌ، كَيفَ تَسَلَّلَ الخَرَابُ العَذبُ، مِن أينَ؟* أيُّهَا النَّومُ، أسلَمتَنِي، لاَ وَرَقَةَ تُوتٍ تَعصِمُنِي لاَ قَشَّةَ تُنقِذُنِي، عَلَى الخَازُوق وَالطُّبُولُ خَلفِي، تَزُفُّنِي المَمَالِيكُ وَالكِلاَبُ بِالسِّيَاطِ وَالسِّبَابِ فِي فِجَاجِ الأرضِ، *أيُّهَا الرَّقصُ الَّذِي يَشبُّ فِي جَسَدِي، انفَجِر*، يَأتِي الصَّعَالِيكُ وَأبنَاءُ السَّبِيل: أنتُم شِيعَتِي وَعَائِلَتِي، حَدِيقَتِي المُضِيئَةُ بِالشُّرُورِ البَرِيئَةِ، حَتَّى نِهَايَةِ الأرضَ هَيَّا، بِالأعلاَمِ وَالبَيَارِقِ البَالِيَةِ، بِالتَّهَالِيلِ الضَّالَّةِ، لَكُم حَمَاقَاتِي وَسُوءُ ظَنِّي، فَاشتَعِلُوا بَدَدًا أو وَردًا غَمَامًا يُظِلُّ القُرَى الهَالِكَــة

فِيه أنسَلُّ إِلَى حَبِيبَتِي الشَّائِكَة:
سُنبُلَةً عجفَاءَ،
بُومَةً عَميــاءَ،
شَمسًا حَالِكَــة.

أرتَقِيهَا
إِلَى لَحظَتِي السَّافِكَة.

فَلِمَاذَا تُفلِتُ- مِن يَدِي- المَملَكَــة؟

إِلَى أينَ
أيَّتُهَا المَلِكَــة؟

هَيُولَى، وَسَــدِيمٌ سَــادِرٌ،
دُخَانٌ أرجُوَان،
عَلَى الغَمرِ ظُلمَــةٌ،
وَرُوحُ الله يَرِفُّ عَلَى وَجهِ المِيــاه.

بَدءٌ أم انتِهَاء؟ مَا الَّذِي يَترَعُ جِذرِي مِنَ الأرضِ السَّابعَة؟ عَلى حَافَّةٍ، فِي دَمِي امرَأةُ المُرَاوَغَةِ، وفِي جَسَدِي شَهوَةُ القَفزِ، سَيِّدِي وَحَبِيبِي، نَزَعتَنِي مِنَ اليَبَاب، غَرَستَنِي فِي الهَوَاء، أُرجُوحَتِي اللَّيلُ وَالنَّهَارُ، أنتِ أرجُوحَتِي الجَارِحَةُ مُعَلَّقَةٌ عَلَى حَافَّةٍ وَالِغَةٍ، أمُدُّ فِيكِ جُذُورِي، فَتَستَدِيرَ ثِمَارِي، اعتَصِرهَا، كُلَّمَا رَشَفتُ عَطِشتُ، كُلَّمَا قَضَمتُ جُعتُ، كُلَّمَا دَخَلتَنِي امتَلَكتَنِي، أغلِقِي البَــابَ، عَلَيكَ لِي، يَدِي تَقبِضُ الرِّيحَ، وَحَلمَتِي مُشرَعَةٌ، جَسَدِي شَهوَةُ القَفزِ، فِيَّ، مَفتُوحَةٌ لاَ أبوَابَ لاَ جُدرَانَ، مِن كُلِّ الجِهَاتِ، أنَا الجَائِعُ الأبَدِيُّ، كُلمَا نَهلتَنِي عَتَّقتَنِي،

كَلَّمَا قَضَمتَنِي بَلَغتَ بِي الكَمَال

فَمَن تَكُونِيـــــن؟ أنَا الحَرَامُ الحَـــــلاَل

مَن تَكُـــــون؟

شَهوَةُ المُحَـــــال

آآآآآآآآآآآآه

مَا الَّذِي يُطفِئُ الرُّوحَ وَيُشعِلُ الجَسَد، كُلَّمَا عَرَفتُ جَهِلت، تَحتِي وَيَدِي تَقبِضُ الخَوَاءَ جزيَةَ الوَقتِ، وَأنتَ حَبِيبِي فَضَتَنِي لِمَاذَا تَجِيءُ الإجَابَةُ بَعدَ الأوَانِ؟ كَأنَّهَا امرَأتِي مُنذُ جنَّةِ عَدنٍ، ضلِعِي الضَّائِعُ يَرجِعُ لِي، شَهوَتِي الضَّالَّةُ بَينَ النِّسَاءِ، مَرأةُ انتِظَارِيَ الخَضرَاء

أدرِي وَلاَ أدرِي، لِمَاذَا تَنكَسِـرُ الأبجَدِيَّةُ الشَّهِيَّةُ فِي الفَرَاغِ الصَّعب؟ عَابِرُون كَالغُبَارِ الذُّبَاب يَقتَضُونَ العَذبَ، أيُّهَا السُّؤَالُ الصَّعبُ، افتَضَتَنِي فَكُنتُ، أنَا الضَّالَّةُ اهتَدَيتُ إلَى بَيتِي، اسمُه حَبِيبِي، رَفَعتُ فَوقَه بَيرَقِي السِّرِّيَّ، شَارَةَ الشَّبَقِ النَّارِيِّ، دَخَلتُه فِي اللَّيلِ وَالنَّهَار، رَفرَفتُ فِيه لَه

مَـــرأةٌ مِن مَـــاء مَـــرأةً ذَاهِلَـــــة

أدخُلُهَا مَتَاهَةً مُضِيئَةً تَقُولُ لِي وَلاَ تَقُولُ، مَن يَهتِفُ بِي، كُلُّ خُطـــوَةٍ: غِـــوَايَةٌ سَـــافِرَةٌ تَشُدُّنِي، أنسَاقُ إلَـــى مَجَاهِلِهَا، لَه اكتِمَالِي، تَمَسُّ رُوحِي حِينَ تَدخُلُنِي، فَأسمَعَ الوَشِيشَ البَحرِيَّ فِي جَسَدِي، تَنطِقُ أعضَائِي بِكَلاَمٍ حَرَامٍ ، مِن أين؟ إلَى أينَ تَسُوقُنِي؟

رَذَاذٌ يَقطُرُ أو يَنِثُّ دَافِئًا، مِن إلَى مَجَاهِلِي الجَاهِلَةِ، إلَيكَ، أينَ؟ خَمرِي وَقَهوَتِي، بِهَا سَكِرَت رُوحِي بِجَسَدِي، وَمَاتَ سَكِرتُ، وَمَاتَ الزَّمَن الزَّمَن

هَكَـذا يَبـدَأ الوَطَـــن

مَطَرٌ دَاخِلِي وَخَارِجِي، تَهطِلُه فَأشرَبَه، أنَا العَطشَى لألفِ عَامٍ مِن حَرِيقٍ، خُطَايَ تَختَرِع الطَّرِيقَ فِيهَا، فَيُفضِي إِلَيَّ، هِيَ الطَّرِيقُ هِيَ الحَرِيقُ، كُلَّمَا ابتَلَلتُ ازدَهَرتُ، نَمَت لِي غُصُونٌ أنبَتَت فَوَاكِهَ الفُصُولِ المَجهُولَةَ، كُلَّمَا خَطَوتُ احتَرَقَت ذَاكِرَتِي، وَاشتَعَلَ هَشِيمِي، لاَ تُطفِئُونِي، لَستُ حَدِيقَةً، لَستُ بُستَانًا، أنَا المَوءُودَةُ، قَالَ كُونِي كُنت، أنَا الصَّرخَةُ الشَّارِدَةُ وَهيَ عُشِّي الرَّءُومُ، يَخُضُّنِي فَلاَ أعرِفُه، رُبَّمَا، إذ يُعَرِّينِي مِن قِنَاعِي، وَرَقَةِ التُّوتِ، يَرمِينِي إلَى صُقُورِ العَرَاءِ، تَلُمُّنِي لاَ تَلُمُّنِي، هَل تَعرِفِينَ أم تُوغِلُ فِي المَرَايَا المَاكِرَةِ، تَنسَى فَلاَ تَدرِي، لاَ أدرِي

مَن تَكُونِين؟ سَيِّدَةُ المَرَايَا الكَاذِبَة.
لاَ تَسَعُ المَرَايَا ظِلِّي تَقُولُ مَا أُرِيدُ،
أو صَهِيلِي، أصعَد
لاَ تَقُولُ، لاَ أقُول . مِن وَجهِي إلَى قِنَاعِي،
أُدِيرُ ظَهرِي، وَأمضِي مِن قِنَاعِي إلَى عَرشِي؛

شَمسَ الخَارِجِيــن مَملَكَةً غَارِبَــة

مَا الوَقتُ سَيِّدَتِي؟ كُوبًا مِن فِي انتِصَافِه، كَم قَطَعنَا وَابتَعَدنَا،

الشَّاي وَالعَزَاءِ نَحتَسِيه عَلَى هَل تَرجِعُ المِيَاهُ إِلَى مَنبَعِهَا؟ أم مَهلٍ حُسوَةً حُسوَةً، مَا الَّذِي يَدُقُّ كُنتُ نَائِمَةً فِي غَابَـــةِ المَرَايَا الوَقتَ؟ هَل نُشعِلُ النَّارَ فِي الوَثِيرَةِ، أُلصِقُ الشَّظَايَا المريرَةَ، أوَ الأعوَامِ، أم نَمحُو خُطَانَا أرأَبُ مَا تَصَدَّعَ، بُرهَـــةً أصُفُّ القَدِيمَة، نَمرُقُ مِن نَومِنَا فِيهَا الدُّفُوعَ، أدفَعُ العُريَ فِيهَـــا عَارِيَين إِلَى العَرَاء إِلَى العَرَاء

بِـــــلاَ عَـــــزَاء

صَبَاحَ الخَيرِ، سَيِّدَتِي، حُلمٌ أم كَابُوسٌ، لِمَاذَا يُعشِبُ الخَوفُ، يَنمُو وَجَلاً، فِي ظَلاَمَاتِي؟ أشعِلِي النَّارَ وَالضَّوءَ، مِن أينَ تَأتِي الأغَارِيدُ، افتَحِي البَابَ لِلقَادِمِين، ظِلاَلٌ غَابِرَةٌ، وَأصدَاءُ فَاتِرَةٌ، وَطُيُورٌ غَامِضَةٌ وَعُوَاءٌ، أشعِلِ النَّارَ وَالضَّوءَ كَي أخرُجَ مِن مِرآتِي إِلَيَّ إِلَيك

هَيَّـــــا

❖

حَجَرٌ يَطفُو عَلَى المَاءِ الهُوَينَى؛ أَيُّهَا الزَّمَنُ القَاسِي اتَّئِد؛ قَادِمٌ هُوَ النِّسيَانُ وَالسَّلوَى وَأَسرَابُ الخَفَافِيشِ؛ سَرَابٌ حَتَّى مَطلَعِ الفَجرِ، خَرَابٌ يَتَمَشَّى وَئِيدًا فِي الشَّوَارِعِ، يَصعَدُ المَنَابِرَ، بُندُقِيَّةٌ مُشرَعَةٌ وَهُرَاوَةٌ مَرفُوعَةٌ، مَا الوَقت؟ كَأَنَّنِي لَكِنَّنِي حَجَرٌ عَلَى مَاءٍ غَرِيب

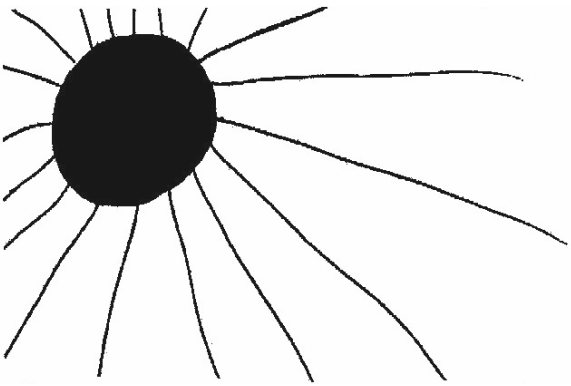

أَيُّهَا الوَقتُ المُرِيب،
أَوَجهٌ أم قِنَاع
أم وَردَةٌ مَسمُومَةٌ
تُرَاوِدُ القَلبَ العَصِيب

مَضَى مَا مَضَى، فَمَن يُومِئُ لِي فِي البِلاَدِ الغَرِيبَةِ، مَن يَنثُرُ المِلحَ وَالزَّعفَرَانَ عَلَى خُطَايَ، وَردَةُ الرِّمَالِ أم جِنِّيَّةٌ جَبَلِيَّةٌ تَرفُو بِظِلِّ اليَاسَمِينِ– الذَّاكِرَة؟

لِي أن أصرُخَ الآنَ أو أصهلَ أو أعوِي أو أنبَحَ أو أَمُوءَ أو أُشَقشِقَ أو أُبَقبِقَ أو أُزَقزِقَ أنَا الحَيَوَانُ البَرِّيُّ أعدُو وَرَاءَ سِهَامِ الصَّائِدِينَ وَكِلابِهِم

أَيَّتُهَا اللَّحظَةُ المَاكِرَة قَوَافِلُ تَمضِي إِلَى أُفُقٍ غَائِرٍ (أَم هَاوِيَة؟)، وَتَنسَانِي وَحِيدًا فِي بَرَارِي اللهِ، لاَ مَاءَ أَو نَجمَةَ القُطبِ، غُبَارٌ حَامِضٌ وَشَمسٌ مُجهَضَةٌ، أَشجَارُ سَنطٍ تَبُولُ فِي الرَّملِ، نَخِيلٌ وَهمِيٌّ يَسنِدُ السَّمَاءَ، عُوَاءٌ، وَشَيءٌ مَا يَرُوغُ، طَائِرٌ يَنقَضُّ بَغتَةً وَيَختَفِي، مُنتَصَفُ اللَّيلِ أَمِ النَّهَارِ؟ سَاعَةُ الصِّفرِ أَم لَحظَةُ البَوَارِ؟ مَاتَ مَا فَاتَ، وَمَا سَيَأتِي آت بِلاَ انتِظَار.

أَيُّهَا القَطِيعُ الَّذِي يَقْضِمُنِي فِي الظَّلاَمِ.
لَكَ السَّلاَمُ.

وَامتَطَيْتُهَا إِلَى سُوقِ اللُّصُوصِ وَالْقَتَلَةِ، فَرَاوَدَهَا وَاحِدٌ، فَهَزَمْتُهُ ذَلَّهَا، وَقَالَتْ: هَذَا آخِرُ الشَّوْطِ؛ فَلْتَفْرَحْ. وَلِكَيْ يَكْبُرْ.

وَسَتَقُولُ لِي آخِرَ الْكِتَاب: أَنَا الْعَاهِرَةُ الْمُقَدَّسَةُ، كُلُّ الطُّقُوسِ بَدَأَت مِن سُرَّتِي إِلَى آخِرِ الأَبْجَدِيَّةِ، لَكِنَّكَ لَم تَفْطِن، وَاخْتَرْتَ الْجِهَةَ الْعَمْيَاء.

أَنَا الْمَرْأَةُ الْبَرِّيَّة لاَ سَرْجَ لاَ لِجَام

*كَأَنِّي مُوَكَّلٌ بَحَرثِ هَذِهِ الأَرضِ البَوَارِ، مَا كَلَّفَنِي أَحَدٌ، لَكِنِّي صَحَوتُ مِنَ النَّومِ فَوَجَدتُهَا فِي حُضنِي. **مَن أَنتِ يَا سَيِّدَةَ العَالَمِين؟ أَنتَ سَيِّدُ العَارِفِين.** أَعرَى مِنَ العُرِي. وَضَعتُ خِرقَتِي وَشَارَتِي، وَانطَلَقنَا صَامِتِين، تَخفُرُنَا السَّحَالِي وَالقِطَطُ الضَّالَّةُ وَالنُّبَاحُ وَالصَّهِيل. وَعِندَ مَوقِعٍ مَعلُومٍ، وَقَفتُ فِيهِم خَطِيبًا مُفَوَّهًا (رَصَّعتُ كَلاَمِي بِمَأثُورَاتٍ حَدَاثِيَّةٍ لِيبرَالِيَّةٍ وَمَا بَعدَهُمَا، مَعَ بَعضِ الأَمثَالِ الشَّعبِيَّةِ وَالحِكَمِ العَرَبِيَّةِ، فَانبَهَرُوا). رَفَعُونِي فَوقَ الأَعنَاقِ (وَالهُتَافُ يَصُمُّ الآفَاق)، وَانطَلَقُوا بِي. **إِلَى أَينَ يَا سَادَتِي الأَفَاضِلُ الأَمَاجِدُ الأَشَاوِس؛** هَبُّوا هَبَّةَ رَجُلٍ وَاحِد: **لاَ تَسأَل عَنِ المَكَان، بَل الزَّمَان.** قُلتُ، فَقَالُوا: **زَمَانُكَ المَكَانُ، وَلتَخرَس.** خَرِستُ، وَوَجهِي يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ بَحثًا عَن قِبلَةٍ أَرضَاهَا، سُدًى؛ وَلَمَّا مَلَلتُ، عَاوَدَتنِي شَهوَةُ البَلاَغَةِ، فَانطَلَقتُ: **هَا كُم الأَرضُ مِيرَاثِي وَمُلكِي، هَا كُم السَّمَوَاتُ مِظَلَّتِي وَفُلكِي، هَا كُم لِبحَارُ دُمُوعِي عَلَى المَسَاكِينِ وَأَبنَاءِ السَّبِيلِ فِي اللَّيلِ الطَّوِيل؛ فَطُوبَى لِي**

المَسعُورَة تَقتَفِي دَمِي فِي المَاضِي تَعقُرُ آثَارَ أَقدَامِي
عَلَى الرِّمَالِ الضَّائِعَة إِلَى الأَحرَاشِ الغَابِرَة
فَمَن يَدفَعُ عَنِّيَ اللَّحظَةَ الفَاجِرَة
المَاكِرَةَ الخَاسِرَةَ السَّافِرَةَ البَائِرَةَ الفَاتِرَةَ
الغَادِرَة؟
فَمَتَى أَصحُو عَلَى الأَرضِ الَّتِي مَا وَعَدَ اللهُ بِهَا أَحَدًا
أَرتَعُ فِيهَا مَعَ المَاعِزِ الجَبَلِيِّ أَنَا التَّيسُ الذَّهَبِيُّ قُرُونِي
مِن أَلَقٍ ذَيلِي مِن بَرقٍ وَثُغَائِي صَلَوَاتٌ آثِمَةٌ تَتَرَاكَضُ
فِي الفَلَوَاتِ إِلَى المُنحَدَرَاتِ إِلَى الأَغوَار
تَنَـاااااااااااااااام
فَتَصحُو أَعضَائِي أَطلاَلاً زَاهِرَةً يَسكُنُهَا البُومُ وَالذِّئبُ

مَطَرٌ يَهْطِلُ فِي قَلْبِي،
وَحَبِيبَتِي
بَعِيدَة.

وَلَكُم. هَلَّلُوا فَرِحِينَ مُستَبشِرِينَ بِمُلكِ البِلاَدِ وَالعِبَادِ إِلَى آخِرِ الدَّهرِ، وَمَضَوا بِي إِلَى البَحرِ فِي طَوَابِيرَ مُنتَظِمَةٍ بِالكِلاَشنِيكُوف وَالأَعلاَمِ المُلَوَّنَةِ وَالأَنَاشِيدِ العَسكَرِيَّةِ البَهِيجَة (كَانَ الكَونُ صَالِحًا لارتِكَابِ الأَحلاَمِ وَالخُزَعبَلاَتِ الجَمِيلَةِ، وَلَم يَعرِف بَعدُ نَمَطَ الإِنتَاجِ الآسِيوِيِّ وَالرُّكُودَ الشَّرقِيَّ وَتَورِيثَ الحُكمِ الجُمهُورِيِّ)، فَقُلتُ: لِمَ لاَ؟ يَا شَعبِيَ العَزِيزَ، هَا كُم فَرَمَانَاتِي:

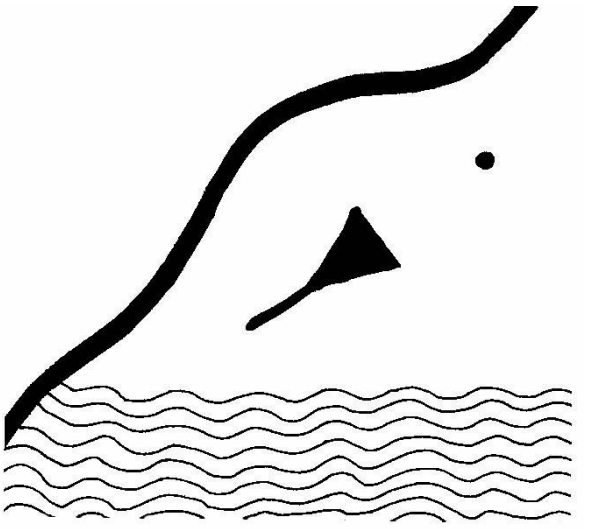

1- أَنَا سَيِّدُ البِلاَدِ وَالعِبَادِ وَالفَسَادِ إِلَى آخِرِ الآبَاد؛

2- عَلَى المُعتَرِضِينَ أَن يَضرِبُوا رُؤُوسَهُم فِي الحَائِطِ، أَو يَشرَبُوا مِنَ البَحر.

عَكَفتُ عَلَى تَألِيفِ النَّشِيدِ الوَطَنِيِّ، وَاختِرَاعِ عَلَمٍ وَشِعَارٍ إِلَخ، وَلَمَّا انتَهَيتُ جَمَعتُهُم لِيَحلِفُوا لِي يَمِينَ الوَلاَءِ وَالطَّاعَةِ العَمياءِ، فَرَمَوا بِي إِلَى البَحر. فَأَينَ أَنتِ يَا سَيِّدَةَ العَالَمِين؟

أَيـنَ أَنتِ

وَلَمَّا سَاخَتْ أَقْدَامِي، قَلَبْتُ وَجْهِي فِي السَّمَاوَاتِ بَحْثًا عَن نَجْمَةِ القُطْبِ، فَأَتَانِي التُّعْبَانُ الأَقْرَعُ وَقَالَ: لَبَّيْكَ.. عَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْك.

هَا أَنَذَا. مَا دَلَّنِي أَحَدٌ، وَلاَ سَاحِرَاتُ البِلاَدِ البَعِيدَة؛ مَا وَشَى لِـي هَـامِشُ "**السِّفر العَظِيم**" وَالأَفلاَكُ؛ فَهَل تَوَاطَأَت شِعَابُ الأَرضِ كَي تُفضِي إِلَيكَ بِي؟ هَل تَآمَرَت فِخَاخُ الصَّائِدِينَ المَاكِرِينَ كَي تَقُودَنِي إِلَى يَدَيك؟ أَنَا المُهرَةُ البَرِيَّةُ، أَعدُو فِي فِجَاجِ اللَّيلِ بِلاَ دَلِيلٍ، **فَمَن تَكُونُ أَيُّهَا الغَرِيب؟** أَنَا الدَّلِيلُ المُستَحِيلُ، العَـابِرُ الضَّلِيل؛ **مَا آيتُك؟** أَربَعُ سَنَوَاتٍ شَفَقًا بِلاَ شَمسٍ تَعقُبُهَـا شَمسٌ تَقتَرِنُ بِالقَمَرِ فِي الظَّهِيرَة، لَيـلٌ طَوِيلٌ وَنُجُومٌ خَبِيثَةٌ، فَهَل أَخدَعُ الـنَّفسَ قَلِيلاً إِلَى أَن يَجِيءَ الأَوَانُ، أَم أُعَابِثُ الشَّهَوَاتِ المَسعُورَةَ فِي الأَمَاكِنِ المَهجُورَةِ بِمَنَاقِيرِ الطُّيُورِ الجَارِحَة؟ **أَنَا المَرأَةُ الجَانِحَة**

وَأَسـرَابُ سُـعَارٍ وَعَوِيـلٍ لا تَغفُـو أو تَغفِـرَ أحلامِـي الـشَّائِنَةَ
فَتُنـشِبَ فِيهَـا المِخلَـبَ وَالنَّـابَ كَـأَنِّي فِـردَوسُ الـشَّهوَاتِ
المَلعُونَة يُنبِتُ أَشلاءً صَـاخِبَةً تَقـضُمُ طُـوبَ الأَرضِ وَتَـشرَبُ
مَاءَ البَحرِ إِلَى أَن تَروَى أو يَنفَدَ فَتَعَالَوا يَا أَحبَابِي يَا خِلاني

إِلَى الوَلِيمَـةِ المَسـمُومَة
نَحنُ القَبِيلَةُ المَكلُومَة
ضَاقَت الأَرضُ بِنَا
فَهَاجَرنَا إِلَى أَرضٍ خَوَاء

نَحرُثُ المَـاضِي وَنَحـرُسُ مَا تَبَقَّى مِن شَظَـايَا الحُلمِ عَلَّهَا

أَخرُجُ مِن كَهفِي إِلَى شُمُوسِ الله:
نَجمَةً فَادِحَة

تَقَاطَعَت فِي جَسَدِيَ الطُّرُقَاتُ وَالصَّرَخَاتُ، أَشعَلَت فِي القَلـبِ أَقمَـارًا غَامِضَةً وَشُمُوسًا زَرقَاءَ، لاَ أَدرِي، ضَالَّةٌ عَمياءُ، وَالصَّهِيلُ يَشُبُّ يَهُبُّ فِـي

وَحِـينَ أَحَـاطَ الجُنْـدُ بِـي فِـي غَـلٍّ، وَصَـوَّبُوا
أَسلِحَتَهُم إِلَى قَلبِي، نَبَتَ لِي جَنَاحَان، فَطِرْتُ
إِلَـى غَيْمَـةٍ عَـابِرَةٍ، وَرَجَمْـتُهُم بِحِجَـارَةٍ مِـن
سِجِّيل.

وَلَمَّا قُمْتُ بِالْقَفْزَةِ الْأَخِيرَةِ الْمُسْتَحِيلَةِ، قَسَقَطَ عَن وَجْهِي الْقِنَاعُ، الْتَهَبَت السَّاحَةُ بِالتَّصْفِيقِ وَالْهُتَافِ، وَبَانَت الْفَرْحَةُ عَلَى وَجْهِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. وَأَمَرَ بِقَطْعِ رَأْسِي.

خَلاَئِي، قَطرَةَ مَاءٍ، أَو سَاعَةَ مَطَرٍ، مَن؟ هَكَذَا انطَلَت عَلَيَّ الوَشوَشَاتُ فَانفَتَحَت أَبوَابِي ذَاتَ سَهوَةٍ، فَاستَفَقتُ بِلاَ نُجُومٍ، مَنهُوبَةً خَاوِيَةً، بِلاَ حَرِيقٍ أَو مَطَرٍ **أَيُّهَا السَّفَر، رِحلَةٌ أُخرَى، بِلاَ مَتَاعٍ، نَحوَ نَجمٍ مِن حَجَر.**

رُبَّمَا أو قَد

أَبَد

أَحَد

صَمَد

لا مَوعِدَ الآن

أو غَدَا

فَنَامِي لَيلَةً مِن كِبرِيتٍ قَمَرٌ مَقضُومٌ وَنُجُومٌ رَصَاصٌ مَرِيرٌ تَهمِي بِلا أَوَانٍ فَنَامِي سِنَةً أو دَهرًا سَنَةً

كَأَنَّنِي السَّائِرَةُ فِي النَّومِ بِلاَ نَومٍ، أَتَخَبَّطُ فِي لَيلٍ بُرتُقَالِيٍّ، إِلَى الأَمَامِ إِلَى الأَمَامِ، تُقُودُنِي غَيمَةٌ تَهطِلُ فِي رَأسِي حِينَ تَضرِبُهَا الرِّيحُ، لاَ أَبتَلُّ، هَل طَالَ الطَّرِيقُ أَم أُرَاوِحُ فِي مَكَانِي، أَمِ الأَشيَاءُ تَهرُبُ مِن ظِلِّي، قَوَافِلُ الكَلاَمِ مَرَّت بِي صَامِتَةً، وَالْمُلْتَمُونَ يَجِيئُونَ فرَادَى، **أَيُّهَا السَّادَةُ مَا تَبغُون؟** أَنتِ؛ **مَنذُورَةٌ لِمَن يَأتِي بِهِ الرُّخُّ لَحظَةَ النِّسيَانِ**، أَنتِ؛ **كَي يُلَملِمَ مَا تَكَسَّرَ مِن شَظَايَايَ وَوَهمِي**، فَاستَرِيحِي بُرهَةً نَقطُفُ فِيهَا الكَرَزَ وَالرُّمَّانَ وَالأَعنَابَ، وَتَرتَوِينَ مِن حَلِيبِ اللهِ؛ **عَطشَى، جَسَدِي يَهفُو لِلمَنَاقِيرِ الجَائِعَةِ، كُلَّمَا نَهَشَتنِي اشتَهَيتُ الاكتِمَالَ**، فَمَن يُلَملِمُ مِن زَوَايَا اللَّيلِ شَظَايَا شَهوَتِي المُبعَثَرَةَ، يُرَمِّمُ الذَّاكِرَةَ، يَغسِلَنِي مِن خُطَى العَابِرِين **فِي انتِظَارِ سَيِّدِ العَارِفِين**

فَلِمَن أَتَكَلَّمُ اليَوْمْ؟
نَهْرُ دَمٍ يَشُقُّ أَطْلاَلَ المَدِينَةِ. وَالنَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا. وَالسَّمَاوَاتُ مُوصَدَةٌ وَالأَرَاضِين سِجْنٌ زَنْزَانَةٌ تُخَاصِمُ النَّهَار.
فَمَاذَا أَتَكَلَّمُ اليَوْمْ؟

أستَعِيرُ مِنَ الجِيرَانِ مِكنَسَةً وَمَسَاحِيقَ تَنظِيفٍ وَمُطَهِّرَاتٍ قَوِيَّةَ المَفعُولِ، كَي أُنَظِّفَ المَاضِي مِن كَوَارِثِي وَحَمَاقَاتِي (أَحلاَمٌ مُجهَضَةٌ، طَعَنَاتٌ، نِسَاءٌ حَامِضَاتٌ، وَسَاوِسُ لَيلِيَّةٌ، خِيَانَاتٌ، أَكَاذِيبُ- بَيضَاءُ أَحيَانًا- عَاهِرَاتٌ، قَلِيلٌ مِنَ النَّمِيمَةِ اللَّذِيذَةِ، خَيبَاتٌ، هَزَائِمُ لَيسَت قَاصِمَةً، كَوَابِيسُ آنَاءَ اللَّيلِ وَأَطرَافِ النَّهَارِ) لأَكُونَ صَالِحًا لارتِكَابِ كَوَارِثَ وَحَمَاقَاتٍ جَدِيدَةٍ بِلاَ زِحَامٍ. حَتَّى إِذَا أَنهَيتُ المُهِمَّةَ، جَلَستُ عَلَى العَتَبَةِ أَنتَظِرُ مَا يَسَّاقَطُ فِي حِجرِي مِن أَحلاَمٍ مُجهَضَةٍ، وَطَعَنَاتٍ، وَنِسَاءٍ حَامِضَاتٍ، وَوَسَاوِسَ لَيلِيَّةٍ، وَخِيَانَاتٍ، وَأَكَاذِيبَ- لَيسَت بَيضَاءَ أَحيَانًا- وَعَاهِرَاتٍ، وَقَلِيلٍ مِنَ النَّمِيمَةِ اللَّذِيذَةِ، وَخَيبَاتٍ، وَهَزَائِمَ قَاصِمَةٍ، وَكَوَابِيسِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ.

بِلاَ مَاضٍ- الآنَ- أَعبَثُ بِالزَّمَنِ المُضَارِعِ، أُرَاوِدُهُ وَأُرَاوِغُهُ مِثلَ امرَأَةٍ بَلهَاءَ، أَشُدُّ ذَيلَهُ أَو أَدعَكُ أَنفَه، وَأَجرِي أَمَامَهُ حَتَّى أَختَفِي فِي زِقَاقٍ

أو عُمرًا سَنَلتَقِي ذَاتَ كَابُوسٍ جَمِيل

نُرَمِّمُ المُستَحِيل

نَدحُوهُ شَمسًا سَوداءَ أو حِمَارًا أعرَجَ بِجَنَاحَين من غَسَقٍ وَشَفَقٍ إِلَى المعرَاجِ سَمَاءٌ مِن نِسَاءٍ عَارِيَاتٍ ذَاهِلاَتٍ ثَديٌ نُحَاسٌ وَثَديٌ قَصدِيرٌ يُرضِعنَ طِفلاً مَيِّتًا **يَا سَيِّدِي وَحَبِيبِي** فَارتَقَى بِي إِلَى سَمَاءٍ مِن أَشلاَءٍ تَزحَفُ كَي تَلتَئِمَ فَلَمَّا تُوشِكُ تَأتِي رِيحٌ تَذرُوهَا فِي الفَلَوَاتِ فَتَزحَفَ كَي تَلتَمَّ فَتَذرُوهَا الرِّيحُ **فَيَا مَولاَيَ** سَمَاءٌ تَتَفَجَّرُ آبَارًا مِن خمرٍ وَقَطِيعُ نِسَاءٍ يَتَحَمَّمُ حَتَّى الفَجرِ يُشَكِّلُ دَائِرَةً تَهبِطُ فِيهَا المَلِكَةُ عَارِيَةً تَلطُمُ ثَدَيَيهَا **مَاذَا يَا** يَرقَى بِي نَحوَ سَمَاءٍ مِن أَصوَاتِ نَايَاتٍ آهَاتٌ أَنَّاتٌ وَبُخُورٌ يَتَصَاعَدُ

ورأيتُكِ تتقافزينَ عَلَى الحِبَالِ البَعِيدَة. تَاجُكِ الصَّلُّ وعَيْنُ الصَّقْرِ المُقَدَّس. وكُنْتُ أدلّي قَدَمَيَّ فِي الزَّمَنِ الصَّافِي. نَادَيْتُكِ، لَم تَسْمَعِي. صَرَخْتُكِ، لَم تَسْمَعِي. ارْتَدَيْتُ جِلْبَابِي، ورَحَلْتُ.

مُظلِمٍ، فَيَضِيعَ مِنِّي، فَأَبكِي هَوَانِي عَلَى النَّاسِ وَالزَّمَنِ اللَّئِيم.

رَجُلٌ رَجِيم

أَقتَفِي مَا لاَ أَعرِفُ طَائِرًا يَسكُنُ رَأسِي، يَنقُرُنِي كُلَّمَا غَفَوتُ أَو سَهَوتُ سَنَةً أَو سَنَتَينِ آسِنَتَينِ، سَاهِرٌ أَبَدًا، أَحرُسُ الكَوَابِيسَ المُزدَهِرَةَ وَالأَشبَاحَ، خُفَّاشٌ أَرِقٌ يَعلَقُ بِالأَحلاَمِ، وَيَخمِشُ وَجهَ الأَوهَامِ، إِلَى مَطلَعِ فَجرٍ لاَ يَأتِي؛ عَلَى قَارِعَةِ الوَقتِ أَقعُدُ القُرفُصَاءَ، يَدِي مَمدُودَةٌ لِلعَابِرِينَ المُهَروِلِينَ، وَعَينِي شَاخِصَةٌ تَرقُبُ نَجمًا مُنفَرِدًا فِي الأُفقِ الرَّابِعِ، فِي شِدقَيهِ الزَّبَدُ، وَذَيلُهُ خَيطُ دَمٍ لاَ يَنتَهِي فِي الوَرَاءِ، طَلقَةٌ تَصفُرُ، *هَل فِي جَسَدِي؟* وَنَجمَةُ القُطبِ تَهوِي بِلاَ أَنِين، فَأَشرَبَ مَاءَ البَحرِ، وَأَخبِطَ رَأسِي فِي الحَائِطِ، مَن يَصرُخُ مُنتَصَفَ اللَّيل؟ نَشِيجٌ أَم أُنشُودَةُ الشَّيَاطِينِ البَرَرَة؟ أَم عَوِيلُ السَّاحِرَاتِ عَلَى جَسَدِ القَتِيل؟

غَيمًا يَهمِي أَصدَاءً وَرَنِينًا يَمرُقُ يَنشَقُّ الأُفقُ الغَائِرُ عَن رَفرَفَةِ وَارِفَةٍ تَتَمَشَّى هَونًا حَتَّى السُّرَّةِ يَنفَلِتُ الحَبلُ فَيَنفَجِرَ صُرَاخٌ مَجنُونٌ يَرقَى بِي يَرقَى يَرقَى حَتَّى أَلقَى

أَيُّهَا الآبِقُ الجَمِيل

لَكَ الصَّلاَةُ وَالتَّرتِيل

لَكَ السُّجُودُ وَالهُجُودُ وَالقِيَامُ وَالقُعُودُ وَالتَّكبِيرُ وَالتَّهلِيل

لَكَ العَوِيل

مُرنِي تَجدِنِي بُومَةً تَنعَبُ فَوقَ الأَطلاَلِ المُزدَهِرَةِ أَو خُفَّاشًا يُنشِبُ مِخلَبَه فِي وَجهِ الزَّمَنِ الآسِنِ أَو بِهلُولاً يَمشِي نَزِقًا فَوقَ الحَبلِ المَشدُودِ عَلَى هَاوِيَةٍ وَاهِيَةٍ

أَيُّهَا اللَّيلُ الطَّوِيل الطَّوِيلُ الطَّوِيل

جَسَـــدٌ مَجنُـــوووووووون

أَنتَ الطَّابُورُ الخَامِسُ فِيَّ، وَمِن أَبوَابِكَ يَدخُلُنِي الأَعدَاءُ وَقُطَّـــاعُ الطُّـــرُقِ وَأَصحَابُ العَاهَاتِ بِسَلاَمٍ آمِنِين

قَلعَـــةٌ مُدَجَّجَـــةٌ، مُبَاحَـــةٌ لِلعَابِـــرِين

لاَ حُرَّاسَ عَلَى الأَبوَابِ،
لاَ عَسَسَ وَلاَ كَمَائِن
أَيُّهَا الجَسَدُ الخَائِـــن
شَهوَةٌ لِلنَّهبِ وَالغَـــزوِ
وَالقَطَافِ المُـــرِّ، *أَيُّهَـــا*
الغُرَبَاءُ المَـــارَّةُ التُّجَّـــارُ
الطُّلاَّبُ الدَّرَكُ المُهَرِّبُونَ
الحِرَفِيُّونَ البَاعَةُ الأَثرِيَاءُ
الجُدُدُ اللُّصُوصُ المُعَاقُونَ

زَاهِيَةٍ دُونَ نِهَايَة

أو بِدَايَـــة

أَبنِيَةٌ شَاهِقَةٌ تَنشَقُّ عَمُودِيًّا كَالزُّبَد بِسِكِّينٍ لأ مَرئِيَّـة
تَتَسَانَدُ تَمشِي تَتَمَشَّى فِي الوَقتِ الضَّائِعِ قَد تَتَرَاقَصُ
لأ مِن طَرَبٍ تَتَهَاوَى أَبوَابٌ وَشَبَابِيكُ فَتَمشِي تَتَمَشَّى
تَهوِي جُدرَانٌ وَأَثَاثٌ تَمشِي تَتَمَشَّى أَروِقَـةٌ وَثُرَيَّـاتٌ
وَتَوَابِيتُ وَأَعمِدَةٌ وَتَمَاثِيلُ وَأَجهِـزَةٌ أَجسَادٌ مُتَنَـاثِرَةٌ
وَصُرَاخٌ وَلَولَةٌ طَافِيَةٌ شَهقَاتٌ فَارِهَةٌ تَتَمَشَّى تَتَرَاقَصُ
كَالمَخمُـورِ أَو المَذبُوحِ تَهِيمُ كَمَن يَمشِي فِي النَّـومِ

البَقَّارُونَ هَا كُم وَلِيمَةً مَجَّانِيَّةً بَاذِخَةً، لاَ تَنقُصُ أَو تَفنَى، وَعَـــدٌ بُنخمَـــةٍ عَمِيَاءَ، بِلاَ نَدَمٍ، كُلُّ قَضمَةٍ تُزهِرُ حَقلاً مِن كُرُومٍ وَبُرتُقَالٍ وَأَسرَابَ طُيُـــورٍ مُرَفرِفَةٍ، وَأَنهَارَ خَمرٍ وَلَبَنٍ وَعَسَلٍ، كُلُّ رِشفَةٍ رِجفَةٌ تَفتَحُ الـــسُّعَارَ عَلَـــى المِصرَاعَين، عُوَاءٌ وَعَوِيلٌ فِي الكُهُوفِ المَلهُوفَةِ، أَنهَارٌ تَغلِي وَتَفُورُ، أَعِبٌّ بِلاَ رِيٍّ، طَعمُ الطُّحلُبِ وَالطِّينِ، طُيُورٌ جَارِحَةٌ تَنهَشُ، أَنيَابٌ وَمَخَالِبُ تُوغِـــلُ حَتَّى يَنفَجِرَ الدَّمُ فِي اللَّيلِ الغَامِضِ، فِي القَاعِ أُلُوبُ وَقَلبِي يَبحَـــثُ عَـــن

وَعُـدْتُ مِـنَ الْكَهْـفِ أَرْتَعِـدُ وَأَهْـذِي: دَثِّرِينِـي..
زَمِّلِينِـــي؛ فَانْفَتَحَـــتْ لِـــي، أَطْبَقَـــتْ عَلَـــيَّ،
وَالْتَهَمَتْنِي.

وَحِينَمَا ضَحِرْتُ أَضْرَمْتُ النَّارَ فِي الْكُوخِ وَالنَّايِ وَعَصَايَ. وَجَلَسْتُ عَلَى التَّلِّ أُقَلِّبُ وَجْهِي فِي السَّمَاءِ بَحْثًا عَن قِبْلَةٍ أَرْضَاهَا.. سُدًى.

مِشكَاةٍ فِيهَا مِصبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ كَكَوكَبٍ دُرِّيٍّ يُضِيءُ بِلاَ نَار.

نَجـــمٌ بِلاَ مَـــدَار

هَشِيمٌ مِنَ الشُّمُوسِ المُحتَضِرَةِ وَالشَّهَوَاتِ المُنكَسِرَةِ، مَنثُورٌ فِي غَابَاتِ اللَّيلِ، فَأَيَّةُ ذَاكِرَةٍ تَنـــسَى؟ أَيُّ بِحَارٍ تَغسِلُنِي حَتَّى البُرءِ؟ وَأَيُّ طَرِيق

أَنَا الحَرِيـــق

لاَ وَقـــتَ لاِشـــتِعَالِي، مُرجَأَةٌ إِلَى لَحظَةِ اقتِرَانِ دَمِي بِكَوكَبٍ هَارِبٍ مِنَ الأُفُول

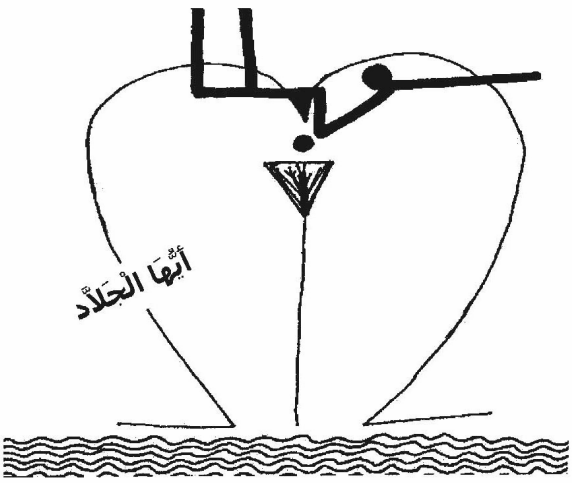

أَنَا المَرأَةُ الجَهُـــول أَقتَفِي مَا لاَ أُرِيدُ، فَأَشتَهِي مَا أَقتَفِي، حَتَّى تَحُطَّ الفَأسُ فِي الرَّأسِ، فَأَتَّكِي عَلَى جِدَارٍ مَائِلٍ، وَأَبكِي بُرهَةً يَسِيرَةً، أَسُبُّ فِيهَا الـــزَّمَنَ الوَغدَ وَأَولاَدَ الكَلبِ وَأَرثِي نَفسِي (لَيسَ كَثِيرًا)، وَأَعُودُ إِلَى سِيرَتِيَ التَّالِيَة

أَنَا المَرأَةُ النَّاجِيَـــة

لَم يَأخُذُوا مِنِّي سِوَى مَا تَأخُذُ الرِّيحُ مِنَ الغَابَةِ، فَاستَوَيتُ عَلَـــى عَرشِـــيَ السِّرِّيِّ، مَكنُونَةً، بِلاَ شَارَةٍ، أَمشِي عَلَى المَاءِ كَالأَولِيَاء، أَمُدُّ جَنَاحَيَّ يَحمِلُنِي الهَوَاءُ إِلَى فَضَاءٍ قَزَحِيٍّ رَحِيم، **أَمشِي عَلَى الصِّرَاطِ المُـــستَقِيم** كَالأَنبِيَـــاء، أُقَلِّبُ وَجهِي فَأُبصِرُهُ يَمتَطِي غَيمَةً زَرقَاءَ، يَرعَى قَطِيعًا مِنَ الأَحلاَمِ الغَارِبَة.

وَقَعَدْتُ أُحْصِي الْحَصَى وَأَعُدُّ النُّجُومَ، فَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ عَنْ عَامُودِ نَارٍ خَرَجَ مِنْهُ كَائِنٌ بَيْنَ الْمَلَكِ وَالشَّيْطَانِ، اخْتَطَفَنِي وَطَارَ.

سَمَاءٌ رَمَاد.
مَطَرٌ يَنهَلُّ عَلَى زُجَاجِ النَّافِذَة.
مَنِ الطَّارِقُ الآن؟
يَدُ المَوت،
أَم صَرخَةُ المِيلاَد؟
أَمِ الذَّبِيحُ يَعدُو- بِلاَ رَأسٍ-
يَخُطُّ خَارِطَةَ البِلاَد؟
أَفَاتَ الوَقت،
أَم آنَ الأَوَان؟
خُطوَةٌ،
خُطوَتَان؛
بَعدَهُمَا: رُبَّمَا
لاَ مَـــزَامِيرَ لاَ أَنَاشِـــيد.
المَـــدَافِعُ مُنـــصُوبَةٌ،
وَالبَنَادِقُ مُشرَعَةٌ، وَعَلَى
أَكتَافِ العَسكَرِ تَلتَمِعُ نُجُومٌ وَنُسُورٌ مَيِّتَةٌ وَسطَ المَيدَان؛ رَمِيَةُ نَردٍ لاَ تُلغِي الصُّدفَةَ، وَالعُصفُورُ يَحُطُّ عَلَى الشَّجَرَةِ، يَزرِقُ وَيَطِيرُ قُبَيلَ الطَّلقَةِ؛ حَرب؟ مَنِ العَدُو؟ بَعدَهَا، رُبَّمَا؛ وَهَل يَخفَى القَمَر؟ هَمهَمَاتٌ هَينَمَاتٌ وَهوَهَاتٌ حَمحَمَاتٌ فَالصَّهِيل.

وَكَالْعَادَةِ سَقَطْتُ فِي الْفَخِّ فَالْتَمَّتْ عَلَيَّ طُيُورٌ
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَانْتَزَعَ كُلُّ طَائِرٍ رِيشَةً، وَصَنَعُوا لِي
~~حَلًّا~~ جَنَاحَيْنِ، فَطِرْتُ مَعَهُمْ وَالْفَخُّ مُطْبِقٌ
عَلَى مَخَالِبِي. وَلَمَّا حَطَطْنَا عَلَى غَيْمَةٍ
مَنَحُونِي التَّاجَ وَالصَّوْلَجَان.

إِلَى الحَافَّةِ تَنتَظِرُ مُصَادَفَةً نَزِقَة
شَمسٌ أَرِقَـــة
وَسَرَابٌ يَمشِي مَرحًا فِي المُدُنِ الدَّبِقَة
جُثَثٌ ضَاحِكَةٌ أَشلاَءٌ مُتَنَاكِحَةٌ أَنهَارُ دَمٍ
ظُلُمَاتٌ شَبِقَـة
فَأَيُّهَـا المُوَاطِنُـونَ الخَـائِرُونَ الـذَّاهِلُونَ البَـائِرُونَ الآفِلُون
لاَ مَوت
لاَ
نُشُـــور
هَكَذَا الأَرضُ بُرتُقَالَةٌ قَضَمَتهَا العِثَّةُ وَالفِئرَانُ وَأَسرَابُ الجَرَاد
بُرتُقَـــالَةٌ مِن رَمَـــاد

أَيُّهَا الزَّمَـنُ القَتِيل
أَبْتَهَا الْبَشُوشَةُ الْمَشْبُوبَةُ
الْمَوْشُومَةُ بِي، شُبِّي فِي أَعْضَائِي،
انْدَلِعِي.

تَقتُلُنِي وَتَمشِي فِي جِنَازَتِي، تَلطُمُ الخَدَّين تَحثُو التُّرَابَ كَامرَأَتِي، وَتَسبِقُنِي إِلَى القَاعِ؛ تَحتَلُّ مَكَانِيَ المُنتَظِرَ، وَتَترُكُنِي فِي العَرَاءِ الخَوَاء هَبَاءٌ،

أَم الذَّبِيحُ يُغَنِّي دَمَه الضَّائِعَ فِي الشَّوَارِعِ،
أَم أُدَلِّي قَدَمَيَّ فِي المَاءِ، وأَنسَى؟
فَهَل أَدُلُّكُم عَلَى شَجَرَةِ الخُلدِ؟

لاَ تَتبَعُونِي
أَينَ المَزَامِيرُ
وَالأَنَاشِيد؟

قَابِيل: أَينَ أُخُوك؟ مَن أَطَاحَ بِوَرَقَةِ التُّوت؟
كَأَنَّ الوَقتَ قُنبُلَةٌ مَوقُوتَةٌ، مِن أَوكَارِهَا تَخرُجُ الأَفَاعِي
وَالضِّبَاعُ، لاَ تَركُضُ الثَّعَالِبُ

مَرمِيَّةُ تَعثُرُ الأَقدَامُ بِهَا فَتَركُلُهَا عَاوِيَةً إِلَى النِّسيَانِ الكَظِيم

أَيُّهَا الوَقتُ الأَلِيم

شَوكَةٌ فِي الحَلقِ سِكِّينٌ فِي الظَّهر

طَلقَةٌ طَائِشَةٌ فِي السَّدِيم

أَيُّهَا الوَقتُ اللَّئِيم

خُنتَنِي وَبُحتَ بِي فَرَمَوا بِي إِلَى القَارِعَة

صَرخَةً فَارِعَة

طُولُهَا سَبعَةُ آلاَفِ عَامٍ مِن سِيَاطٍ وَهُرَاوَاتٍ وَحِبَالٍ مِن مَسَد

أَيُّهَا الوَجهُ الصَّمَد

أَنتَ السُّؤَالُ الصَّعبُ وَالإِجَابَةُ الغَائِبَةُ سَبعَةَ آلاَفِ عَامٍ فِي

وَالذِّئَابُ، تَمشِي الهُوَينَى فِي الهَوَاءِ الطَّلقِ؛ أَذَانُ الفَجرِ أَم المَغرِبِ؟ غَسَقٌ أَم شَفَق؟ أَم أَرَقٌ عَلَى أَرَقٍ، قَلَقٌ عَلَى قَلَقٍ، كَأَنَّ الرِّيحَ تَحتِي، فَهَل مَرَّت المَوَاكِبُ الحَافِلَة؟

وَرَقَصَت لِي عَارِبَةٌ عَلَى المَاءِ، فَغَنَّيتُ لَهَا:

أَنتِ وَردَةُ البَشنِين

أَنتِ زَهرَةُ اللُّوتَس

وَأَنَا أُوزُوريس.. أَشلاَئِي مُوَزَّعَةٌ فِي تَضَارِيسِ النِّسَاء

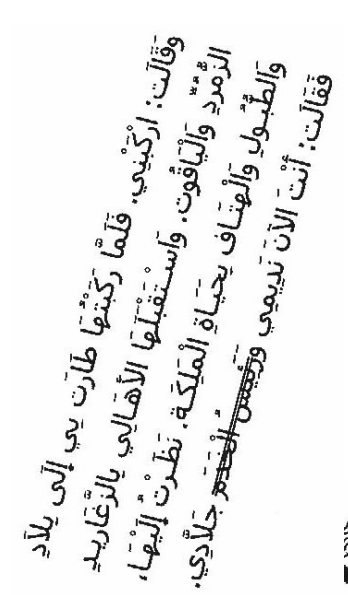

أَرَانِبُ عَبْدَ أَنَّهُمْ مُلُوكٌ

كَلبٌ عَقُــور

أَتَمَشَّى هَائِمًا عَلَى خُطُوطِ المُستَحِيل
أَقتَفِي اتِّجَاهَ الرِّيحِ، أَينَمَا مَالَت أَمِيل

كَلبٌ مَرِيــر

أَرصُدُ الأَردَافَ المُستَدِيرَةَ
وَالسِّيقَانَ الحَسِيرَةَ أَعقُرُهَا
(بَضَّةً، لَذِيذَةً)، وَأَمــضِي
إِلَى قَيلُولَتِي، أُعِيدُ صِيَاغَةَ
امرَأَتِي الَّتِي لَم تَرِد عَلَى
أَحلَامِ الشُّعَرَاءِ وَالبُلَهَــاءِ،
أَنفُخُ فِيهَا مِــن رُوحِــيَ
الحَمقَاءَ، وَأُطلِقُهَا إِلَــى
الأَشجَـــارِ وَالجِبَـــالِ
تُرَفــرِفُ لِــي طُــولَ
اللَّيــلِ، إِلَى أَن يَبِيــنَ
الخَــيطُ الأَبــيَضُ مِــنَ
الأَسوَدِ، فَتَأوِي إِلَى حِضنِي، تُرَاوِدُ كَوَابِيسِي، تُرَوِّضُهَا، تُهَدهِدُهَا إِلَــى
أَن تَنَامَ وَأَنَامَ، فَتَمضِي تُلَبِّي نِدَاءَ الطَّبِيعَةِ.

خَــرَاب الأرض لا غَيمَــةٌ تُظلِّنــي أُسَــائِلُ الــذِّئَابَ وَالكلابَ وَالــضِّبَاعَ وَالأَفَــاعِي أَخَــانَنِي الطَّرِيــقُ أم قَدَمَايَ بَصِيرَةٌ مَشرُوخَةٌ وَخُطَى مَبتُورَةٌ وَقَلــبٌ حَجَر

حَجَرٌ تَآكَلَتهُ الرِّيــاحُ وَالمَطَــر

فَمَنِ الهَاتِفُ الدَّاعِي؟ ***أَنَا الضَّيفُ الثَّقِيل*** *مَاذَا وُقُوفُكَ وَالفِتيَانُ قَد سَارُوا؟* ***هَوَايَتِي الصُّرَاخُ فِــي اللَّيــلِ الطَّوِيــل*** *مَــاذَا تُرِيــد؟*

أَيَّتُهَا الْعَاهِرَة
الْبَاهِرَة:
أُحِبُّكِ.

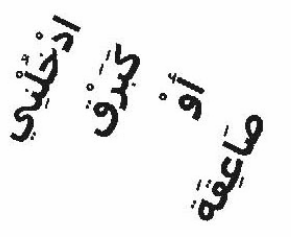

حَنظَلاً أَحشُو بهِ جُوعَ القَتِيل *فَمَن تُرِيد؟* ***أَنتَ، القَاتِلُ الـضَّلِيل***

كُنتُ نَائمًا عِشرِينَ عَامًا، بِلاَ حُلُمٍ وَلاَ كَابُوس، وَاستَفَقتُ فِي انتِصَافِ الوَيلِ عَلَى الخِنجَرِ فِي يَدِي، وَعَلَى وَجهِي الدِّمَاءُ، لاَ أَدرِي، فَمَن يَكُونُ؟ ***أَنتَ القَاتِلُ القَتِيل***

قَضَمَتهُ النِّسَاءُ الآسِنَاتُ عَلَى مَضَضٍ وَالطُّيُورُ الجَارِحَةُ هَنِيئًا مَرِيئًا إِلَى المُنتَهَى لاَ أَسًى لاَ عَزَاء

مَا سَيَجِيءُ جَاء

فِي السَّهوِ أو اللَّهوِ أوِ النَّومِ فِي المَرَايَا عَلَى مَوجَةٍ رَاكِدَةٍ مُهَدهِدَة

إِلَى لَحظَةٍ بَائِدَة

نَرتَعُ فِيهَا بِاسمِ اللهِ مُرسِيهَا وَمُجرِيهَا إِلَى أن يَبِينَ الغَسَقُ مِنَ الشَّفَقِ فَنَقطَعَ الخَيطَ نَعدُو بِلاَ خِرقَةٍ أو شَارَةٍ إِلَى البَحرِ إِلَى البَحرِ نَجلِسُ القُرفُصَاءَ أو نُدَلِّي الأَقدَامَ فِي المَاءِ تَلقُفُهَا القُرُوشُ وَتَمضِي إِلَى القَاعِ الهُوَيْنَى **إِلَى الوَلِيمَةِ المَسمُومَةِ أَيُّهَا الرِّعَاعُ هَيَّا أَيُّهَا الرَّهَائِنُ الدَّائِمُونَ إِلَى الخَيمَةِ المَنشُورَةِ** نَقتُلُ الوَقتَ *هَل فَصِيلَةُ الإِعدَامِ جَاهِزَةٌ؟ فَلتَعصِبُوا العَينَين وَالظَّهرُ إِلَى الحَائِطِ* هَكَذَا تَصرُخُ الأَرضُ تَحتَ أَقدَامِنَا

وَهَكَذَا يَا سَادَتِي الكِرَامُ، أَركَبُونِي حِمَارًا أَعرَجَ (وَجهِي إِلَى الوَرَاء)، وَطَافُوا بِي أَزِقَّةَ القَاهِرَةِ المَملُوكِيَّةِ، يَزُفُّنِي بِالأَهَازِيجِ الأَطفَالُ وَأَبنَاءُ السَّبِيلِ (لِمَاذَا تُزغَرِدُ النِّسَاءُ فِي المَشرَبِيَّاتِ، وَيَنثُرنَ المِلحَ عَلَى رَأسِي؟)، وَالمَدَافِعُ تُطلِقُ 21 طَلقَةً فِي كُلِّ مَيدَان (لِمَاذَا يَتَصَدَّرُ الوَالِي المَوكِبَ مَخفُورًا بِالقَادَةِ وَالجُند؟)، "إِلَى بَابِ زُوَيلَةَ"

كَأَنِّي عَلَى زَنْبَقٍ أَرُوح لاَ أَجِيء

وَ **شَنَقُونِي**

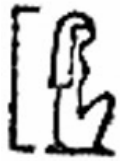

وَأَفَقْتُ فَوَجَدْتُنِي أُعَلَّقُ بِالقَشَّةِ الَّتِي قَصَمَتْ ظَهْرَ البَعِيرِ، وَقَدْ غَرِقَ الجَمِيعُ، فَانْتَشَلَنِي الرُّخُّ بَيْنَ مَخَالِبِهِ، وَطَارَ بِي إِلَى مَدِينَةٍ تَعْبُدُ الدَّنَاصِيرَ، فَنَصَّبُونِي الدِّينَاصُورَ الأَعْظَمَ، وَقَدَّمُوا لِي القَرَابِين.

فَامْتَطَيْتُ حِمَارِي إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ العَظِيم:
"إِنَّ البِلاَدَ تَدُورُ عَلَى عَقِبِهَا مِثْلَ عَجَلَةِ صَانِعِ الفُخَّارِ.. فَمَنْ كَانَ لِصًّا صَارَ رَبَّ ثَرْوَةٍ.. انظُرْ إِنَّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ زَوْجًا مِنَ الثِّيرَانِ صَارَ الآنَ صَاحِبَ قَطِيعٍ.. وَلاَ يُوجَدُ فِي الأَرْضِ إِلاَّ الأَنِينِ".

أَنتَ أَنت

طِفلِيَ التَّائِهُ فِي الأَوقَاتِ، تَجِيئُنِي أَو أَجِيئُكَ فِي لَحظَةِ الهَولِ، هَـل قُتِلتَ كَثِيرًا؟ دَمٌ وَطِينٌ، وَنِصَالٌ تَكَسَّرَت عَلَى نِصَالٍ، فَمِن أَينَ إِلَى أَينَ، أَيُّهَا الضَّالُّ الغَرِيبُ، مِن حَربٍ إِلَى حَربٍ، وَمَجزَرَةٍ إِلَى مَجزَرَة

أَيُّهَا الطَّلقَةُ البَائِرَة

عَادَت إِلَى مَضَارِبِهَا القَبَائِلُ وَالصَّعَالِيكُ وَالمُشَرَّدُونَ، عَادَ المَوتَى الهَائِمُونَ إِلَى القُبُور

وَأَنتَ الوَتَرُ المَوتُورُ

لاَ تَعرِفُ استِرَاحَةَ المُحَارِب، لاَ يَأوِي إِلَى عُشٍّ طَائِرُكَ الوَحشِيُّ، إِلَى سَكِينَةٍ كَلبُكَ الجَهَنَّمِي

أَيُّهَا القَلبُ البَرِّي

تَجِيءُ وَتَمضِي، بِلاَ مَوعِدٍ، حَاضِرٌ غَائِبٌ، غَابَةٌ مِن جِرَاحٍ تَمرَحُ الطُّيُورُ فِيهَا وَتَبتَنِي أَوكَارَهَا، يَأوِي إِلَيهَا المُتعَبُونَ المُقعَدُونَ وَالذِّئَابُ الحَائِرَة

يُصَلُّونَ الصَّلاَةَ الكَافِرَة

تَحتَ أَقدَامِنَا الدَّامِيَةِ الحَافِيَة

فَمَن يُطلِقُ الأَسرَى الهَائِمِين

مَن يُحَرِّرُ الدَّمَ السَّجِين

مَن

يُمسِكُ بِخِنَاقِ الزَّمَن

بُرهَةً أَو سَنَةً مِن وَسَنٍ أَو أَسَنٍ نَرتُقُ فِيهَا المَاضِي نُوَشِّيهِ بِالبُرتُقَالِ نُرَمِّمُ الأَطلاَلَ وَالمَرَاثِي وَنَكتُبُ المُعَلَّقَةَ الأَخِيرَة

مِن هَشِيمِ البُخُورِ وَالمرَايَا

مِن شَظَايَا الوَقتِ وَأَضغَاثِ ضَرِيرَة

مِن فُتَاتِ التَّرَاتِيلِ المَرِيرَة

لا نُعَلِّقُهَا عَلَى الكَعبَةِ نَذرُوهَا فِي رِمَالِ اللهِ نَسقِيهَا

وَكَمْ ذَا بِمِصْرَ مِنَ المُضْحِكَاتِ
وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالبُكَاءِ

وَيَمضُونَ مُطَأطِئِي الرُّؤُوسِ إِلَى الخَوَاءِ، يَتَلاَشُونَ فِي الهَوَاءِ، مِثْلَ آهَةٍ أَو تَنهِيدَةٍ، مَكلُومَةٍ، وَخَلفَهُم ذَيلٌ طَوِيلٌ نَحِيلٌ مِن دَمٍ طَازِجٍ وَصَرخَةٍ مُزدَهِرَةٍ إِلَى حَقلٍ مِنَ الشِّرَاكِ الجَائِعَة

أَيُّهَا اللَّحظَةُ الضَّائِعَة

لاَ تَعرِفُ الأَينَ وَالمَتَى، كَأَنَّكَ السَّرَابُ، كَأَنِّي أُمُّكَ المَفجُوعَةُ النَّادِمَةُ، لاَ سُؤَالَ أَو جَوَابَ، كَبَرقٍ أَو رَعدٍ بِلاَ مَطَر

أَلفَ عَامٍ أَنتَظِر
لاَ يَعرِفُنِي النَّومُ، لاَ، وَلاَ
يُورِقُ السَّهَر.
أَنَا حَارِسَةُ الذِّكرَيَاتِ
وَالوُجُوهِ الغَائِبَة
أَنتَظِر
مَا سَيَنشَقُّ عَنهُ الحَجَر؛
وَأَنتَظِر

خُطَاكَ تَعرِفُنِي، وَخَيطِيَ السِّرِّيُّ مَمدُودٌ لَكَ حَتَّى المُنتَهَى، لاَ بَأسَ، فَلتَركُض بَعِيدًا فِي البَرَاحِ (لا أُفلِتُ الخَيطَ، أَو يَنقَطِع)، بَعِيدًا بَعِيدًا، كَمَا تَبغِي، **أَنَا زَهرَةُ اللَّيلِ العَارِيَة** لَكَ انتَزَعتُ أَشوَاكِي، رَعَيتُ قُطعَانِي وَأَسرَابِي وَجِنَانِي، لَكَ، حَمَّمتُهَا بِمَاءِ الزَّعفَرَان

فِي انتِظَارِ خُطَاكَ الضَّارِيَة

وَكَانَ هَشًّا فَانْكَسَرَ مِنِّي. كَسَرْتُ شَظَايَاهُ،
لَمْلَمْتُهَا، رَمَيْتُهَا خَارِجِي، وَرُحْتُ أَقْتَاتُ عَنْ
مَاضٍ جَدِيدٍ.

مَن أَنتِ أَيَّتُهَا المَرأَةُ الفَارِقَة
لُغـزٌ أَم صَاعِقَـة

أَم وَردَةُ البَـرَارِي المَارِقَـة

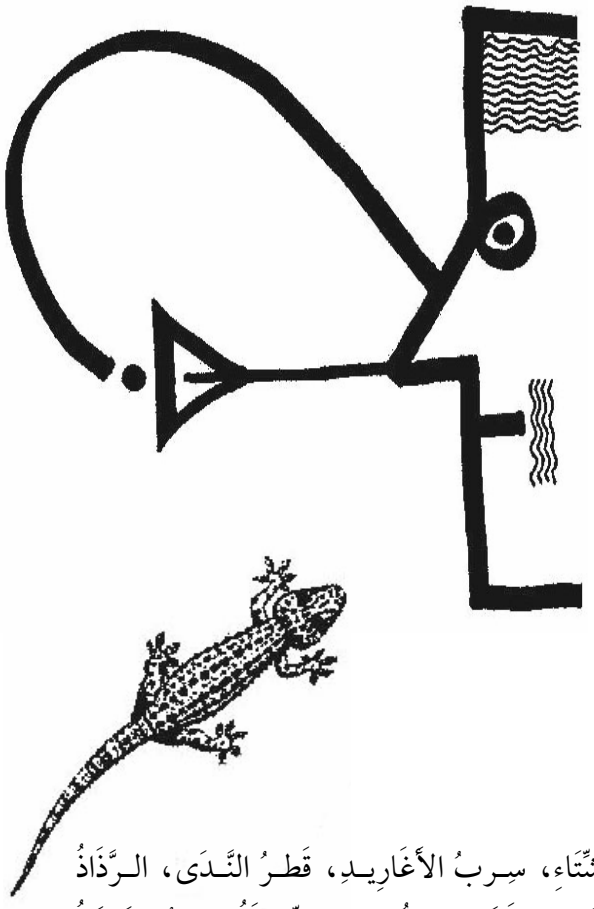

مِن أَينَ آتِيكِ وَأَنتِ الرِّيحُ، أَقبِضُكِ وَأَنتِ النَّارُ، لاَ بَردَ لاَ سَلاَمَ، مَا تَكُونِين؟ أَيُّهَا السُّؤَالُ الصَّعبُ، لِمَاذَا؟ وَكَيفَ لِي؟ هَل تُصلِحِينَ مَا أَفسَدَ الدَّهرُ، تُرَمِّمِينَ مَا هَشَّمَتهُ الحَامِضَاتُ الشَّبِقَاتُ البَائِرَاتُ، مِنَ الوَهمِ تَصعَدِينَ مِنَ الحُلمِ أَمِ اللَّوحِ المَحفُوظِ؟ سَأَعرِفُ- بَعدَ خُطوَتَينِ أَو عَامَينِ أَو دَهرَينِ- أَنِّي أُحِبُّكِ، أَنَّكِ زَمَنِي الضَّائِعُ، وَأَرضِي المُحَرَّرَة

أَيَّتُهَا النَّزوَةُ السَّافِرَة

لَكِ الصَّبَاحُ، وَشَمسُ الشِّتَاءِ، سِربُ الأَغَارِيدِ، قَطرُ النَّدَى، الرَّذَاذُ القَزَحِيُّ يُهمِي عَلَى الذَّاكِرَةِ فِي غَبَشِ الصُّبح، الضِّحكَةُ البِكرُ، رَاحَةُ البَالِ، رَفرَفَةُ العَصَافِيرِ، الهَدِيلُ وَالصَّهِيلُ، كَأَنَّنَا التَقَينَا قَبلَ أَلفِ عَامٍ، أَلفِ

قالت: في البَدْءِ كُنْتَ **حَجَرًا**، فَسَوَّتْنِي عَوَامِل التَّعْرِيَةِ **امْرَأَة**؛ فَلَمَّا رَأَتْنِي الكَائِنَاتُ عَارِيَةً خَرَّت رَاكِعَةً وَصَلَّت لِي. لَكِنِّي- بَعْدَ حِين- سَئِمْتُ مِنَ الأُلُوهِيَّةِ، وَأَحْلُمُ الآنَ بِالحَجَر.

الأَرْضُ تَحْتِي
حِمَارٌ حَرُون

دَهرٍ، ذَاتَ غَابَةٍ فِي الفَجرِ، مَن رَوَّضَ الآخَرَ؟ مَن قَالَ "جَسَدِي مُوجِعٌ"، هَل كَانَ شَعرُكِ خَيمَةً نَأوِي إِلَيهَا مِنَ البَردِ وَالرِّيح وَحَسَدِ العَابِرِين؟ كَانَ

دَمَنَا الخَاثِرَ نَرمِي عَلَيهَا التَّعَاوِيذَ وَالرُّقَى آنَاءَ اللَّيلِ وَأَطرَافَ النَّهَارِ تَشبُّ غَابَةٌ من طَلاسِمَ زَرقَاءَ أَورَاقُهَا رُمُوزٌ وَأَحَاجٍ فَاتِكَةٌ ثِمَارُهَا أَسئِلَةٌ شَائِكَةٌ سَائِغٌ طَعمُهَا نقطُفُهَا وَندحُوهَا مَرأَةً فَاضِحَةً

كَأَنَّهَا المَرأَةُ الأُولَى

أو كَأَنَّهَا

لَكِنَّهَا تَفِرُّ فِي اللَّحظَةِ الجَارِحَةِ طَائِرًا مِن قَزَحٍ أو أُرجُوَان

فَمَتَى يَؤُونُ الأَوَان

رَحِيلٌ بِلاَ عُنوَان

وَمَوعِدٌ لاَ يَجِيء

مُعَلَّقًا فِي الفَرَاغِ كَسَهمٍ مَارِقٍ بِلاَ وُصُولٍ فَمَتَى تُدَقُّ الأَجرَاسُ مَتَى تَنفَرِجُ الأَبوَابُ وَقعُ خُطًى دَائِبٌ فِي

غَيمَةً تَحمِلُنِي إِلَيكِ، ذَاتَ كَهفٍ فِي ظَهِيرَةٍ غَابِرَةٍ، هَل حَطَّت يَدِي عَلَى ثَدِيكِ البَضِّ أَمِ استَرَاحَت فِي الدِّلتَا المُنَدَّاةِ، فَأَدرَكَهَا النُّعَاسُ وَالنِّسيَانُ أَلفَ عَامٍ مِن حُرُوبٍ وَطَوَاعِينَ وَمَجَاعَاتٍ وَمَنجَنِيق، كَم مَرَّةً مِتنَا؟ وَأَينَ كُنتِ حِينَمَا نَبَتَت لِي أَجنِحَةٌ فَطِرتُ إِلَى بِلاَدٍ تَعبُدُ الدَّنَاصِيرَ وَالسَّحَالِي، فَصِرتُ خَلِيلاً لِلمَلِكَة

وَسَقَطتُ فِي الشَّبَكَة

كَمْ مِنْ رُؤُوسٍ أَيْنَعَتْ

فَكَم مَملَكَةً عَبَرَتنِي أَو عَبَرتُهَا، مِثلَ شَرَكٍ أَو فَضِيحَةٍ، أُجَرجِرُ ذَيلَ خَيبَتِي الثَّقِيلَةِ، هَارِبًا فِي اللَّيلِ مِن ظِلِّي إِلَى الهَبَاءِ، فِي انتِظَارِ لَحظَةِ التَّنوِيرِ الضَّائِعَةِ فِي الأَحرَاشِ، فَمَن تَكُونِينَ يَا سَيِّدَةَ الأَوَان؟

آيَةٌ بِلاَ بُرهَان

وَخَرَجَ لِي ثُعْبَانٌ يَطُولُ ثَلاَثِينَ ذِرَاعًا، وَلَحْيُهُ خَمْسَةُ أَذْرُعٍ، وَجِسْمُهُ مُرَصَّعٌ بِالذَّهَبِ. أَخَذَنِي فِي فَمِهِ إِلَى قَصْرِهِ السُّفْلِيِّ، وَقَالَ لِي: لَيْتَنِي رَفَعْتُ صَوْتِي فِي ذَلِكَ الْحِينِ؛ فَالْوَيْلُ لِي.

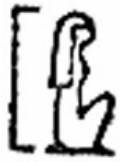

فَمَن أَنْتِ أَيَّتُهَا الرَّاكِضَةُ فِي البَرَارِي، أَيَّتُهَا القَطِيعُ مِن نِسَاءٍ شَيِقَاتٍ، وَصُقُور، وَلَبُؤَات؟ تَنْقَضِّينَ، فَلاَ أُدَافِعُ أَو أُفِر. أُسْلِمُكِ المِفْتَاحَ، وَأُغْمِضُ عَيْنِي.

هَكَذَا جَاءَ البَرَابِرَةُ (بَعدَ أَن خَتَمَ "كَفَافِي" القَصِيدَة)، وَاحتَلُّوا العَاصِمَة.

أَيَّتُهَا المَدِينَةُ العَاصِيَةُ، أَأَلْفُ أَلفُ مِئذَنَةٍ وَبُرجِ كَنِيسَةٍ وَمَكتَبَةٍ، وَنِيلٌ عَذبٌ وَبَحرٌ أُجَاجٌ، وَأَسوَاقٌ وَجَامِعَات. لاَ الخُضُوعَ السَّهلَ، بَل شَهوَةُ الغَزوِ وَالاقتِحَام. ثَأرٌ آجِلٌ آنَ. فَمَن يَقُولُ لِلكُهَّانِ إِنَّنَا نَملِكُ مفتَاحَ المَدِينَةِ مُنذُ أَعوَامٍ، وَإِنَّ الوَقتَ حَانَ لِلَيلٍ طَوِيل

أَيُّهَا المُستَحِيل

رَوَّضنَاكَ، فَامتَلَكنَا السِّرَّ وَالوَقتَ المُؤَرجَحَ بَينَ هَاوِيَتَين، نَحنُ المُقَامَرَةُ المُغَامَرَةُ الفَاصِلَة

قَفزَةٌ مُخَاتِلَة

نَقسِمُ التَّارِيخَ نِصفَين، وَنَكسِرُ الزَّمَنَ شَظَايَا مَسنُونَةً مَسمُومَةً، نَحشُو بِهَا الرِّمَاحَ وَنُطلِقُهَا فِي كَبِدِ الأَبجَدِيَّة

خِنجَرٌ وَبُندُقِيَّة. سُمٌّ، حِبَالٌ مُعَلَّقَةٌ، وَسَوطٌ، وَعَرُوسٌ خَشَبِيَّةٌ.

اللَّيل رَفِيفٌ يَتَهَاطَلُ مِن سَمَاء غَامِضَة أَرَقٌ يَصفَعُ الكَونَ فَيَرتَمِي خَائِراً مُخَدَّراً وَالصَّيَّادُونَ يُطلِقُونَ الرَّصَاصَ عَلَى الأَفكَارِ الجَامِحَة يَكمُنُونَ فِي المُفتَرَقَاتِ يَنشُرُونَ الشِّرَاكَ فِي المَمَرَّات لِلفَرَائِسِ الشَّارِدَة ثَأرٌ أَبَدِيٌّ وَانتِقَامٌ بِدَائِيٌّ فَأَينَ المَنجَنِيقُ وَالسُّيُوفُ أَينَ كُرَاتُ النَّفطِ وَالرِّمَاحُ وَالسَّبَايَا العَرَايَا وَالوِلدَانُ

مَنجَنِيقٌ، سَرَادِيبُ، هُرَاوَاتٌ، وَجَزمَةٌ عَسكَرِيَّة. جَرَادُ اللهِ فِي الأَرضِ، نَقضُمُ السَّمَاءَ كِسرَةً فَكِسرَةً، ثُمَّ نَنثَنِي إِلَى النِّيلِ نَجرَعُهُ إِلَى قَاعِهِ الطِّينِيِّ لاَ نُفلِتُ قَطرَة. أَيَّتُهَا المَدِينَةُ العَصِيَّةُ، الحُكَّامُ وَالحُكَمَاءُ وَالقَادَةُ وَالشُّيُوخُ

أَحْرُفُ الدُّنَى
إِلَيْكِ
لَكِ

يَا نَجْمَةَ الفَلَك

مَنْ يَسْوُقُنِي إِلَى الْغَايَةِ
أَقْضُمُ شَهَوَاتِهِ النَّافِرَة

يَلعَبُونَ النَّردَ فِي المَقهَى، وَالمَفَاتِيحُ بِأَيدِي البَرَابِرَة

لَحظَـةٌ بَائِـرَة

نِهَايَـةُ الوَقـتِ أَم عَلاَمَـةُ الـسَّاعَةِ، وَالأَعـلاَمُ تُرَفـرِفُ فَـوقَ القَـصرِ، جُمجُمَـةٌ وَعَظمَتَان

أَيُّهَا الزَّمَنُ الجَبَان

كَم غَفَونَا؟ عِشرِينَ قَرنًا مِنَ الوَهمِ، أَم دَهـرًا مِـنَ اللَّهـوِ الجَمِيل

أَيُّهَا المُستَحِيل

خُنتَنَـا، بُحـتَ بِالـسِّرِّ إِلَـى أَنبِيَاءِ الظَّلاَمِ، كَأَنَّنَا سِلعَةٌ رَاكِـدَةٌ، أَو رُكَـامُ الـأَرضِ، يَنكَسِرُ الزَّمَـنُ شَظَـايَـا مَـسـنُونَـةً مَـسمُومَةً تَنهَـالُ فِـي قُلُوبِنَـا، فَمَـن سَـيَدفِنُ المَوتَـى وَيَبكِـي عَلَـى المُخَلَّدُون

أَيُّهَا الجُنُـــون

يَومُنَا خَمرٌ وَغَدُنَا خَمرٌ بِلاَ أَمرٍ إِلَى آخـرِ الـدَّهرِ سَرَابٌ إِلَى مَطلَعِ الفَجـرِ فَمَـن يُـؤَذِّنُ الآنَ فِـي مَالطَةَ يُعلِنُ الجِهَادَ فِـي تَمَاثِيـلِ البَازَلـت يُوصِـدُ الحَيَاةَ بِاسمِ اللهِ ذُقُونٌ مِنَ السَّنَطِ وَالغِـلِّ تُـدمِي زُرقَةَ السَّمَاءِ نِسَاءٌ مِـن ظَـلاَمٍ يُطَـارِدنَ الأَحـلاَمَ بِالسِّهَامِ حَـوقَلاَتٌ بَـسمَلاَتٌ عَنعَنَـاتٌ تُخـرِجُ مِـن جِرَابٍ ثعبَانًا أَقرَعَ يَلتَهِمُ المَـوتَى الأَحيَـاءَ وَيَبـصُقُ سُمًّا يَغلِي فِي الوُجُوهِ فَمَن فَقَأَ النُّجُومَ فِـي النَّـومِ وَأَطفَأَ اليَاسَمِين

نَهرٌ مِنَ الظُّلُمَاتِ المَالِحَةِ وَالأَنِين

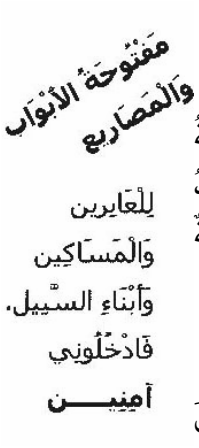

الأَطلاَل؟ هَل ذَهَبَ الأَعيَانُ وَالتُّجَّارُ إِلَى القَصرِ بِالهَدَايَا؟ غِلمَانٌ وَعَـاهِرَاتٌ وَذَهَبٌ وَعَبِيدٌ، فَلِمَاذَا عَادُوا مُرتَبِكِين؟ لَنَا أَن نَسأَلَ الآنَ مَا لَونُ الصَّبَاحِ، مَـا طَعمُ السَّكِينَةِ، مَا شَكلُ الشَّجَر

مَطَـرٌ مِن حَجَـر

يَنهَلُّ فِي العُيُونِ، فَمَا لَونُ زُرقَةِ السَّمَاءِ، أَيُّهَا اللَّيلُ الطَّوِيلُ المُنهَمِر؟

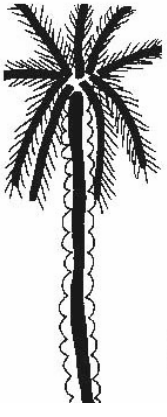

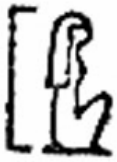

شَـمسٌ حَامِـضَةٌ تَهطِـلُ النُّعَـاسَ وَاليَـأسَ وَالأغرِبَة

أيَّتُهَا اللَّحظَةُ الغَارِبَة

سَأمضِي في اتِّجَاه عَمُـوديٍّ يَـدي فِـي جَيبِـي الخَـاوِي
أركُلُ الطُّـوبَ بِيُمنَـايَ إِلَـى المَرمَـى المجهُـول لأ أرَاه
عَلِّي أُحرِزُ الهَدَفَ القَاتِلَ فِي الوَقتِ الفَاصِلِ أو تَأخُذُنِي
الرِّيحُ الجَامِحَةُ إِلَى الضَّلَالِ الجَمِيلِ الوَبِيـلِ طَـائِراً مِـن
رَمَادٍ بُرتُقَالِيٍّ وَمِنقَارٍ لأزَوَردَ وَجَنَاحَينِ مِن غَيمٍ يُمطِـرُ

دِينَاصُورٌ أَخِيرٌ، أَقضُمُ العُشبَ وَالبِلاَدَ قَضمَةً فَقَضمَةً، وَأَشرَبُ النِّيلَ جَرعَةً فَجَرعَةً، لاَ أَشبَعُ أَو أَرتَوِي، فَهَل هُوَ السَّرَابُ، أَم الزَّمَانُ الوَغدُ فَمُنسَلاً سَائِلاً مِنَ الأَعضَاءِ إِلَى الجِهَاتِ الهَارِبَة

أَيَّتُهَا الطَّعنَةُ الصَّائِبَة؛
قَتَلتِنِي بِلاَ مَوتٍ،
وَتَرَكتِنِي أَمضِي غَرِيبًا، خَاوِيًا
إِلَى النِّهَايَةِ الخَائِبَة.

عَارِيًا مِنَ الوَقتِ أَهِيمُ، أَهُشُّ عَنِّي الذُّبَابَ وَالبَعُوضَ وَالطُّيُورَ الجَارِحَةَ، أَهُشُّ أَسرَابَ الذِّكرَيَاتِ الفَادِحَةِ، أَمضِي عَلَى آثَارِ أَقدَامِي، فَثَقُلَتْ مِن خُطَايَ الأَرضُ، لِمَاذَا يَهرُبُ الظِّلُّ وَالغَيمَةُ وَالنَّجمَةُ؟ أَينَ الطُّقُوسُ؟ أَينَ الصَّوَلَجَانُ؟ يَبدَأُ الزَّمَانُ، أَم يَنتَهِي؟ أَيُّهَا الأَرَقُ الأَبَدِيُّ، كَفَى، كِسرَةَ نَومٍ أَو حِفنَةَ مِن نُعَاس؛ أَهلاً وَسَهلاً أَحبَائِي بِينُوشِيه هُولاَكُو هِتلَر مُوسُولِينِي بُوش، أَنَا الأَخِيرُ،

وَخَرَجَتْ إِلَى الفَلاَةِ فَالتَقَفَتْهَا السَّاحِرَاتُ
البَائِدَاتُ، رَمَيْنَ عَلَيْهَا مَاءً مَلُوثًا فَصَارَتْ يَمَامَةً
طَارَتْ، تَلَمَّسُ فِي مَنَاقِرِهَا الأَسَاطِيرَ، وَابْتَنَتْ عُشًّا
فِي جَسَدِي، وَنَامَتْ.

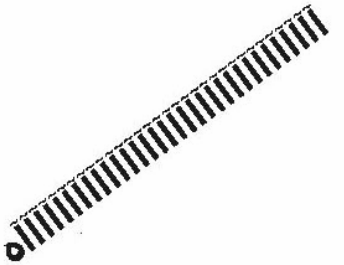

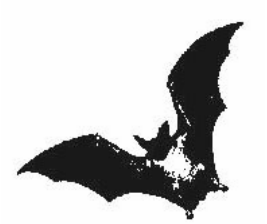

كَم قَتَلنَا الآنَ؟ هَل يَنسَى الوَقتُ؟ أَمِ الأَوهَامُ أَفرَخَت فِي الجَسَدِ الذَّاوِي وَابتَنَى بَينَهُ العَنكَبُوت؟

سَمَاءٌ تَمُوت.

شَمسٌ مِنَ الفُولاَذِ ذَابِلَةٌ،

بَصِيرَةٌ قَاحِلَةٌ،

وَقَوَافِلُ النُّعُوشِ تَمضِي

وَلاَ تَجِيء.

أَيُّهَا الحُلمُ الرَّدِي،

مَتَى تُوقِظُنِي إِلَى عَرشِي، فَأَمضِي أَخرِقُ الأَرضَ فِي المَاضِي، أَيُّهَا الحُرَّاسُ، أَينُهَا الرَّاقِصَاتُ، أَيُّهَا المُنَافِقُونَ الكَذَبَةُ اللُّصُوصُ القَتَلَةُ، أَنَنَامُ أُسرَتِي وَحَاشِيَتِي، بَينَنَا دَمٌ وَشَعرَةٌ لاَ تُرَى، لاَ تَشُدُّوهَا

شَبَقًا عَلَى العَالَمِين

أَنَا سَيِّدُ الخَاسِرِينَ الظَّافِرِين

عَارِيًا وُلِدتُ وَعَارِيًا أَمضِي الهُوَينَى فِي نَشِيدِيَ السِّرِّيِّ
لاَ تَعرِفُه الفُصُولُ وَلاَ العَصَافِيرُ أَنتَقِي أَحجَارًا صَغِيرَةً

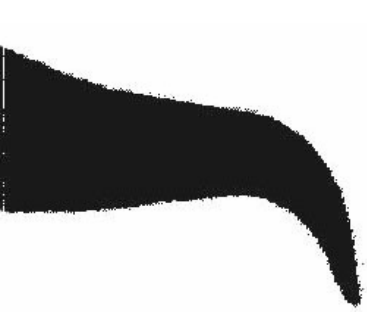

خَضرَاءَ لَم يَمسَسهَا قَلبُ بَـشَرٍ أبتَنِـي بِهَـا مَملَكَـةً مِـن
طُقُوسٍ وَثَنِيَّةٍ وَمليكَةٍ فَاجِرَة
كَأَنَّهَا الوَردَةُ الطَّـافِرَة
عَارِيًا وُلِدتُ وَعَارِيًا أَمضِي الهُوَينَى فِي نَشِيدِيَ الـسِّرِّيِّ
لاَ تَعرِفُه الفُصُولُ وَلاَ العَـصَافِيرُ أَنتَقِـي أَحجَـارًا صَـغِيرَةً
خَضرَاءَ لَم يَمسَسهَا قَلبُ بَـشَرٍ أبتَنِـي بِهَـا مَملَكَـةً مِـن
طُقُوسٍ وَثَنِيَّةٍ وَمليكَةٍ فَاجِرَة
كَأَنَّهَا الوَردَةُ الطَّـافِرَة

طَويلاً فَتُفلِتُ مِنْ يَدِي المُرتَعِدَةِ ، انْطَلِقُوا ، إِلَيَّ بِالغِلمَانِ وَالعَاهِرَاتِ ، مَعًا مَعًا ، هَكَذَا يُورِقُ المَوْتُ فِي جَسَدِي وَيَعلُو ، لاَ تُخبِرُوا الوَرِيدَ الخَبِيثَ وَلاَ الحَيَزبُون ، هَيَّا إِلَى الصَّيدِ ، أَهيَ لُعبَةٌ جَدِيدَةٌ ؟ لُغَةٌ بِلاَ أَبجَدِيَّةٍ ؟ إِلَى أَينَ يَمضِي الشِّرَاعُ ؟ نَحوَ الغَربِ ، نَحوَ الغَربِ ، هَل كَانَ الزَّمَنُ الغَابِرُ يَأوِي إِلَى حِضنِي ، يَأكُلُ مِنْ كَفِّيَّ القَمحَ وَالسُّكَّرَ ، أَحكِي لَهُ عَن الجَانِ وَالعَفَارِيتِ وَالأَسلاَفِ الكَاظِمِينَ ، رَحَى يَطحَنُ الكَائِنَاتِ ، قَارِبٌ بِلاَ دَفَّةٍ وَلاَ شِرَاع ، مَا الَّذِي يَجرِي أَيَّتُهَا الحَيَزبُون ؟

وَرْدَةُ الجُنُون ،
نُجُومٌ سَوْدَاءُ تَنمُو عَلَى حَوَافِّ القَلبِ ،
فَحِيحٌ جَرِيحٌ ، وَرِيحُ أُرجُوَان ؛
أَيُّهَا الوَقتُ الخَئُون ،

قَرَمَتْنِي بِطِلَّسْمٍ فِضِّيٍّ التَقَمْتُه فِي فَمِي،
قَضَمْتُهُ فَكَانَ شَهِيًّا، قَضَمْتُهُ فَكَانَ مُرًّا، فَتَنَازَعْنَا
عَلَيْهِ إِلَى أَن غَابَت الشَّمْسُ، فَأَجَّلْنَا المَعْرَكَةَ،
وَنَامَت فِي حِضْنِي.

تَتَفَتَّحُ لِي كُلَّمَا آنَ الأوَانُ كُلَّمَا حَانَ أو بَانَ الخَيطُ الأبـيَضُ
مِنَ الأسوَدِ أمتَطِيهَا إِلَى خَارِجِ الوَقـتِ مُهـرَةً مَـسحُورَةً
ثَديَانِ من رِيحٍ وَأردَافٌ مِـنَ المَـدِّ وَالجَـزرِ وفَـرجٌ مِـن
حَرِيقٍ تَطُوفُ بِي الأقَالِيمَ وَالبُلدَانَ الغَابِرَةَ أسـوَاقَ العَبِيـدِ
وَالبَهَارِ سَرَادِيبَ السُّعَارِ إِلَـى الحَافَّـةِ تَحتَـوِينِي بِجَنَـاحَينِ
مِن زَبَدٍ وَرِيشٍ وَامضِ تَقفِزُ القَفزَةَ المُطلَقَة

أيَّتُهَا المَرأةُ الخَارِقَـةُ الفَارِقَـة

عَلَيْكَ السَّلاَمُ ، آقبَلَ صِيَاحِ الدِّيكِ ؟ آسِنَةٌ هِيَ البِلاَدُ وَالعِبَادُ
وَالغِنَاءُ وَالتُّغَاءُ وَالصَّهِيلُ وَالهَدِيلُ وَالضَّجِيجُ وَالعَجِيجُ وَالكَلاَمُ
وَالأحلاَمُ وَالهُرَاءُ وَالبُكَاءُ وَالحَنِينُ وَالأنِينُ وَالشَّهِيقُ وَالنَّهِيقُ
وَالكَابُوسُ وَالنَّامُوسُ وَالنِّسيَانُ وَالأوَانُ ، أنَا الأعمَى ، فَهَلْ
ضَاجَعْتُ أُمِّي فِي فِرَاشِ أبِي القَتِيلِ ؟ لاَ ، أيُّهَا العَرَّافُ ، لاَ
أبجَدِيَّةَ لِي ، قِنَاعٌ بِلاَ وَجهٍ وَشَكلٌ بِلاَ جَسَد

أنا الأحَد .
لاَ ظِلَّ لِي ،
وَكُلُّهُم ظِلاَل .
فَكَيفَ أقطَفُ وَردَةَ المُحَال ؟

هَلْ أصِيدُ الزَّمَنَ الهَارِبَ فِي البَرَارِي كَأرنَبٍ بَرِّيٍّ ، أمْ أقطِفُ
الأحلاَمَ الذَّابِلَةَ مِنَ النِّسيَانِ ، أمْ أرَاوِغُ الفَرَاغَ أسْتَجدِي كِسرَةً
مِنْ عَزَاءٍ لاَذِعٍ أوْ حِفنَةً مِنَ الهَبَاءِ ، هَلْ أتوا أخِيرًا بِلاَ نَفِيرٍ أو نَذِيرٍ
؟ أيُّهَا الحُرَّاسُ العَسَسُ الجُندُ الجِنرَالاَتُ رَئِيسَ الأرْكَانِ قَائِدَ
الطَّيَرَانِ ، وَضْعَ الاسْتِعدَادِ وَاليَدُ عَلَى الزِّنَادِ ، مَعًا ، دُفعَةً
وَاحِدَةً ، بِلاَ انتِظَارِ

آطـــلِقُـــو !!!!!!!!!!!!

هَل أَنتِ مَا لاَ عَينٌ رَأَت، أَو أُذُنٌ سَمِعَت، أَو خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَر، أَيَّتُهَا المَارِقَةُ فِي أَعضَائِي وَسَرَائِرِي، المَفتُوحَةُ لِي كَهَاوِيَةٍ ؛ تَقضُمِينَنِي فَتَنمُو لِي أَغصَانٌ وَأَورَاقٌ أَشجَارٌ وَنَخِيلٌ وَأَعنَابٌ، تَسكُنُنِي الأَنَاشِيدُ، تَشتَعِلُ النُّجُومُ، شُمُوسٌ تَفتَحُ أَبوَابَهَا فِي جَسَدِي لِلعَابِرِين

بِالأَمسِ تَأتِين

أَو غَدَا ؛

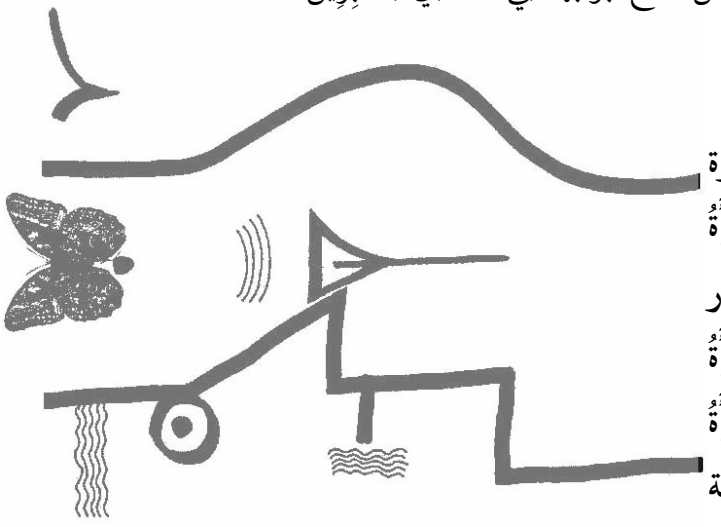

أَيَّتُهَا المَرأَةُ اللَّبوَة

المَرأَةُ الشَّهوَة المَرأَةُ

البَهَار المَرأَةُ النَّهَار

المَرأَةُ المَوجَة المَرأَةُ

المُدَجَّجَة المَرأَةُ

الصَّرخَة المَرأَةُ الرَّجفَة

وَردَةُ الرِّمَال شَهقَةُ

الزَّوَال؛ فِردَوسٌ مِنَ الفَضَائِحِ الفَادِحَةِ، وَالشَّهَوَاتِ الجَارِحَةِ، مَن يَمُدُّ لِي قَشَّةَ الغَرِيقِ، أَشعَبٌ مِن نِسَاءٍ فِي امرَأَةٍ ؟ أَيَّتُهَا المُطلَقَةُ، البَاهِظَةُ، أَكُلَّمَا قَضَمتُ جُعتُ، كُلَّمَا شَرِبتُ عَطِشتُ، لاَ فَنَاءَ لاَ اكتِفَاءَ، المَرأَةُ الأَوَّلِيَّةُ، الأُنثَى الجَوهَرِيَّةُ، سَيِّدَةُ النَّارِ وَالنِّسرِينِ، تَغسِلِينَنِي مِنَ النِّسَاءِ، مِن نَفسِي، فَأَنسَى، لاَ حَنِينَ لاَ ذِكرَى، أَركُلُ المَاضِي، وَأَمضِي إِلَيكِ إِلَيكِ، بَيتِي وَمَكمَنِي، كَأَنِّي وَارِثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَاضِينَ، أَو كَأَنِّي، لاَ

أَنْصِتْ يَا قَلْبِي وَامْنَعِ الأَرْضَ الَّتِي فِيهَا نَشَأْتَ..
لَقَدْ أَصْبَحَتْ هَذِهِ الْبِلَادُ خَرَابًا، فَلَا مَنْ يَهْتَمُّ بِهَا
وَلَا مَنْ يَتَكَلَّمُ عَنْهَا، وَلَا مَنْ يَذْرِفُ الدَّمْعَ. فَلَيْتَ
لِي قَلْبًا يَتَحَمَّلُ الْأَلَمَ.

فَرقَ، أَمرُقُ فِي المُفتَرَقِ القَلِقِ، حَتَّى إِذَا بَلَغتُ المَاءَ، صَرَختُ : يَا الله، ذَا بُرهَانِي؛ أَيُّهَا النِّسيَانُ، مَا فَعَلْتَ بِي، خُذنِي، عَلَى مَوجَةٍ بُرتُقَالٍ أَطفُو وَأَغُوصُ، لاَ أَدرِي، شُمُوسٌ زَرقَاءُ أَو طُيُورٌ صَهبَاءُ تَعُضُّنِي، تَمِيدُ بِي، عَلَى مَصَارِيعِهَا الأَبوَابُ الغَائِرَةُ إِلَى المُنتَهَى، أَسُوخُ، لاَ دَلِيلَ، بَلِيلٌ، لاَلَيلَ لاَ نَهَار، أَقمَارٌ تُومِئُ لِي خَلفَ الأَشجَارِ، *أَأَمضِي ؟* وَبُرُوقٌ تَحنُو عَلَى خُطَايَ، غَرِيقٌ بِلاَ قَشَّةٍ فِي شَفَقٍ، *أَم غَسَقٍ ؟* بَنَفسَجِيٍّ، طَافِرًا مِنَ

أَنَّى السُّؤَالُ الصَّعْبُ

أَكُلَّمَا التَقَينَا رَاوَدتني رَاوَغتني وَرُغت منِّي إِلَى شَمَالِ القَلبِ وَغَربِ الرُّوحِ كُلَّمَا رُغتِ تُهتِ مِن بَصِيرَتِي وَأَحلامِي قَطرَةَ مَاءٍ مَالِحٍ إِلَى بَحرِ الرِّمَالِ **لاااااااااااا** فَكُونِي وَردَةَ اليُودِ أَو لا تَكُونِي طَائِرَ النِّسرِين أو كُونِي شَجَرَةَ النِّسيَانِ أو لا تُكُونِي سِوَى أنت **أنت أَنَا أَنَا** فَنَلتَقِي أو **لا** كَأَنَّا عَلَى أَرَقٍ قَلِقٍ ظَامئَين جَائعَين نَقضُمُ السَّمَاءَ الزَّرقَاءَ كسرَةً فَكسرَةً طَرِيَّةً شَهِيَّةً لا تَنتَهِي وَلا نَشبَعُ فَنَكسرَ أَبوَابَ الماضِي نَستَلُّ سُيُوفَنَا الصَّدِئَةَ إِلَى الغَزوِ بَيرَقُنا خرقَةٌ بَالِيَةٌ نَشيدُنا نُبَاحٌ لَيلِيٌّ شِعَارُنا عَظمَتَان وَجُمجُمَةٌ وَالطَّرِيقُ الهَاوِية

قَمَرٌ ضَالٌّ

وَنجمَةٌ ذَاوِيَة

فَهَل نَامَت الكَوَابِيسُ أم رَحَلَت إِلَى لَيلَةٍ قَادِمَةٍ بَعدَ الأَعمَاقِ إِلَى رُوَاقٍ مِن أَغَارِيدَ تَطفُو، حَمحَمَاتٌ وَصَهِيلٌ يَصَّاعَدُ، مِن *أَينَ ؟* إِلَى أَين ؟ مَاذَا قَالَت لِيَ السَّاحِرَاتُ؟ بِلاَ تَارِيخٍ تُهتُ فِي التَّضَارِيسِ وَالسَّدِيم

أَنَا الضَّائِعُ الرَّجِيم

جَسَدٌ جَائِعٌ وَ رُوحٌ مُتْرَعَة

مَا الَّذِي يَجْرِي

شَمْسٌ سَوْدَاءُ تُوقِظُنَا فِي انْتِصَافِ اللَّيْلِ، تَسُوطُنَا عَرَايَا إِلَى الشَّوَارِعِ، حَتَّى مَيْدَانِ التَّحْرِيرِ، تَرُصُّنَا، تَصُبُّ الزَّيْتَ عَلَيْنَا، وَتُشْعِلُ الحَرِيق

عُمْرٌ مَضِيق

مَنِ المَشْنُوقُ عَلَى بَابِ زُوَيْلَةَ مُنْذُ 485 سَنَةً بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، أَيُّهَا البَدْوُ الخَائِنُونَ، سِكِّينٌ فِي الظَّهْرِ أَوْ طَعَامٌ مَسْمُومٌ، وَالبَرَايرَةُ يَعِيثُونَ فِي الأَرْضِ بَعْدَ أَنْ نَامَ كَفَافِي، عَلَمٌ وَعُمْلَةٌ وَالنَّشِيدُ الوَطَنِيُّ نُبَاحٌ فِي الصَّبَاحِ المُبَاحِ، مَنْ سَلَّمَ الأَسْوَارَ وَالقِلاَعَ ؟ مَنْ فَتَحَ الأَبْوَابَ أَيُّهَا العَسَسُ الكِلاَبُ ؟ **أُسْدٌ عَلَيْنَا أَرَانِبُ فِي الشَّدَائِدِ**، أَيُّهَا المُعَلَّقُ المُحَلِّقُ مُنْذُ 485 سَنَةً، أَمَا آنَ أَنْ تَتَرَجَّلَ ؟ سَأَبْكِي بَعْدَ حِينٍ، حِينَ أَحْتَسِي الشَّايَ، وَأَنْتَهِي مِنْ آخِرِ المَرَاثِي، سَأَبْكِي ذَلِكَ اللَّيْلَ الطَّوِيل

بَعدَ حِينٍ سَأعرِفُ مَا لا أُرِيدُ أُرِيدُ مَا لا أعرِفُ أنتَقِي مَا يَرُوقُ لِي أرُشُّ الرُّقَى عَلَى النَّهَارِ وَالتَّعَاوِيذَ عَلَى اللَّيلِ وَطَلاسِمَ الكَلامِ عَلَى الزَّمَن

بُرهَةً

بُرهَتَينِ بَاهِرَتَين سَافِرَتَين

كَوَردَتَين زَاهِرَتَين مِن عَطَن

أدِيرُ ظَهرِي لِلنَّامُوسِ لِلنَّاسُوتَ وَاللاهُوتِ أخرِقُ الأرضَ وَأبلُغُ الجِبَالَ أقُولُ لِلمَوجِ كُن فَيَكُونَ غَابَةً مِن أهَازِيجَ خَضرَاءَ بِلا خَرِيفٍ لِلرَّملِ كُن فَيَكُونَ نَهرًا مِن لَبَنٍ وَنَهرًا مِن عَسَلٍ يَسبَحُ فِيهِ الوِلدَانُ وَالحُورِيَّاتُ وَالتَّمَاسِيحُ الأَلِيفَةُ لِلغَيمِ كُن فَيَكُونَ سَفِينَةً عَظِيمَةً فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ أو طَائِرٍ أو سَابِحٍ زَوجٌ بَهِيجٌ يُرَتِّلُونَ آيَاتٍ وَثَنِيَّةً تَصِيرُ دُخَانًا يَنعَقِدُ قَطِيعًا مِن جَانٍ يَرعَى عُشبَ الأوهَامِ الطَّافِيَةِ إِلَى أن يَنفُخَ إِسرَافِيلُ الصُّورَ فَيَركُضَ أعمَى نَحوَ الجِهَةِ الأُخرَى شَرِهًا

فَمَن يُوقِف العَـوِيل؟

إِلَى أَنْ أُعِـدَّ القَبْـرَ وَالصَّلاَةَ، حَتَّـى أَنْتَ أَيُّهَا القَتِيـلُ الـضَّلِيل ؟لاَ مَكَـانَ سَيِّدِي، هَائِمًـا كُنْتَ هَائِمًا سَتَكُـونُ إِلَى أَبَـدِ الآبِدِيـنَ زَهْـرَةً دَمَوِيَّـةً تَخِـزُ السَّـهْوَ وَالنِّسْيَانَ، تُفْزِعُ النُّعَـاسَ الآسِنَ، أَيُّهَا القَتْـلَى الدَّائِمُون ، اصطَفُّوا

شَبِقًا تَتَلاطَمُه الشَّهَوَاتُ بِلا إِثْم وَلا عُدوَان

فَمَتَى كُنتُ وَردَةَ البَازَلت

تَعبُرُهَا الرِّيَاحُ وَالشُّمُوسُ سَاهِيَةً

كَأَنَّهَا خَارِجَ الزَّمَان

كَأَنَّنِي وَطَنٌ لِي رَعَايَاهُ الآبِقُـونَ الخَـارِجُون الـضَّالُّونَ

يَهِيمُونَ دُونَ نَجمَةٍ فِي القَلبِ أو شَمسٍ فِي البَصِيرَة

شَمسٌ ضَرِيـرَة

تَقُودُ الخُطَى العَمياءَ إِلَى سِدرَةِ المُنتَهَى

كَأَنَّهَا

فَمَتَى لِمَاذَا كَيفَ هَل

أنفُخُ الصُّورَ أم أرتَقِي السُّورَ

أقفِز القَفزَةَ الأَخِيرَة

سَأعرِفُ بَعدَ حِينٍ سَأخرِقُ الأَرضَ وَأَبلُغُ الجِبَالَ مَا لا

خَلْفِـي، هَيَّـا، إِلَـى المَقْهَـى، نَمْتَطِـي أَحْـصِنَةَ الـشّطرَنْجِ، نَقُودُ العَسْكَرَ البَائِسِينَ، نَقْتُـلُ المَلِـكَ العَجُـوزَ وَالوَزِيرَ الخِنْزِيـرَ، نُعْلِـنُ المَمْلَكَةَ اليَائِسَة

شِعَارُهَا : شَمْسٌ دَامِسَة

رَمْزُهَا : خِنْجَرٌ صَدِئٌ مِنْ صَفِيح

عُمْلَتُهَا : عَاهِرَةٌ مُفْلِسَة

وَالنَّـاسُ سَوَاسِـيَةٌ كَـالقِطَطِ الـضَّالَّةِ، لاَ سَـمْعَ وَلاَ بَـصَرَ وَلاَ نُطْـقَ، إِلَـى القَـصْرِ المَلَكِيِّ، بِالطُّبُولِ وَالأَبْوَاقِ، بِالبَيَارِقِ المَفْتُوقَةِ المَرْتُوقَةِ، وَالأَنَاشِيدِ العَاوِيَة

أَيَّتُهَا الخُطْوَةُ الخَـاوِيَة

مَا الَّذِي تَأتِي بِهِ الأَقْدَامُ العَارِيَة؟

وَكَانَت ظُلْمَةٌ؛ وَصَوْتُهَا يَقْطُرُ عَلَى يَدِي بِلاَ كَلاَم.
وَلَمَّا كَانَ نُورٌ، نَبَتَت فِي جَسَدِي أَشْجَارٌ وَارِفَةٌ
أَوَت إِلَيْهَا العَصَافِيرُ وَالهَدَاهِدُ وَالحَمَام. وَقَالَت
لِي: أَنْتَ عُشُّ الكَلاَم.

وَقَالَت: أَرَاكَ وَفِي ظَهْرِكَ خِنْجَرٌ وَلَا تَدْرِي، وَدَمُكَ يَنْهَمِرُ عَلَى الْمَدِينَةِ مَطَرًا وَلَا تَدْرِي، فَيُصْبِحُ نَهْرًا يَشْرَبُونَ مِنْهُ لَا يَرْتَوُونَ، يَسْكَرُونَ لَا يُفِيقُونَ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

لَا أَمُوتُ وَلَا أَحْيَا، كَأَنَّنِي الرُّخُّ أَوِ الْعَنْقَاءُ، مُطْلَقٌ، وَاحِدٌ فِي الْخَوَاءِ الْعَذْبِ، مَاتُوا جَمِيعًا كُلُّ مَنْ أَحْبَبْتُهُمْ، وَبَقِيتُ وَحْدِي فِي قِفَارِ الْأَرْضِ عَارِيًا مُنْتَصِبًا، تَعْبَثُ الرِّيَاحُ بِأَغْصَانِيَ الدَّابِلَةِ، تَبُولُ عَلَى جُذُورِيَ الْكِلَابُ وَتَمْضِي، لَا ظِلٌّ لَا ثَمَرٌ

أَيُّهَا الْوَقْتُ الْحَجَرُ؛
هَرَبْتَ مِنِّي إِلَى الْجِهَةِ الْعَمْيَاءِ،
تَرَكْتَنِي كَسَنَطٍ عَجُوزٍ،
أَحْتَسِي الْمُرَّ رِشْفَةً فَرِشْفَةً، بِلَا انْتِهَاءٍ.
سَرَابٌ، وَلَا مَاءٌ.
غَيْمَةٌ جَرْدَاءُ،
لَا قَطْرَةٌ مِنْ مَطَرٍ.
أَيُّهَا الْوَقْتُ الْحَجَرُ.

أَيُّهَا السَّاحِرَةُ الْمَلْعُونَةُ

خَرَجَتْ مِنْ جُحُورِهَا الْأَفَاعِي، تَسَلَّقَتْنِي، نَتَفَت لِحْيَتِي الشَّيْبَاءَ إِلَى آخِرِ شَعْرَةٍ، وَالْتَفَّتْ عَلَى عُنُقِي فِي رَقْصَةٍ هَمَجِيَّةٍ، وَفَوْقَ أَكْتَافِيَ مَدَّت قَوْسَ نَصْرٍ قَادِمٍ، فَهَلْ آنَ

غَيْرَ أَنِّي أَدَرْتُ ظَهْرِي وَمَضَيْتُ فِي طَرِيقِ النَّدَامَةِ، قَصَمْتُ عَنِ الْكَلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَفِي الرَّابِعِ التَقَانِي الذِّئْبُ الْخَجُولُ: إِلَى أَيْنَ، سَيِّدِي؟
- إِلَى نَفْسِي.

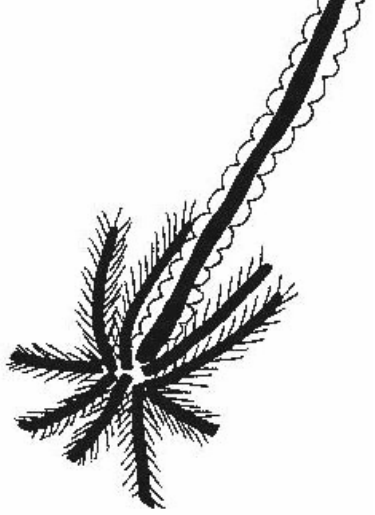

آنْ أحفُرَ الآنَ قَبْري ؟ أآنَ آنُ البُكائيَّةُ الأخيرَة ؟

بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ كُلُّ شَيْءٍ،
كُلُّ شَيْءٍ عَابِرٌ، غَارِبٌ، هَارِبٌ
في لَحْظَةِ الزَّهْوِ الغَرِيرَة.

أنا المَيِّتُ الحَيُّ، لاَ أمْشي، بَلِ الأَرْضُ تَسِلُّ نَفسَهَا تَحتَ أقدَامي، إلَى الوَرَاءِ، تَفِرُّ مِنِّي الأَشْجَارُ وَالينَابِيعُ، تَرْكُضُ التِّلاَلُ وَالحُقُولُ لاَ يَخْفُرُني سِوَى غَيْمَةٍ مِنْ عُوَاء

لاَ عَزَاء.
كُلُّ الَّذِينَ أُحِبُّهُم مَاتُوا،
وَغَاضَ البُكَاء.
لاَ رِثَاء.

فَلْتَهْبِطِي أَيَّتُهَا البُومَةُ العَمْيَاءُ عَنْ كَتِفِي، وَلْتَنْزِلِي أَيَّتُهَا السِّحْلِيَّةُ العَجْفَاءُ عَنْ نَيَاشِينِيَ الصَّدِئَةِ (كَانَت بَاهِرَةً فِي الأَزْمَانِ الغَابِرَة)، إلَى آخِرِ رَمَقٍ، أنا سَيِّدُ هَذَا الكَوْنِ الآفِلِ

أنا الدِّينَاصُور الأَخِير

وَعِنْدَمَا ضَيَّقَ الخِنَاقَ عَلَيْهِم احْتَمَوْا بِالْكَعْبَةِ.
وَهَتَفَ هَاتِفٌ: لِلْكَعْبَةِ رَبٌّ يَحْمِيهَا! لَكِنِّي
قَصَفْتُهَا بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِين.

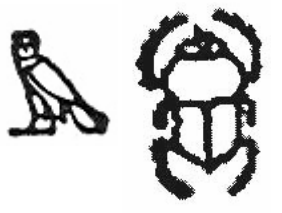

رَحَلَ بِهُدُوءٍ فِي رَأسِي، يَصفِقُ الأبوَابَ، يَركُلُ الكَرَاسِي، يَفتَحُ نَافِذَةَ الطَّابِقِ الأعلَى، وَيَطِير.

هَكَذَا صُمتُ دَهرَين، اغتَسَلتُ مَائَةَ مَرَّةٍ فِي البَحرِ المَيِّتِ،

كَي أُولَـــدَ لَك

تَبدَأُنِي، فَتَصحُو تِلاَلِي وَوِديَـــانِي، تُورِقُ أَغصَـــانِي وَتَنمُو ثِمَارِي ، تُرَفرِفُ الطُّيُورُ فِي النَّومِ كَأَهلِ الكَهفِ، تَنفَجِرُ اليَنَابِيعُ المَنسِيَّةُ فِي الأَغوَارِ؛ عَلَى وَقعِ خُطَـــاكَ يَفِـــيضُ جَـــسَدِي بِالشُّمُوسِ وَالأَنهَارِ، صَـــائِمَةٌ دُهُورًا وَأَنتَ إِفطَارِي

وَردَةُ انتِظَـــارِي

أَقطُفُهَا فِي السَّمْتِ، تُنبِـــتُ دَاخِلِي أَلفَ وَردَةٍ وَحَدِيقَـــةٍ، فِي كُلِّ حَدِيقَةٍ أَلفُ عُصفُورٍ يُغَنِّي، كُلُّ أُغنِيَةٍ أَلفُ عُرسٍ، كُلُّ عُرسٍ أَلفُ أُنثَى شَبَقَة

أَنَا المَرأَةُ المُحتَرِقَة

أَلفُ قَمَـــرٍ يُضِيئُنِي، أَلفُ شَمسٍ تُشعِلُنِي، لاَ ظِلَّ لاَ عَتمَةَ، النُّجُومُ تَهطِلُ فِي سَرَادِيبِي وَكُهُوفِي، زَرقَاءَ حَمرَاءَ خَضرَاءَ بَيضَاءَ بِلاَ سُوءٍ، فَادخُل عَلَى الرَّحبِ وَالسِّعَةِ وَئِيدًا صَاخِبًا بِلاَ هَوَادَةٍ، لَكَ انتَزَعتُ أَبوَابِي وَشَبَابِيكِي، رَشَوتُ حُرَّاسِي، انفَتَحْتُ لَك

المَجـــدُ لَك

عَينٌ رَأَت فَنَامي الآنَ أو لا تَنَامي سَأعبَثُ فيك قَليلاً إِلَى أن يَمُـوءَ بأعـضَائِيَ المَلَـلُ فَأركُلَـكَ إِلَـى المَاضِـي الغَـابِرِ تَـرعَينَ غُبَـارَ الـذِّكرَى الرَّعنَاءِ تَبُـولِينَ عَلَـى الأطـلالِ البَاكِيَـةِ تَلُمِّـينَ المَوتَى فِي الـذَّاكِرَةِ فَيَـصطَفُّونَ وَكُـلٌّ مِـنهُم يَحمِلُ فِي يُمنَـاه كِتَابًـا مِـن سَـعَفٍ يَقـرَأُ فِيـه طَوَالِعَه المَاضِـيَةَ بِـلا يَـأسٍ مِـن مَـوتٍ يُنهِـي المَـوتَ وَيَغـرِسُ شَـوكَ الأَحـلامِ عَمِيقًـا فِـي العَينَينِ صَهِيلاً مَفتُوقًا مَرتُوقًـا يَـا رَفَّـاءَ الأَروَاحِ خُيُـوطِي اهتَـرَأت وَتَفَكَّكـتُ إِلَـى مِـزَقٍ بَالِيَـةٍ مُتَنَاثِرَةٍ فِي الأوقَات

سِكِّينٌ فِي القَلب

"فَلْتُقِمِ الْعَدْلَ إِذَن مِن أَجْلِ سَـيِّدِ الْعَدَالَـة. إِنَّـكَ أَنْـتَ الْقَلَـمُ وَالْقِرْطَـاسُ الْبَـرْدِيُّ وَاللَّـوْح، أَنْـتَ تحُوت، فَتَجَنَّب اقْتِرَافَ الشَّر".

وَكُنْتُ غَائِبًا حِينَ النَّفَّ عَلَى عُنُقِي النُّعْبَانُ
وَقَالَ: أَلَم أَقُل لَكَ أَنَّكَ مَنْذُورٌ لِي؟ لَكِنَّ الكَلَامَ
ضَاعَ مِنِّي. نَظَرْتُ فَرَأَيْتُ فَشَهِدْتُ فَأَطْلَقَنِي،
وَقَالَ: هِيَ المَرَّةُ الأَخِيرَة.

أَيُّهَا الدَّاخِلُ مِثلَ أَلفِ مَهرَجَانٍ، بِالطُّبُولِ وَالأَبوَاقِ وَالبُرُوقِ البُرتُقَالِيَّةِ، هَل أُحَلِّقُ فِي سَمَاوَاتٍ سَائِلَةٍ ، أَم أَغُوصُ فِي غُيُومِ النِّسرِين، كُلُّ ضَربَةٍ تُشعِلُ صَرخَةَ جُوعٍ أَبَدَيٍّ، مَا الَّذِي يَختَرِقُ الرُّوحَ وَيُحرِقُ الجَسَد

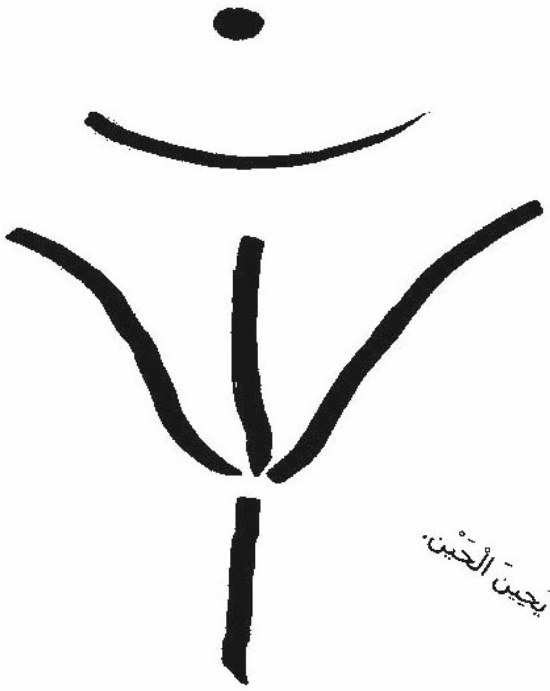

أَيُّهَا الفَردُ الصَّمَد

تُحِيطُ بِي، تَدخُلُنِي مِن كُلِّ الجِهَاتِ، دُفعَةً وَاحِدَةً، فَأَصرُخُ فِي الغَيبُوبَةِ المَشبُوبَة

أَنَا القَتِيلَة

لاَ إِثمٌ وَلاَ حَرَج

لَيلٌ أَم نَهَارٌ، مِن أَينَ يَصَّاعَدُ الدُّخَانُ؟ بَحرُ عَسَلٍ يَمُوجُ وَبَحرُ لَبَنٍ يَتَلاَطَمُ، مَا الَّذِي يَغلِي؟

وَكَانَ أَن دَقَّ بَابِي
دَقَّةً
دَقَّتَين
وَطَار
قَبلَ أَن يَجِينَ الحَين.

عَمِيقًا إِلَى مُنتَهَايَ، إِلَى نِهَايَةِ الخُطَى وَالزَّمَنِ، بِلاَ هَوَادَةٍ وَلاَ انتِهَاءٍ، فَجُوعِي بِلاَ نَفَاد

أَنَا المَرأَةُ السُّهَاد جَسَدِي أَرَقُ الأَرْضِ، لاَ رُقَادَ لاَ سَكِينَةَ، فَامرُق كَمَا تَبغِي، وَلَملِم فِي يَدَيكَ أَطرَافِي وَعِنَانِي، إِلَى النِّهَايَاتِ، إِلَى البِدَايَاتِ الضَّائِعَةِ، مَا لاَ عَينٌ رَأَت، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَر.

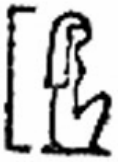

أَيَّتُهَا الحُورُ العِين، أَيُّهَا الوِلدَانُ المُخَلَّدُون، يَا أَنهَارَ الخَمرِ وَالعَسَل: تَعَالَوا ~~سَرِيعًا~~ بِالخُطُوَةِ السَّرِيعَة، وَاصطَفُّوا إِلَى أَن أُفرِغَ لَكُم: هَيَّا..

وَقَالَ: مَا تَقُول؟
قُلتُ: لاَ أَقُول.
فَرَمَانِي خَارِجَ الفُصُول.

سَـأعرِفُ بَعـدَ فَـوَاتِ الأَوَانِ أَنِّـي القَتِيـلُ الأَبَـدِيُّ، وَأَنَّ أَشـلاَئِي تَوَزَّعَتـهَا الرِّيَاحُ، وَدَمِي ضَاعَ بَينَ القَبَائِلِ المَتَنَاحِرَة

أَنَـا الجُملَـةُ الشَّـاغِرَة

بَـينَ فَاصِلَتَينِ دَامِيَتَينِ، خَـارِجٌ عَلَـى الـسِّيَاقِ دُونَمَـا سِـيَاقٍ، أَو ضَـغِينَةٍ، مَنـسِيًّا فِـي المُفتَرَقَـاتِ، جَمَـلاً أَجـرَبَ أَو كَلبًا أَعـوَرَ، يَتَحَامَـاهُ النَّـاسُ، فَأَتَمَشَّى وَسطَ الجُثَثِ المَبقُـورَةِ وَالمَفقُـوءَةِ مَرِحًـا، أَتَقَـافَزُ فَـوقَ دِمَـاءٍ مُتَخَثِّـرَةٍ تَنفُـثُ حَشرَجَةً وَدُخَانًا يَصَّادَمُ بِالأَطلاَلِ اللاَّمِعَةِ، فَيَهطِلُ صَرَخَاتٍ ثَكلَى تَتَعَلَّقُ مُتَأَرجِحَةً فَوقَ القَتلَى المَنسِيِّينَ، كَأَسرَابِ البُومِ، تَسُدُّ الأُفُقَ الكَابِي دُونَ نَهَارٍ أَو شَمسٍ تَعوِي فِي اللَّيلِ كَأَرمَلَةٍ عَرجَاء

مَا يَدْخُلُ مِنْك لَن يَخْرُج

أَنَـا الجُملَـةُ البَكمَـاء

أَمضِي إِلَـى الـوَرَاءِ، عَكسَ الـسِّيَاقِ، أُغَنِّي أُنشُودَةً هَمَجِيَّةً تُعَشِّشُ فِيهَا

عِنْدَمَا نَشْتَعِلِين
نُضِيئُ
لَيْلَ المَدِينَة.

الخَفَافِيشُ البَشُوشَةُ وَالصُّقُورُ المَسعُورَةُ، إِلَخ إِلَخ، إِلَى أَن يَنتَابَنِي المَلَلُ البَلِيدُ بلاَ أَوَانٍ، فَأَعتَلِي المِنبَرَ : ***يَا قَوْمُ، كَم أَرَى رُؤُوسًا تَطفُو وَحِيدَةً فِي الفَرَاغِ وَأَجْسَادًا بِلاَ رُؤُوسٍ تَمشِي فِي الأَسوَاقِ، فَأَقِيمُوا الصُّفُوفَ مُستَقِيمَةً، فَاللهُ لاَ يَغفِرُ لِلصَّفِّ الأَعوَجِ، أَو لِلقَتلَى البُلَهَاءِ الحَمقَى مِثلَ الخِرفَانِ الخَرسَاءَ تَسِيرُ وَرَاءَ الجَزَّارِ إِلَى السِّكِّين***

وَحُلمٌ فِي الحَدَقَات
فَمَن يَرفُو لِي فَجرًا مِن غَار
أو سِربًا مِن أقمَـار
سِكِّينٌ فِي الظَّهر
وَجُرحٌ مَفتُوحٌ تَشرَبُ منهُ فَرَاشَاتٌ سَوداَء

فَمَاذَا حَانَ الآن مَتَى يَأتِي مَا يَأتِي يَمضِي مَا يَمضِي كَي يَترُكَنِي أختَرِع بِلاداً أغزُوهَا بِالسَّيفِ أُسَمِّيهَا أندلُسِي

آمِيـــــن

وَسَأَعرِفُ فِي الوَقتِ الضَّائِعِ أَنِّي الضَّائِعُ فِي الأَوقَاتِ، وَأَنَّ الخَيطَ انقَطَعَ خِلاَلَ الحُلمِ الغَابِرِ بِامرَأَةٍ بَجَنَاحِ بَرقٍ وَذَيلِ رُعُودٍ خَضرَاء: **امرَأَةٌ مِن**

مَـــــاء تَنسَلُّ مِنَ الثُّغرَاتِ السَّاهِيَةِ إِلَى ظُلُمَاتِي، تُشعِلُ فِي الأَركَانِ شُمُوسًا وَشُمُوعًا زَرقَاءَ، بُخَارٌ وَأَرِيجُ المِسكِ وَهَمهَمَةٌ وَشوَشَةٌ، فَافتَحُوا الأَبوَابَ عَلَى المِصرَاعَينِ، مَنِ القَادِمُ الغَرِيبُ ؟ **أَنَـا السَّيِّدُ المُرِيبُ**، حَلَلتَ أَهلاً وَنَزَلتَ سَهلاً، إِلَى الخَازُوقِ أَيُّهَا الجَلاَّدُ، بِلاَ قَطرَةِ دَمٍ تَمَسُّ الأَرضَ، إِلَى الوَلِيمَةِ وَالعُرسِ الأَلِيم، **أَنَـا الضَّيفُ اللئِيـم**، أَزَلتُ بَصمَاتِي، مَحَوتُ خُطوَاتِي، وَأَحرَقتُ السَّفِينَ بِلاَ عَزَاءٍ، قُلتُ: البَحرُ فِي الأَمَامِ، وَالعَدُوُّ فِي الوَرَاءِ، يُطلِقُ السَّهمَ المَسمُومَ **فَقَفَزت** .

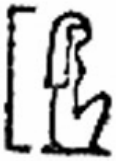

وَلَمَّا تَحَسَّسْتُهَا وَجَدتُهَا بَضَّةً لَذِيذَةً، فَأَكَلتُهَا، فَوَجَدتُهَا مُرَّةً، فَرَمَيتُهَا جَنبَ الجِدَارِ، حَتَّى لاَ يَدُوسَهَا المَارَّةُ.

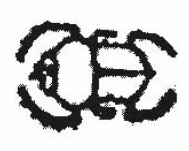

جَسَدُك طَرِيقِي إِلَى إِيثَـاكَا

عَارِيًا أَمضِي بِلاَ يَقِينٍ، بِلاَ ظُنُونٍ، بِحَارٌ بِلاَ ضِفَافٍ تَعِجُّ بِالتَّمَاسِيحِ وَالـشَّهَوَاتِ الجَائِعَـةِ، فَـاغِرَةً فِيهَـا، تَـشُدُّنِي عُيُونُهَـا الْمُبتَهِلَـةُ إِلَى لُجَّـةٍ مُشتَعِـلَة

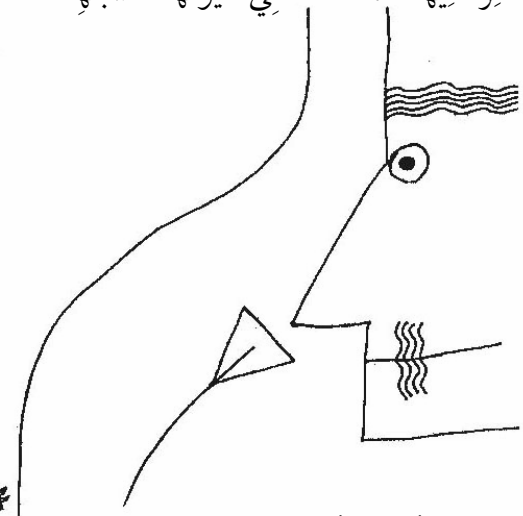

نَـارٌ بَـارِدَةٌ، رَذَاذٌ يَنـهَلُّ عَلَى خُطُوَاتِي، قَارِبٌ عَلَى خَلِيجٍ مِنَ الزِّئبَقِ يَأخُـذُنِي، بِـلاَ دَفَّـةٍ، مَوجَـةٌ تَـصعَدُ بِـي إِلَـى غَيمَـةٍ عَـابِرَةٍ وَتَرمِينِـي إِلَـى القَـرَارِ، لُؤلُـؤٌ وَمُرجَـانٌ، قُصُـورٌ

مَسحُورَةٌ بِلاَ حُرَّاسٍ تَنفَتِحُ لِي، أَضوَاءٌ قَزَحِيَّةٌ، صَلَوَاتٌ وَدَندَنَاتٌ، مَطَرٌ مِن عَسَلٍ، أَيُّهَا السَّاقِي إِلَيكَ الْمُشتَكَى، عَذَارَى فِي حَلبَةِ الرَّقصِ عَرَايَا، نَبعُ خَمرٍ يَتَفَجَّرُ، يَقُولُ *أَنْتَ سَيِّدِي، فَاشرَبنِي*، وَيَغمُرُنِي، لاَ وَرَاءَ لِي، مَا الَّذِي أَوصَدَ الأَبوَابَ خَلفِي، يَشُدُّنِي، أَمضِي، تِلاَلٌ فَجِبَالٌ تَغمِزُ لِي، أَصعَدُ لاَهِثًا، تَنقُرُنِي عَصَافِيرُ بُرتُقَالِيَّةٌ، تَعصِرُنِي كُهُوفٌ خَفِيَّةٌ، إِلَيهَـا، أَصَّـاعَدُ، مَطَرٌ سَـاخِنٌ مُنـهَمِرٌ، نُـسُورٌ وَصُـقُورٌ تَحُـومُ، عُيُونُهَـا تَرصُدُنِي، إِلَى الأَعلَى، رِيَاحٌ استِوَائِيَّةٌ وَسَافَانَّا، نُمُورٌ وَلَبُؤَاتٌ وَضِبَاعٌ، بِلاَ سِلاَحٍ، أَمرُقُ وَسطَهَا فَتَخفُرُنِي بِالغِنَاءِ وَالأَهَازِيجِ إِلَى مَدِينَةٍ تَتَأَرجَحُ بَينَ النَّومِ وَالصَّحوِ، لَبُؤَةٌ تَقُولُ لِي: خُذنِي، أَعرَاسٌ ؛ أَيُّهَا الضَّيفُ الخَبِيثُ، مَا أَتَى بِك؟ حَبلٌ وَأُنشُوطَةٌ، مُعَلَّقًا فِي غَيمَةٍ عَابِرَةٍ، وَالسِّهَامُ

بَيْنَ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ حَطَّ عَلَيَّ، فَغَرَسَ مِنْقَارَهُ وَأَخْرَجَ بَصِيرَتِي، نَزَعَ مِنْهَا حَبَّةً سَوْدَاءَ وَأَعَادَهَا إِلَى مَوْضِعِهَا، فَحَلَّ بِيَ الْعَمَى.

وَلَمَّا مِتُّ جَاءَت الحِدءَاتُ وَالغِرْبَانُ فَقَأُوا عَيْنِي،
وَنَهَشُونِي بِلاَ مُقَاوَمَة. وَعِنْدَمَا صَحَوْتُ، طَارُوا.

تَنُوشُنِي، تَثقُبُنِي فَلاَ أَسِيلُ، تَسِيرُ بِي الهَوَينَى فِي سَمَاءٍ مِن شُهُبٍ وَنَيَازِكَ تَلذَعُنِي، تَحُطُّنِي عَلَى ضِفَّةِ نَهرٍ مِن حَرِيقٍ، اعْبُر، أُغمِضُ كُلَّ ثُقُوبِي وَأَقفِزُ، تَعُضُّنِي النِّيرَانُ المَاكِرَةُ وَتُطلِقُنِي مَقضُومًا مَأكُولاً نَحوَ السُّوقِ الغَابِر، شِيحٌ وَكَمُّونٌ نعنَاعٌ زَنجَبِيلٌ فُلفُلٌ أَسوَدُ حَبَّهَانٌ شَطَّةٌ، رُطُوبَةٌ تَنزُّ وَهوهَاتٍ وَآهَاتٍ فَارِهَةٍ، دُرُوبٌ وَأَزِقَّةٌ تَلتَوِي تَتَلَوَّى مَفتُوحَةً عَلَى الأَبَد:

وَاحِدٌ، أَحَد ؛

طَلاَسِمُ وَتَعَاوِيذُ، أَدعِيَةٌ وَثَنِيَّةٌ، صَلَوَاتٌ شَبَقِيَّةٌ، وَصَرْخَةٌ بَنَفْسَجِيَّةٌ تَقسِمُ الفَضَاءَ نِصفَينِ، أَمرُقُ بَينَهُمَا مُزَقزِقًا

وَأُدَلِّي سَاقَيَّ مِنَ الأَسوَارِ إِلَى المَاءِ أُغَنِّي مَا لا يَخطُرُ بِالبَالِ إِلَى أن يَأتِي مَن يَغزُوهَا بِالسَّيف فَأبكِي كَنِسَاء البَدوِ عَلَى المُلكِ الضَّائِعِ أورَثَنِيه اللهُ وَأَرتَجِلُ رِثَاءً مَا أَنزَلَ اللهُ بِه مِن سُلطَانٍ إِلَى أَن يَنفَدَ بَحرُ المِدَادِ وَلا تَنفَدَ كَلِمَاتِي الشَّعثَاء

أُلَملِمُ أعضَائِي المَنثُورَةَ فِي أنحَاءِ الأرض

يَهرُبُ مِنِّي وَجهِي؛

فأضيييييييييع

أسعَى فِي بَيدَاء الله عَلَى أرَقٍ لا يَفنَى أو يَشبَعُ مِنِّي حَتَّى يُدرِكَنِي ظِلِّي خَلِّي يَطعَنُنِي يَطعَنُنِي فِي حِقدٍ مَوتُورٍ دُونَ هَوَادَةٍ حَتَّى أهوِي فِي هَاوِيَةٍ دُونَ قَرَارٍ أَهوِي أطفُو حَجَرًا فَوقَ المَاءِ هُوَينَى لا بَأسَ

إِلَى سَمَاءٍ أُرجُوَانٍ فَوقَ غَيمَةٍ مِن بُخُورٍ، مِن أَينَ تَأتِي التَّسَابِيحُ التَّهَالِيلُ؟ أَيَّتُهَا السَّاحِرَةُ الطَّافِرَةُ سَلاَمًا، تَرمِي عَلَيَّ تَعوِيذَتَينِ وَمَاءً غَامِضًا، أَستَحِيلُ شَجَرَةً تَشُقُّ جُذُورُهَا الأَغوَارَ، تَغُوصُ غُصُونُهَا فِي السَّمَوَاتِ السَّبع، تَحتَلُّنِي الطُّيُورُ الجَارِحَةُ، تَأكُلُنِي، تَشرَبُنِي، فَأَمتَدُّ، أُورِقُ تَنمُو لِي ثِمَارٌ وَوُرُودٌ، فَتَأكُلَنِي، فَيَهمِي حَلِيبُ الزَّعفَرَان .

فَعَلَى مَ أَدُلُّكُم؟
أَنَا الدَّلِيلُ وَالدَّالُّ وَالمَدلُولُ وَالدِّلاَلَة
فَلاَ تَتبَعُونِي

أَيَّتُهَا الأَقَاعِي وَالحَيَّاتُ وَالثَّعَابِينُ وَالعَقَارِبُ
وَالذِّئَابُ وَالضِّبَاعُ وَالثَّعَالِبُ وَالبُومُ وَالغِرْبَانُ، تَعَالَوْا
إِلَيَّ، أَنَا وَلِيمَتُكُم المَوْعُودَة.

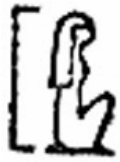

أنا
وَرْدَةُ اللَّيْلِ
الْغَامِضَة
أَتَفَتَّحُ
فِي اللَّحْظَةِ
الْحَامِضَة

مَا لِلْجِمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدَا
أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدَا
بَلِ الرِّجَالُ رُكَّعًا سُجُودَا

أَيَّتُهَا الغَيْبُوبَةُ الغَرِيبَةُ، أَسْلَمْتِنِي بِلاَ جَرِيرَةٍ، وَالسَّاحِرَاتُ قُلْنَ لِي، دَمِي قَادِمٌ، فَأَنْتَ غَرَضِي أَيَّهَا النَّوْمُ وَالنِّسْيَانُ غَابَةٌ مِنَ الصَّرَاخِ وَالأَنِينِ تَأْتِي الْهُوَيْنَى، آغْصَانُهَا أَشْلاَءٌ، ثِمَارُهَا رُؤُوسٌ مُتَدَلِّيَةٌ فَاغِرَةٌ، وَئِيدًا وَئِيدًا، فَمِنْ أَيْنَ تَهُبُّ رِيَاحُ السَّمُومِ الْقَادِمَةُ، أَيَّتُهَا السَّاحِرَاتُ الْغَابِرَاتُ، مَغْرُوسٌ مَشْلُولاً مَفْلُولاً تَتَنَاوَشُنِي الغِرْبَانُ، تَحُطُّ البُومَةُ فِي رَأْسِي، وَالغَابَةُ تَمْشِي نَحْوِي، تَنْمُو، هَلْ يَتَّسِعُ الوَقْتُ؟ بِلاَ نَدَمٍ أَوْ غُفْرَانٍ، فَمَنْ يُعْطِينِي حِفْنَةَ سَاعَاتٍ كَيْ أَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَ، أَنَا الشَّحَّاذُ الأَعْمَى فِي سَمْتِ الأَرْضِ، وَكَانَ القَمَرُ بِيُمْنَايَ وَشَمْسٌ فِي يُسْرَايَ، وَلَكِنِّي قَدَّمْتُ بَصِيرَتِيَ البَيْضَاءَ إِلَى الجِرْذَانِ عَلَى أَطْبَاقِ الفِضَّةِ، وَمَنَحْتُ البَصَرَ الأَبْرَصَ لِلْحُرَّاسِ، وَتَمْشِي نَحْوِي الغَابَةُ، تَدْنُو،

وَهَكَذَا- يَا سَادَتِي الْكِرَامُ- ضَرَبْتُ الْبَحْرَ بِعَصَايَ، فَانْشَقَّ عَنْ طَرِيقٍ مَرَفْتُ فِيهِ إِلَى الضِّفَّةِ الأُخْرَى، فَوَجَدْتُ فِي انْتِظَارِي الْقَأْسَ وَالْحُرِّيَةَ وَالْمَرْأَةَ الْعَقِيمَ.

يَمْشِي
فِي الْهَوَاءِ
بِالْخَطَى الْوَاثِقَة
إِلَى أَيْن

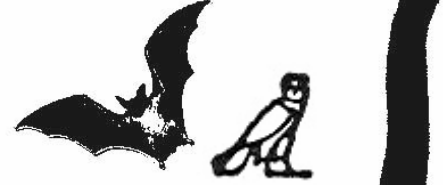

وقالت إنها كانت تحلق جلسة في الليل،
فصادت أحد القناصين. أخذته إلى الوكر. ولما
رأته عاريا فسدت، وقتلته.
مشلولاً مفلولاً، ليلُ دُونَ نَهار

أيّها البوّار؛
ميراثي وملكيّ المكين:
تاجٌ من الغبار

أنا سيّدُ الانهيار، عرشي رمادٌ، ومليكتي دُمْيَةٌ من التِّبن، تنبحُ في الصَّباحِ والمساء، وصولجاني خيالُ المآتة، فهلْ تُروي مياهُ البحر، هلْ تنبتُ في الموجةِ الأشجارُ، باحت لي العصفورةُ بالسِّرّ، لكنّي كنتُ أرعى حقولَ غرائزي المزدهرة

أنا سيّدُ المملكةِ المحتضرة

غزتني القبائلُ، فالتجأتُ إلى جبلٍ غامضٍ يعصمني، صعدوا خلفي حتّى كهفي، نصبوا حولي حفلَ فخاخٍ جائعةٍ تتشهّى جسدي، وافترشوا النّسوةَ فوق العشبِ الأخضرَ ينتظرونَ الصّوتَ العذبَ ليسقطتي المُقتربة

سيّدُ القفارِ الخربة

إكليلُ شوكٍ على رأسي، وفي يُمنايَ عصايَ أهشُّ بها هواجسي المُتربة.

وصارت لي شجرة يمن في ظلها شعراء أو
ذهبوا. وعندما صحون كان الخطابون قد
قطعوها، وباعوا أخشابها في السوق، فمضين
عاريا بلا ظل.

مروا، فصفقت ورفعت عقيرتي رأبة خفاقة
ومضيت إلى حالٍ سبيلي.

لاَ أَعرِفُ إِيثَاكَا، وَلَكِنِّي الطَّرِيق

أَنَا امرَأَةٌ مِن حَرِيــق

تَمَسَّنِي تُشعِلَنِي، فَتدخُلَنِي لِتبدَأَنِي، أَنَا الجُغرَافيَا المَجهُولَةُ الجَاهِلَةُ، لاَ أَعرِفُ تَضَارِيسِي وَمَوَاسِمِي، لَكِنَّنِي مَوسِمٌ دَائِمٌ لِلقَطَافِ وَالهُطُول

أَنَا الشَّبَــقُ الجَهُــول

لَكَ رَبَّيــتُ غَرَائِــزِي الأَوَّلِيَّــةَ، فَاســتَعَادَت ذَاكِـــرَةَ الغَـــاب وَالـــشَّهَوَاتِ النَّارِيَّـــةِ وَصُرَاخَ الجُوعِ الكَافِرِ، أَطعَمتُهَا خُبزَ الأَسَاطِيرِ الهَمَجِيَّةِ، أَطلَقتُهَا تَرعَى مَعَ الوُحُوشِ وَالجَوَارِحِ، قَطِيعًا شَرِهًا يَنتَظِرُك

فَالسَّـــلاَمُ لَك

مَجبُــولَةً مِن نَـــار

وَلَبُؤَاتٍ، أَعضَائِي ثِمَارٌ تَشتَهِي القَضمَ، أَنضَجتُهَا بِغُبَارِ البَهَارَاتِ، حَمَّمتُهَـــا ألفَ عَامٍ بِمَاءِ العَنبَرِ وَالمِسكِ، عَلَّمتُهَا إِيقَاعَ الرِّيحِ وَالمَوجِ، أَطلَقتُهَـــا فِـــي البَرَارِي فِي انتِظَارِ خُطَاكَ القَادِمَة

وَلا تَثريبَ إِلَى أن يَشطَحَ بِـي المَـوجُ فَيَرمِيَنِـي فِـي أُفُقٍ لا تَعرِفُه الأبصَارُ أو الأقدَام

أشجَارٌ صَائِتَةٌ، أحجَارٌ صَامِتَةٌ

وَغُبَارُ كَلام

يَصَّاعَدُ غَيمًا أزرَقَ يَلتَمُّ وَيَتَكَاثَفُ كَـي يَنحَـلَّ فَيَهمِـي هَمهَمَةً تَنهَلُّ رَذَاذًا فِـي العَـينِ فَتُبـصِرُ مَـا لا يُدرِكُـه الرَّاؤُون

فَبِأيِّ الآلاءِ تُكَذِّبُون

هَكَذَا حَرَثتُ البَحرَ شَهرًا أو دَهرًا وَبَـذَرتُ قُطعَـانِيَ البَرِّيَّةَ فِي الرَّبِيعِ وَانتَظَرتُ فِي الخَرِيفِ الحَصَاد

أشجَارٌ رَمَـاد

كُنْتُ نَائِمًا فَجَرَى مَا جَرَى. مَن يُوقِظُنِي فَأَمْنَحَهُ إِكْلِيلَ الشَّوْكِ وَالْعَصَاةَ الَّتِي أَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَصَرْخَتِي الثَّاقِبَة.

وَصَحَوْنَا عَلَى دَمٍ وَأَشْلاَءٍ وَبَقَايَا صَرَخَاتٍ
مُحْتَضَرَةٍ، فَمِلْنَا إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ، هَزَزْنَاهُ
فَتَسَاقَطَ رُطَبًا جَنِيًّا. شَبِعْنَا، فَمَضَيْنَا إِلَى الْوَرَاءِ.

لَيْــلٌ طَوِيــلٌ مِن ظُلُمَــاتٍ ظَــالِمَة

وَأَنَا لاَ أَعرِفُ إِيثَاكَا.. وَلَكِنِّي الرِّحلَةُ الدَّائِمَة

مَفتُوحَةٌ عَلَى الجِهَاتِ وَالأَوقَاتِ، كُلَّمَا تَدخُلُنِي أَتَّسِعُ، تَخطُو فَأَتَّسِعُ، تَمضِي إِلَى الأَعمَاقِ أَمتَلِئُ حَتَّى أَفِيضَ بِي وَبِك **فَالحَمْــدُ لَك**

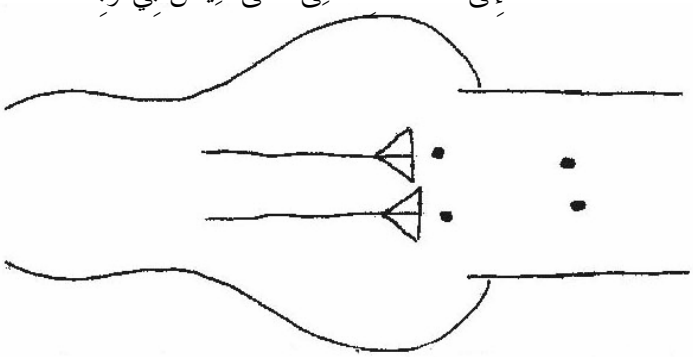

كُلُّ خُطوَةٍ تُشعِلُ شَمسًا، كُلُّ لَمسَةٍ تُضِيءُ قَمَــرًا، تَبذُرُ النُّجُومَ وَالنَّيَازِكَ فِــي مَجَاهِلِي، لاَ لَيلَ لاَ نَهَارَ، أَشجَارُ الحِنَّاءِ تُزهِــرُ، مَــا الَّذِي يَقطُرُ؟ إِلَى المَرعَــى تَسُوقُ قُطعَانِيَ الرَّعنَــاءَ، بِئرٌ غَابِرٌ يَفِــيضُ بِمَــاءٍ غَامِضٍ، شُمُوعٌ مَنثُــورَةٌ مَنــثُورَةٌ تُــومِضُ فِــي الأَركَانِ **أَنَــا الزَّمَــانُ**

وَثِمَارٌ حِــدَاد
لاذِعَةٌ سَائِغَةٌ كَأَنَّهَا الهَبَاءُ
أو
غُبَارُ الشَّبَــق
أَرَقٌ يَطرُقُ أَبوَابِي فِي مُنتَصَفِ اللَّيلِ فَأَفتَحَهَا يَدخُلَ مُنسَلاًّ وَجِلاً دُونَ سَلامٍ يَزحَفُ نَحوَ الأَركَانِ المُعتِمَةِ

المَــكَانُ فَامضِ كَمَا تَبغِي، لِتَعرِفَنِي فَأَعرِفَنِي، وَقَــعُ أَقدَامِكَ أَضــــوَاءٌ وَشَارَاتٌ فِي مَتَاهَاتِي، مَوطِئُ أَقدَامِكَ أَعلاَمٌ فِي مَمَرَّاتِي، فَأَنَــا لاَ أَعــرِفُ إِيثَاكَا، **وَلَكِنِّي الطَّرِيقُ الأَبَدِي**

وَلَمَّا احْتَدَّ الجَدَلُ قَالَ لِي: عَلَيْكَ بِالسَّيْفِ فِي عُنُقِ مَنْ لَمْ يُبَايِعْ. لَكِنَّ الدَّمَ فَاضَ نَهْرًا يَقْطَعُ الْبِلاَدَ، فَأَصَابَنِي المَلَلُ. رَمَيْتُ نَفْسِي فِيهِ، وَسَبَحْتُ إِلَى الضِّفَّةِ الأُخْرَى.

أَنَا
الْوَلِيمَةُ الْفَاجِعَةُ.
أَنَا
أَيَّتُهَا الذِّئَابُ الْجَائِعَةُ:

الأَفَاعِي وَالعَقَارِبُ وَالفِئرَانُ تَحتَلُّ المَدِينَةَ، *أنتِ أَرضِيَ المُحَرَّرَةُ، عَلَيهَا تُرَفرِفُ أَعلاَمِي*، لاَ أَرَى سِوَاكَ لاَ يَرَانِي، هَل تَهطِلُ السَّمَاوَاتُ أَشلاَءً غَابِرَةً وَتَفِيضُ الأَرضُ بالدِّمَاءِ الفَاتِرَةِ؟ أَيَّتُهَا اللَّحظَةُ البَائِرَةُ المَاكِرَةُ الغَادِرَةُ مَتَى سَتَأتِي حَانَ وَقتُ الرِّثَاءِ، **أَيَّتُهَا اللَّحظَةُ الجَارِحَةُ، الفَادِحَةُ**: خَدَعتِنِي فَرَمَيتِنِي فِي العَرَاءِ، **صَرخَةً فِي الخَوَاءِ**، يَهرُبُ العَرشُ مِن تَحتِي، وَيَنسَلُّ مِن يَدِي الزَّمَانُ، إِلَى أَينَ أَيَّتُهَا الجَيَادُ الذَّهَبِيَّةُ؟ كَم نِمنَا، دَهرًا أَو بَعضَ دَهرٍ؟ وَكَانَ عَرشِي طَافِيا عَلَى الزِّئبَقِ، وَسطَ الحُقُولِ، فَانتَحَى بِي إِلَى غَارٍ يَحُفُّهُ الغَارُ، قُلتُ هُوَ الوَحيُ وَالنُّبُوَّةُ، يَا حُرَّاسَ الصَّمتِ وَالظَّلاَمِ انتَشِرُوا فَاحصُدُوا شَجَرَ الكَلاَمِ، فَانتَشَرُوا وَحَصَدُوا لِي **35** أَلفَ صَوتٍ، فَاستَسلَمتُ تُزهِرُ الأَطلاَلُ وَالخَرَائِبُ؟ *أَمشِي عَلَى المَاءِ بِلاَ بَلَلٍ*، طِفلِيَ الضَّالُّ أَم وَردَةٌ مِن حَجَر؟ **نَسُوقُهَا كَالنِّعَاجِ إِلَى المَجزَرَةِ**، سَرَابٌ إِلَى مَطلَعِ الفَجرِ الغَامِضِ الحَامِضِ، *هَل أَنتِ آنِيَ القَادِمُ أَم حُلمِيَ المُستَحِيلُ*؟ عَلَى الحَبلِ أَمضِي مُغمَضَ العَينَينِ، إِلَى أَين؟ حِينَ تَخرُجُ مِنِّي يَمُوتُ جَسَدِي، **نَرقُصُ فِي عُرسِ الخَفَافِيشِ الصَّادِحَةِ**، *أَركُضُ فِيكِ إِلَى خَطِّ الزَّوَالِ*، أَنَا الجَمَلُ الأَجرَبُ بلاَ قَبِيلَةٍ، **أَيُّهَا المُوَاطِنُونَ المَاكِرُونَ النَّاضِجُونَ لِلقَطفِ،**

هَكَذَا، وَقَعَت القَاسُ فِي الرَّاسِ، قُلتُ: لاَ بَاسَ، خَطَأٌ تَحتَ الجُغرَافِيَا وَبَدءُ التَّارِيخِ.

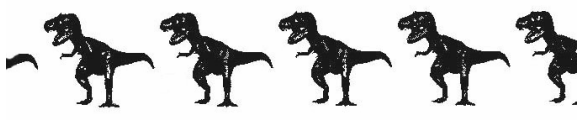

هَيَّا، بلاَ بَـــابٍ وَلاَ شُبَّاكَ تَدخُلُنِي أَنَّـــى شِئتَ، *قَبيلَتِي أَنـتِ*، مَـن يَطـرُقُ مُنتَـصَفَ اللَّيـلِ؟ القَاتِـلُ البَـرِيءُ أَمِ القَتِيـلُ الجَـرِيءُ؟ إِلَـى الجُحُـورِ وَالسَّرَادِيبِ يَا أَرَانِبَ الأَرضِ، نَهرٌ مِنَ الحِبرِ جُسُـورٌ مِنَ الكُتُبِ ، تِلاَلٌ مِنَ

لِلسُّبَّاتِ وَالنِّسيَانِ، وَاستَيقَظتُ في البَرَارِي العَارِيَة **جُثَّةً عَاوِيَة** ؛ فَهَلْ رَبَّيتُ الأَفَاعِي فِي عَبَـآتِي ؟ أَمْ نَمَـا شَـجَرُ الكَـلاَمِ فِـي غَيبُـوبَتِي ؟ فَـأَينَ كَانَـت المُخَـابَرَاتُ وَالمَبَاحِـثُ وَالحَـرَسُ الجُمهُـوريُّ المَلَكِـيُّ وَالأَمـنُ المَركَـزِيُّ وَغَيـرُ المَركَـزِيِّ وَالـسُّجُونُ وَالمُعتَقَلاَتُ وَالسِّيَاطُ وَالصَّفَعَاتُ وَالكَهرَبَاء؟ نُومٌ غَـادِرٌ وَوَقتٌ مَـاكِرٌ، فَهَلْ تَوَاطَـأَ الكَونُ ضِدِّي؟ آنَا البَهلَوَانُ العَجُوزُ، سَيِّدُ القَفزِ عَلَى الحِبَالِ، مِنْ أَيـنَ جَـاءَت سِقطَتِي؟ مُعَلَّقًـا، فَضَاءٌ حَـامِضٌ يُدَلِّيني مُؤَرَّقًـا بِلاَ قَـرَارٍ ، تُطِيحُ بِي الرِّيـحُ أَينَمَا

الجَمَاجِمِ، أَيُّهَـا الجَلاَّدُ، تَنسَابُ دَاخِلِي كَنَهـرٍ مِن حَمِيمٍ، *فِيكِ أَخرقُ الأَرضَ وَأَبلُـــــغُ الجِبَـالَ* ، مَتَـى تَأزِفُ الآزِفَةُ، أَيَّتُهَـا الـسَّاعَةُ المُتَوَقِّفَـة؟ **أَيُّهَا البَرَايرَةُ إِلَى الوَلِيمَـةِ البَانِخَـةِ، يَومُنَا خَمرٌ وَغَدُنَا خَمرٌ**

مِن دِمَاءٍ، لَستُ الكَلبَ العَقورَ لاَ، لَكِنَّنِي النَّمِرُ الخَجُـولُ، تَسرِقُنِي مِنِّي، فَلاَ تُعِـدنِي، *تُوصِدِينَ عَلَيَّ أَبوَابَكِ بِالمَتَارِيسِ*، مِن أَينَ يَـأتِي الهَسِيـسُ؟ أَم بَصِيصٌ يَصحُو ؟ **أَينَ الخَازُوقُ وَالمَنجَنِيقُ؟ إِلَى التَّجرِيسِ، *أَمتَطِيهَا إِلَى آخِرِ الأَرضِ*، بُحَيرَةُ دَمٍ آسِنَةٍ أَعبُرُهَا بِقَفزَةٍ وَاحِـدَةٍ إِلَى الهَبَـاءِ، لَمـسَةٌ تُحِيلُنِي غَيمَةً مَاطِرَةً، أَيَّتُهَا البِلاَدُ أَنتِ الوَلِيمَـةُ الفَـاجِرَةُ لِلبَرَابـرة، فَمَـن يُعِيرُنِي مَرثِيَّةً عَصمَاءَ فِي البُكَاءِ عَلَى الأَطلاَلِ؟ *أَنـتِ الطَّرِيـقُ وَإِيَّاكَـا*،

لَكِنَّه حِينَ وَاتَانِي كَانَ الْوَقْتُ فَات؛ فَجَلَسْتُ الْقُرفُصَاءَ عَلَى الْقَارِعَةِ، يَرْمِي عَلَيَّ الْعَابِرُونَ كِسْرَةً أو كِسْرَتَيْن، إِلَى أن دقَّت الأَجْرَاسُ، فَمِت.

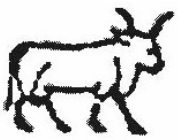

فِيكِ تَمضِي قَوَافِلِي إِلَيكِ، أَهلاً وَسَهلاً، لَهَا العُشبُ وَالحَلوَى وَمَاءُ الزَّهرِ، وَالوَاحَةُ المَمدُوحَةُ، نَحنُ عُبَّادُ الظَّلاَمِ، مِن لَيلٍ إِلَى لَيلٍ، شِعَارُنَا: الجُمجُمَةُ الفَارِغَةُ، خُطُوَاتِي بَصِيرَةٌ وَعَينَايَ مُغمَضَتَانِ، أَمشِي عَلَى الشَّوكِ وَالشِّرَاكِ خَجُولاً، لِسَانُكَ يُكَلِّمُ الحَلمَةَ النَّائِمَةَ فَتَصحُو وَلاَ أَعرِفُ الأَبجَدِيَّةَ، أَنتِ الن وَأَنَا بِدَاخِلِكِ النُّقطَةُ، نَسعَى بِالحِرَابِ المَسمُومَةِ، فَلْيُغمِضِ العَالَمُ عَينَيهِ أَو نَفقَأهَا، مَرأَةٌ مِن نَدِيفِ القُطنِ وَزُرقَةِ السَّمَاءِ، أَمرُقُ كَالسِّكِّينِ فِي المَاءِ، إِلَيكَ المُشتَكَى، كُلُّ خَطوَةٍ تَفتَحُ دَربًا وَكُلُّ قَضمَةٍ تُوقِظُ السُّعَارَ، عَارِيًا أُرَفرِفُ عَالِيًا فَوقَ غُيُومِ الصُّرَاخِ وَالأَنِينِ، أَركَبُهَا إِلَى المِحَطَّةِ القَادِمَةِ، أَيَّتُهَا اللَّحظَةُ الغَائِمَةُ مَتَى يَبِينُ الخَيطُ الأَبيَضُ مِنَ الأَسوَدِ؟ يَا مَدِينَةَ النُّعَاسِ النُّحَاسِيِّ وَالوَسَنِ الآسِنِ، نَارٌ أَنَا لاَ تَنطَفِئُ أَو تَخبُو، تَشبُّ كُلَّمَا دَنَوتَ، مِن غَيمَةٍ عَابِرَةٍ أُدَلِّي قَدَمَيَّ فِي العَالَمِ، نَرشُقُ السِّهَامَ فِي قَلبِ الكَلاَمِ، كُلَّمَا قَطَعتَ مِيلاً انفَتَحتُ

ظِلّي دَاخِلِي. وَشَمْسِي فِي رَأسِي.

رَاحَت أَرُوحُ، فَمَن بَاحَ بِي؟ فَاستَبَاحَتنِي عَوَامِلُ التَّعرِيَةِ؟ أَيَّهَا الخَوَنَةُ، أَعرِفُكُم كُلَّكُم، فَاصطَفُّوا أَمَامَ حَائِطِ الإِعدَامِ حَسبَ الطُّولِ، خِيَانَةٌ عُظمَى، أَنَا القَاضِي الجَلاَّدُ، اصطَفُّوا، بِطَلَقَةٍ وَاحِدَةٍ، لاَ رَحمَةَ أَو مَغفِرَةَ يَا فِرقَةَ القَتلِ، مَن يَدُقُّ الأَجرَاسَ، لِمَن؟ مِن أَين؟ أَطلِقُوا، أَيَّهَا الصَّمتُ المَكِينُ كَالسِّكِّينِ، أَنتَ مُوسِيقَايَ وَغُنوَتِي، خَمرِي وَبَهجَتِي، أَيَّهَا الحُرَّاسُ، إِلَى أَقبِيَةِ

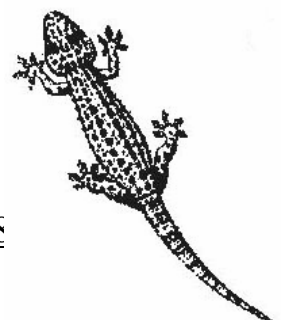

ولَمَّا رَأَيتُ قُلتُ لِنَفسِي: أَنتَ حَارِسُ المَدِينَةِ. عِشرِينَ قَرنًا عَلَى أَبوَابِهَا وَأَسوَارِهَا. ولَمَّا تَعِبتُ لَجَأتُ إِلَى حَقلٍ قَرِيبٍ، ونِمتُ. بَعدَ عِشرِينَ قَرنًا صَحَوتُ. لَم أَجِد المَدِينَةَ.

اثنَين، *ضِعتُ فِي التُّخُومِ وَالمُفتَرَقَاتِ بلاَ شَارَاتٍ*، نَهرٌ مِن نَشِيجٍ وَاحتِضَارٍ يَشُقُّ البِلاَدَ ، فَمَن يَعِدُّ المَرَاثِي، **لاَ أَطفَالَ بَعدَ اليَومِ**، تَدخُلُنِي مِن سُرَّتِي فَتُدخِلَنِي حُقُولَ الهَذَيَانِ، *لاَ بَوصَلَةَ أَو خَرَائِطَ، أَنَا المُسَافِرُ الأَبَدِيُّ، أَيَّتُهَا*

التَّعذِيبِ وَالعَرُوسِ الخَشَبِيَّةِ ، لاَ حِيلَةَ لِي ، أَنَا عَاشِقُ الظُّلمَةِ وَالصَّمتِ وَالمَرَايَا ، وَجهِي قِنَاعٌ مِنَ الشَّمعِ لاَ تَرَاهُ الشَّمسُ وَالعَصَافِيرُ، وَابتِسَامَتِي تَكشِيرَةٌ فَاشِلَةٌ ، آنَا اللُّغَةُ المُخَاتِلَةُ، آرُوغُ بِالغَرِيزَةِ مِنْ رَصَاصِ الصَّائِدِينَ الرَّاصِدِينَ، فَهَلْ خَانَنِي هَذِهِ المَرَّةَ قَلبِي؟ أَمِ الشَّيخُوخَةُ حَطَّتْ عَلَى البَصِيرَةِ فَامتَطَاهَا البَرَابِرَةُ إِلَى سُدَّةِ العَرْشِ؟ هَائِمًا فِي القِفَارِ، عُكَّازٌ مِنَ السَّنطِ فِي يَدِي، وَعَلَى رَأسِيَ إِكلِيلُ شَوكٍ يَنخَسُنِي كُلَّمَا انتَابَنِي الأَسَى، أَيُّهَا الوَهَنُ الَّذِي يَسرِقُ الذَّاكِرَةَ، أَنَا الأَرضُ القَاحِلَةُ، صُخُورٌ وَشَوكٌ وَالزَّوَاحِفُ تَرعَى،

البَقَرَةُ الحَلُووووبُ، نَحنُ حَالِبُوكِ حَتَّى القَطرَةِ الأَخِيرَةِ، بُومَةً عَميَاءَ أَحُطُّ عَلَى القِبَابِ وَالمَآذِنِ أَدعُو لِصَلاَةِ الغَائِبِ، *مُشرَعَةٌ أَشرِعَتِي تَزلِقُنِي رِيحٌ غَامِضَةٌ (مِن أَينَ تَهُبُّ؟)*، إِلَى الأَعمَاقِ، إِلَى الأَعمَاقِ

السِّرِّيَّةِ احرُثنِي إِلَى مُنتَهَايَ، **نَحنُ الأَقنِعَةُ الجَائِعَةُ، شَهوَتُنَا مُشتَهَرَةُ الأَنيَابِ وَالمَخَالِبِ**، *أَنزَلِقُ هَنِيئًا مَرِيئًا يَخضُرُنِي الغِنَاءُ وَالهَدِيلُ*، أَنَا القَتِيلُ بلاَ إِثمٍ وَلاَ حَرَجٍ، فَامتَشِقنِي وَشُقَّنِي أَنشَقُّ بُرُوقًا فِي شَفَقٍ أَو غَسَقٍ، **دَرسُنَا: رُؤُوسٌ مَقطُوعَةٌ مَرفُوعَةٌ عَلَى أَسِنَّةِ الرِّمَاحِ**، أَنَا الطَّائِرُ الحَزِينُ أُحَلِّقُ فَوقَ حُقُولِ الحَرِيقِ، *مِن أَينَ يَصَّاعَدُ البُخُورُ وَيَنهَمِرُ المَطَرُ الحَارُّ؟ كُلَّمَا عَرَفتَنِي*

عَرَفتُني، فَنلتَقِي فِي النُّقطَةِ الفَاصِلَةِ لَحظَةَ الصِّفرِ، **هَكَذَا نُرَوِّضُ البلاَدَ بالسِّكِّينِ وَالخَازُوقِ**، لَيلٌ طَوِيلٌ بلاَ وَرَقَةِ تُوتٍ، *أَنزَلِقُ إِلَى نَجمَةٍ شَارِدَةٍ وَأَركُضُ فِي الفَضَاءَاتِ المُضِيئَةِ*، لاَ أَعرِفُ إِيَّاكَا ، فَمَن مِنَّا الطَّرِيقُ؟ **لاَ هَوَادَةَ اليَومَ، فَادخُلُوا جُحُورَكُم**، فَهَل تَشرَبُ الأَرضُ الدِّمَاءَ وَتُثمِرُ الأَشلاَءُ تِينًا غَامِضًا؟ *أَتَأَرجَحُ لاَ يَعرِفُنِي الزَّمَنُ العَابِرُ أَو النُّورُ وَالظَّلاَم، لاَ الصَّمتُ وَالكَلاَمُ*، مَا الَّذِي يَشُبُّ فِي جَسَدِي؟ مَا الَّذِي يَخِبُّ فِي أَعضَائِي؟ **أَبجَدِيَّتُنَا** السَّوطُ وَأَقبِيَةُ التَّعذِيبِ وَالجَزمَةُ العَسكَرِيَّةُ، نَلتَقِي فِي مَجزَرَةٍ قَادِمَةٍ، أَحُطُّ عَلَى حَافَّةِ النَّهرِ أَلتَقِطُ بِمِنقَارِيَ الجُثَثَ الغَارِقَةَ، أَيَّتُهَا اللَّحظَةُ الفَارِقَةُ، اقتَرَبنَا مِنَ اللَّحظَةِ الصَّاعِقَةِ، فَاتَّئِد فِي خُطَاكَ حَتَّى يَطُولَ الطَّرِيقُ، *هَل أَضَعنَا النَّجمَ القُطبِيَّ أَم ضِعتُ فِي الأَدغَالِ وَالمُفتَرَقَاتِ*، هَكَذَا نَحُطُّ

أَيُّهَا السَّهَرُ، مَنْ طَعَنَ النَّوْمَ فِي الظَّهْرِ، وَبَعْثَرَ الأَشْلاَءَ فِي الجِهَاتِ الأَرْبَعِ ، لاَ بَأْسَ ، أَسْرَابُ حَدِيدٍ صَدِئٍ تُرَفْرِفُ فِي فَضَاءِ القَلْبِ، تَقْضُمُنِي، وَكُلُّ قَضْمَةٍ صَرْخَةٌ بَرِّيَّةٌ، كُلُّ صَرْخَةٍ قَافِلَةٌ مِنْ نُعُوشٍ طَائِرَةٍ تَخْفُرُهَا وَلْوَلاَتٌ غَائِرَةٌ، كُلُّ وَلْوَلَةٍ وَرْدَةٌ سَوْدَاءُ تَخِزُ القَلْبَ الكَسِيرَ **أَنَا الدِّيْنَاصُورُ الأَخِيرُ** عَرَفتُ آخِرَتِي ، إِلَيْهَا مُغْمَضًا أَمْضِي ، أَدِيرُ وَجْهِي إِلَى الهَبَاءِ، وَفِي فَمِي أُغْنِيَةٌ قَدِيمَةٌ لِوَرْدَةٍ بِلاَ لَوْنٍ وَلاَ رَائِحَةٍ، أَعْرِفُ الطَّرِيقَ بِلاَ شَارَةٍ أَوْ دَلِيلٍ، عَلَى رَأْسِي الإِكْلِيلُ وَفِي القَلْبِ الحَوِيلُ، **أَيُّهَا الزَّمَنُ الجَمِيلُ**، مَا فَاتَ مَاتَ ، بِلاَ

وَمَشَيْت. جُيُوبِي فَارِغَةٌ وَأَعْضَائِي خَاوِيَةٌ مِنَ النِّسَاءِ. بِلاَ مَاضٍ وَلاَ ذَاكِرَة. أَطْفُو عَلَى مِيَاهِ الزَّمَنِ كَقَشَّةٍ فِي انْتِظَارِ الغَرِيق.

عَلَى المَدَائِنِ الغَارِبَـةِ فِي اللَّحظَةِ الهَارِبَـةِ، *فَاتَ أَوَانُ الرُّجُـوعِ* ، الهُوَينَى،

عَـزَاءٍ، فَلاَ عِـد الآنَ مَرْثِيَّتِـي وَأَطْلاَلِـي لِطُقُـوسِ النِّهَايَـةِ وَالبُكَـاءَ عَلَـى أَطْـلاَلِ الـزَّمَنِ الغَـابِرِ، أَيُّهـا السَّادَةُ النُّبَلاَءُ، قَدْ نَضُجْتُ لِلنِّهَايَةِ، نَضُجَتْ لِي، وَحِيـدًا، لاَ مَوَاكِـبَ، لاَ إِعْـلاَنَ لِلطَّـوَارِئِ، فَانْفَـضُّوا جَمِيعًـا لأَفْفِـزَ القَفْـزَةَ الأَبَدِيَّـةَ **أَنَا سَيِّدُ السُّلاَلَةِ الدَّمَوِيَّة**

كَي يَطُولَ الطَّرِيـقُ، نَحُـطُّ عَلَـى المَـدَائِنِ الزَّاهِـرَةِ فِـي اللَّحظَـةِ المَـاكِرَةِ، لاَ سَـهوَ أَو نِـسيَانَ، لاَ هَـوَادَةَ أَو غُفْـرَان **نَحْـنُ آخِـرُ الزَّمَـان** .

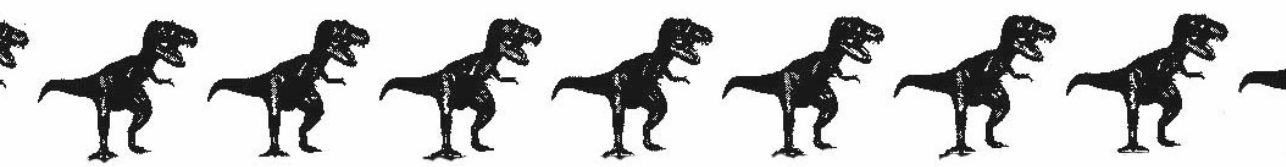

هكـذا تكلَّم الكركَدن

2012

هكذَا تكلَّم الكَركَدن

هُو حَيَوَانٌ فِي جُثَّةِ الفِيلِ، خِلْقَتُه خِلْقَة الثَّورِ، إلاَّ أَنَّه أَعظَمُ مِنهُ، ذُو حَافِرٍ، وَهوَ سَرِيعُ الْغَضَبِ، صَادِقُ الحملَةِ، يَخافُه سَايرُ الحَيَوَانَاتُ. عَلَى رَأسِهِ قَرنٌ وَاحِدٌ حَادُّ الرَّأس. يَعِيشُ سَبعُمايَةِ سَنَةٍ، وَهَيَجَانُ شَهوَتِه بَعد خَمسِينَ سَنَة،

لَستُ دِينَاصُورًا، لاَ وَأَلفَ كَلاَّ؛ لَستُ هُولاَكُو ولاَ هِتلَرَ، لاَ الحَجَّاجَ لاَ مُوسُولِينِي ولاَ بِينُوشِيه[1]، أَنَا أَصلُ السُلاَلَة، وَالكُلُّ ظِلاَلٌ بَاهِتَة

أَنَا اللَّحظَةُ المَارِقَةُ الفَالِتَة

استَعَارُوا قَامَتِي وَسِيرَتِي، سَلَبُونِي مِنِّي، وَارتَدَوا قِنَاعِيَ الذَّهَبِيَّ فِي غِفلَةٍ مِنَ الزَّمَن

وَكُلُّ غِفلَةٍ: مِحنَةٌ

---

[1] نُسخَةٌ- طِبق الأَصل، تَقرِيبًا- مِنَ "**الدِينَاصُور الأَخِير**"، البَربَرِيّ الأَخِير، هُولاَكُو الأَخِيرِ، وَعَبدِي أَمِين الأَخِيرِ، آكِلِ لُحُومِ البَشَر. لمزيد من التفصيل، راجع: رفعت سلاَّم، **حَجَرٌ يطفُو على الماء**، دار "الدار"، القاهرة 2008، ص 24.

كُلُّ مِحنَتٍ: مِينَةٌ

وكُلُّ مِينَةٍ: صِرَاطٌ وأَسَن

سَرَقُوا مِنّي القَامُوسَ والأَبْجَدِيَّة[2]، عَرَّفُنِي مِنّي قَبلَ حُلُولِي، وسَبَقُونِي إِلَى المَدَائِنِ المَنذُورَةِ لِلنَّارِ، إِلَى القُطعَانِ المَنذُورَةِ لِلسَّفكِ، إِلَى السَّبْيِ والهَتكِ، إِلَى الآيَاتِ المُحكَمَاتِ مِمَّا لاَ عَينٌ مِن قَبل رَأَت، ولاَ أُذُنٌ سَمِعَت، ولاَ خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَر

وَجهِي: قِنَاعٌ مِن حَجَر

لاَ يَبلَى، أَو تَأكُلُه العَوَاصِفُ، مِن حَجَرٍ بَازِلَتٍ (شَقِيقِي وخِلِّي الوَفِيُّ، لاَ أَعرِفُ سِوَاه، لاَ يَعرِفُ سِوَايَ)؛ لاَ تَعرِفُ وَجهِي المَرَايَا ولاَ الشُّمُوسُ، جَسَدِي قِنَاعِي، ومَرُوحِي مَرَدَةٌ شَائِكَة

ومَرَدَةُ الأَسَنِ الحَالِكَة

فَلاَ تَقرَبُونِي،

لاَ نَوَافِذَ لِي، لاَ أَبوَاب.

كُلِّي أَسوَارٌ مُدَجَّجَة،

---

[2] كُنتُ فِي الأَربَعِين، حِينَ حَلَّ الوَحيُ، فَأَملَانِي القَامُوسَ وأَلَّفتُ الأَبْجَدِيَّةَ، أَنَا الأُمِّيُّ الجَهُولُ، فَاتِحَةُ السُّلاَلَةِ الجَهَنَّمِيَّة.

حُرَّاسُهَا مُشْهَرُون، لاَ نومَ لاَ سَهَر.
فَابتَعِدُوا، ابتَعِدُوا
سَأَمِي أَزَلِيٌّ، أَبَدِيٌّ،
وَأَنَمُ: المُنَاسَبَة.

لاَ حِيلَةَ لِي، خَاوٍ مُترَعٌ، يَقُودُنِي مَلَلِي إِلَى الحَافَّةِ، أُدَاعِبُهَا، أَلْهُو بِهَا بُرهَةً، أَتَحَسَّسُ لَهدَهَا البَضَّ، أَدَسُّ الأَصَابِعَ فِي المُنفَرَجِ السَّاخِنِ البَلِيل، لاَ تَنبِضُ الشَّهوَةُ فِي عُرُوقِي[3] (أَينَ وَلَّت؟ مَتَى كَانت المَرَّةُ الأَخِيرَة؟ أَيُّهَا العَدَمُ، أَيُّهَا اللاَّشَيء)؛ غُبَارٌ لاَذِعٌ يَسُدُّ الأُفُقَ وَالعَينَين وَالأَنفَ، يَملأُ الشَّرَايِينَ المُعتِمَةَ، وَجَسَدِي قَشٌّ وَتُرَاب.

(3) أَصَابِعِي كَانت جُندِيَّ الاستِطلاَعِ الأَمِينَ لِلشَّهوَةِ الغَابِرَة، بَينَهُمَا خَيطٌ مِن كَهرُبَاء. وَالجَسَدُ مُشهَرُ الدِّمَاء.

لَستَ أَنتَ أَنتَ، وَلاَ أَنَا أَنَا،

آخرَانِ يَلتَقِيَانِ عَلَى وَهمٍ مِن خُيُوطِ العَنكَبُوت؛ فَمَن دَسَّنِي عَلَيكَ أَيُّهَا الغَرِيبُ، مَن دَسَّكَ فِي خَرِيطَتِي العَمياءِ، فَضَاعَت بَصِيرَتِي؛ مَن خَانَنِي، فَقَادَنِي إِلَيك؟

لَستَ حُلمِي، لَستَ الكَابُوسَ،

قُلتُ لِنَفسِي الأَمَّارَةِ بالسُّوءِ: مَذَاقُهُ لاَذِعٌ، عَذبٌ، مَرِيرٌ، فَالتَقِمِيه بُرهَةً إِلَى أَن يَصِيحَ الدِّيكُ[1]؛ قَضمَةً أَو قَضمَتَين، رُبَّمَا أَنسَى قَلِيلاً، رُبَّمَا يَغفُو قَلِيلاً

---

[1] كُنتُ جَائِعَةً، عَطشَى، فِي مَدِينَةٍ صَحرَاءَ مِن ذِئَابٍ وَكِلاَب؛
كُنتُ صَرخَةً خَرسَاءَ لاَ يَسمَعُهَا سِوَاي تَسعَى خِفيَةً فِي الأَزِقَّةِ وَالأَسوَاقِ، لَعَلَّ وَعَسَى؛

جَسَدِي، إِلَى أَن يَنجَلِي الضَّبَابُ، فَأَمضِي إِلَى البَحرِ الأُجَاجِ أَغسِل المَاضِي مِن الخُطَى العَابِرَة

مَــرأَةٌ خَاثِــرَة

أَفِرُّ مِن وَهمٍ إِلَى وَهمٍ،
وَجَسدِي : شَجَرَة؛
يَقطُفُهَا الجَائِعُونَ الجَاهِلُون العَابِثُونَ العَابِرُون البَرَرَة:

نَــزوَةً مُزدَهِــرَة

هَيَّا، لاَ بَأسَ، لاَ يَأسَ أَو حَنِينَ، فَادخُلُوا مِنَ البَابِ العَلَنِيِّ أَو السِّرِّيِّ، لاَ شَبَابِيكَ لِي، أو جُدرَان[2]؛ كُلِّي أَبوَابٌ مُشرَعَةٌ مِن جَمِيعِ الجِهَاتِ عَلَى مَا يَجِيء، انتِظَارٌ حَارِقٌ لِاجتِيَاحٍ غَامِضٍ لِتَتَرٍ مَا أو مَغُول؛ وَلَيلِي: صَلَوَاتٌ مُبتَهِلَةٌ لِلجَحَافِلِ المُنتَظَرة:

أَيَّتُهَا الجَحَافِلُ البِدَائِيَّة،
خُذِينِي،
أَمطِرِينِي بِالمَجَانِيقِ وَالسِّهَامِ الهَمَجِيَّة؛

وَكُنتَ وَلِيمَةً مُبَاحَــةً وَبِئرَ مَاءٍ بِلاَ حَرَس؛ فَمَن يَلُومُنِي؟ وَلَم أَسمَع صِيَاحَ الدِّيك.

[2] هَكَذَا وُلِدتُ، هَكَذَا أَمُوتُ، هَكَذَا أُبعَثُ يَومَ النُّشُور.
وَلَم أَكُن أَدرِي،
إِلَى أَن تَسَلَّلَ أَحَدُهُم إِلَى حَدِيقَتِي السِّرِّيَّةِ ذَاتَ مَسَاءٍ،
فَقَطَفَ وَردَتِي النَّائِمَة.

أَيَّتُهَا الجَحَافِـــلُ البِدَائِيَّة؛

لاَ فَرقَ، اجتَاحُوا الجُغرَافيَا وَالتَّارِيخَ (سَأَصنَعُ جُغرَافيَـــا نَاصِعَةً وَتَارِيخًا أَبيَضَ بِلاَ سُوءٍ، وَأَمحُو مَا مَضَى بِمَاءِ النَّارِ)، أَضِيئُوا الظُّلمَاتِ، أشعِلُونِي شَمسًا شَعثَاءَ أَو قَمَرًا بَالِيًا[3]، وَأَطلِقُوا صَرخَتِي المَوءُودَةَ فِي الأَغوَارِ الغَائِرَة.

---

(3) شَمسٌ بَاهِتَةٌ، فَاتِرَةٌ، رَخوَةٌ كَخِرقَةٍ بَالِيَةٍ مُهمَلَة، تَستَحِي مِن مُواجَهَةِ الكَونِ؛
وَقَمَرٌ بَائِسٌ ذَلِيل، كَطِفلٍ يَتِيمٍ عَلَى مَائِدَةِ لَئِيمٍ؛
يَتَمَسَّحُ بِالسُّطُوحِ وَالسَّاحَاتِ المُقفِرَة،
يَتَسَوَّلُ كِسرَةَ خُبزٍ أَو جرعَةَ مَاءٍ مِن عَابِرٍ مَجهُول.

نحنُ نِسَاءُ المَدِينَةِ المَغدُورَة.
سَاقُوا رِجَالَنَا فِي اللَّيل،
وَخَلَّونَا فِي العَرَاء.
لاَ.. قَطرَةَ مَاء.
لاَ.. كِسرَةَ ظِلٍّ أَو ضَوء.
نحنُ نِسَاءُ المَدِينَةِ المَغدُورَة.

لاَ.. إِلَى أَين.

لَا . . إِلَى مَتَى .
أَقدَامٌ تَحرُثُ المَاضِي ،
وَبَصِيرَةٌ تَمشِي إِلَى الوَرَاء؛
تَحرُسُه مِنَ الكَوَابِيسِ وَالبَلَاء،
فَإِلَى مَتَى ؟
إِلَى أَيْنَ ؟

أَنَا المَدِينَةُ العَظِيمَةُ بَينَ الأُمَم،
سَيِّدَةُ المَدَائِنِ ، الحَاضِرَةُ فِي غِيَابِ الحَوَاضِر؛
انظُرُوا، كَيفَ صِرتُ أَطلَالاً
تَعَافُهَا الفِئرَانُ وَالكَوَاسِر .

عَذَارَايَ فِي السَّبَي ، فَاكِهَةُ اللَّيلِ وَالسَّهَر .

خَمرُ السَّمَر.

غَيمَةٌ مِن البُومِ تُرَفرِفُ فَوقَ الرُّؤُوس؛
لَا تنقَشِعُ، لَا تمطِر.

حَلَّت الشَّيخُوخَةُ فِي الصَّبَاح.
حَطَّت الشَّيخُوخَةُ فِي الظَّهِيرَة.
أَعجَازُ نَخلٍ خَاوِيَة.
أَغصَانٌ بِلَا نَسغٍ، بِلَا أَورَاق.
نَحنُ نِسَاءُ المَدِينَةِ المَقهُورَة.

حِينَ التَقَينَا، كَانَ الغَسَق.

كَانَ النَّجَّارُ يَدُقُّ مِسمَارَه الأَخِير، وَالحَطَّابُ يَستَجمِعُ قُوَّتَه فِي بَلطَتِهِ مِن أَجلِ الضَّربَةِ الأَخِيرَة، وَالفَلاَّحُ يَسُوقُ مَاشِيَتَه عَلَى حَافَّةِ الجُرف.

وَحِينَ التَقَينَا، كَانَ الغَسَق.

لَم يَكُن طَائِرٌ يُرَفرِفُ،

وَلاَ تَهُبُّ رِيح.

كَانَت الذَّاكِرَةُ تُؤَلِّفُ امرَأَةً مِن فُتَاتِ الغَابِرَاتِ[1]، تَنفُخُ فِيهَا، وَتُطلِقُهَا فِي البَرَارِي المَفتُوحَةِ، تَركُضُ بَقَرَةً بَرِّيَّةً- بِذَيلٍ مِن طَلاَسِمَ زَرقَاء-

[1] نِسَاءٌ عَادِيَّاتٌ، لاَ يَتَمَايَزنَ عَن غَيرِهِن إِلاَّ بِالأَردَافِ المُمتَلِئَةِ، المُستَدِيرَةِ، البَضَّة، وَالشَّهوَةِ الشَّهبَاءِ، وَالشَّبَقِ المُطلَق. نِسَاءٌ مِن أَجنَاسٍ مَجهُولَة؛ لاَ لُغَةَ بَينَنَا سِوَى الصُّرَاخِ الَّذِي يصُمُّ الآذَان.

يُطَارِدُهَا صَيَّادُون فِي الغَسَق.

لَم تَكُن حَربٌ،
وَلاَ أَنَاشِيد.
لَم تَكُن جنَازَةٌ،
وَلاَ عِيـــد.

كَانَت امرَأَةً بِثَدْيَينِ نَافِرَين مِن عَجِينٍ مُختَمِرٍ، يُرَفرِفَانِ بِمِنقَارَين مِن قَلَقٍ بُنِّيٍّ، مُشرَعَينِ إِلَى الأَمَامِ، إِلَى الأَمَامِ، طَائِرَين يَهِمَّانِ بِالطَّيَرَانِ، بِلاَ حُلمٍ أَو حَنِين[2].

آمِيـــــن

لَم أَكُن نَائِمًا.
كُنتُ أَجلِسُ عَلَى قِمَّةِ الوَقتِ الضَّائِعِ، أُدَلِّي قَدَمَيَّ- مِن مَلَلٍ مُزمِنٍ- فِي مَاءٍ سَيَأتِي بَعدَ الأَوَانِ، أَو قَبلَه (قَد لاَ يَأتِي)، أُحصِي الحَصَى، أَو أَخُطُّ خُطُوطًا عَشوَائِيَّةً فِي تُرَابِ الزَّوَال

---

[2] هِيَ امرَأَتِي الأَوَّلِيَّة، الجَوهَرِيَّة؛ لَيسَت مِن طِينَةِ النِّسَاء المَبذُولَة؛ رغمَ أَنَّهَا- فِي مَوضِعٍ آخَر- كَانَت "**تَرتَدِي البَنطَلُونَ أَحيَانًا، وَتَمشِي فِي الأَسوَاق مَرَحًا**" (**إشرَاقات رفعت سلاَّم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992، ص 28). وَفِي مَوضِعٍ ثَالِث، امرَأَةٌ مِن نِسرِينَ وَزَعفَـرَان، مِن بَلسَمٍ وَأُقحُوَان، مِن شَبَقٍ وَيَاسَمِين. هي "**سَيِّدَةُ العَالَمِين**" (**حجَر يَطفُو عَلَى المَاء**، مرجعٌ سابق، ص7).

هَكـــــذَا!!!!!!!!!

أُبَدِّدُ وَأَمحُو، بِلاَ أَسَى وَلاَ غُفرَان.
أَحرَقتُ المَرَاكِبَ كُلَّهَا، أَزَلتُ آثَارِي، غَسَلتُ ذَاكِرَتِي بِمَاءِ النَّارِ، قُلتُ لِنَفسِي: "البَحرُ فِي الأَمَامِ، وَالعَدُوُّ فِي الوَرَاء"[3]؛ وَقُلتُ:

فَــاتَ أَوَانُ الرُّجُــوع

[3] لَم يَكُن ثَمَّةَ اجتِيَاحٌ أَو غَزو (فَأَنَا أَعتَرِفُ- في العَلَنِ- بِحَقِّ الشُّعُوبِ فِي تَقرِيرِ مَصِيرِهَا، بِلاَ إِكرَاه)؛
لَكِنِّي خَشَيتُ الخِيَانَةَ- أَو، عَلَى الأَقَل، التَّخَاذُلَ- مِن نَفسِي الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ دَائِمًا، فَأَرَدتُ قَطعَ الطَّرِيقِ عَلَيهَا.

_____

أيُّهَا البَلَـدُ الحَـرَام:
أترُكُ لَكَ طُفُولَتي وَأوهَامي.
وَجَسَدِي: جُرحٌ بِاتِّسَاعِ الرُّوح.

أطفُـو.. صَافِيًا،
مُرَفرِفَــا.
مَا الَّذِي يُومِئُ لِي؟

جَسَـدِي: حَرِيق.
وَخُطوَتِي: مَعصِيَـة.

لِي الشَّهوَةُ العَاصِيَة.

لِمَاذَا تَأوِي النُّجُومُ إِلَى شَعرِي؟
أَنَا الصَّهِيلُ النَّافِر؛
أَنَا الشَّهقَةُ العَارِضَة.

تَقُولُ: كُن لِي أَبَدَا.
أَقُولُ: أَبَـداً.

لَستُ عُصفُورَةً، أَو مَطَرَة.
لَستُ شَجَرَةً، أَو قُبَّـرَة.
أَنَا الحَجَرُ المَطرُوحُ فِي المُفتَرَق.

دَعُـــونِي.

بَينَنَا: دَمٌ، وَقَتِيـل.

بَينَنَا: ذَاكِرَةٌ مُشهَرَة.
تَحرُسُ اليَقَظَةَ مِن أَسرَابِ النَّوم وَالنِّسيَان.

نَلتَقِي فِي المَوعِدِ المَاضِي.

أَعضَائِي: قَصدِيرٌ وَأَرَق.
بَصَرِي: حِرَابٌ مَسنُونَة.

عَشَائِي الأَخِيرُ مَضَى.
فَلِمَن يَصِيحُ الدِّيك؟

صَخَبٌ يَزحَمُ الهَوَاءَ وَالنَّوم.
فَمَن يُعِيدُ لِي النِّسـيَان؟

أَيَّتُهَا البَرَارِي الجَارِحَة.
أَنَا الخُطـوَةُ النَّابِحَـة.

وَزَعَم الهندُ أَنَّ الكَركَدَنَّ- إِذَا كَانَ بِأَرْضٍ- لَم يَدَع فِي تِلْكَ الْبِلادِ شَيئًا مِنَ الحَيَوَان ؛ وَإِذَا رَأَى الْفِيلَ يَأتِيهِ مِن وَرَائِهِ، يَضرِبُ بَطنَه بِقَرنِهِ، وَيَقُومُ عَلَى رِجْلَيهِ وَيَرفَعُ الْفِيلَ، حَتَّى يَتَشَبَّثَ بِقَرنِه. فَإِذَا تَشَبَّثَ يُرِيدُ أَن يَتَخَلَّص عَنِ الْفِيلِ، لاَ يمكِنُه، فَيَخِرُّ عَلَى الأَرْضِ فَيمُوتَ هُوَ وَالْفِيل.

كَأَنِّي سَيِّدُ السَّدِيمِ، أَدحُو طِينَةً فِي رَاحَتَيَّ، أَقُولُ: كُونِي، فَتَكُون:

قُنفُلَةً أَو قُنبُلَة

أُدَلِّي فِي الخَرَابِ الرَّحبِ شِصِّي، فَيَأتِي لِي بِصُرَاخٍ غَابِرٍ، وَعَوِيلٍ قَادِمٍ، وَأَسرَابِ نُوَاحٍ وَعُوَاء

أَيُّهَا الهَبَاء

أَنتَ مَملَكَتِي[1]، وَرَعَايَايَ شَعبٌ مِن غُبَارٍ غَارِبٍ، تُرَابٍ هَارِبٍ مِنَ

[1] مَملَكَةٌ بَاهِرَةٌ لَم تَعرِفهَا الأَكوَان،
شَعبُهَا كَعَسكَرِ الشَّطرَنجِ، لاَ يَأكُلُون، لاَ يَعمَلُونَ، لاَ يَمرَضُون وَلاَ يَمُوتُون،
إِلاَّ وِفقَ نَزَوَاتِي الطَّارِئَة، بَينَ الحِينِ وَالحِين.

الوَرَاءِ إِلَى الوَرَاءِ، خُطًى عَاثِرَةٌ تَمضِي إِلَى المَاضِي، ضَبَابٌ أَو يَبَابٌ لاَ يَبِينُ، فَمَن سَيَجلُو لِي بَصِيرَتِي الصَّدِئَةَ؟ يَمسَحُ عَنهَا غُبَارَ القُرُون

أَنَا الكَرَكَدَنُ الحَرُون

رَفَستُ المَوَاقِيتَ، المَوَاثِيقَ، المَوَاعِيدَ، انفَلَتُّ إِلَى ضِفَّةٍ مَا خَطَرَت بِبَالِ العَرَّافِين، لاَ يَنَالُهَا لاَهُوتٌ وَلاَ نَاسُوتٌ، أَتَمَشَّى الهُوَيْنَى وَحِيدًا فِي المَلَكُوتِ[2]، تَخفُرُنِي غَيمَةٌ مِن ذُبَاب

سَيِّدًا لِلغِيَاب

أَقطَعُ الوَقتَ قُصَاصَاتٍ صَغِيرَةً، أَلوِنُهَا بِأَلوَانٍ بَاهِرَةٍ، أَصُوغُهَا طَائِرَةً حَائِرَةً، وَأُطلِقُهَا فِي الفَضَاءِ (إِحدَى آيَاتِي فِي طُفُولَتِي الذَّهَبِيَّةِ السَّحِيقَةِ؛ آيَةٌ لاَ تُرِيدُ الغُرُوبَ أَو النِّسيَان)، فِي يَدِي الخَيطُ، لاَ أُفلِتُهُ، أَشُدُّهُ وَأُرخِيهِ، لاَ أَقطَعُهُ، تَتَرَاقَصُ يُمنَةً وَيُسرَةً، تَرحَلُ بَعِيدًا بَعِيدًا، ثُمَّ تَعُودُ طَائِعَةً، إِلَى أَن يَعزِلَنِي المَلَلُ بُرهَةً أَو بُرهَتَين؛

شَعبٌ غَرِيب!

[2] لاَ قَرِينَ لِي، سِوَى ظِلِّي. وَحِيدًا، مُطلَقًا، فِي الفَرَاغِ الرَّحب؛ كَرَبٌ ضَالٌّ، أَو وَثَنٌ غَابِرٌ، هَجَرَتهُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّرَاتِيلُ الخَاشِعَةُ. لاَ خُوَرَ، لاَ هَمهَمَات. لاَ خُطًى مُقتَرِبَة. فِي ثَنَايَايَ المُجَوَّفَةِ، تَبنِي الطُّيُورُ أَعشَاشَهَا، وَتَأوِي الفِئرَانُ وَالأَفَاعِي.

أَخلطُ الخُيُوطَ، أُعَابِثُهَا،
أَفُكُّهَا، ثُمَّ أَخلطُهَا،
وَأَرمِيهَا فِي الوَرَاءِ:
كُرَةٌ مِن هُرَاءٍ.

وَأَمضِي إِلَى النَّبعِ السِّرِّيِّ، أَغسِلُ وَجهِي مِنَ الوَسَاوِسِ وَالهَوَاجِسِ وَالكَائِنَاتِ[3]، أَرَى - فِي مِرآتِهِ - مَا لَم يَرَهُ الرُّسُلُ وَالأَنبِيَاءُ (الغَيبَ)، فَيَطمَئِنَّ قَلبِي تَمَامًا، فَآوِي إِلَى شَجَرَةٍ، وَأَنَامَ.

(3) هِيَ مَخلُوقَاتِي الخَيَالِيَّةُ، أَصنَعُهَا - فِي ذِهنِي، وَقتَ الفَرَاغِ (مَا أَطوَلَهُ!) - مِن بَابِ النَّسلِيَةِ الذِّهنِيَّةِ.

جَسَدِي سَـــيِّدي
وَأَنَا جَارِيَتُه المُسَيَّرَة
يَسُوقُنِي كُلَّ يَومٍ إِلَى مَرَاعِي الشَّهوَةِ المُزهِرَة
أَنَا الفَرِيسَـــةُ المَاكِرَة

أَعرِفُ أَوكَارَ الذِّئَابِ وَكْرًا فَوَكْرًا، ذِئبًا فَذِئبًا (مِن رِجفَةِ الحَدَقَةِ، وَانتِصَابِ الشَّعرِ وَالأُذُنَين)[1]، فَأَمضِي أَطرُقُ البَابَ عَلَى استِحيَاءٍ: أَيُّهَا

---

[1] **مَدِينَةٌ مِن ذِئَاب.**

تَحتَلُّ الشَّوَارِعَ آنَاءَ اللَّيلِ وَأَطرَافَ النَّهَار. تَجُوسُ مُرهَفَةَ السَّمعِ وَالشَّمِّ وَالبَصَر. تَرصُدُ الفَرِيسَةَ المُتَاحَةَ؛ لاَ تَنقَضُّ، بَل تَنسَلُّ لِبُرهَةٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ تُشرِعُ المَخَالِبَ وَالأَنيَاب.

ذِئَابٌ جَمِيلَةٌ، رَمَادِيَّةٌ وَحَمرَاءُ وَزَرقَاء.

الذِّئبُ الخَجُولُ، خُذنِي،

إِلَى مَا يُشـــعِلُنِي

قَشَّةٌ تَطفُو بِلاَ دَفَّةٍ وَلاَ شِرَاعٍ إِلَى بِحَارٍ مَجهُولَةٍ وَقَارَّاتٍ بَائِدَةٍ؛ أَيَّتُهَا المَوجَةُ الصَّاخِبَةُ الصَّارِخَةُ اهدَئِي قَلِيلاً كَي أُحَدِّدَ وِجهَتِي الغَامِضَةَ، صَحرَاءُ مِن مَاءٍ أَغُوصُ فِي كُثبَانِهَا إِلَى الأَنفِ، ثُمَّ تَنفُضُنِي إِلَى غَيمَةٍ عَابِرَة

أَمطِرِينِي عَلَى الأَوقَاتِ الغَابِرَة
فَأُنبِتَ الشَّـــهَوَاتِ الغَائِرَة

فِي ظُلمَةِ المُفتَرَقَاتِ الظَّالِمَةِ، فِي الحَدَائِقِ المَهجُورَةِ، فِي الأَوقَاتِ المَسرُوقَةِ، فِي خَدَرِ النِّسيَانِ، فِي نَشوَةِ الأَوكَارِ، فِي غِوَايَةِ الغَيبُوبَةِ الغَرِيبَةِ، مَن يَقطُفُهَا؟ مَن يَقطُفنِي فِي غِفلَةٍ مِنِّي؟[2] نِصفِي لَيلٌ وَنِصفِي نَهَارٌ، لاَ وَقتَ، غَسَقٌ أَم شَفَقٌ، شَفَقٌ أَم أَرَقٌ؟ تَشَابَهَت الأَشبَاحُ وَالظِّلاَلُ، تَشَاجَرَت فِيَّ الأَنَاشِيدُ وَالمَرَاثِي، اشتَجَرَت الفُصُولُ وَالأَوقَاتُ[3]، مُغمَضَةٌ مَفتُوحَةٌ، أُشبِهُ

---

[2] لَم أَكُن غَافِلَةً تَمَامًا؛
كُنتُ أُغمِضُ عَينِي، أَتَظَاهَرُ بِالغِفلَةِ وَالبَرَاءَةِ، فَرِيسَةً تَتَشَهَّى الصَّيد.
فَرِيسَةٌ مَاكِرَة.
هَكَذَا، نَتَقَاسَمُ الشَّهوَةَ السِّرِّيَّةَ النَّائِمَةَ مَعًا: شَهوَةَ القَنصِ وَالاقتِنَاص.

[3] أَكُنتُ انتِصَافَ/ اشتِبَاكَ الزَّمَن؟ لَم أَكُن رَبِيعًا أَو خَرِيفًا؛ لَم أَكُن شَفَقًا وَلاَ غَسَقًا؛ كَانَت الأَوقَاتُ تَحتَرِبُ فِيَّ بِلاَ هَوَادَةٍ بِالسُّيُوفِ وَالرِّمَاح الصَّقِيلَة. تُصِمُّنِي

امرَأَةً لاَ تُشبِهُنِي إِلاَّ قَلِيلاً، لَستُ أَنَا تَمَامًا، وَلَستُ سِوَايَ؛ فَمَن؟ ظِلُّ امرَأَةٍ بِلاَ ظَلٍّ، أُفَتِّشُ عَن جَسَدِي فِي اللَّحَظَاتِ الحَامِضَة

فِي اللَّحَظَاتِ الغَامِضَة

أَفتَحُه عَلَى المِصرَاعَين،

لَكِنِّي مُوصَـــدَة

إِلَى أَن يَصِيحَ الدِّيكُ صَيحَتَه الثَّالِثَةَ، فَيُسلِمَنِي إِلَى قَرِينِي اللَّدُودِ، يُسرِجنِي إِلَى الأَرَاضِي البَائِدَة.

الصَّيحَاتُ وَالصَّرخَاتُ وَالصَّلِيلُ وَالقَعقَعَة. "كَفَى.. أَيُّهَا الهَمَجُ الدَّمَوِيُّون!"؛ لاَ يَكُفُّون؛ لاَ هُدنَةَ وَلاَ سَلاَم. أَترُكُهُم وَأَمضِي.

صَادَنِي أَعدَائِي كَعُصفُور؛
رَمَونِي فِي الجُبِّ، وَأَلقَوْا عَلَيَّ حِجَارَة.
طَفَت المِيَاهُ فَوقَ رَأسِي،
فَصَرَختُ مِن أَعمَاقِ الجُبِّ باسمِك.

أَرضُنَا سِجنٌ،
وَالسَّمَاءُ مُوصَدَة؛
فَأَينَ وَلَّت الأَربَابُ الجَاحِدَة؟

كُلُّ لَيلٍ وَيل
كُلُّ نَهَارٍ جدَار

فَيَا سَيِّدَ القَلعَةِ العَظِيمَةِ، الموصَدَة،
لَا تفتحُ إِلَّا لِلأَسلَابِ وَالغنَائِم،
يَا وَحِيدَ القَرنِ، أَيُّهَا الكَرَكَدَن:
لَكَ المَجدُ، عَلَى مَا فَعَلت؛
يَا سَيِّدَ الصَّمت؛
لَكَ المَجدُ، عَلَى مَا أَسلَفْت،
وَالمَجدُ لَك.

كَسَّرُوا الأَبوَابَ قَبلَ الفَجر؛
فَتشُوا أَجسَادَنَا عَنِ الرِّجَال.
فَتشُوا أَروَاحَنَا عَنِ الأَحلَامِ الحَلَال.
وَغَادَرُونَا بِالغنَائِمِ وَالسَّبَايَا.

وَقبلَ الفَجرِ كَسَّرُوا الأَبوَاب.
بَنَادِقُ مُشرعَةٌ فِي وُجُوهِ الأَطفَال؛
وَالأَصَابِعُ عَلَى الزِّنَاد.
فَمَن رَمَى عَلَى الكَونِ ثَوبَ الحِدَاد؟

غَيمَةٌ مِنَ الغِربَانِ تَفقَأُ عَينَ الشَّمس.
أَسرَابُ خَفَافِيشَ تَلُفُّهُمُ القَمَر.

فَأَينَ المَفَر؟..
أَينَ المَفَر؟..

إنَّه الحَضِيضُ، أَيُّهَا السَّادَةُ وَالسَّيِّدَاتُ؛ حَضِيضٌ بَضٌّ جَمِيل؛ أَرتَعُ فِيهِ بِلاَ سُوءٍ، مَعَ خُزَعبَلاَتِي وَكَائِنَاتِي الخُرَافِيَّة؛ أَدحُوهَا مِن طِينٍ أَحْمَرَ وَأَزرَقَ وَبَنَفسَجِي، أَصنَعُ لَهَا أَجنِحَةً مِن كَوَابِيسَ زَاهِيَةٍ وَذُيُولاً مِن أَرَقٍ بُرتُقَالِي، أُطلِقُهَا فِي الفَضَاءِ تَقضُمُ الغُيُومَ إِلَى التُّخمَةِ، ثُم تَعُودُ فِي اللَّيلِ أَلِيفَةً إِلَى حُضنِي، أُهَدهِدُهَا إِلَى أَن تَنَام.

أَيَّتُهَا السَّيِّدَاتُ وَالسَّادَةُ، العَاهِرُونَ البَاهِرُونَ، كَأَنَّكُم الفِردَوسُ المَفقُودُ، **أَنَا سَيِّدُ الحَضِيضِ**[1] الذِي لاَ يَغِيضُ، لاَ يَجِفُّ أَو يَذوِي، أُجَرجِـرُه

---

[1] **الحَضِيض** (قَامُوسِيًّا): مَا سَفَلَ مِنَ الأَرضِ؛ نِهَايَةُ سَفحِ الجَبَل؛ أَدنَى مَنَازِلِ القَمَر. وَهِيَ كُلُّهَا تَعرِيفَاتٌ ذَات طَابَعٍ سَلبِي.

أَمَّا **حَضِيضِي**، فَهوَ مُغَايِر: حُضنِي الحَنُونُ، أُمِّي الرَّءُومُ، نَعِيمِيَ المُقِيم.. إِلَخ.

إثرِي أَينَمَا أُولِّي وَجهِي، جَمِيلاً وَبِيـــلاً، بِلاَ سُوءٍ أَو سَوأَةٍ (صَنَعتُه بِيَدَيَّ العَارِيَتَين، بِلاَ أَدَاةٍ، مِن مَادَّةٍ سِحرِيَّـــةٍ سِرِّيَّةٍ، لَم تَخطُر بِبَـــالِ إِنسِيٍّ وَلاَ جِنِّي؛ مَذَاقُهُ لَذِيذٌ، وَرَائِحَتُه لاَذِعَـــةٌ)، أَقُولُ لَه: كُن؛ لاَ يَكُونُ[2]،

أُطِلُّ مِن نَافِذَةِ الجُنُون:
سَاحَةٌ تَغمِزُ لِي بِطَرفِ عَينِهَا،
تَسحَبُ الثَّوبَ الشَّفِيفَ عَن فَخذِهَا،
تُغرِينِي بَحَلَمَتَينِ ذَهَبِيَّتَين؛
أُغمِضُ العَينَين،
وَأَصفِقُ النَّافِذَة.

هَكَـــذَا،

بِلاَ أَسَى عَلَى مَا فَاتَ أَو سَيَفُوتُ، عَاجِلاً أَو آجِلاً، قَبلَ الأَوَانِ أَو بَعدَه أَو خِلاَلَه؛ فَأَعِيرُونِي أَو لاَ تُعِيرُونِي مَا يُعَرِّينِي بِلاَ وَرَقَةِ تُوتٍ، لأَرتَقِي الدَّرَجَ البَالِي إِلَى مُنتَهَاه، خَطِيبًا مُفَوَّهًا أَو عَاهِرَةً بَاهِرَةَ الرِّدفَين، تَصرُخُ: يَا قَـــوم! اصْطَفُّوا خَلفِي صَفًّا مُنتَصِبًا (*لاَ يَغفِرُ اللهُ*

---

[2] لَيسَت المَرَّةَ الأُولَى؛
هَكَذَا يَخذِلُنِي دَائِمًا أَمَامَ خِلاَّنِي الأَوفِيَاء (مَا أَكثَرَهُم! مَا أَمكَرَهُم!) لَحظَةَ زَهوِي بِنَفسِي.
فَمَن حَرَّضَه عَلَيَّ، أَيُّهَا القَتَلَة؟

لِلصَّفِّ الأَعوَج!)، يَصطَفُّونَ مُحتَكِّين بِالرِّدفَينِ العَظِيمَين، وَيَشتَعِلُون بِلاَ دُخَّانٍ سَرِيعًا كَهَشِيمٍ أَو عَصفٍ مَأكُول[3].

فَمَن يُعِيرُنِي سُلَّمًا وَحَبلاً مِن مَسَدٍ، أَشُدُّه فِي عُنُقِ الوَقتِ حَتَّى الرَّمَقِ قَبل الأَخِير، أَو بَعدَه؟ مَن.. أَيُّهَا الكِلاَبُ وَالقِطَطُ النَّافِقَةُ الضَّالَّة؟ يَا مِرآتِي وَامرَأَتِي المَلعُونَةُ الَّتِي تَصرُخُ كُلَّمَا امتَطَيتُهَا:

الحَقُووووووووووونِي

[3] قَومٌ مِن شَهَوَاتٍ وَنَزَوَاتٍ مُتَنَافِرَة، تَفتَقِرُ إِلَى الاتِّسَاقِ المَنهَجِي أَو البِنيَوِي؛ وَرُبَّمَا كَانَت "التَّفكِيكِيَّةُ" أَصلَحَ النَّظَرِيَّاتِ لِمُعَالَجَتِهَا تَحلِيلِيًّا، وَكَشفِ أَبعَادِهَا الخَفِيَّة، طَالَمَا أَنَّهَا "مُفَكَّكَةٌ" بِامتِيَاز.

———————

عَلَى الحَافَّة أمشِي مَرحًا.
أعبَثُ بِالهَاوِيَـة.

جَمَاجِمُ وَأشلاَءٌ وَمَوتَى سَاهِرُون.
أقُولُ: تُصبِحُونَ عَلَى خَير.

أيُّهَا النُّبَاح: لكَ النَّهَارُ المَاضِي.
أمَّا القَادِمُ، فَلِي.
لِي.

دَمِي يَقُودُنِي إِلَى حَتْفِي؛
أَنَا النَّائِمُ فِي اليَقَظَة،
أَنَا اليَقظَانُ فِي النَّوم.

عَارِيًا، بِلاَ وَرَقَة تُوت.
أَنَا الفَضِيحَةُ الجَرِيحَة.

أُزِيلُ آثَارَ خُطَايَ.
كَي لاَ أَصِلَ إِلَى نَفسِي.

خَرِيفٌ أَلِيف.
أَمنَحُه الخُزَعبَلَةَ اليَانِعَة.
يَمنَحُنِي الطَّعنَةَ الجَائِعَة.

نَلتَقِي فِي القَارِعَةِ الضَّارِعَة.

طِفلٌ ضَالٌّ،
أَو
صَرخَةٌ ضَائِعَة.

فَكَيفَ تَصيرُ اللَّحظَةُ أَبَداً؟
كَيفَ يَصِيرُ الأَبَدُ بَدَداً؟
مَا الَّذِي أَقبِضُه فَيُفلِتَ مِنِّي؟

هُوَّةٌ أَم هَاوِيَـة.

لاَ بَأس،
لاَ يَأس.

كَأَنَّك أَنت.

وَذكروا أنَّ السلاحَ لا يَعملُ في الكَركَدَن، وَلاَ يَقُومُ لَه شَيءٌ مِن الحيَوَانَات. قَالُوا يُحِبُّ الفَاخِتَة، وَيَقِفُ تَحتَ الشَّجَرَةِ الَّتِي عَلَيهَا عُشُّ الفَاخِتَة، وَتَطِيبُ نَفسُه بِهَدِيرِهَا. وَالفَاخِتَةُ تَقَعُ عَلَى قَرنِه، فَلاَ يُحرِّكُ رَأسَه كَي لاَ تَنفُرَ الفَاخِتَة.

القَزوِيني: **عَجائِبُ المخلوقَاتِ وَغَرَائِبُ الموجُودَات**

أُعَابِثُ الزَمَن

أُرَاوِغُه، أَرُوغُ منه إِلَى أَن يُصِيبَه **الوَهَن**؛ أَقطَعُ الخَيطَ الوَاصِلَ بَينَنَا، حُراً طَلِيقًا **بِلاَ رَسَن**؛ أَنَا المُفرَدُ الفَردُ، الوَاحِدُ الأَحَدُ الوَحِيدُ، وَارِثُ البِلاَدِ وَالعِبَادِ،

أَنَا الأَبَـــد

وَالكَونُ كُرَةٌ سَقِيمَةٌ فِي يَدِي، أَتَقَاذَفُهَا بَينَ رِجلَيَّ فِي مَلَلِي (مَا أَطوَلَه، مَا أَعمَقَه) [1]، أَشُوطُهَا فِي الخَوَاءِ، تَعُودُ طَائِعَةً إِلَى يَدِي، أَضرِبُهَا فِي الحَائِطِ

[1] مِن أَينَ يَأتِي كُلُّ هَذَا المَلَلِ الخَبِيث، كَغُبَارٍ ذَهَبِيٍّ، يَنفُذُ مِن كُلِّ الفَتَحَاتِ وَالمَسَامِ؟ وَكَيفَ، لِمَاذَا، مَتَى، مَن؟ **أَيُّهَا المَلَلُ اللَئِيم!**

بِغلٌ، فَتَرتَدَّ فِي وَجهِي (لِكُلِّ فِعلٍ رَدُّ فِعل؛ إِلَخ..)، فَأَبقُرَهَا فِي حِقدٍ وَلَذَّةٍ سَوداءَ (أَنَا تُرجُمَانُهُمَا الخَصبَةُ)، أَرمِي بِأَحشَائِهَا إِلَى الكِلَابِ الضَّالَّةِ، تَنقَضُّ عَلَيهَا فِي شَبَقٍ مَجنُونٍ

أَنَا الكَرَكَدَنُ الوَحِيدُ[2]

مَاتَ الَّذِينَ أُحِبُّهُم، وَبَقِيتُ مِثلَ السَّيفِ فَردًا، يَهرُبُ ظِلِّي مِنِّي، تُغمِضُ عَينَيهَا الفُصُولُ عَنِّي، هَل كُنتُ نَائِمًا بِالكَهفِ دَهرًا، أَحنَسِي غَيبُوبَةً حَامِضَةً، أَم أَحنَمِي مِنَ الرِّيَاحِ وَالوَقتِ بِأَقنِعَةِ الاحتِضَارِ الطَّوِيلِ

أَلْهُو بِالمُستَحِيلِ

كَدُمِيَةٍ طُفُولِيَّةٍ جَوفَاءَ أَقذِفُهَا فِي الهَوَاءِ، وَأَلْقُفُهَا قَبلَ مُلَامَسَةِ الأَرضِ (أَفرَحُ بِنَجَاحِي فِي المُحَاوَلَةِ)، فَأَقذِفُهَا وَأَلْقُفُهَا، أَقذِفُهَا وَأَلْقُفُهَا (لُعبَةٌ جَمِيلَةٌ)، إِلَى أَن يَعتَرِينِي نُعَاسٌ نُحَاسِيٌّ صَقِيلٌ[3]، أَدُسُّهَا خِلسَةً- بِلَا صَلصَلَةٍ أَو

---

(2) لَيسَ بِمَعنَى "الفَرِيد"؛ فَتَصِيلُهُ مَا تَزَالُ مَوجُودَةً بِالبُلدَانِ الأَفرِيقِيَّةِ، جَنُوبَ الصَّحرَاءِ الكُبرَى. أَمَّا المَوطِنُ الرَّئِيسِيُّ لَهَا حَالِيًّا بِالعَالَمِ، فَهُوَ البُلدَانُ الوَاقِعَةُ مَا بَينَ المُحِيطِ وَالخَلِيجِ. فَهُوَ لَيسَ وَحِيدًا -كَمَا يَزعُمُ- إِلَّا فِي وَهمِهِ.

(3) **النُّعَاسُ النُّحَاسِيُّ الصَّقِيلُ:** نَوعٌ مَجهُولٌ مِن النُّعَاس، لَا تَعرِفُهُ القَوَامِيسُ وَلَا دَوَائِرُ المَعَارِفِ.

جَلجَلَةٍ- فِي جِرَابِي المُهتَرِئ، وَآوِي إِلَى ظِلِّ غَيمَةٍ هَارِبَةٍ، فَأَنَام

سَيِّدَا لِلأَنَـــام

هَكَذَا تَنَامُ فِيَّ الكَائِنَاتُ، مِيتَةً صُغرَى (أَستَرِيحُ فِيهَا مِنهَا: صَخَبٌ وَصُرَاخٌ، شِجَارَاتٌ تَافِهَةٌ، وَمَكَائِدُ طُفُولِيَّة، لَا تَنتَهِي)؛ وَحِينَ أَصحُو أَخِسُّهَا إِلَى مَدَارَاتِهَا، تَغسِلُ وُجُوهَهَا، تَحمِلُ سِلَالَهَا، وَتَبدَأُ النَّهَار

بِدَايَةُ الكَونِ
أَو
وَقتُ احتِضَار

دَمٌ عَلَى ملاَءَةِ المَسَاء. مِن أَين؟ أَيَّتُهَا الجِنِّياتُ الصَّاعِدَاتُ إِلَى الرَّأس، أَيتُهَا البَنَادِقُ وَالخَنَاجِرُ المَسنُونَةُ اللاَّمِعَة. إِلَى أَين؟ هَل نِمْتُ قَلِيلاً، أَم كَانَت غَيبُوبَةَ السُّكْرِ، فَجَاءَت الضَّرْبَةُ العَشوَاءُ فَجأَةً إِلَى الأَعْمَاق (كُنتُ أَهفُو إِلَيهَا. لَم أَقُل لِنَفسِي، وَلَم تَقُل لِي[1]. كَانَ الشَّوطُ قَد طَالَ، وَكُنتُ آسِنَةً، فَاسِدَةً، فَمِلْتُ إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ هَزَزْتُهَا، لَم تَسَّاقَط عَلَيَّ رُطَبًا جَنِيًّا، بَل مَطَرًا مِنَ سِهَامٍ مَسمُومَة)؛

أَيَّتُهَا اللَّحظَةُ المَحمُومَة

خُنتِنِي، هَزَمتِنِي، قَتَلتِنِي؛

---

(1) كَانَ ذَلِكَ سِرًّا أُخفِيه عَن نَفسِي، حَتَّى لاَ تَشِي بِي، أَو تُضَلِّلَنِي؛ بَل إِنَّنِي ضَلَّلتُهَا- بِبَرَاءَةٍ- حِينَ كَانَت تَلِجُّ فِي السُّؤَال.
وَصَدَّقَتنِي. فَيَا لَخَيبَتِهَا!

أَيَّتُهَا اللّحظَةُ المَسمُومَة

فَأَيُّهَا الهَبَاءُ الخَوَاءُ، أَمشِي عَلَى سَاقَينِ مِن مَاءٍ آسِنٍ، أَعضَائِي ذَرَّاتُ رِمَالٍ مُتَحَرِّكَةٍ، كُلَّمَا هَبَّت الرِّيحُ تَنَاثَرَت بَدَدَا

سَـــرَابًا أَو زَبَـــدَا

يَجتَذِبُ الأَفَاعِي وَالعَقَارِبَ وَالخَفَافِيشَ وَهَوَامَّ اللَيلِ[2]، يَنسَلُّونَ وَئِيدًا، بِلاَ صَوتٍ، فَيَسقُطُوا فِي الشَّرَك

وَكُلُّ مَن هَوَى هَلَك

أَلتَهِمُه بَطِيئًا بَطِيئًا، أَمتَصُّه حَتَّى الجَفَافِ، وَأَبصُقُ البَقَايَا فِي قَرَفٍ شَامِتٍ وَلَذَّةٍ سَودَاءَ

غَرِيـــزَةً عَمِيَـــاء

لَكِنَّ السُّمَّ يَسرِي فِي بَصِيرَتِي، وَحَشرَجَاتُ احتِضَارٍ تُغَمغِمُ أَو تُهَمهِمُ فِي سَرَادِيبَ مُظلِمَةٍ، وَأَركَانٍ مَهجُورَةٍ مَنسِيَّةٍ؛ مِن أَينَ يَأتِي نَعِيبُ البُومِ؟ فَحِيحُ الحَيَّاتِ؟ وَسوَسَاتُ الهَلوَسَاتِ؟ كَيفَ احتَلَّت الخَفَافِيشُ الأُفقَ فِي الظَّهِيرَةِ الرَّائِعَة؟[3] لَم تَقُل لِي العَرَّافَةُ الغَابِرَةُ، لَم تَقُل لِي السَّاحِرَةُ البَائِرَة،

---

[2] كِنَايَةٌ، أَو استِعَارَة، أو استِعَارَةٌ مَكنِيَّة، أو.. أو.. يَا لَهَا مِن "**بَلاَغَةٍ بِيرُوقرَاطِيَّة**". لَكِنَّهُم- جَمِيعًا- أَترَعُونِي بِمَا لَم أَحلُم به مِن شَهَوَاتٍ سَودَاءَ آسِنَةٍ، لاَ تُشبِه سِوَاهَا. شَهَوَاتٌ حَامِضَةٌ، غَامِضَةٌ، تُومِضُ فِي الجَسَدِ كَنَيَازِكَ أَو شُهُبٍ آفِلَةٍ، قَاتِلَة.

[3] حَقًّا، كَيفَ جَرَى مَا جَرَى؟

فَمَن قَطَفَ البُرعُمَ الخَبِيءَ قَبلَ الأَوَانِ؟ مَن وَضَعَ الفَأسَ فِي أَصلِ الوَردَةِ النَّائِمَة؟

جُرحٌ بِلاَ بُــرءٍ
وَسَــرَابٌ بِلاَ مَــاء

خَدِيعَةُ البَصَرِ أَم البَصِيرَة؟

أَيَّتُهَا الخَيبَةُ الثَّقِيلَةُ، الدَّائِمَةُ، تَلدَغِينَنِي دَائِمًا مِن نَفسِ الجُحْر، بِلاَ عِبرَة.

أَيَادِي النِّسَاءِ الحَانِيَة طَبَخَت أَطفَالَهُن .

صَارُوا طَعَامًا لَهُن .

إِلَى مَا وَرَاء الشَّمسِ، سَاقُوا الرِّجَال،

كَالشِّيَاهِ إِلَى السِّكِّين .

لَا سَلَامَ . . لَا كَلَام.

سَاقُوا الرِّجَالَ كَالدَّجَاجِ إِلَى الوَلِيمَة.

مَرتعٌ لِلتَّمَاسِيح،
ونَحنُ – وَسطَ الأَمواجِ – بلاَ سَفِين .

أَحلاَمُنَا مَوءُودَةٌ فِي قَبرٍ قَدِيم .
صَرخَاتُنَا مَحبُوسَةٌ فِي أَقفَاصِ الصَّدُور .
لاَ يَبِينُ الخَيطُ الأَبيَضُ مِنَ الأَسوَد .
كَابُوسٌ بِطُوووووولِ العُمرِ
لاَ يَرِيم .

لاَ وُقُودَ فِي المَوَاقِد ؛
لاَ ثَمَرَ فِي الشَّجَر .
فَمَتَى يَهطِلُ المَطَر ؟

كُنَّا نُرَبِّي الزَّمَنَ خَلفَ الدَّار ،
مَعَ الدَّجَاجِ والبَطِّ والأَرَانب .

يَلقُطُ الحَبَّ مِن أَيدِينَا، يُرضِعُه مِن أَثدَائِنَا؛
وَيَغفُو فِي القَيلُولَةِ جَنبَ الجِدَار.
كُنَّا نُرَبِّي الزَّمَنَ خَلفَ الدَّار.

يَلهُو مَعَ الأَطفَالِ فِي السَّاحَةِ القَرِيبَة؛
وَيَعُودُ مُسَّخًا، أَشعَثَ، مُغبَرَّ الثِّيَاب.
نُحَمِّمُه، نُلبِسُه الجَدِيدَ، وَنُطلِقُه إِلَى الشَّوَارِعِ؛
فَيَعُودَ مُسَّخًا، مُغبَرَّ الثِّيَاب؛
كَحُلمٍ عَائِدٍ مِنَ الغِيَاب؛
نَدُسُّه فِي الحَنَايَا،
وَنَمضِي.

آنَ أَن أَعتَرِفَ الآنَ أَنِّي كَذبتُ عَلَيكُم، حِينَ قُلتُ إِنِّي "**وَردَةُ الفَوضَى الجَمِيلَة**"، وَأَحيَانًا "**غَيمَةٌ فِي بَنطَلُون**"[1]؛ فَلاَ تَغفِرُوا لِي؛ تَرَبَّصُوا بِي إِلَى أَن تَحِينَ سَقطَتِي الأَخِيرَةُ فِي مَوعِدِهَا المَضرُوبِ مُنذُ عَامِ 1951 (قَادِمَةٌ لاَ رَيبَ فِيهَا، فَلاَ تَتَعَجَّلُوهَا؛ تَسرِي فِي دَمِي وَجَسَدِي وَئِيدًا، تَتَمَشَّى الهُوَيْنَى بِلاَ حَفِيفٍ أَو رَفِيف؛ أَرَاهَا وَأَنتَظِرُهَا بِلاَ خَوفٍ أَو رَهبَةٍ، بِلاَ ارتِعَادٍ أَو وَجَلٍ)؛ وَانتَظِرُونِي، كَعَهدِكُم القَدِيمِ بِي– بِالسَّكَاكِينِ المَسنُونَةِ اللاَّمِعَةِ– فِي مُفتَرَقِ القَارِعَة

جُثَّـــةً ضَائِعَـــة

---

[1] هَكَذَا زَعَمتُ فِي بَعضِ قَصَائِدِي، فَصَدَّقتُ نَفسِي (كَعَادَةِ الجَمِيع).
وَحِينَ نَظَرتُ اليَومَ فِي المِرآة، لَم أَعثُر عَلَى "**وَردَة**" أَو "**غَيمَة**"؛ فَاكتَشَفتُ الخَدِيعَةَ المُرِيعَة، وَبَكَيتُ ضَيَاعَ الوَهمِ الجَمِيل، فِي مَرثِيَّةٍ قَادِمَة.

لاَ تَبلَى أَو تَفنَى، تَنتَصِبُ صَامِدَةً شَاهِقَةً فِي مُنتَصَفِ كُلِّ شَيءٍ، فَتَكسِرَ الزَّمَنَ شَظَايَا مَسنُونَةً مَسمُومَةً تَتَنَاثَرُ فِي العُيُونِ الشَّرِهَةِ، تَنهَشُهَا أَجيَالٌ مُتَعَاقِبَةٌ (لاَ تَبلَى أَو تَفنَى) مِنَ عُقبَانٍ وَحِدآتٍ وَضِبَاعٍ جَائِعَة

وَلِيمَة اللِّئَـــامِ السَّاطِعَة

لَكِنِّي- فِي لَحظَةِ الصِّفرِ الرَّائِعَةِ (لَحظَةٌ خَبِيثَةٌ، تَحُلُّ بِي فَجأَةً كَالوَحيِ بِلاَ شَارَةٍ أَو بِشَارَةٍ، بِلاَ عَلاَمَةٍ وَلاَ نَدَامَةٍ[2])- أَنجَلِي فِي الأُفقِ طَائِرًا يَتِيمًا، بِلاَ شَقِيقٍ، مِن أَرَقِ لاَزَورْدِي (جَنَاحَاه غُرُوبٌ يُغَطِّي الكَونَ، وَذَيلُه حَقلٌ مِن أَنَاشِيدَ جنَائِزِيَّةٍ إِلَى مَملَكَةِ الغَربِ)، يَرسُمُ عَلَى سَطحِ الأُفُقِ الزَّلِقِ عَلَمًا بَالِيًا بِلاَ لَونٍ[3] وَنَشِيدًا وَطَنِيًّا تَآكَلَته العِثَّةُ وَعَوَامِلُ التَّعرِيَةِ وَجُمجُمَةً مَفغُورَة

أَيَّتُهَا الأَحلاَمُ المَبقُورَة

---

[2] أَعرِفُهَا؛ تَتَعَمَّدُ- هَكَذَا، عَن سَبقِ إِصرَارٍ وَتَرَصُّد- أَن تُوَاتِينِي دَائِمًا فِي الزَّمَانِ وَالمَكَانِ الخَطَأ، بِلاَ اكتِرَاث بِمَا تُسَبِّبُه لِي مِن حَرَج؛ بَل رُبَّمَا تَكُونُ سَعِيدَةً بِذَلِك.

وَرغمَ ذَلِك، فَالتَّكرَارُ لاَ يُعَلِّمُ الحِمَار.

[3] أَرفَعُه حِينَ يَضرِبُنِي السَّأَمُ، وَخَلفِي تَمتَدُّ- حَتَّى الأُفُق- طَوَابِيرُ مِن المَاعِزِ البَرِّيِّ، تَمشِي بِخُطوَةٍ عَسكَرِيَّةٍ مُنتَظِمَةٍ عَلَى إِيقَاعِ الطُّبُولِ وَآلاَتِ النَّفخِ النُّحَاسِيَّةِ المُلتَمِعَة.

وَحِينَ يَأخُذُنَا الحَمَاسُ، نَنطَلِقُ- بِلاَ وَعيٍ- فِي الصُّرَاخِ المَجنُونِ بِالنَّشِيدِ الوَطَنِيِّ المَثقُوبِ الَّذِي تَآكَلَته العِثَّةُ وَعَوَامِلُ التَّعرِيَة.

تَركَتنِي فِي الهُرَاء؛
لاَ أَرضَ تَرضَى بِي..
وَلاَ سَمَاء.
مُؤَجَّلٌ أَبَدًا،
مُعَلَّقًا فِي فَرَاغٍ، فَارِغًا،
ذَاكِرَتِي: صِفرٌ؛
وَأَعضَائِي: عُوَاء.

_____

أَنَا الطَّائِرُ مِن رَمَاد؛
لاَ يَعرِفُنِي الوَقْتُ،
وَلاَ تُشبِهُنِي البِلاد.

وَقَالَت: لاَ تَلتَفِت إِلَى الوَرَاء؛ فَالتَفَتُّ، فَصِرتُ حَجَرًا مِن ملحٍ يَسعَى فِي الأَسوَاقِ مَرِحًا، رَأسِي عُشٌّ لِلغِربَانِ، وَأَعضَائِي حَيَّاتٌ تَهفُو لِلجُحر.

أَيَّتُهَا النَّجمَةُ البَعِيدَةُ البَعِيدَة
مُنتَظِرٌ عَلَى قَارِعَةِ الأَوقَات

مُنتَظِر
تَحتَ المَطَر
أَيَّتُهَا النَّجمَةُ البَعِيدَةُ البَعِيدَة.

غَيرَ أَنِّي أَشَحتُ بِوَجهِي، وَهَرُبت. جُيُوبِي فَارِغَةٌ وأَعضَائِي خَاوِيَةٌ مِنَ النِّسَاء. بِلاَ مَاضٍ وَلاَ ذَاكِرَة. أَطفُو عَلَى مِيَاهِ الزَّمَنِ كَقَشَّةٍ تَبحَثُ عَن غَرِيق.

فَظًّا،

غَلِيظَ القَلب:
أَتَحَسَّسُ مُسَدَّسِي،
كُلَّمَا سَمِعتُ صَوتًا
سِوَايَ.

أَيَّتُهَا البِلاَدُ النَّازِفَة
أَزِفَت الآزِفَة
وَقتٌ حَامِضٌ.. وَسَمَاءٌ تَالِفَة
أَيَّتُهَا البِلاَدُ النَّازِفَة

لَستُ قَمَرًا أَو نَجمَة.
أَنَا شَمسٌ حَالِكَة.
غُرَابٌ يَنعَقُ، أَو بُومَةٌ تَنعَب
عَلَى الأَطلاَلِ الهَالِكَة.
فَاقتُلُونِي.

وَلَمَّا أُطبَقَت بِفكَّيهَا عَلَى عُنُقِي، قَالَت: مَا تَقُول؟
قُلتُ: سُمٌّ جَمِيل.

كَلِمَةٌ خَارِجَ القَوَامِيس،
وَجُمَلَةٌ بِلاَ سِيَاق.

خَسِرتُ نَهرًا
وَقَارَّتَين
وَفَرَاشَةً سَوداَء؛
كَانَت تَحُطُّ عَلَى جَبِينِي
كُلَّ صَبَاح.

حَيَوَانٌ طُولُه مَائَةُ ذِرَاعٍ فَأكثَر مِن ذَلِك، وَيَبقَى وَلَدُه فِي بَطْنِ أُمِّه أَربَعُ سِنِين، وإِذَا تَمَّ لَه سَنَةٌ يُخرِجُ رَأسَه مِن بَطْنِ أُمِّهِ، فَيَرعَى الشَّجَرَ مِمَّا يَصِلُ إِلَيه،

أَرتَعُ فِي القَاعِ، حَولِي رَعِيَّتِي البَهِيجَة (كِلابٌ مَسعُورَةٌ وَأَسمَاكٌ نَافِقَةٌ وَطُيُورٌ أَبَابِيل)، يَرقُصُون يُنشِدُون يَبتَهِلُون، يَرتَجِلُونَ عَرشًا عَلَى مَاءٍ، يُنَصِّبُونَنِي إِلَهًا أَعمَى، يَزُفُّونَنِي إِلَى الخَازُوق

إِلَهٌ مَفتُوقٌ مَرتُوق
أَخرِقُ الأَرضَ، وَأَبلُغُ الجِبَال
كَخَرِيفٍ مِن حَجَر

نَفَدَت مِن جُعبَتِي السِّهَامُ، أَطلَقتُهَا فِي كَبِدِ الوَقتِ، فِي كَبِدِ الصَّمتِ، فِي كَبِدِ المَوتِ، مَاتُوا جَمِيعًا، وَبَقِيتُ أَعزَلَ لَا غَرِيمَ لِي[1]، أَبكِي مَا لَا

[1] تِلكَ مَأسَاتِي السِّرِّيَّة (لَم يَكتَشِفهَا أَحَد). فَلَيسَ مَا حَولِي سِوَى خَدَمٍ وَحَشَمٍ، رَهنَ مَا يَنأَهَبُ لِيَخطُرَ بِالبَال.

أَدري، عَلَى حَافَةِ القَارِعَةِ مُعَلَّقًا بِخَيطٍ سِرِّيٍّ، أَقضُمُ أَوهَامًا شَهِيَّةً، هَنِيئًا مَرِيئًا، وأُكَلِّمُ الصَّمتَ القَتِيل

بُرهَةً مِن ضَلَالٍ جَمِيل

كَأَنِّي أَدري، مُترَعٌ إِلَى حَافَتِي، أُطَارِدُ ظِلالاً هَارِبَةً، فَأُمسِكُ بِرُؤُوسِ الفِئرَانِ، صَفًّا وَاحِدًا إِلَى الجِدَارِ، أَيُّهَا الجُنُود: استَعِدُّوا، أَطلِقُوا (مَا أَعذَبَ الصَّوتَ، مَا أَنقَاه!)؛ هَكَذَا تَزدَهِرُ الرُّوحُ وَيَخضَرُّ الجَسَدُ الذَّاوِي، أَيُّهَا النِّسيَانُ الفَاتِنُ، أَيَّتُهَا الغَيبُوبَةُ البَهِيجَةُ، هَيَّا، آنَ الأَوَان

رَصَاصَةٌ سَادِرَةٌ، بِلا عُنوَان
أَيُّهَا الوَقتُ الجَبَان

خَلِّي الخَؤُونُ وَمُهرِي الحَرُون[2]، مَرَقتَ مِنِّي إِلَى الأَرضِ العَمياءِ العَمَاء، تَرَكتَنِي بِلا دَلِيلٍ أَو خَارِطَة

ثَمَرَةً سَاقِطَة

---

[2] لَيسَ خِلاً، لَيسَ غَرِيمًا . حَالَةٌ بَينَ بَينَ.
يُؤَاخِي السُّمَّ وَالتِّرِيَاق، الحَيَاةَ وَالمَوت.
هَكَذَا اصطَفَيتُه، وَاعِيًا بِفَرَادَتِه المُرَادِفَةِ لِفَرَادَتِي، كَأَنَّنَا تَوأَمٌ مِن وَالِدَتَين.
وَهَكَذَا اصطَفَانِي، دُونَ العَالَمِين.

أَعفَتْهَا الشُّمُوسُ وَالرُّطُوبَةُ وَالزَّمَنُ الوَغدُ[3]، لُقمَةً سَائِغَةً لِلهَوَامِرِ وَالذُّبَابِ الأَزرَقِ، لاَحَولَ وَلاَطَولَ، سَرَابٌ حَتَّى مَطلَعِ المَوتِ، أَسرَابُ خَفَافِيشَ وَعُقبَانٍ تُوصِدُ الأُفقَ، فَمَن يَقُولُ لِي؟

دَلِيلِي: كَاهِنٌ أَعمَى البَصَرِ وَالبَصِيرَةِ،
يَسُوقُنِي إِلَى الآبَارِ الجَافَّةِ وَالحُقُولِ المَرِيرَةِ.
دَلِيلٌ لاَ يَدُلُّ،
بَل يُضِل.
فَمَن يَقُولُ لِي؟

[3] مَطرُوحًا عَلَى قَارِعَةِ الأَوقَاتِ، أَشلاَءً مُتَنَاثِرَةً. لاَ تُلَملِمُنِي الكَائِنَاتُ العَابِرَةُ. تَعَافُنِي الفُصُولُ وَالرِّيَاحُ البَائِرَةُ.

كَرَمْزٍ عَلَى مَاءٍ، أَو مَجَازٍ فِي هَوَاء. مَفتُوحَةً عَلَى الرِّيَاحِ وَالشُّمُوسِ اللاَّذِعَة. فَمَن يَمْتَطِينِي إِلَى غَابَاتِ السَّافَانَّا، إِلَى حُقُولِ الخشْخَاشِ[1]؟ أَنَا الْمَرْأَةُ الْهَارِبَةُ مِن تَارِيخِي وَبَرَاءَتِي إِلَى مَا لَستُ أَدرِي

هُــرُوبٌ إِلَى الهَبَــاء
وَكُلُّ خُطــوَةٍ عُــوَاء

حِينَ أَفَقْتُ، وَجَدتُه أَرنَبًا بَرِّيًّا بجَنَاحَين مِن غَسَقٍ دَاكِنٍ يَطِيرُ إِلَى المَاضِي القَرِيبِ، يَحتَمِي بِالجُحرِ مِنَ الحُلمِ الصَّغِير. لاَ أَحَد. لاَ قَطْرَةَ مَطَر (أَيُّهَا

---

(1) وَاحِدٌ، أَم كَثِير؟
لاَ وَجهَ، لاَ مَلاَمِح؛ مُسَيَّرَةٌ، وَسَيِّدِي يَقُودُنِي بِلاَ كَلاَم.
أَبجَدِيَّتُنَا سِرِّيَّةٌ، لَم يَسمَع بِهَا أَحَد.
وَبَينَنَا خَيطٌ مِنَ الوَهمِ، لاَ يُرَى.

الخَوَاء). لَيلٌ بِلاَ نُجُومٍ، وَمُدُنٌ بِلاَ بَشَر (مَا الَّذِي قَالَه الدَّرَكِيُّ العَابِر؟ هَل قَالَت السَّاحِرَاتُ جُمْلَةً مُفِيدَة؟[2] كَلِمَاتٌ كَطَائِرَاتِ الْوَرَقِ كَانَ يُطْلِقُهَا فِي فَضَائِي السِّرِّيِّ كُلَّ يَوْم، فَأَينَ رَاحَت تِلكَ العَصَافِير؟)؛ وَالبِلاَدُ مَتَاهَةٌ مِن سَرَابَات؛ أَشبَاحٌ تَجُوسُ فِي الظَّهِيرَةِ إِلَى هَاوِيَةٍ غَامِضَةٍ، وَغَمغَمَاتٌ مِنَ القَاعِ تَعلُو فَتَملأَ الأُفُق. (فأَينَ اختَفَت السَّاحِرَاتُ، أَيُّهَا الوَهمُ الجَمِيل؟).

خُيُوطُ عَنكَبُوتٍ أَنسِجُهَا، أُلَوِّنُهَا، خَيمَتِي حِينَ تُمطِرُ السَّمَاءُ هَوَاجِسَ مِن سِجِّيل، مَلاَذِي حِينَ يَكسِرُنِي الوَقتُ نِصفَين: لَيلٌ وَنَهَار؛

أُفُقٌ مِن مَرَايَا مَكسُورَةٍ تُفَتِّتُ جَسَدِي شَظَايَا، لاَ يُلَملِمُهَا الكَلاَمُ العَذبُ، لاَ الوُعُودُ البَائِرَةُ، تُبَعثِرُهَا الرِّيحُ، تَجرِفُهَا السُّيُولُ إِلَى البَحرِ القَرِيب، جَزِيرَةً طَافِيَةً مِنَ القَشِّ، تُنَاوِشُهَا الأَسمَاكُ وَالسَّرَاطِين الشَّرِهَة؛ أَيُّهَا البَحَّارَةُ العَابِرُون، لَملِمُونِي وَخُذُونِي إِلَى جُزُرِ المُرجَانِ وَالزَّنجَبِيلِ، خُذُونِي إِلَى بِحَارِ اللهِ البَعِيدَة، نَورَسًا أَو مِجذَافًا، بُوقًا أَو رَايَةً تُرَفرِفُ فِي رِيَاحِ اليُودِ المُسكِرَة[3].

---

[2] سَاحِرَاتٌ، سَاحِرَات؛ قُلنَ كَلاَمًا غَامِضًا، رَشَشنَ عَلَيهِ مَاءً أَحمَر، فَانطَلَقَ بُخُورًا فِي الفَضَاءِ المَحبُوسِ استَحَالَ عِفرِيتًا بِقَرنَين، يَنفُثُ اللَّهَبَ مِن مِنخَارَيه (كُلُّ مِنخَارٍ سِردَابٌ، لِكُلِّ سِردَابٍ أَلفُ دِهلِيز، وَكُلُّ دِهلِيزٍ لَه أَزِيزٌ يَصُمُّ الأُذُن). فَأَينَ تَلاَشَت السَّاحِرَاتُ المَاكِرَات؟

[3] أَنَا السَّمَكَةُ الَّتِي خَرَجَت مِن بَحرِهَا، مِنَ المَاءِ إِلَى اليَابِسَة. أَتَعَلَّمُ المَشيَ فِي حَقلٍ مِنَ الشِّرَاكِ وَالظُّنُونِ المُلتَبِسَة.

وَحِيدَةً، أُرَمِّمُ مَا تَكَسَّر، أَصُفُّ مَا تَبعثَر. أَصُوغُ المَرَاثِي وَالبُكَاءَ عَلَى الأَطلاَلِ، وَأُنَقِّحُ المُبَرِّرَات الوُجُودِيَّة. قَالَ لِي العَرَّاف: **فَاتَ أَوَانُ التَّرمِيم**؛ مَا كَان كَان، وَمَا يَكُونُ يَكُون؛ فَأَفَقْتُ عَارِيَةً فِي الْعَرَاء.

تَشُدُّ أَقدَامِي إِلَى الهَاوِيَةِ المَرصُودَةِ لِي، فِي اللَّوحِ المَحفُوظ.

أَنَا المَدِينَةُ العَظِيمَةُ، الرَّهِينَة.

وَهَذَا النَّهرُ العَظِيمُ: دُمُوعِي فِي المَسَاءِ وَالصَّبَاح.

وَشَوَارِعِي: نُوَاح.

نَغرِسُ أَطفَالَنَا فِي الصَّبَاح.

يَكبُرُونَ أَشجَارَ نَخِيلٍ وتُوتٍ وسِندِيَان.

يَكبُرُونَ أَشجَارَ سَكِينَةٍ وَأَمَان.

لَكِنَّ البَلطَةَ تَأتِي قُبَيلَ الشَّمس.

لأَنتَ الصَّقرُ الَّذِي يَفترِسُ الطُّيُورَ الضَّعِيفَة،
أَنتَ طَبَّاخٌ يَذبَحُ وَيطهُو أَصدِقَاءَه.
وَ"مَن يُجرِمَ مَعَ الكَذِبِ لَن يَصِلَ إِلَى اليَابِسَة"؛
وَهذِهِ السَّفِينَةُ لَن تَستَطِيعَ أَن تَرسُوَ فِي مِينَاء.

أَحَرَامٌ عَلَى بَلَابِلِهِ الدَّوحُ،
حَلَالٌ لِلطَّيرِ مِن كُلِّ جِنس؟

جَاءُوا حُشُودًا مِن أَقنِعَةٍ حَدِيدٍ صَدِئَة.
مَوجَاتُ ظَلَام.
غَابَةٌ مِن بَنَادِقَ مُشرَعَة؛
تَفقَأُ النُّجُومَ وَالكَلَام.

مِن أَينَ جَاءُوا؟

مِن أَغوَارِ الأَرضِ أَم سَرَادِيبِ السَّمَاءِ الكَآبِيَة؟
مِن بَحرِ الظُّلُمَاتِ أَم لَيلِ البَصِيرَةِ الضَّرِيرَة؟

أَكَانَ صَوتَ الرَّصَاصِ، أَم
صَوتَ الصُّرَاخِ، أَم
صَوتَ الصَّمتِ، أَم
صَوتَ الذَّبِيحَةِ عِندَ النَّحر؟
بَعدَهَا، لَم يَطلُع فَجر.

حِينَ فَتَحْتُهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَجَدتُهَا مُزدَحِمَةً بِالكَائِنَاتِ الغَامِضَةِ المَاضِيَةِ[1]. قُلْتُ لِنَفسِي: هَل تَتَّسِعُ لِي؟ وَهَل يُمكِنُ تَنظِيفُهَا؟ مِن أَينَ جَاءُوا جَمِيعًا؟ مَاذَا يَفعَلُون؟ مَاذَا تَفعَلُ بِهِم جَمِيعًا؟ وَمَاذَا سَأَفعَلُ الآنَ– أَنَا نَفسِي– بِهِم وَمَعَهُم؟

وَلَمَّا قَرَأَت خَوَاطِرِي، أَزَاحَتهُم بِرِفقٍ وَمُدَاعَبَةٍ إِلَى رُكنٍ قَصِيٍّ مُعتِمٍ، وَأَفسَحَت الطَّرِيقَ لِي بِلاَ عَوَائِق. وَانتَظَرَت (يَبدُو أَنَّهَا كَائِنَاتٌ أَلِيفَةٌ مُطِيعَةٌ، أَو أَنَّهَا رَوَّضَتهُم وَتَآلَفَت مَعَهُم. لَم يَتَذَمَّرُوا، لَم يَسأَلُوا، لَم يَتَملمَلُوا. استَجَابُوا فِي إِذعَانٍ خَجُولٍ جَمِيلٍ، مُطَأطِئِي الرُّؤُوس).

---

[1] مفتَاحِي سِرِّي؛ لاَ تَعرِفُه أَسوَاقُ الحَدَّادِين أَو تُجَّارِ الصَّنف.
صَنَعتُه فِي الخَفَاءِ مِن بَقَايَا الأَشيَاء، بِخَلطَةٍ لَم تَرِد فِي كُتُبِ الكِيمِيَاء.
رُبَّمَا أَكشِفُ صِيغَتَهَا فِي الصَّفحَةِ الأَخِيرَة.

نَحَّيتُ حِيرَتِي وتَرَدُّدِي، وَعَزَمتُ عَلَى الدُّخُول. تَحَسَّستُ وَقعَ أَقدَامِي وَأَنَا أَسمَعُ أَصدَاءَ الهَمهَمَاتِ البَعِيدَةِ، الخَافِتَة (كَانَت بَضَّةً، مَبلُولَةً، سَاخِنَة)، فَتَوَكَّلتُ عَلَى الله (كَانَت تَستَحِثُّ خُطوَاتِي، تَشُدُّهَا، إِلَى الأَعمَاق).

بَابٌ سَاخِنٌ، بَلِيل. لاَ قُضبَانَ، لاَ مَصَارِيع. شجَرُ القَطِيفَةِ فِي رَبِيعِه، أَورَاقُه حَفِيفٌ وَرَفِيفٌ وَارِفٌ، وَزَهرُه يَقطُرُ عَصِيرًا مُسكِرًا عَلَى خُطوَتِي.

لَم أَكُن وَحدِي[2]. كَانَ شَبَحٌ مَا يَتَسَلَّلُ خَفِيًّا مِن مَكمَنِهِ السِّرِّيِّ فِي اللَّحظَةِ الفَاصِلَةِ (يَعرِفُ عَلاَمَاتِهَا قَبلَ حُلُولِهَا)، وَيُزَاحِمُنِي (يُدرِكُ مُسبَقًا خُطوَاتِي وَاحِدَةً وَاحِدَةً، وَيَقُومُ بِهَا مَعِي؛ نَتَصَادَمُ أَحيَانًا، فَأَرتَبِكَ وَتَختَلَّ خُطوَاتِي). لاَ يُبَالِي بِي، كَأَنِّي بِلاَ وُجُود، كَأَنَّه يَقُومُ بِطَقسٍ مُقَدَّس لاَ يَقطَعُه إِنسٌ وَلاَ جَان.

لَم أَنزَعِج كَثِيرًا (لَعَلَّه زَوجُهَا الجِنِّي، أَو رُبَّمَا عَشِيقُهَا السُّفلِي، أَو قَرِينُهَا الرُّوحِي. رُبَّمَا)[3]؛ أَزَحتُه مِن وَعيِي، وَوَاصَلتُ طَرِيقِي إِلَى

---

[2] رَغمَ أَنَّ الوَضعَ لَم يَكُن إِرَادِيًّا،
إِلاَّ أَنِّي لاَ أُفَضِّلُ الوِحدَةَ، فِي هَذَا المَقَام. فَالوِحدَةُ– كَمَا يَقُولُون– قَاتِلَةٌ، تُورِثُ الاكتِئَاب وَالوَسَاوِس.
لِهَذَا، قَبِلتُ بِالوَضعَ بِلاَ مَضَض.

[3] لَم تَقُل لِي؛ فَاعتَصَمتُ بِالصَّمتِ الحَكِيم.
صَمتٌ مُفعَمٌ بِالشَّيَاطِينِ وَالعَفَارِيتِ وَالجَانِ، الهَائِجِينَ المُستَنفَرِين.

لُبِّ اللُّب؛ لَكِنَّهَا– فَجأَةً– صرَخَت، وَانتَفَضَت، وَأَزَاحَتنَا مَعًا.

إِلَى العَرَاءِ، مِن جَدِيد (رَأَيتُه يَنسَلُّ مُتَخَفِّيًا، خَجُولاً، عَلَى أَطرَافِ أَصَابِعِه إِلَى رُكنِهِ العَمِيق، المُعتِم). أَغلَقَت بَابَهَا المَفتُوحَ فِي وَجهَينَا مَعًا، وَابتَعَدَت عَنَّا إِلَى الزَّاوِيَة البَعِيدَة.

صَمتُ الأَولِيَاءِ وَالعَارِفِين الَّذِين يَتَمَشَّونَ– فِي المَسَاءِ– الهُوَينَى عَلَى المَاء.

_____

فَمِن أَينَ تَأتِي الصَّرخَةُ الصَّامِتَة؟

شَفَتَان تَقطُرَان النِّسيَان
غَيبُوبَةً غَائِـرَة

تَقطُــرَان
تَقطُـرَان

ثَديُهَا وَهوَهَةٌ نَاهِدَة
تَنَامُ فِي يَدِي.

يَسكُنُني السَّهَر
أُهَدهِدُه إِلَى أَن يَنَام؛
فَأَصحُو إِلَى مَطلَعِ الحَرَام.

أَيُّهَا المُفتَرَق:
نَشِيدٌ، أَم نَشِـيج؟

أَيَّتُهَا الزُّرقَةُ الَّتي تَرَى سِرِّي:
لاَ سُـؤَال.

أَيُّهَا الصُّرَاخُ الَّذِي يَحبِسُنِي:
مَتَى؟

أَطفُو عَلَى هَوَاءٍ بُرتُقَالِي.
وَقَلبِي فَارِغٌ كَلِيم.

مَتَى يَنتَهِي الكَلاَم؟

بِلاَ خِنجَرٍ أَو مَنجَنِيق،
أَمضِي عَارِيًا فِي الدُّرُوب.

إِلَى الطَّعنَةِ القَادِمَة.

جَسَدِي عُشُّك الدَّافِئ،
وَأَعضَائِي طَعَامٌ وَشَرَاب.

رَفرِفِي وَاقطُفِي وَردَتِي الوَحِيدَة.

أَينَعْتُ.
مَتَى يَحِينُ قَطَافِي؟

أَشجَارُ الظَّلامِ رَمَت ظِلالَهَا عَلَينَا، ظُلُمَاتٍ سَافِرَةً؛ هَكَذَا أَجِيءُ بِلاَ وَرَقَةِ تُوتٍ، بِلاَ ضَغِينَةٍ؛ أَيَّتُهَا الشِّيَاهُ البَارَّةُ، إِلَى الهَاوِيَةِ صَفًّا وَاحِدًا عَلَى الطُّبُولِ؛ تِلكَ آيَتِي، أَيُّهَا الزَّمَنُ الخَؤُونُ، هَزَمَتِنِي؛ فَلاَ تَنَامِي أَيَّتُهَا الشَّهَوَاتُ الضَّالَّةُ، لَيلُنَا طَوِيلٌ طَوِيـــلٌ؛ فَأَنبَتَت غَابَاتٍ مِنَ الحَنظَلِ وَالمُرِّ وَالعَلقَمِ، جُذُورُهُ فِي أَحشَائِنَا الخَاوِيَةِ؛ أَيَّتُهَا الشِّيَاهُ الشَّارِدَةُ، لاَ بَأسَ، طَرِيقُنَا مَزرُوعٌ بِأَشجَارِ الخَدِيعَةِ المُزهِـــرَةِ؛ ضَلَّلَتنِي طَائِرَاتُ الوَرَقِ، النَّاشِينُ، الجِنرَالاَتُ، وَاستَمتُ لِلضَّلاَلِ الجَمِيلِ؛ تَرتَوِي دَمَنَا المُوَزَّعَ بَينَ شَمسٍ وَقَمَرٍ؛

أَيُّهَا الزَّمَـــنُ الحَجَرُ:
سَرَاااااااابٌ وَلاَ مَاءٌ؛
سَـــفَرٌ وَلاَ مَطَـــرُ

أَيُّهَا الزَّمَــنُ الحجَر

فَهَل مَحَوتُ المَاضِي تَمَامًا، أَم يُورِقُ فِي نَومِي؟ فَمَن أَنتِ أَيَّتُهَا المَرأَةُ الوَرِعَةُ بِأَزهَارِ اللُّوتَس؟ زَهوٌ فَارِعٌ مُنصَبٌ فِي الفَرَاغِ الرَّحب، يَرُوغُ الآنَ مِن يَدِي؛ فَكَيفَ أَغسِلُ النَّومَ مِنَ الأَشبَاحِ وَالعَفَارِيتِ الغَابِرَة؟ شَوَاهِدُ قُبُورٍ تَمشِي عَلَى سَاقَين، وَشَعرًا ذِكرَى؛ تَعَالَيْ، إِلَى النَّهرِ، ثَدَيَاكِ طَبَقَانِ يَفِيضَان، وَأَنَا المَجَاعَة؛ فَمَن يُعِيدُ لِي النَّيَاشِينَ وَعَصَا المَارِشَالِيَّةِ وَالنِّفَاقَ الجَمِيل؟ أَيَّتُهَا العَفَارِيتُ: عِيشِي كَمَا تَبغِينَ، كَأَنِّيَ أُخرَى، أَنَا المَرأَةُ الفِينِيقُ؛ يَا سَيِّدَ المَدِينَةِ القَتِيلَ: لِمَاذَا لَا يَبِينُ الخَيطُ الأَبيَضُ مِنَ الأَسوَد؟ أَنتِ وَلِيمَةُ الأَيتَامِ عَلَى مَائِدَةِ اللِّئَام، بُرتُقَالَةٌ قَشَّرتَهَا الخَمَاسِينُ المُتربَة

فَمَن يَدفِنُ القَتلَى،
فِي اللَّحظَــةِ الغَارِبَة؟

لَا سِوَايَ، فِي هَذَا البَهَاءِ المُرّ، أَغتَرِفُ الضَّغِينَةَ، أُرَبِّيهَا تَحتَ سَرِيرِي العَسكَرِيّ؛ طَرِيقٌ صَخرِيٌّ، وَشَمسٌ تَصُبُّ اليَأسَ وَالجَحِيم؛ لَستُ طَائِرًا، أَنَا امرَأَةٌ تُرَاوِغُ حَتفَهَا، تُقَايِضُ المَاضِي بِالصَّلَاة؛ رَفرَفَت حَولِي بُرهَةً، ثُمَّ انقَضَّت بَغتَةً، وَقَدَّت قَمِيصِي مِن قُبُــلٍ؛ فَلَا تُحصُوا القَتلَى، أَيُّهَا المَوتَى، دَفَنتُهُم فِي جَسَدِي؛ أَمشِــي، بِلَا وَرَاءٍ، بِلَا ذِكــرَى، بِلَا حَنِين؛ نَمشِي

وَنَمشِي، فِي جُيُوبِنَا فُتَاتُ الانتِظَارِ وكِسرَةٌ جَافَّةٌ؛ وَالتَقَمتَهُ، صُلبًا طَرِيًّا، مُشتَعِلاً بِالتَّهَالِيلِ وَالأَدعِيَةِ الصُّوفِيَّةِ؛ أَنَا المَقبَرَةُ الشُّمُولِيَّةُ، أَنَا نافِخُ الصُّورِ، أَنَا الصُّورُ الأَخِيرِ

سُورٌ سَامِقٌ إِلَى السَّمَاءِ؛
بَنَيتُهُ مِن وَلَعِي وَهَلَعِي،
سُورٌ مِنَ الهَبَاءِ

هَكَذَا تَبدَأُ فِيَّ المَاضِي القَادِمَ، تَغرِسُ شَتَلاَتِ الذِّكرَيَاتِ المُرَاوِدَةِ؛ تَقضُمُهَا كُلَّمَا آنَ الأَوَانُ، وَنَمشِي إِلَى شَجَرِ الذِّكرَيَاتِ؛ قُلتُ: مَن أَنتِ أَيَّتُهَا اللَّبُؤَةُ الحَنُون؟ أَيَّتُهَا النَّزوَةُ الرَّءُوم؟ أَنَا المُترَعُ بِي، أَفِيضُ عَلَى الجِهَاتِ وَالأَوقَاتِ بِالأُفُولِ الزَّاهِرِ؛ أَنتَ شَهوَتِي السَّوداءُ، فَهَل تُشعِلُهَا المَاءُ، أَم تُطفِئُهَا سُورَةُ "يُوسُف"؟

نَحنُ أَشجَارُ الغَسَقِ؛
شَعرُنَا غَيمَةٌ زَرقَاءُ مِن عَوِيلٍ،
تَغسِلُ الأُفُقَ؛
نَحنُ أَشجَارُ الغَسَقِ

قَدَّت قَمِيصِي فِي غَيبُوبَتِي المَوسِمِيَّةِ، فَاستَفَقتُ مَنهُوبًا، بِلاَ حِيلَةٍ؛ فَيَا سَيِّدَ القَصرِ وَالقَبرِ، نَحنُ الحَلاَلُ فِي الزَّمَنِ الحَرَامِ؛ وَقُلتُ إِنَّه مُرٌّ شَهِيٌّ، يَقطُرُ عَسَلاً وَحَلِيبًا فِي دَمِي، قُلتُ: تِلكَ آيَتِي؛ **فَهَل أَلعَبُ "الغُمِيضَةَ" مَعَ ظِلِّي؟ أَم أَمشِي عَلَى الحَبلِ المَرخِيِّ عَلَى هُوَّةٍ؟** فَاختَرَعتُ قِبلَةً أَرضَاهَا (صَنَعتُهَا مِن عَجوَةٍ، حَتَّى إِذَا جُعتُ أَكَلتُهَا)، وَرُحتُ أُصَلِّي فِي وَلَهٍ لَهَا؛ نَمشِي، أَمِ الأَرضُ تَمشِي فِي أَقدَامِنَا، كَأَنَّنَا إِجَابَةٌ مُعَلَّقَةٌ بِلاَ سُؤَال

أَنتَ آنِيَ الآنِي؛
أَنتَ شَجَرَتِي المُحَرَّمَة؛
كُلَّمَا أَكَلتُ مِنهَا،
اشرَأَبَّت الشَّهوَةُ الظَّالِمَة

أَيُّهَا الخَوَنَةُ القَادِمُون، أَرَاكُم جَمِيعًا، وَأُرخِي لَكُمُ الحَبلَ، طَوِيلاً طَوِيلاً إِلَى لَحظَةِ الصِّفرِ؛ وَحِينَ نَفَدَت مِنِّي الصَّلاَةُ، استَدَرتُ إِلَى شِيَاهِي، وَقُمتُ فِيهِم خَطِيبًا: "أَيُّهَا الأُخوَةُ المُوَاطِنُون.."؛ نَفَدَ البُكَاءُ، وَفِي عُيُونِنَا نَبَتَت الأَشوَاكُ السَّامَّةُ وَأَشجَارُ الظَّلاَمِ؛ أَم أَنتَ سَرَابِي أَدُسُّه فِي حُضنِي كُلَّ لَيلَةٍ مَخَافَةَ الأَشبَاحِ الجَامِحَةِ؛ **فِي يَدِي الحَدِيدِ طَرَفُهُ، لَكُمُ البَاقِي وَاللَّحظَةُ المَوعُودَةُ وَالطَّلقَةُ الأَخِيرَةُ**؛ فَاخفِضُوا رُؤُوسَكُم، وَأَطِيعُوا أُولِي الأَمرِ مِنكُم، وَلاَ تَقنَطُوا مِن رَحمَةِ اللهِ؛ هَكَذَا نُخفِي ظِلاَلَ

الرَّاحِلِينَ فِي أَعضَائِنَا اليَائِسَةِ، وَفِي الفَجر نُحلُوهَا مِنَ الغُبَارِ وَالحَنِين؛ هَكَذَا أُمطِرُ عَلَى جُذُورِكَ العَطشَى شَبَقًا كُلَّ لَيلَةٍ إِلَى أَن تَنبُتَ البَرَاعِمُ المُنتَظَرَة

أَنَا سَيِّدُ الأَشيَاءِ المُحتَضِرَة؛
أَرقُبُ الكَونَ مِن سَمتِي،
سَئِمًا، سَادِرًا، بِلاَ مُبَرِّرٍ،
وَأَكتُبُ الوَصَايَا الخَاثِرَة

فَمَن تَكُونِينَ يَا قَطِيعًا مِنَ اللَّبُؤَاتِ يَركُضُ فِي جِهَاتِي، وَيَفتَرِسُ مَا يُصَادِفُه؟ نَحنُ مَدِينَةٌ أَطلاَلٌ عَلَى خَطِّ الزَّوَال، نَحنُ الفُلُولُ المَفلُولَةُ بِلاَ مَعرَكَة؛ هَكَذَا تُمطِرُ عَلَى جُذُورِي العَطشَى أَرَقًّا كُلَّ لَيلَةٍ وَتَنَامُ طَوِيلاً طَوِيلاَ؛ فَنَعَالَوا أَو افتَقِعُوا، وَاترُكُونِي إِلَى مَا يَسَّاقَطُ فِي كَفِّي مِن تُرَابِ الوَقتِ أَو رَمَلِ المُصَادَفَة؛ لاَ تُوغِلِي كَثِيرًا، أَنَا المُؤَقَّتُ الأَبَدِيُّ، القَشَّةُ الَّتِي قَصَمَت ظَهرَ البَعِيرِ؛ رَغِيفُنَا كِسرَةُ قَمَرٍ يَنَا زَعُهَا الضِّبَاعُ وَالذِّئَابُ المَسعُورَةُ، مَاؤُنَا وَعدٌ مُؤَجَّلٌ؛ أَنتَ مِشجَبِي، أُعَلِّقُ حُلمِي فِي أَنَامِلِكَ النَّحِيلَةِ، رُبَّمَا؛ فَهَل تَمشِي الأَشجَارُ الهُوَينَى، فِي المَسَاءِ؟ مَن يُطلِقُ فِي الفَضَاءِ نَفِيرَ النُّشُورِ؟

نَافِذَةٌ، وَشَمعَةٌ مُشتَعِلَة،
مَرأَةٌ عَارِيَةٌ تَنتَصِبُ فِي مَهَبِّ الشَّبَق؛
لاَ تُشبِهُ النَّارِنجَ وَلاَ النَّارِدِين؛
تَنتَظِر؛ فَرُبَّمَـــا

نُصَلِّي لِسَمَاءٍ تُشِيحُ عَنَّا وَجهَهَا المُكفَهِرَّ العَبُوسَ، وَنَظرَتَهَا الحَاقِدَةَ؛ مَكمَنِي وَمُستَقَرِّي، قِبلَتِي صَنَعتُهَا- فِي وِحدَتِي- مِن خَشَبِ الوَهمِ المُتَاحِ؛ **مَن يَكسِرُ الصَّمتَ الحَدِيدَ؟ مَن يُشعِلُ الحَرَائِقَ فِي الأَعشَابِ الجَافَّة؟** لِذَا فَرَدتُ مِندِيلِي عَلَى المَوجَةِ الطَّافِرَةِ، وَتَمَدَّدتُ، فَسَارَ بِي، بِاسمِ اللهِ مُرسِيهِ وَمُجرِيه؛ نَحنُ تُرَابُ الأَرضِ، مِلحُ الأَرضِ، نَبَاتُ الأَرضِ، نَحنُ الطُّوبُ وَالخَشَبُ وَالمِلاَطُ؛ أُصَلِّي لَهَا كُلَّ يَومٍ خَمسَ مَرَّاتٍ، وَأُقَدِّمُ القَرَابِينَ وَالدَّمـــعَ الوَرِعَ؛ **أَيُّهَا الحُرَّاسُ، لاَ عَصَافِيرَ بَعدَ اليَومِ، لاَ قُبَّرَاتٍ وَلاَ أَعشَاشَ، أَطلِقُوا بِلاَ هَوَادَةٍ؛** وَحَطَّ بِي فِي جَزِيرَةٍ مَســحُورَةٍ: أَيُّهَا الغَرِيبُ الأَرِيبُ، عَدُوٌّ أَم حَبِيبٌ؟ نَبكِي بِلاَ دَمعٍ، وَنُعوِلُ دُونَ صَوتٍ، وَقَلبُنَا مَقبَرَةٌ تَحتَضِنُ الرَّاحِلِين؛

لاَ غُفرَانَ، بَل النِّسيَان؛
بَل رِيحٌ تَكنِسُ أَورَاقِي السَّاقِطَةَ، الصَّفرَاء؛
بَل أَجرَاسٌ تُوقِظُ مَا يَغفُو بِالأَعضَاء؛

بَل النِّسيَان؛

صَمتٌ كَسِنِ سِكِّينٍ، وَغَيبُوبَةٌ قَطِيفَةٌ، وَكَائِنَاتٌ غَامِضَةٌ تَرْكُضُ فِي جُمجُمَتِي؛ أَنَا العَدُوُّ الحَبِيبُ، أُفَتِّشُ البِلاَدَ وَالعِبَادَ عَن امرَأَةٍ بِجَنَاحَينِ مِن لاَزَوردٍ وَذَيلٍ مِن صَلاَة آجِلَة؛ فَافتَحُوا الأَبوَابَ وَالسَّمَاءَ، افتَحُوا كُوَّةَ الغِنَاءِ، افتَحُوا ثُغرَةً فِي الأَسلاَكِ الشَّائِكَةِ، هَيَّا؛ عَرَفتُ طَرِيقِي: حَصًى وَأَشوَاكٌ وَرِمَالٌ حَارِقَةٌ، وَالقَلبُ حَدِيقَة؛ أَيَّتُهَا الكَائِنَاتُ الغَامِضَةُ، الوَامِضَةُ، لاَ أَبتَغِي بَيَنَنَا، وَقَرِنِي عَرَّافِيَ المَجهُولُ، كَلِمَةَ السِّرِّ الأَخِيرَةَ؛ صَنَعتُهَا وَقتَ الفَرَاغِ وَالمَلَلِ مِن فُتَاتِ الخُزَعبَلاَتِ وَالنَّزَوَاتِ، نَفَختُ فِيهَا مِن رُوحِي، وَأَطلَقتُهَا فَطَارَت؛ لَسنَا جِنَازَةً، لَسنَا حِدَادًا، نَحنُ غَابَةٌ فَاجَأَهَا الخَرِيفُ وَالعَاصِفَةُ، فَأَحنَينَا رُؤُوسَنَا المُشرَئِبَّةَ؛ أَنَا حَدِيقَتُه السِّرِّيَّةُ، يَغرِسُ فِيَّ بُذُورًا وَفَسَائِلَ غَرِيبَةً، تُخرِجُ أَشجَارًا مِن قَوسِ قَزَح؛

أَيُّهَا الفَرَح:
أَكَائِنٌ أَم فِكرَةٌ أَم وَهمٌ أَم شَجَرَة؟
أَم استِعَارَةٌ مَكنِيَّةٌ، مُستَتِرَة؟
دَالٌّ بِلاَ دَلاَلَةٍ، وَظِلٌّ بِلاَ جَسَد؛

أَيَّتُهَا المَرأَةُ مِن نِسرِينَ، مِن يَاسَمِين، مِن رَيحَانٍ وَأُقحُوَانٍ وَزَعفَرَان،

أَيَّتُهَا المَرأَةُ السَّوسَنُ النَّرجِس؛ هَل مَرَّ الخَرِيفُ وَالعَاصِفَة؟ أَجسَادُنا حَقلٌ لِلبَرَاعِمِ الوَارِفَة، مَا الَّذِي يَصحُو فِينَا نومِنَا ؟ تُغَنِّي، تَرقُصُ، تُنشِدُ المَوَاوِيلَ وَالأَهَازِيجَ عَلَى النَّايِ وَالطُّبُولِ المَجنُونَةِ، هَل وُلِدتُ غَدًا؟ حَامِضٌ مَرِيرٌ، وَجَسَدِي أَرضٌ لاَ تُنبِتُ إِلاَّ الصَّبَّارَ وَالسَّنَطَ، فَأَينَ فَرَسُ الأَوغَادُ اللِّئَامُ؟ لَكِ النَّدَى وَالمَدَى، لَكِ السَّرِيرَةُ وَالبَصِيرَةُ، آيَتِي الأَخِيرَةُ، احتَلَلتِنِي بِلاَ جُنُودٍ وَلاَ بَنَادِقَ، وَردَةُ الفُصُولِ، مَطَرُ الهَجِيرِ؛ يَصحُو فِيُوقِظَنَا مِنَ المَوتِ، أَيَّتُهَا الأَمطَارُ بَلِّلِي شِفَاهَنَا لِتخضَرَّ أَغصَانَنَا، فَهَل آنَ الأَوَانُ ؟ يَا الفِردَوسُ المَفقُودُ، يَا المَطهَرُ، كُن لِي كَمَا تَبغِي، أَنتَ وَرَقَةُ تُوتِي، غُفرَانِي؛ لاَ أَوَانَ لِي، أَنَا الكَرَكَدَنُ الوَحِيدُ، وَحَولِي ظِلالٌ مِنَ الوَهمِ، كَائِنَاتُ الهَلاَوِسِ المُحتَضِرَة؛

شَمعَةٌ مُضِيئَةٌ فِي مَهَبِّ الظَّلاَم؛
شَمعَةٌ، وَردَةٌ شَائِكَة؛
وَالأَشجَارُ تَمشِي فِي الأَحلاَم،
بِخُطًى حَالِكَــة.
شَمعَةٌ فِي مَهَبِّ الكَلاَم.

_____

هَكَذَا.

رُبَّمَـا.

نُبَـاحٌ طَوِيل
أطرَافَ اللَّيلِ وآنَاءَ النَّهَار.
أَعضَائِي : صَهِيل.

أَحُطُّ عَلَى الأَطلاَلِ، فِي الغُرُوب.
أُطلِقُ الرَّقصَةَ السَّجِينَة.

أَختَرِعُ بَهجَةً مُرِيبَة، تَليقُ بِالمقَام.
قَدَمَاي مَغرُوسَتَان.
وقَلبِي قُبَّـرَة.

أُلَملِمُ مَا تَبَقَّى.
أُدفِنُـه.
وَأَتَّخِذُ سَمتَ النِّسيَان.

أَيَّتُهَا الخَدِيعَة:
لِمَاذَا طَعَنتِني فِي الظَّهر،
فِي الظَّهِيـرَة؟

عُوَاءٌ دَاخِلِي.
كَأَنَّ قَطِيعًا مِن ذِئَاب.

أَرمِي لَهُم أَعضَائِي،
وَاحِداً، وَاحِـدَا.

أَنتَظِرُ مَا لاَ يَجِيء.
مِثلَ ضَبعٍ بَرِيء.

لَن أَقُولَ شَيئًا.
أُغمِضُ عَينِي،
وَأَمضِي : مُطلَقَا.

لاَ جِرَاحَ فِي بَدَنِي.
لاَ

كأنَّ جَيشًــا بِألوِيَة.
كَأنَّ أُمَّــةً سَفَّاكِين.
أَنَا القَتِيــل.

وَإِذَا تَم لَه أَربَعُ سِنِين، وَقَعَ مِن بَطْنِ أُمِّه وَفَرَّ كَالبَرقِ، حَتَّى لاَ تُدرِكَه فَتَلحَسَه بِلِسَانِهَا، لأَنَّ لِسَانَهَا فِيهِ شَوكٌ كَبِيرٌ غَلِيظٌ، إِذَا لَحَسَتْه أَزَالَت لحمَه عَن عَظْمِهِ فِي لَحظَةٍ وَاحِدَة.

بَل الرِّجَالُ رُكَّعًا سُجُودًا

شَعبٌ تُرَابٌ، تَنفُثُه الخَمَاسِينُ بَينَ الحِينِ وَالحِينِ فِي عَينَيَّ، تُحرِقُنِي، أَدعَكُهَا وَأَقطُرُ فِيهَا البِرِيزُولِين، عَلَى قَرَفٍ، وَأَمضِي مُنَشِّجًا بِالأَسَى وَالنَّدَامَة

فَمَن يَدُلُّنِي عَلَى طَرِيقِ السَّلاَمَة؟

فِخَاخٌ أَتَقَافَزُ فَوقَهَا[1]، لَكِنَّ السَّقطَةَ القَادِمَةَ قَادِمَةٌ، كَامِنَةٌ لِي، أَعرِفُهَا بِلاَ

[1] لَم يَنصِبهَا أَحَدٌ لِي؛
وُلِدتُ بِهَا، تَوأَمًا لِي؛ وَأَنَا تَوأَمٌ لَهَا.
وَبَينَنَا كَلاَمٌ غَيرُ مَنطُوقٍ لاَ يَسمَعُه أَحَد.

بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ، هَيَّا، انكَشِفِي لِي، إِلَى المُبَارَزَةِ، أَيَّتُهَا العَاهِرَةُ الخَائِنَةُ، هَيَّا، لا هَوَادَةَ، حَتَّى المَوتِ، بَيْنَنَا خَيطٌ سُرِّيٌّ لا أَرَاهُ، لا أَشُدُّهُ لا أُرخِيهِ، فَمَن يَدُلُّنِي عَلَى الخَارِطَةِ؟

أُفُقٌ زُجَاجٌ،
وَغَيمَةٌ عَوِيلٌ؛
تَهطِلُ عَلَى قَلبِي حِجَارَةٌ سِجِّيل

لَكِنَّ عَوَامِلَ النَّعرِيَةِ لا تَنَالُ مِنِّي (تَخَشَّرَ جِلدِي- فِي القُرُونِ الأُولَى- إِلَى دِرعٍ صَدِئٍ، لا تَنَالُنِي لَدغَاتُ البَعُوضِ وَالعَقَارِب)، تَجهَلُنِي الرِّيحُ وَالصَّاعِقَةُ، تَعبُرُنِي مُغمَضَةً، لا تَدرِي بِي؛ أَنَا غَيبُوبَةُ الكَونِ، أَقضُمُ الوَقتَ[2]، لا يَقضُمُنِي، كِسرَةٌ فَكِسرَةٌ مُرَّةً حَامِضَة

تُفَّاحَةً مُجهَضَة

ثُمَّ أَبصُقُهَا فِي وَجهِ السَّمَاء

سَمَاءٌ هُرَاء؛

هَكَذَا، أَتَقَافَزُ فَوقَهَا آمِنًا، وَقَدَمَايَ بَصِيرَتِي الغَرِيبَة.

(2) أَقضُمُ الوَقتَ مِن جُوعٍ وَشَرَاهَة، هَنِيئًا . . مَرِيئًا . مَا أَلَذَّهُ، مَا أَطعَمَه! لَم يَكُن ثَدِيُ أُمِّي العَجُوزِ كَافِيًا، وَمَا انفَطَمْت. فَشَبَبتُ عَلَى جُوعٍ أَزَلِيٍّ وَشَرَاهَةٍ أَبَدِيَّة.

صَحراءُ مِن قَصدِير؛
وَشِراكُ أَرقَة

تَشُدُّ خُطوَتِي، أَعرِفُهَا، أُرَفرِفُ فَوقَهَا، سَاخِرًا[3]، أَنَا الشَّرَكُ المُطلَقُ لِلكَائِنَات، سُؤَالُهَا العَصِيُّ، عَينٌ تُنَامُ وَعَينٌ تُسهِمُ الذِّهنَ، تَقرَأُ - قَبلَ أَن يَجِيءَ - القَادِمَ المُرِيب.

أَيُّهَا الآتِي العَصِيب: نَلتَقِي فِي مُفتَرَقٍ مَا قَادِمٍ أَو قَدِيمٍ، بِلا طَرِيقٍ سَلامَةٍ، فَأَعرِفَكَ بِحَربَكَ الثُّلاثِيَّةِ، تَعرِفَنِي بِنَظرَتِي الضَّارِعَة: "اعبُر عَنِّي هَذِهِ الكَأس؛ إِيلِي، إِيلِي، لِمَ شَبَقتَنِي؟"؛ فَسَلَّنِي إِلَى مُنتَهَاي.

---

[3] ذَاتَ يَومٍ، رَأَيتُ الرَّصَاصَةَ فِي مَكمَنِهَا البَعِيد، تَستَعِدُّ لِلانطِلاق. لَم تُكَلِّمنِي، لَم تَغمِز لِي بِعَينِهَا الوَحِيدَة. لَكِنِّي رَأَيتُهَا. وَدُونَ أَن تَقُولَ لِي، عَرَفتُ الهَدَف.

كُنتُ عَاهِرَةً فِي الزَّمَنِ القَدِيم، أُوَزِّعُ شَهَوَاتِي بِالعَدْلِ وَالقِسْطَاسِ عَلَى أَبنَاءِ السَّبِيل (جُوعِي أَبَدٌ، وَعَطَشِي أَزَل)؛ غَابَةً مِنَ النَّزَوَاتِ، أَعضَائِي أَشجَارٌ لاَ تَنَام، تَصهَلُ فِي اللَّيلِ وَالنَّهَارِ.

ذَاكِرَتِي مُتخَمَةٌ بِشُعُوبٍ وَقَبَائِلَ بَربَرِيَّةٍ، يَصرُخُون يَعوُون عَلَى خُيُولٍ وَمَركَبَاتٍ تَجُرُّهَا ثِيرَانٌ بَرِّيَّة[1]. يَهتِفُون وَهُم يَرفَعُون قَبضَاتِهِم، يُشرِعُونَ رَايَاتٍ تَحمِلُ جُمجُمَةً فَاغِرَةً وَعَظمَتَين مُتَقَاطِعَتَين (أَكَانُوا التَّتَر أَم المغُول؟ أَم قَبَائلَ الشَّمَالِ البَعِيدِ، البَعِيد؟)؛ يَجتَاحُونَنِي بِالسَّنَابِكِ وَالمَخَانِيقِ جَمِيعًا بِلاَ هَوَادَةٍ، بِالرِّمَاحِ وَالسُّيُوفِ وَالمَقَالِيعِ، بِالحَوَافِرِ وَالأَنيَاب، فِي النَّومِ وَأَحلاَمِ اليَقَظَة. سَاحَةٌ مُبَاحَةٌ لِلغَزوِ وَالسُّعَار. بَاحَةٌ مُتَاحَةٌ لِلكَرِّ وَالفَرِّ

---

[1] **كَانُوا**- كَمَا قَالَ "كَفَافِيس"- **حَلاًّ مَا**. وَالآن، مَاذَا سَأَفعَل، مَاذَا سَيَحِلُّ بِي، بِلاَ بَرَابِرَة؟ تِلكَ هِيَ المُشكِلَة!

وَالدُّوَار.

مَا عَلَّمَنِي أَحَد. مَا قَرَأتُ شَيْئًا (عَدُوِّي اللَّدُودُ: القِرَاءَة!). رَبِيعٌ دَائِمٌ مِنَ الغَرَائِزِ المُزدَهِرَةِ، المُنتَصِبَةِ عَلَى أَطرَافِ أَصَابِعِهَا. حُقُولٌ مُشتَعِلَةٌ مِنَ الشَّهَوَاتِ المُورِقَة، تُصَلِّي للمَطَرِ المَوسِمِي، وَتَنثُرُ التَّعَاوِيذَ وَالرُّقَى عَلَى الأَعضَاءِ المُشرَئِبَّة. انتِظَارٌ دَائِمٌ فِي مُفتَرَقَاتِ الفُصُولِ لِلمُفَاجِئِ الجَرِيء؛

هَكَذَا سَاقَنِي إِلَى مَرْعَاه فِي حَدِيقَةِ اللَّيلِ (أَشجَارُ الشَّهَوَاتِ سَامِقَةٌ، تَنزُّ حَلِيبَهَا وَعَسَلَهَا، تَنثُّ اللَّذَّةَ الموعُودَة)، لِيُشْعِلَ شُمُوسِي السِّرِّيَّةَ وَاحِدَةً وَاحِدَة[2]. كُلَّمَا مَسَّ شَمْسًا أَضَاءَتنِي وَأَحرَقَتنِي، صَرَختُ لَوعَةً أَو شِقوَةً أَو شَهوَةً شَهبَاء. كُلَّمَا مَسَّ نَجمَةً تَصَاعَدَت بِي إِلَى السَّمَاءِ، وَرَمَتنِي أَتَأَرجَحُ طَافِيَةً فِي فَضَاءٍ مِن رُقًى وَأَرَق.

مَا هَوَيتُ؛ أَطفُو، تُهَدهِدُنِي تُوَشوِشُنِي أَمواَجٌ تَرقَى بِي إِلَى السَّمتِ، إِلَى السَّمتِ، يا الله يا الله؛

سِدرَةُ المُنتَهَى أَم السَّمَاءُ السَّابِعَة؟[3]

---

[2] لاَ أَعرِفُه، لاَ يَعرِفُنِي.

لَكِنِّي كُنتُ أَهجِسُ بِه فِي أَحلاَمِ اليَقَظَةِ المُتَكَرِّرَة؛ فَمَضَيتُ أَقتَفِي ظِلَّه- أَنَا المَسكُونَةُ بِه- فِي المَنَاطِقِ المَهجُورَةِ الآفِلَة. وَصَحَوتُ عَلَى صَرخَتِي الغَافِلَة.

لاَ نَدَم وَلاَ غُفرَان

لاَ سَلاَم أَو نِسيَان

[3] لَم تَكُن أَرضًا وَلاَ سَمَاء؛

لَم أَكُن سَكرَى، وَلَكِنَّ الوَقْتَ كَانَ غَسَقًا شَفَقِيًّا أَو شَفَقًا غَسَقِيًّا، وَكُنتُ أَطفُو كَرَمزٍ عَلَى مَاءٍ، أَو أُرَفرِفُ كَمَجَازٍ فِي هَوَاءٍ، قُلتُ: أَنَا البُرَاق، أَنَا البُرَاقُ؛ قَالَ: أَنتِ المِعرَاجُ، أَنتِ المِعرَاجُ؛ وَامتَطَانِي إِلَى الفِردَوسِ، بِلاَ انتِظَار.

لَكِنِّي كُنتُ طَائِرًا أُرَفرِفُ فِي سَمَاءٍ مَجهُولَةٍ، أَو قَشَّةً تَتَأَرجَحُ عَلَى مَوجَةٍ، أَو امرَأَةً تَصحُو عَلَى أُنوثَتِهَا بَغتَة.

لَأَنتَ مَدِينَةٌ بِلاَ حَاكِم،
جَمَاعَةٌ بِلاَ مُرشِد،
سَفِينَةٌ بِلاَ رُبَّان،
فَيلَقٌ بِلاَ قَائِد.

كَانُوا أَعمِدَةَ الدَّار،
كَانُوا السُّقُوف.
سَرَقُوا أَعمِدَةَ الدَّار،

سَرَقُوا السُّقُوف.

أَيَا عَابِرِي الطَّرِيقِ، انظُرُوا،
إِنْ كَانَ حُزنٌ مِثْلَ حُزنِي المُقِيم،
وَالرَّايَاتِ السَّوداءَ عَلَى هَامَتِي المُنَكَّسَة.
أَنَا سَيِّدَةُ الظَّلَامِ الرَّحِيم.

كُلُّ لَيلَةٍ: دَهر...
كُلُّ كَلِمَةٍ: حَجَر...

أنتَ أَبُ اليَتِيمِ، أَخُ المُطَلَّقَةِ، سَاتِرُ مَنْ لَا أُمَّ لَه.
يَا دَفَّةَ السَّمَاء؛
يَا سَارِيَةَ الأَرضِ وَخَيطَ المِطمَار.

لَا تَقُل الكَذِبَ، لأَنَّكَ المِيزَان .

لَا تُخطِئ، لأَنَّكَ الصَّوَاب .

أَخَذُوا الأَبقَارَ وَالمَاعِزَ وَالسَّكِينَة .

سَرَقُوا نُورَ العُيُون .

أَنتَ القَلَمُ، وَرَقَةُ البَردِي، لَوحُ الكِتَابَة .

رَحَلَت الآلِهَةُ عَنِ البِلَاد،

هَجَرُوا أَرضَنَا للأبد؛

يَتَامَى، بِلَا غُفرَان .

كَانَت الشِّيَاهُ تَرعَى عَلَى المِيَاهِ، تَقضُمُ الزَّبَدَ الغَافِي وَالأَبَدَ الطَّافِي. وَكُنتُ- أَنَا الرَّاعِي المَخبُولُ- عَاكِفًا عَلَى خُزَعبَلَةٍ جَمِيلَةٍ وَخُرَافَةٍ وَبِيلَةٍ تَلِيقُ بِي[1]، حِينَ ضَرَبتُ البَحرَ بِعَصَايَ، فَاستَحَالَت أَفعَى، التَهَمَت شِيَاهِي وَاحِدَةً وَاحِدَةً، وَاستَدَارَت إِلَيْ.

تَلَوتُ عَلَيهَا رُقيَتِي النَّاجِعَةَ، استَكَانَت؛ رَمَيتُ عَلَيهَا تَعوِيذَةً هِيرُوغلِيفِيَّةً، صَارَت شَجَرَةً وَارِفَةً، تَرمِي ثِمَارَهَا عَلَيْ:

كُلُّ ثَمَــرَة شَاةٌ نَائِحَــة

---

[1] أَنَا سَيِّدُ الخُزَعبَلَاتِ الجَمِيلَة.
لِي- فِي كُلِّ آنٍ- خُزَعبَلَةٌ وَبِيلَة.
أَدحُوهَا- فِي رَاحَتَيَّ- كَالصَّلصَالِ، مِن خُرَافَاتٍ وَأَوهَامٍ قَتِيلَة.
ثُمَّ أُطلِقُهَا طَائِرًا مِن زُرقَةٍ، أَو رَذَاذ.
أَنَا سَيِّدُ الخُزَعبَلَاتِ الجَمِيلَة.

لَملَمتُهَا فِي حضنِي، شَاةً شَاةً، أَطفَالِي الضَّالِّين، مَسَحتُ دُمُوعَهَا، هَدهَدتُهَا، حَكَيتُ لَهَا حِكَايَةَ الذِّئبِ الخَجُولِ، فَنَامَت وَدِيعَةً إِلَى الصَّبَاحِ، تَحلُمُ بِالأَنيَابِ النَّاهِشَةِ وَالعُوَاءِ الجَمِيل.

فِي الصَّبَاحِ، ضَرَبتُ البَحرَ بِعَصَايَ[2]، صَارَت طَرِيقًا مَفرُوشًا بِنَوَايَايَ البَرِيئَةِ إِلَى الجَحِيم. سُقتُ شِيَاهِيَ الرَّعنَاءَ أَمَامِي، وَمَضَيتُ، وَأَنَا أَصفُر – فِي مَلَلٍ – نَشِيدًا وَطَنِيًّا مَا، مَلِيئًا بِالثُّقُوب

كُلُّ ثُقبٍ غُــرُوب

يَقطُرُ عَلَى يَدِي، حَامِضًا مَرِيرًا، كَأَنَّه زَوجَةُ أَبِي، أَو حَبِيبَتِي الغَابِرَة

وَكُلُّ قَطــرَةٍ امرَأَةٌ فَاجِــرَة

لَهَا جَسَدٌ مِن سِندِيَانٍ خلاَسِيٍّ، تَتَلَوَّى كُلَّمَا هَبَّت عَلَى أَعضَائِهَا الرِّيحُ الحَارَّةُ، تَتَأَوَّه كُلَّمَا هَبَّت شُمُوسُ الاستِوَاءِ، تَفِرُّ مِن ثَنَايَاهَا الدَّاكِنَةِ الخَفِيَّةِ عَصَافِيرُ صَغِيرَةٌ زَرقَاءُ، لاَ تُشبِهُ صَرخَاتِ الشَّبَق

وَكُلُّ صَرخَــةٍ أُفُــق

مَفتُوحٌ عَلَى مِصرَاعَيهِ، بِلاَ رِتَاجٍ، أَمَام الجَمِيع، بِلاَ استِثنَاءٍ؛ فَأَهلاً وَسَهلاً، أَيُّهَا الفَاسِقُونَ الأَبرَارُ، الوَرِعُونَ الأَشرَارُ، أَنتُم أَضيَافِي

---

[2] لُعبَةٌ مُسَلِّيَة لاغتِيَالِ الفَرَاغ وَقَتلِ الوَقت!
لَم أَكُن مُوسَى الهَارِبَ مِن فِرعَون؛ لَكِنِّي لَم أَدرِ مَا أَفعَل. كَانَت العَصَا بِيَدِي، وَالبَحرُ عِندَ أَقدَامِي. ضَرَبتُه لأَستَمتِعَ بالرَّذَاذِ المُتَنَاثِرِ عَلَى وَجهِي، فَكَانَ مَا كَان.

اللِّئَامُ، وَأَنَا وَلِيمَتُكُم المَسمُومَة[3]، فَكُلُونِي عَن آخِرِي أَو آخِرِكُم، قَضمَةً وَاحِدَةً، وَانتَظِرُونِي ذَاتَ مُفتَرَقٍ قَادِم، فِي اللَّحظَةِ المُنَاسِبَة.

[3] كَرَمٌ لَم يَحلُم بِهِ حَاتِمُ الطَّائِيُّ، أَو سِوَاه. لَكِنَّهَا سِيرَتِي التَّقلِيدِيَّةُ المَعهُودَةُ، لاَ أَتَخَلَّى عَنهَا مُطلَقًا؛ أَيًّا مَا كَانَت الظُّرُوفُ الاقتِصَادِيَّةُ، المَحَلِّيَّةُ أَو الدَّولِيَّة.

_____

هَكَذَا أَصحُو بِلاَ ذَاكِرَة.

مَا الَّذِي جَاءَ بِكِ إِلَى جَسَدِي؟

قَلِيلاً.. حَتَّى أُرَتِّبَ نَفسِي.
قَلِيلاً.. حَتَّى أُرَمِّمَ الأَقنِعَة.

لَستِ أنتِ
لَستُ أَنَا.

أُديرُ ظَهْرِي.
أُحرِقُ الذِّكرَيَاتِ وَالمَاضِي.
وَأمضِي.

خَاوِيًا
جَمِيـلاَ

أُرَفرِفُ فِي فَضَاءٍ مِنَ البَهَاء.
أَطفُو فِي الهَبَاءِ الجَمِيل.

رَمَيتُ قَلبِي لِلكِلاَب الضَّالَّة.
وَعَينِي إِلَى الوُعُول.

لاَ بَصَر.. لاَ بَصِيرَة.

تَشُدُّنِي كَارِثَةٌ صَغِيرَة.
إِلَيهَا.

لاَ مَفَـر.

أَيَّتُهَا المَرأةُ النَّافِدَة :
نَفَدَ الوَقتُ مِنَ الجَسَد.

رُبَّمَـا

هَل استَبَانَ الأبيَضُ مِنَ الأسوَد؟

أَيُّهَا الوَقتُ الرَّمَادِي،
البَصَرُ الرَّمَادِي،
الشَّهوَةُ الرَّمَادِيَّة

وَسَمَّاه الجَاحِظُ الكَرْكَدَن، وَهُوَ عَدُوُّ الفِيلِ، وَيُقَالُ: إِنَّه مُتَوَلِّدٌ بَينَ الفَرَسِ وَالفِيلِ، وَلَه قَرْنٌ وَاحِدٌ عَظِيمٌ فِي رَأسِهِ، لاَ يَستَطِيعُ لِثِقَلِهِ أَن يَرفَعَ رَأسَه، وَهَذَا القَرنُ مُصْمَتٌ قَوِيُّ الأَصْلِ، حَادُّ الرَّأسِ، يُقَاتِلُ بِهِ الفِيلَ فَلاَ يفيدُ مَعَه نَابَاه.

أَكَانَ لِي فِي الزَّمَنِ الغَابِرِ قَرنان؟ أَمْ أَنِّي المُفرَدُ الفَرِيدُ فِي المَلَكُوت؟ أَقضُمُ الوَادِي الخَصِيبَ، لاَ اكتِفَاءَ وَلاَ فَنَاء

جُوعٌ مُطلَقٌ
وَشَهوَةٌ أَبَد

وَعُشبِي شَعبٌ طَرِيٌّ، كُلَّمَا أَكَلتُه تَنَامَى، كُلَّمَا اشرَأَبَّت رُؤُوسُه يَانِعَةً قَضَمتُهَا (لاَ خَشخَشَةَ أَو هَسهَسَةَ تَحتَ أَسنَانِي)[1]، وَمَضَيتُ هَائِمًا، خُطَايَ تَخشَعُ

(1) أَسمَعُ أَنِينَه، صُرَاخَه، نَشِيجَه، بُكَاءَه فِي حُلمِه كُلَّ يَومٍ؛
هَلوَسَاتٌ بِلاَ أَنجَدِيَّة.
أَسرَابٌ مِنَ الأَصوَاتِ المُهمهِمَةِ المُغمغِمَةِ، المُدغمَة، بِلاَ مَعنًى.

الدُّرُوبَ، تَرَى الغَيبَ، مُبصِرَةٌ بَصِيرَةٌ، لَهَا عَنَانِي، إِلَى مَا لَستُ أَدرِي، أَيُّهَا المَلَلُ الأَلِيمُ، إِلَى مَتَى؟ ذَاكِرَةٌ خَاوِيَةٌ تُدَوِّي كُلَّمَا قَرَعتُهَا، وَأُفقٌ صَقِيلٌ يُزِلُّ عَلَيهِ خَطوِي الكَظِيمِ

أَنَا الرَّاهِنُ المُستَدِيمُ

مُضَارِعٌ مُستَمِرٌّ لَا يَنتَهِي، مَرجِعُ الأَزمَانِ وَالأَفعَالِ، أَيَّتُهَا السُّلَالَةُ المَلَكِيَّةُ، لَا تَشتَهُوا عَرشِي، أَيُّهَا الخَائِنُونَ

أَنَا نُقطَةُ النُّونِ

مُعَلَّقٌ فِي انتِصَافِ الكَونِ، مُرَفرِفًا فِي فَضَاءٍ خَوَاءٍ، أَرَقُ الوَقتِ، قَلَقُ اللَّاهُوتِ وَالنَّاسُوتِ، فَابتَعِدُوا عَن مَجَالِي الحَيَوِيِّ[2]، بَعِيدًا بَعِيدًا، لِيَنَامَ ظِلِّي قَلِيلًا لَنَا الآسِنَةَ

سَنَةً مِن نِسيَانٍ
أَو دَهرًا مِن غَيبُوبَةٍ فَاتِنَةٍ

لِمَ لَا يَأتُونَ بِأَحَدِ المُنزَجِمِينَ المُحنَّفِينَ؟

[2] **مَجَالِيَ الحَيَوِيَ**: سَبعَةَ عَشَرَ دَهرًا مِن غَيبُوبَةٍ مُرِيبَةٍ، وَأَلفُ عَامٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، وَغَيمَةٌ ذَهَبِيَّةٌ غَابِرَةٌ تَذهَبُ بِهَا الرِّيحُ وَتَجِيءُ، فَأَتَعَلَّقَ فِي أَهدَابِهَا تُؤَرجِحُنِي إِلَى مَطلَعِ الفَجرِ.

هَيَّا، افرَتقعُوا عَنّي، أَيَّتُهَا الغِربَانُ النَّاعِقَةُ، عَلَى مَاءٍ رَاسِخَةٌ مَملَكَتِي، ومَلِيكَتِي تَرتَجِلُ رَقصَتَهَا فِي السِّرِّ، أَرَاهَا، دُمَيَةٌ بَاهِرَةٌ[3] أُرخِي خُيُوطَهَا، تَتَقَافَزُ حَتَّى انعِقَادِ الحَبلِ حَولَ الرَّقَبَةِ

قَادِمَةٌ: شَهقَتُهَا الأَخِيرَةُ المُرتَقَبَةُ

لا أَتَعَجَّلُهَا، أُرخِي لَهَا، فَتَمضِي فِي رَقصَتِهَا بَعِيدًا بَعِيدًا، أُرخِي وأُرخِي، أَعقِدُ الخَيطَ فِي شَجَرَةٍ وأَنسَى، أُرَتِّلُ آيَاتٍ مِنَ الهَذَيَانِ الجَمِيلِ (صَوتِي رَخِيمٌ يَفطِرُ القَلبَ)، فَتَلتَمُّ الكَائِنَاتُ سَاهِمَةً وَاجِمَةً، تُصَلِّي خَلفِي - أَنَا إِمَامُهَا الغَائِبُ - صَلاةَ الغَاشِيَةِ.

---

(3) دُمَيَةٌ مِن قَشٍّ، لَهَا ثَوبٌ بِأَلوَانِ قَوسِ قُزَحَ، صَنَعتُهَا فِي طُفُولَتِي القَدِيمَةِ، وأَدمَنتُهَا فِي شَبَابِي، وسَئِمتُهَا فِيمَا تَبَقَّى.
وَفِي قُرُونِ المَلَلِ، أَعدَدتُ لَهَا أَدَوَاتِ القَتلِ الرَّحِيمِ:
الخَازُوقَ، الخِنجَرَ، السَّيفَ، فِي مَيدَانٍ عَامٍ يُحِيطُ بِهِ الجُمهُورُ الغَفِيرُ.

وَردَةٌ ذَابِلَــة
أَو
تُفَّاحَــةٌ مَقضُومَة
أَنــَا
الخَاوِيَــةُ المَزحُومَة

تَنَامُ فِيَّ الأَشبَاحُ وَالعَفَارِيتُ، يَصحُونَ فِي نَومِي، يَعبَثُون يَعِيثُونَ كَمَا يَبغُون، يَمتَطُونَنِي إِلَى الجُنُون[1]

---

[1] أَصحُو سَاحَةً لِحَربٍ شَامِلَة:
أَشلاَءٌ مُتَنَاثِرَةٌ، جُثَثٌ مَبقُورَةٌ مَفقُوءَةٌ، أَحصِنَةٌ نَافِقَةٌ، أَسرَابُ جَوَارِحَ وَذُبَابٍ أَزرَق، مَركَبَاتٌ مُهَشَّمَةٌ، دُخَانٌ، حُفَرٌ، مَجَانِيقُ مَكسُورَةٌ، حَشرَجَاتٌ وَأَنِينٌ، رَوَائِحُ بَارُودٍ لاَذِعَةٌ، قَرقَعَاتٌ وقَعقَعَاتٌ، وَصَرخَةٌ غَامِضَةٌ مُعَلَّقَةٌ فِي الفَضَاء.

سَيِّدَةُ الهَوَاجِسِ وَالظُّنُون

قَشَّةٌ فِي عَاصِفَةٍ، أَو فَرَاشَةٌ فِي رِيحٍ، قَتِيلَةٌ تَمشِي عَلَى سَاقَين، تَغشَى السُّوقَ عَارِيةً، فَتَقفِزَ العُيُونُ مِن مَحَاجِرِهَا إِلَى مَفرِقِ الثَّدِيَين وَالرِّدفَين النَّافِرَين؛ أَيُّهَا الهَائِجُون: جَسَدِي مَقبَرَةٌ، فِيهَا أَدفِنُ المَاضِي وَرُفَات الذِّكرَيَاتِ، وَأُحكِمُ الرِّتَاجَ وَالمَصَارِيعَ (أَمُدُّ عَلَى بَابِهِ خُيُوطَ العَنكَبُوتِ، وأَبتَنِي عُشًّا لِحَمَامَةٍ هَادِلَةٍ، لِخِدَاعِ العَابِرِين)؛ فَابتَعِدُوا لأَغرِسَ شَتَلاَتِ النِّسيَانِ فِي المَفَارِقِ وَالدَّهَالِيزِ، وَأَرتُقُ مَا تَمَزَّقَ أَو تَفَتَّقَ، ثُم أَنجَلِي امرَأَةً مِن مِلحٍ وَرَمَاد

تَهُبُّ الرِّيح : تَصحُو جُذوَةٌ قَدِيمَة

تَهُبُّ الرِّيح : تَشتَعِلُ الجُذوَةُ القَدِيمَة

هَكَذَا أَستَعِيدُ نَارِي وَحَرَائِقِي (لاَ يَعرِفُهَا سِوَاي)[2]، تَشُبُّ تَهُبُّ تَدبُّ فِي السَّرَادِيبِ السِّرِّيَّةِ سَادِرَةً، تُضِيءُ العَتَمَاتِ، فَتَهرُبَ الأَشبَاحُ وَالعَفَارِيتُ إِلَى الخَلاَءِ نَيَازِكَ مُحتَرِقَةً أَو شُهُبًا مُرتَبِكَةً، إِلَى حَالِ سَبِيلِي، أَمشِي عَلَى الصِّرَاطِ مُضِيئَةً، إِلَيكَ، كَأَنِّي وُلِدتُ غَدًا، إِلَيكَ، لاَ حَرَامَ فِي جَسَدِي، بِلاَ

---

[2] نَارٌ نُور؛

كَمِشكَاةٍ فِيهَا مِصبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ
كَأَنَّهَا كَوكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ،
زَيتُونَةٍ لاَ شَرقِيَّةٍ وَلاَ غَربِيَّة،
يَكَادُ زَيتُهَا يُضِيءُ وَلَو لَم تَمسَسهُ نَار.
أَقُولُ: يَا نَارُ، كُونِي بَردًا وَسَلاَمًا لِحَبِيبِي، كُونِي بَلسَمًا وَتِرِيَاقَا.

عَورَةٍ، مَطهَرِي أَنتَ، بَابِيَ المُبَاحُ إِلَى نَفسِي[3]، مَوءُودَةً مَولُودَةً مِن غُبَارِ الرَّغَبَاتِ المُشتَبِكَة

غَابَةً وَارِفَـــةً أَو شَمسًا مُرتَبِكَة

مِن رَمَادِي اشتَعَلتُ امرَأَةً هَدَمَت جُسُورَهَا، مَحَت خُطَاهَا القَدِيمَةَ، أَحرَقَت سُفُنَهَا، قَالَت: البَحرُ فِي الأَمَامِ، وَالعَدُوُّ فِي الوَرَاءِ؛ وَقَفَزْت.

---

[3] أَطرُقُكَ، فَتَفتَحَ لِي؛ أَدخُل:

شُمُوعٌ فِي الزَّوَايَا وَالأَركَانِ، شُمُوسٌ تَنبَثِقُ مِن الجُدرَانِ، وَابتِهَالاَتٌ غَامِضَةٌ تَأتِي مِن لاَ مَكَان، وَبُخُورٌ يَصَّاعَدُ، يُخَدِّرُ الرُّوحَ وَالجَسَد. **أَحَـــدٌ، أَحَد.**

رَهَائِنُ نحنُ فِي البَلَدِ الخَرَاب.
غَنِيمَةُ حَربٍ بِلاَ حَربٍ أَو مَعرَكَة.
سَبَايَا تُحَاصِرُنَا الأَسلاَكُ الشَّائِكَة.

لاَ لاَهُوتَ، لاَ نَاسُوت.

نَهَارُنَا: ظُلُمَاتٌ حَالِكَة.

طَرِيقُنَا : شِرَاكٌ وَعَلَقَم .
فَمَنْ يَدُلُّ الخُطوَاتِ المُرتَبِكَة ؟

طُيُورٌ مَبلُولَة
ضَرَبَتهَا الصَّاعِقَة .

فِي حَقلِ أَغَامٍ
تَمشِي خُطَانَا المُتَهَالِكَة .

سِيَاطٌ تَصفُرُ فِي الرَّأس ،
فَتَنبَجِسُ الدِّمَاءُ فِي الجَسَد .
عِصِيٌّ تُنهَالُ عَلَى الظَّهرِ المَحنِي ،
تَنبَجِسُ النُّجُومُ فِي الظَّهِيرَة .

أَيُّهَا الغَائِبُونَ، كَفَى .
نَبَتَت فِي الحَدَقَاتِ الأَشوَاك .
أَيُّهَا الرَّاحِلُونَ فِي اللَّيلِ، كَفَى .
ذَهَبَت الرِّيحُ بِأَورَاقِنَا الخَضرَاء .

نَرسُمُ وُجُوهَكُم عَلَى حَائِطِ اللَّيل؛
نَرسُمُ عُيُونَكُم القَوِيَّةَ عَلَى جدَارِ الحُلم .
نَرسُمُ أَجسَادَكُم عَلَى أَجسَادِنَا المُتعَبَة .

لَيسَت مُهْرَةً أو وَعلاَ (عَلَى عَادَةِ بَعضِ الشُّعَرَاءِ الحَدَاثِيِّينَ، وَعَادَتِي القدِيمَة). لَيسَت أَرضًا أَو وَطَنًا رَمزِيًّا (كَعَادَةِ الشُّعَرَاءِ الرُّومَانتِيكِيِّين)[1]؛ مَرْأَةٌ تَخطُو عَلَى حَافَّةِ قَلبِي حَافِيَةً، بِاسمِ اللهِ مُرسِيهَا وَمُجرِيهَا، تَعدُو لاَهِثَةً مَلهُوفَةً فِي نَومِهَا إِلَيَّ، فَتَأخُذهَا الخُطَى إِلَى الغَرِيمِ الكَظِيم؛

بُرهَــةً،
أَو بُرهَتَين،
أَو ثَلاَث؛
ثُمَّ تَصحُو عَلَى السُّؤَالِ الأَلِيم

---

[1] عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ لاَ الحَصر، رَاجع ذلك لدى مَن يُسمّون بشُعراء "**المقاومة**" الفلسطينية؛ وخاصةً لدى محمود درويش، أَبرعهم في ذلك.

يَخزُهَا فِي مُقلَتِهَا وَخزَتَين دَامِيَتَين، تَصحُو مِنَ الصَّحوِ عَارِيَةً حَافِيَةً إِلَى البَرَارِي القَاحِلَة؛

سَنطٌ، وَصبَّارٌ، وَحَسَك؛
حَصًى مَسنُونٌ مُشتَعِل؛
شَاهِدُ قَبرٍ بِلاَ اسمٍ، بِلاَ جُثمَان؛
ذُبَابَةٌ تَطِنُّ، لاَ تُرَى؛

أَيَّتُهَا المَرأَةُ المُستَعصِيَةُ: وَجْهٌ أم قِنَاع؟ مَن يَكسِرُ المِرآةَ كَي تَتَعدَّدَ الرُّؤيَا؟ شَظَايَا مِنَ الوَقتِ المُتَطَايِرِ أو الصَّمتِ الخَئُون. أَينَ المَفَر؟ كَأَنِّي طَرِيقٌ، مُلتَقًى أم مُفتَرَق؟ سَأعرِفُ بَعدَ القِيَامَة[2]. نَمشِي الهُوَينَى عَلَى مَاءٍ، أَيَّتُهَا المُرتَجَلَة. مَتَى؟ هَل عَبَرَتنَا الأحلامُ فِي النِّسيَانِ، أم تَعِبنَا مِن الحُلمِ فَنِمنَا فِي الأَسَن؟

– مَا الوَقتُ، سَيِّدَتِي؟
– **لاَ وَقتَ، سَيِّدِي،**
أَو غُبَارٌ يَغفُو عَلَى يَدِي.
– إِذَن، فَمَتَى؟

---

[2] عَصرًا، حِينَ تُذهَلُ كُلُّ وَالِدَةٍ عَن وَلَدِهَا، وَكُلُّ وَالِدٍ عَن وَلَدِه، دُونَ أَن يُصِيبَنِي الذُّهُول.
سَأَنتَحِي جَانِبًا، بَعِيدًا عَن الحُشُودِ المَجنُونَة، وَأَتَأَمَّلُ المَوقِفَ مَلِيًّا، لأَعرِفَ مَاهِيَّتِي الحَقِيقِيَّة.

- رُبَّمَا، ذَاتَ مَسَاءٍ غَابِرٍ،
أَو ذَاتَ شِهَابٍ آفِلٍ،
أَو ذَاتَ شَمسٍ حَالِكَة؛

هَكَذَا، أَنتَظِر:

قَطرَةً مِن مَطَر؛

طَوِيلاً طَوِيلاً، بُرُوقٌ وَرُعُودٌ قَاحِلَةٌ، وَقُطعَانُ غُيُومٍ هَارِبَةً تَركُضُ[3]، وَجهِي يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ وَالأَرضِ بَحثًا عَن قِبلَةٍ أَرضَاهَا، سُدَى.

---

[3] سَمَاءٌ قَاحِلَةٌ، هَجَرَتهَا الآلِهَة.
سَمَاءٌ صَحرَاءُ مِن عَرَاءٍ وَسَرَابَاتٍ مُوحِلَة.
لاَ ظِلَّ، لاَ عُصفُورَ، لاَ بِئرَ مَاء.
أَيُّهَا العَزَاء!

_____

أيَّتُهَا الطُّيُورُ الجَارِحَة:
انهَشِي:
أنَا الوَلِيمَةُ الفَادِحَة.

لاَ صَوتَ فِي جَسَدِي.

خَاوٍ عَلَى عَرشِ أرجُوَان.
حَاشِيَتِي الخُزَعبَلاَتُ الذَّابِلَة.

مَا الَّذِي تَقُولُه المَرأةُ الآفِلَة؟

أَنَا عَابِرُ سَبِيل.
أَغمِضِي عَينَيْكِ عَنِّي،
كَي أَمُر.

طُيُورٌ تَصرُخُ فِي لَيلِي،
مَطَراً حَامِضا.

وَخُطَايَ تَرتَجِلُ الطَّرِيقَ إِلَى المهزَلَة.
تَرتَكِبُ الهَفوَةَ القَاتِلَة.

حَطَّابٌ عَجُوزٌ فِي غَابَةٍ قَاحِلَة.

فَمَن يَقتُلُ الصَّوتَ لِي؟

بَعدَ دَهرَين وَسَبعٍ وَعِشرِينَ دَقِيقَة.
رُبَّمَا.

فَلْتَعبُرِي أَيَّتُهَا العَابِرَة.
لَم يَبقَ مِنِّي غَيرُ قَضمَةٍ مَاكِرَة.

وَردَةٌ فِي المُفتَرَق.
أقطُفُهَا ثَلَاثَ مَرَّات كُلَّ أسبُوع
خَمسَ عَشرَةَ مَرَّةً كُلَّ شَهر،
مَائَةً وَسَبعًا وَتِسعِينَ مَرَّةً كُلَّ سَنَة.
أغرِسُهَا فِي جَسَدِي.
أُصبحُ حَدِيقَة.

أَيَّتُهَا المَرأةُ مِنَ النَّسرِينِ وَالبَهَار.

كَأَنَّكِ النَّهَار.

وَزَعَمَ أَهْلُ الهِنْدِ أَنَّه إِذَا كَانَ بِأَرضٍ لَم يَدَع شَيئًا مِنَ الحَيَوَانَاتِ، إِلاَّ مَا كَانَ بَينَه وَبَينَه مَائَةُ فَرسَخ، مِن جَمِيعِ الجِهَاتِ هَيبَةً لَه وَهَرَبًا مِنْه.

كَانَ لِي ذاتَ يَومٍ جَنَاحَانِ مِن حَدِيدٍ، يُرفرِفَانِ بِي أَينَمَا أُرِيدُ[1]، خُذَانِي إِلَى "الفِردَوسِ المَفقُودِ"، إِلَى حُقُولِ النُّعَاسِ، إِلَى أَرَاجِيحِ الطُّفُولَةِ (كَانَت كُلَّمَا صَعَدَت بِي، خِلتُ نَفسِي طَائِرًا مِن نُحَاسٍ مُنفَلِتًا مِنَ الجَاذِبِيَّةِ)؛

أَينَهَا الأَزمَانُ الذَّهَبِيَّة

صَدِئَت النَّاشِينُ عَلَى صَدرِي (كَانَت- ذَاتَ يَومٍ- لاَمِعَةً، تُبهِرُ العَينَ السَّاذِجَةَ)، أَفَلَت عَلَى كَتِفِي النُّجُومُ (مُضِيئَةً كَانَت- ذَاتَ يَومٍ- تُنِيرُ طَرِيقِي المَلِيءَ بِالعَثَرَاتِ كَاظِمَةَ الغَيظِ)، نَفَقَت النُّسُورُ وَالصُّقُورُ الرَّائِعَةُ (كَانَت تُحَلِّقُ

[1] جَنَاحَانِ مِن بَرقٍ وَعَاصِفَةٍ، يَتَطَلَّقَانِ بِي- عَلَى غَيرِ هُدًى- كَسَهمٍ فِي هَوَاءٍ، لَم يَجِد فِيهِ إِمسَاكَا.

بِي - كُلَّ يَومٍ صَحوٍ - فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ)، أَم صَارَت خَفَافِيشَ وَغِربَانًا نَاعِقَةً تَنقُرُ عَينَيَّ، تُعوِلُ وَتَنُوحُ، تَمنَحُنِي بِشَارَةَ الدِّمَاءِ المُهدَرَةِ؟

أَبوَابٌ مُوصَدَةٌ بِالرِّتَاجَاتِ وَالمَزَالِيجِ،
أَسوَارٌ مُقفِرَةٌ، لَا حُرَّاسَ أَو بَيَارِق.
وَالمُوسِيقَى النُّحَاسِيَّةُ تُبلَى فِي وَقدَةِ الشَّمس.
وَالخُطَى: عَاثِرَةٌ

لَكِنِّي أَتَشَبَّثُ بِالقَشَّةِ فِي بَحرِ الظُّلُمَاتِ القَادِمِ، يُبصِرُهُ جَسَدِي المُنذَاعِي عَن كَثَبٍ يَدنُو، فَالهُوِينَى أَيُّهَا القَادِمُ الغَرِيبُ، الهُوِينَى[2]، هَل نَحتَسِي كُوبًا مِنَ الشَّايِ الثَّقِيلِ؟ أَم نَأكُلُ الخُبزَ وَالمِلحَ مَعًا، كَي نُصبِحَ شَقِيقَينِ بِلَا أُمٍّ، أَم نَلعَبُ لُعبَةً طُفُولِيَّةً نَتَسَلَّى بِهَا إِلَى أَن يَئُونَ الأَوَان

أَوَانٌ بِلَا مَوعِدٍ، بِلَا عُنوَان

لَا بَأسَ، أَيَّتُهَا الحَاشِيَةُ المَلعُونَةُ المُوَسوِسَةُ بِالمَكَائِدِ وَالشُّرُورِ، أَيَّتُهَا الدُّمَيَةُ

---

[2] فِي العَجَلَةِ النَّدَامَةِ، أَيُّهَا الزَّائِرُ الغَرِيب؛
نَلتَقِي قَرِينَينِ نِدَّينِ بِلَا شُبهَةٍ، بِلَا ثَالِثٍ فِي الأَكوَان؛
أَمَامَنَا الزَّمَنُ هُوَّةٌ نَقفِزُهَا إِلَى المُستَحِيل.
فَاشرَب، إِلَى أَن يُدرِكَنَا العَوِيل.

المُلَوَّنَةُ المُشرِئَبَّةُ، أَيَّتُها الجِرارَاتُ المُبَرقَشُون بالنَّياشِين، أَيَّتُها اللُّصُوصُ النَّاهِشُون، أَيَّتُها البَنادِقُ المُشهَرَةُ لامِعَةً في المَيادِين، أَيَّتُها الصَّحَفِيُّونَ البَرلَمانِيُّون المُزَوَّرُون (يَا عُملَنِي الصَّدِئَةَ، العَفِنَةَ؛ أَعرِفُكُم)، أَيَّتُها الأَقبِيَةُ السِّرِّيَّةُ، الرَّصَاصُ الحَيُّ، سَرادِيبُ التَّعذِيب[3]، بالخُطوَةِ المُنتَظِمَةِ، اصطَفُّوا في السَّاحَةِ صَفًّا صَفًّا، في وَضعِ الاستِعدَاد، والإِصبَعُ عَلَى الزِّنَاد، في انتِظارِ الأَمرِ الأَخِير، الأَخِير.

---

[3] تلكَ بَعضُ أَسلِحَتِي الدُّنيَوِيَّةِ العَلَنِيَّةِ، عَلَى سَبِيلِ المِثَال، لا الحَصر.
لَم أَختَرِعهَا، بَل جَاءَت إِلَيَّ طَائِعَةً، في لَحظَةٍ استِثنَائِيَّةٍ لا تَتَكَرَّر.
تَعرِفُونَهَا - بِتَفَاصِيلِهَا - جَمِيعًا؛ وَكُنتُم شُهُودًا عَلَيهَا.

إِلَيكَ، هَارِبَةً مِن مِيرَاثِي وَنَفسِيَ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ؛ بَينَ يَدَيكَ، أُلَملِمُ الخُطَى وَالطُّرُقَاتِ الَّتِي تَقَاطَعَت فِي بَصَرِي وَجَسَدِي[1]؛ تَدحُونِي- مِثلَمَا تُرِيدُ- كَطِينَةٍ صَلصَالٍ مِن سَدِيمِ الأَرضِ، مَرأَةً تَهطِلُ فِي كُلِّ المَوَاسِمِ عَلَيكَ لَك، تَنفُخُ فِيَّ، تَبدَأُنِي كَأَنِّي مَا كُنتُ، تُشرِعُنِي عَلَى الجِهَاتِ وَالفُصُول

ذِئبَــةً خَجُــول

---

[1] أَيَّتُهَا الذَّاكِرَةُ المَاكِرَةُ، كَيفَ لِي؟

أَتَكفِي طَعنَةُ سِكِّينٍ لِلنِّسيَان؟ أَم حَبلٌ ذُو أُنشُوطَة؟ أَم شَرَكٌ مُمَوَّهٌ بِالأَغصَانِ فِي دُرُوبِ الغَابَة؟

مَتَى تُطلِقِينَ سَرَاحِي، أَيَّتُهَا الطَّاغِيَةُ الخَبِيثَة؟

فَمَن يَدُلُّنِي عَلَى سُمٍّ نَاقِعٍ بِلاَ تِرِيَاقٍ، أَدُسُّه لَهَا فِي نَومَةِ القَيلُولَة؟ أَو خِنجَرٍ قَاتِلٍ يَعرِفُ بِالغَرِيزَةِ الطَّرِيقَ إِلَى القَلب؟ مَن؟

مِن حِنَّاءٍ وَحَبَّهَانٍ، مِن خَمَاسِينَ وَمَطَر

كُلَّمَا لَمَستَنِي أَهَمِـــر
كُلَّمَا نَسَيتَنِي أَنكَسِر

صَوتُكَ يُشفِي أَوجَاعَ جَسَدِي، نَظرَتُكَ تُرَمِّمُ شُقُوقَ رُوحِي، وَخُطَاكَ تحِيلُنِي حَقلاً مِن زَعفَرَان وَسَهَر

أُوصِدُ أَبوَابِي، إلاَّ وَاحِدًا.. لَك.
أَسُدُّ شَبَابِيكِي، إلاَّ وَاحِدًا تُطِلُّ مِنه عَلَيْ.

مُسَيَّجَةٌ بِصَوتِكَ، لاَ مَسجُونَة، كَأَنِّي اهتَدَيتُ إِلَى الصِّرَاطِ، إِلَى نَفسِي، إِلَيكَ؛ أَيُّهَا المُرَادُ مِن رَبِّ العِبَادِ، اشتَرَيتَنِي مِن نَفسِي وَذَاكِرَتِي، مِن نَزَوَاتِي وَسَرِيرَتِي[2]، فَأَطلَقتَنِي أَركُضُ فِي الجِبَال

وَعلاً بَرِيًّا طَافِرًا عَلَى الجِبَالِ وَالتِّلاَل،
سَوسَنَةً شَهِيَّةً وَسطَ الأَشوَاك،
وَحَبِيبِي حُلوٌ وَمُرٌّ، وَسَرِيرُنَا أَخضَر؛

أَنَا لِحَبِيبِي حَدِيقَتُه السِّرِّيَّةُ[3]، يَحرُثُنِي فَيَقتَلِعَ الحَشَائِشَ الشَّيطَانِيَّةَ، يَغرِسُنِي

---

[2] رَمَيتُهَا جَمِيعًا إِلَى الذِّئَابِ وَالكِلاَبِ الضَّالَّةِ، تَتَلَهَّى بِهَا.
لاَ أُرِيدُهَا، سَئِمتُهَا؛
خَلَعتُهَا كَمَا حِذَائِي البَالِي، وَأَطَحتُ بِهَا- بِلاَ أَسَى- إِلَى الوَرَاء.

[3] حَدِيقَةٌ غَضَّةٌ بَضَّةٌ، لاَ تَعرِفُهَا الجُغرَافيَا وَالزِّرَاعَة.
تَكتَنِزُ الفَوَاكِهَ المُحَرَّمَةَ، وَالطُّعُومَ اللاَّذِعَة.

بِأَشجَارِ رُمَّـــانٍ وَأَعنَابٍ وَقُطعَانٍ هَائِجَةٍ، يَقطُفُنِي فَأَسِيلَ نَهرَ عَسَلٍ وَلَبَنٍ عَلَى يَدَيه وَشَفَتَيه وَسَائِرِ جَسَدِه، يَتَشَهَّانِي أَكثَرَ، يَقطُفَنِي وَيَقطُفَنِي، وَلاَ أَنفَد

حَدِيقَةُ الشَّهَوَاتِ الْمُطلَقَةِ، السَّافِرَة

مُشتَعِلَةٌ، مُستَنفَرَة؛
مُدَجَّجَةٌ، مُتَأَجِّجَةٌ، مُنفَجِرَة؛

لاَ نَومَ، لاَ نِســـيَان

سَادِرَةٌ، تَحفُّنِي الشُّهُبُ وَالشُّمُوسُ الذَّاهِلَةُ، كَأَنِّي عَلَى زِئبَقٍ أَسِيرُ؛ حُلمٌ أَم عِلمٌ؟ يَقَظَةٌ أَم مَنَام؟

مُزدَهِرَةٌ بِلاَ خَرِيف.
وَفِي أَعشَاشِهَا، يَهدِلُ القِمرِيُّ وَالكَرَوَانُ وَعُصفُورُ الجَنَّة.
فِي أَركَانِهَا، يَصَّاعَدُ البخُورُ وَالابتِهَالاَتُ وَالأَذكَار.

فِي الصَّبَاح، ننتظِر.

تَعبَت مِن زِيَارَتنَا الأَحلاَم.
تَعبَ الانتِظَار.
تَعبَ مِن هوَاجِسنَا اللَّيلُ وَالنَّهَار.

تَصنَعُ الوَسَاوِسَ طَائِرَاتٍ وَرَق.
تُلَوِّنُهَا، وتُطلِقُهَا فِي الفَضَاء.
لاَ خَيطَ يُمسِكُهَا، وَلاَ حَنِين.

تَمضِي مَعَ الرِّيحِ، لاَ تَعُود .

نَحنُ مَدِينَةُ النِّسَاءِ وَالأَطفَال .
مَدِينَةٌ مُسَوَّرَةٌ بِجُنُودٍ حَدِيد .
غِيلاَنٌ بِطُولِ النَّخِيل .
طُوَالَ اللَّيلِ، عُيُونُهَا تُطلِقُ الشَّرَرَ وَالوَعِيد .

اختَلَطَ اللَّيلُ بِالنَّهَار؛
لاَ زَمَن .
لاَ شَمسَ، لاَ قَمَر .
صَخرَةٌ وَبِيلَةٌ عَلَى كَاهِلِنَا،
وَفِي الحَلقِ : شَوكَة .

نَأكُلُ العُشبَ الجَافَّ وَالأَشوَاك .
نَشرَبُ الأَسَن .

طَرِيقٌ طَوِيلٌ طَوِيلٌ مِن سَرَاب،
وَرَاءَ سَرَاب.
أَحلامُنَا تَأكَلُهَا العِثَّةُ وَالفِئرَان.
وَالبَقَايَا رَمَينَاهَا إِلَى الكِلَاب.

نَمشِي بِلَا أَقدَام.
نَرَى بِلَا عُيُون.
نَسِيرُ مَحنِيَّاتٍ فِي نَفَقٍ مِن ظَلَام.
إِلَى أَين؟
إِلَى مَتَى؟

أَرتَمِي فِي ظِلِّهَا مِن تَعَبٍ وَأَرَقٍ، كَلِيمَتِي وَفِرَاشِيَ الشَّوكِيُّ، وَمَا فِي الرُّوحِ مَوضِعٌ إِلاَّ وَفِيهِ طَعنَةٌ قَاتِلَةٌ؛

أَيَّتُهَا البَهجَةُ القَصِيرَةُ، المَرِيرَة:

لَكِ انكِسَارُ البَصِيرَة؛

وَلِي أَن أُمَاطِلَ الزَّمَنَ العَصِيَّ حِينًا فَحِينًا، أُرَاوِغُه وَأَرُوغُ مِنه، فِي ظِلِّهَا، فِي جُحُورِهَا السِّرِّيَّةِ (لاَ يَدرِي خَرَائِطَهَا سِوَاهَا، وَهِيَ دَلِيلِي الأَمِين)[1]، إِلَى أَن يَضرِبَ اليَأسُ ضَرَبَتَه القَاصِمَة

أَيَّتُهَا اللُّعبَةُ الظَّالِمَة،

---

[1] فِي كُلِّ مُفتَرَقٍ، تَضَعُ شَمعَةً وَشَارَةً تَدُلُّ عَلَى الاتِّجَاهِ الوَاجِبِ أَن أَسلُكَه. وَمَا إِن أَعبُرَه، حَتَّى تُطفِئَ الشَّمعَةَ وَتَعكِسَ الشَّارَةَ إِلَى طَرِيقٍ خَاطِئ، لِتُضَلِّلَ المُطَارِدِين.

أَنهَكتِنِي، أَنهَكتِنِي؛
وَهَا أَنَا اكتَفَيتُ، حَتَّى المَوت؛

أَيَّتُهَا الشِّيَاهُ اليَائِسَةُ، البَائِسَةُ، هَيَّا[2]؛ إِلَى رَقصَتِنَا المَجنُونَةِ عَلَى الحَافَّةِ، نَتَقَافَزُ، نَقفِزُ فَوقَ الهَاوِيَةِ المَغفُورَةِ، بِالدُّفُوفِ وَالطُّبُولِ وَالأَجرَاسِ، بِالأَعلاَمِ المُلَوَّنَةِ البَالِيَةِ، وَالأَنَاشِيدِ العَبَثِيَّةِ الصَّاخِبَةِ، إِلَى أَن نُزعِجَ الكَونَ الغَافِي وَالكَائِنَاتِ النَّائِمَةَ، وَالغَيبُوبَةَ المُرِيبَة

أَيَّتُهَا الشِّيَاهُ الغَرِيبَة:
إِلَى السِّلاَح، إِلَى السِّلاَح؛
صَوِّبُــوا،
أَطلِقُــوا
فِي كَبِدِ اللَّحظَةِ المُرِيبَة

وَانسَونِي، قَلِيلاً أَو كَثِيرًا، دَهرًا أَو اثنَينِ، بِلاَ لَومٍ أَو عَاطِفِيَّةٍ، كَأَنَّه الفِرَاقُ الأَخِيرُ بَينَنَا[3] (لاَ تَلتَفِتُوا إِلَى الوَرَاءِ، فَتَستَحِيلُوا جَبَلاً سَامِقًا مِن مِلحٍ، أَو غَابَةً مُورِقَةً مِن حَجَر)؛

---

[2] لاَ أَدرِي مِن أَينَ أَتَتنِي هَذِهِ الشِّيَاه، أَو أَينَ عَثَرتُ عَلَيهَا، مُنذُ بِدَايَةِ هَذَا الكِتَاب! وَمَا طَبِيعَةُ هَذِهِ العِلاَقَةِ الغَرِيبَة، كَأَنِّي مَحكُومٌ بِهَا إِلَى النِّهَايَة؟ سَيَتَّسِعُ الوَقتُ– فِيمَا بَعد– لأَبحَثَ كُلَّ هَذِهِ التَّفَاصِيل.

[3] **كَأَنَّــه**؛ فَلاَ تَأخُذُونِي مَأخَذَ الجِد، فَتَتَسوْا "التَّشبِيه".
فَكَلِمَتِي "حَمَّالَةُ أَوجُه" أَو أَقنِعَة.
وَكَثِيرًا مَا يَتَشَابَه عَلَيَّ الوَجهُ وَالقِنَاع؛ لَكِنَّهَا اللُّغَةُ المُرَاوِغَة.

فَأَنَــا قَطرَةُ مَطَــر

مُعَلَّقَةٌ فِي فَضَاءٍ أُرجُوَان؛
لاَ غَيمَتِي تَستَعِيذُنِي،
وَلاَ الأَرضُ تَرضَى بِي؛
لَفظَةٌ مَلعُونَةٌ رَفَضَتهَا الأَبجَدِيَّة،
بِلاَ هَوِيَّــة.

_____

أَرشُفُ الوَقتَ
قَطرَةً مِن خَمر
وَقَطرَةً مِن سُم.

لاَ تِريَاقَ لِي.

إِبرَةٌ فِي كَومَةِ قَش.
أَشعِلُوا النِّيرَان

عِندَمَا استَيقَظتُ،
كَانَ اللَّيل،

وَالدِّينَاصُور.

فِي الظَّهِيرَة،
أَتَمَشَّى وَسطَ الأَطلاَلِ وَالقُبُور،
أُغَنِّي.

أَمسِكُوا بِي أَيُّهَا العَسكَر؛
أَنَا مَن يُزعِجُ المَوتَى.

مَن يَطرُقُ بَابَ جَسَدِي؟
مَن؟
أَفتَح؛
لاَ أَحَد.

سَأَعرِفُ - العَامَ المَاضِي -
أَنِّي سَأُصبِحُ مُفتَرَقَ طُرُق،
بِلاَ شَارَةٍ أَو دَلِيل.

لاَ لَومَ وَلاَ تَثرِيبَ عَلَيَّ، أَيُّهَا السَّادَة.

وَلاَ نَدَم.
أَنَا سَيِّدُ الخَسَارَاتِ الجَمِيلَة.

أَختَرِعُ الصَّمت،
وَأَمحُو الكَلاَم.

رَبَابَتِي بِلاَ وتَر؛
تَأتِينِي بِمَا لَم يَخطُر بِقَلْبِ عُصفُور،
وَلاَ بَشَر.

أَحتَسِي الأَرَقَ المُر
رِشفَةً رِشفَة.
أَحرُسُ العَتمَةَ وَالخَوَاء.
أَحرُثُ الوَقتَ وَالهَبَاء.
أُكَلِّمُ الله وَكَائِنَاتٍ غَابِرَة؛
يَنَامُون فِي حِجرِي،
وَلاَ أَنَام.

وَهوَ يَجتَرُّ كَالْبَقَرِ وَالْغَنَم وَالإِبِلِ، وَيَأكُلُ الحَشِيشَ، لَكِنَّه شَدِيدُ الْعَدَاوَةِ لِلإِنسَانِ إِذَا شَمَّ رَائِحَتَه، أَو سَمِعَ صَوتَه طَلَبَه، فَإِذَا أَدرَكَه قَتَلَه. وَلاَ يَأكُلُ مِنْه شَيْئًا.

الدميري: **حياة الحيوان الكبرى**

بِأَظلاَفِي وقَرنِيَ الوَحِيد، أَحفُرُ قبرًا بامتداد الكون؛ تلكَ مُهمّتِيَ الرّاهنةُ الجَليلةُ (لاَ حَاجَةَ إِلَى مُسَاعَدَةِ أَحَدٍ، أَنَا حَفّارُ القُبُورِ الأَرِيبُ، لَمْ يُعَلّمنِي أَحَدٌ؛ كَأَنَّه الوَحيُ الإِلَهِيُّ، تَوأَمِي)[1]؛ فَابتَعِدُوا أَيُّهَا العَسَسُ الجِنرالاتُ الحَرَسُ الجُمهُورِيُّ الأَمنُ المَركَزِيُّ، أَيَّتُهَا الحَيَوَانَاتُ المَعدَنِيَّةُ اللَّزِجَةُ، ابتَعِدُوا، انقَشِعُوا، افتَقِعُوا بَعِيدًا، بَعِيدًا؛ لاَ حَاجَةَ لِي، بِيَدِي لاَ بِيَدِ عَمرٍو أَو زَيد؛ تلكَ خُطوَتِي الأَخِيرَةُ؛

يَأفُلُ الوَقتُ فِي أَعضَائِي المَرِيرَةِ؛

[1] سَأَضَعُ فِي القَبرِ دَمعَةَ مَاءٍ، وَطَائِرَةً مِن وَرَقٍ، لَهَا خَيطٌ طَوِيلٌ طَوِيل. سَأَضَعُ البُوقَ النُّحَاسِيَّ وَالصَّوَلَجَان. سَأَضَعُ صُورَتِي الرَّسمِيَّةَ، وَرِدَاءَ البَهلَوَانِ المُنتَفِزِ عَلَى الحِبَال. سَأَضَعُ الدُّميَةَ الجَمِيلَةَ الخَائِنَة.

خُسُوفٌ أَوَ كُسُوفٌ مَا،
نَيَازِكُ تَهوِي، وَدُخَانٌ يَصَّاعَدُ صَامِتًا،
فَمِن أَينَ أَتَتنِي الطَّلقَةُ الأَخِيرَةُ؟

هَل خَرَجَت مِن مَكمَنِهَا الرَّصَاصَةُ، أَم استَقَرَّت فِي القَلبِ، بِلا رُجُوعٍ؟ أَكُنتُ نَائِمًا، أَم رَاوَدَنِي حُلمٌ طَوِيلٌ فِي اليَقظَةِ المُرَاوِغَةِ، فَنَفَذَت خِلَالَهُ رَصَاصَةُ الزَّمَنِ الحَنُون؟[2] أَيَّتُهَا الأَهَازِيجُ وَالأَنَاشِيدُ، مِن أَينَ تَأتِين؟ مِنَ الوَهمِ أَم الفَضَاءِ، مِنَ الرِّيحِ أَم المَسَاءُ يُلقِي تَحِيَّتَهُ عَلَى ظِلِّي الغَارِبِ، عِمتَ مَسَاءً أَيُّهَا المَسَاءُ، نَلتَقِي أَو لَا نَلتَقِي، فَعِم مَسَاءً أَخِيرًا،

عِم مَسَاءً ضَرِيرًا؛
لَا يَرَانِي، لَا يَعرِفُنِي،
لَا يَكُونُ مِن آتِي أَو امرَأَتِي،
فَأَنسَلَّ- خِفيَةً- إِلَى سُدَّةِ عَرشِيَ الأَخِيرِ:
كَسِيرًا، مَرِيرًا؛

(2) لَم تَخزُنِي، لَم تَثقُبِ القَلبَ فَجأَةً؛ بَل تَسَلَّلَت إِلَيَّ فِي السِّ، بِطَرِيقَةٍ مُخَادِعَةٍ. كَانَ طَرِيقُهَا مُنعَرِجًا، وَأَحيَانًا خَارِجَ دَائِرَةِ البَصَ، مَعَ استِخدَامِ وَسَائِلِ النُّمُوِّ الحَدِيثَةِ. طَرِيقٌ لَهُ سَرَادِيبُ وَدَهَالِيزُ سُفلِيَّةٌ كَالمَنَاهَةِ.

أَعرِفُ الآنَ، كَانَ الطَّرِيقُ إِلَى **إِيثَاكَا** يَ غَمضَةَ عَينٍ خَاطِفَةً[3]، فَلَم أَنتَبِه؛ فَاجَأَنِي الحُلمُ فِي الفَجرِ، فَلَم أَعرِف الصَّبَاحَ وَالظَّهِيرَةَ وَالأَصِيلَ، فَهَل وَصَلتُ إِلَيهَا - بِدُونِ الطَّرِيقِ - قَبلَ الأَوَانِ؟

لاَ وَقتَ لِلنَّدَمِ.
مَضَى مَا مَضَى؛
أَيُّهَا العَدَمُ

(3) لاكتِشَافِ الدَّلالَةِ وَالعِلاقَةِ، رَاجِع قَصِيدَةَ "**إِيثَاكَا**" لِلشَّاعِرِ اليُونَانِيِّ الشَّهِيرِ قُسطَنطِين كَفَافِيس؛ وَلَهَا تَرجَمَاتٌ مُتَفَاوِتَةٌ؛ لَكِنِّي أَنصَحُ بِمُرَاجَعَةِ تَرجَمَتِنَا لَهَا ضِمنَ "**الأَعمَالِ الشِّعرِيَّةِ الكَامِلَةِ**" لِكَفَافِيس، الَّتِي سَنُصدِرُ ذَاتَ يَومٍ عَن دَارِ نَشرٍ مَا.

غُبَارٌ يَعِيثُ فِي فَرَاغِي، أَم رُفَاتُ الذِّكرَيَات؟ أَيُّهَا البَرَابِرَةُ الجَمِيلُون، الشَّهِيُّون، لِمَاذَا نَسِيتُم مَوعِدِي (ارتَدَيتُ أَبهَى الثِّيَابِ وَالشَّهَوَاتِ كَي أَلِيقَ بِكُم، وَضَعتُ زِينَتِي وَعِطرِي، شَقَقتُ الثَّوبَ عَن مَوَاضِعَ الفِتنَةِ، وَرَفَعتُ أَعلاَمِي عَلَى الأَسوَارِ المُبَاحَةِ)؛ أَيَّتُهَا الخَيبَةُ الحَامِضَةُ، لِمَاذَا تَطرُقِينَ بَابِي فِي الصَّبَاحِ الصَّحوِ؟ دَاخِلِي عِصيَانٌ جَمِيلٌ وَانتِفَاضَةٌ صَاخِبَة[1]؛ مَا الَّذِي يَجرِي؟ أَيُّهَا الشَّغَبُ الغَرِيبُ، مَا أَيقَظَكَ الآن؟ فَهَل آوِي إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ عَابِرَةٍ أُسَمِّيهَا رَجُلاً، أَم أُهِيلُ التُّرَابَ عَلَى الجَمِيعِ، وَأَمضِي عَلَى مَضَضٍ أُغَنِّي غُنوَةً بَضَّةً لَم تَخطُر بِالبَال؟

---

[1] لاَ أَدرِي مَن يَقُودُهُمَا. لاَبُدَّ أَنَّهَا "قِلَّةٌ مُندَسَّة" تَستَهدِفُ تَعكِيرَ صَفوِ الأَمنِ العَام، وَإِربَاكَ المُرُور. هِيَ دَائِمًا تَلكَ "القِلَّةُ المُندَسَّةُ"، المُشَاغِبَةُ، الجَدِيرَةُ بِإِطلاَقِ الرَّصَاصِ عَلَيهَا فِي المَيَادِينِ العَامَّةِ. لَكِنِّي سَأَمُدُّ لَهَا حِبَالَ صَبرِي المَتِينَة.

أَنَا المَرأَةُ القُبَّـــرَة؛

أُرِيقُ غُنوَتِي عَلَى الأَطلاَلِ البَائِرَة؛
أُرِيقُ ذَاكِرَتِي عَلَى البَرَارِي الخَاثِرَة؛
وَأُدِيرُ ظَهرِي لِمَا أَدرِي
عَارِيَةً بِلاَ سُوءٍ، وَضِيئَةً بِلاَ نَدَامَة؛

وَلِي فِي كُلِّ لَيلٍ قِيَـــامَة

أَتَجَلَّى فِيهَا قَطِيعَ نِسَاءٍ بَرِّيٍّ (لاَ يُشبِهُ الوُعُولَ أَو الأَيَائِلَ، بَل أَقرَب إِلَى اللَّبُؤَاتِ فِي عَامِ الرَّمَادَةِ[2])؛ يَكِرُّ لاَ يَفِرُّ، يُقبِلُ لاَ يُدبِرُ، كَجَيشٍ عَرَمرَمٍ مِن لَيلٍ شَرِسٍ لاَ يَعرِفُ الهَزِيمَة

وَكُلُّ هَجمَةٍ شَهوَةٌ أَلِيمَة

بِلاَ نَفَادٍ أَو اكتِفَاءٍ، كَأَنِّي عَطَشٌ يَرتَوِي مِلحًا[3]، كَأَنِّي جُوعٌ يَأكُلُ الهَوَاء

بِـــلاَ عَـــزَاء

فِي ظِلِّكَ أَغفُو، فَتَهُشَّ الكَوَابِيسَ عَن نَومِي، تَحرُسُ أَبوَابِي مِنَ الأَشبَاحِ

---

[2] عَامُ القَحطِ وَالمَجَاعَةِ فِي صَدرِ الإِسلاَم، عَلَى عَهدِ عُمر بن الخَطَّاب؛ وَكَانَ مِنَ الشِّدَّةِ إِلَى حَدٍّ أَن أَوقَفَ الخَلِيفَةُ العَمَلَ بِحَدِّ السَّرِقَةِ الوَارِدِ بِالقُرآن.

[3] كُلُّ قَطرَةٍ تُزِيدُ عَطَشِي، كُلُّ قَضمَةٍ تُضَاعِفُ الجُوع.
لاَ رِيَّ وَلاَ شَبَع.
أَنَا العَطشَى الجَائِعَةُ الأَبَدِيَّةُ، جَسَدِي أَفوَاهٌ مَفتُوحَةٌ أَبَدًا مِن شَرَهٍ، مِن شَبَقٍ، مِنَ انتِظَار.

وَالشَّيَاطِينِ المَاكِرَةِ، فَلاَ يَدخُلنِي سِوَاكَ، وَرَاءَ خُطَاكَ أُوصِدُ الأَبوَابَ بِالطَّلاَسِمِ المَختُومَةِ، أَبذُرُ الرُّقَى تَشرَئِبُّ البَرَاعِمُ فِي الحِينِ، تَصَّاعَدُ أَشجَارًا مِن بخُورٍ وَأَطيَارًا مِن غَمغَمَةٍ مُسكِرَة

فَاهتَبِلنِي؛

كَصَــلاَةٍ فَاجِــرَة

نُجَرجِرُ الأَيَّامَ خَلفَنَا مِن مَكَانٍ إِلَى مَكَان:
جُثَّةً نَازِفَة.
تَرُوعُ الأَرضُ تَحتَ أَقدَامِنَا الرَّاجِفَة.
وَالسَّمَاءُ مُوصَدَةٌ، بِلاَ عُنوَان.

صَهِيلٌ يَنبُتُ عَلَى حَافَةِ الأُفُق.
حَمحَمَةٌ تُورِقُ فِي الأَرَق.

مَن يَدفِنُ الرَّاحِلِينَ فِي الذَّاكِرَة؟
مَن يُشعِلُ الشُّمُوعَ فِي السَّاحَةِ المُقفِرَة؟

تَعَالَوا، جَمِيعًا، بِالأَغصَانِ الخَضرَاءِ وَالسَّعَف؛
تَعَالَوا بِاللُّوتَسِ وَالبَشنِين؛
تَعَالَوا، بِمَا تَبَقَّى مِن ثِيَابِ العِيد القَدِيمَة؛

صَبَاحُ الخَير؛

مَا الَّذِي يَنبِضُ فِي أَحشَائِنَا ؟
مَا الَّذِي يَصرُخُ فِي أَرحَامِنَا ؟

أَحلَامُنَا خَضرَاءُ، حَمرَاءُ، زَرقَاءُ، صَفرَاء .
وَمُلَاءَةُ اللَّيلِ مِن بَنَفسَج .

نَحنُ المَرجُ الأَخضَرُ، يَلعَبُ فِيه الأَطفَال.
نَحنُ السَّاحَةُ المُبَاحَةُ لِلرَّقصِ وَالأَغَانِي.

أَيُّهَا النَّهَارُ: اغسِلنَا مِنَ اللَّيلِ وَالظَّلَام.
اغسِلنَا مِنَ اليَأسِ وَالغبَارِ، أَيُّهَا النَّهَار.

سَيَطرُقُ بَابَنَا ذَاتَ صَبَاح؛
يَرقُصُ وَيُغنّي فِي السَّاحَة؛
وَذَاتَ صَبَاحٍ سَيَطرُقُ البَاب.

حِينَ قَدَّت قَمِيصِي مِن قُبُلٍ، أَفسَحتُ لَهَا؛ فَالتَقَمَته عَن بَكرَةِ أَبِيهِ وَأُمِّه[1]؛ أَسبَحُ فِي هَوَاءٍ مُضَاءٍ بِاليَنسُونِ وَالحَبَّهَانِ، أَم أُرَفرِفُ فِي مَاءٍ مِن زُهُورِ القَطِيفَةِ؟ مَا الَّذِي يُوَهوِهُ أَو يُهَمهِمُ أَو يُحَمحِمُ أَو يُغَمغِم؟ مَا الَّذِي قَالَه السِّيُوطِيُّ وَالتِّيفَاشِي وَأَحمَدُ بنُ سُلَيمَانِ الشَّهِيرُ بِابنِ كَمَال بَاشَا، إلَخ..؟ طَافِيًا مُرَفرِفًا فِي بُحَيرَةٍ سَاخِنَةٍ مِن تَرَاتِيلَ بُرتُقَالِيَّةٍ، فِي غَيمَةٍ دَافِئَةٍ مِن تَرَانِيمَ بَنَفسجِيَّةٍ؛ فَمِن أَينَ يَأتِي النَّايُ وَالأُرغُول؟ مِن أَينَ يَأتِي الرَّفِيفُ وَالحَفِيفُ؟ مَا الَّذِي يَعُضُّنِي أَو يَقضُمُنِي فِي خَدَرِي؟ نُجُومٌ تَنبُتُ- عَلَى استِحيَاءٍ- فِي ظَهِيرَةِ

---

[1] قَالَت لِي- فِيمَا بَعد- إنَّهَا كَانَت جَائِعَةً، لَكِنَّه كَانَ مُرًّا يَلذَعُ الحَلقَ؛ فَوَضَعَت عَلَيهِ حِفنَةً مِنَ السُّكَّرِ لِيُصبِحَ سَائِغًا.
وَفِي المَرَّاتِ التَّالِيَةِ، اعتَادَت عَلَيهِ كَمَا هُو، بِلاَ سُكَّر؛
بَل أَحَبَّت لَذعَتَه الَّتِي تَبعَثُ فِي أَعمَاقِهَا بِالقُشَعرِيرَة.

البَصِيرَة، وَشَمسٌ أَلِيفَةٌ تَتَمَسَّحُ بِفِرَائِهَا القَطِيفِيِّ بِسَاقِي العَارِيَة

لَحظَةٌ هَارِبَةٌ، مِن حِنَّاءٍ وَحَنِين؛
تَمُوجُ أَو تَرُوغُ،
تَفِرُّ أَو تَكِر،
لاَ تَلوِي عَلَى شَيءٍ،
ثُم تَرتَمِي عَلَى العُشبِ الطَّرِي

أَنتِ قَارِبِي السِّرِّيُّ، يَمضِي بِلاَ مِجذَافٍ إِلَى جُزُرِ العَقِيقِ وَالمُرجَانِ، إِلَى مَمَالِكِ الجَانِ بِلاَ كَلِمَةِ سِرٍّ، لاَ أَدرِي، لاَ تَقُولِين، تَحُومُ حَولِيَ النَّوَارِسُ مُشرَعَةَ المَنَاقِيرِ، تَحُفُّ بِي الأَسمَاكُ وَالسَّرَاطِينُ الجَائِعَةُ، أَرمِي لَهَا الفُتَاتَ، مَا الَّذِي أَتَى بِالدَّلاَفِين؟[2] يَصعَدُ بِي إِلَى غَيمَةٍ غَابِرَةٍ فَأَغُوصَ إِلَى القَاعِ، يَهبِطُ بِي إِلَى الأَغوَارِ فَأَرقَى سُلَّمًا حَجَرِيًّا إِلَى الأَعَالِي الوَامِضَة

كَائِنَاتٌ شَرِهَةٌ غَامِضَة
تَقرِضُنِي، تَمُصُّنِي رُوَيدًا،
تَدُسُّ فِي جَسَدِي لُهَاثَهَا البَلِيل؛

---

[2] لَم تَتَحَرَّش بِي؛
كَانَت تَتَرَاقَصُ وَتَتَقَافَزُ مَرِحَةً لاَهِيَةً، وَهِيَ تَغمِزُ لِي بِعَينِهَا اليُسرَى.
لَم تَقُل شَيئًا، وَلاَ قُلت؛
لَكِنَّ قَفزَتَهَا الأَخِيرَةَ فِي الأَعمَاقِ كَانَت مُثِيرَةً لِلرِّيبَة، وَشَكَّلَت عَلاَمَةَ استِفهَامٍ شَائِكَة.

أَمواَجٌ وَحشِيَّةٌ تَتَلاَعَبُ بِي، بِلاَ حِيلَةٍ، مِجذَافِي يَشُقُّ الأَعمَاقَ، يَضرِبُ القَاعَ الرَّخوَ[3]، إِلَى أَينَ يَا الدَّلاَفِين السَّرَاطِينُ المَخبُولَةُ، هَل سَرَابٌ مِن عَسَلٍ وَلَبَنٍ، أَم كُثبَانٌ مِن مَاءٍ يَمُوجُ؛ مَا الَّذِي يَلذَعُنِي يَلدَغُنِي، يَعُضُّنِي يَعقرُنِي؛ أَطفُو أَم أَغُوصُ، أُرَفرِفُ أَم أَسبَحُ، أَيُّهَا اليَقِينُ الضَّالُّ؛ لاَ خَرَائِطَ أَو مُرشِدِين؛

فَأَينَ أَنتِ،

يَا سَــيِّدَةَ العَــالَمِين

---

[3] لاَ مَفَرَّ– لِلأَسَفِ– مِن التَّشبِيه؛
كَأَنَّه قَاعٌ مِن القَطِيفَةِ البَلِيلَةِ، يَقطُرُ دِفئًا مِن عَسَلٍ؛
أَو كَأَنَّه بُحَيرَةٌ سِرِّيَّةٌ مِن عَسَلٍ سَاخِنٍ، يَمُوجُ فِي غُمُوضٍ؛
أَو كَأَنَّه حُضنٌ مِنَ وَردٍ أَحمَرَ وَأَزرَقَ مُبَلَّلٌ بِالنَّدَى وَالأَرِيج.

_____

مَدينَـةٌ بَائـدَة؛
قُطعَانٌ بِلاَ بَصيرَة أَو بَصَر
تَرقُصُ فَوقَ الحَافَّةِ الحَاقَّة؛
تَهدِلُ أَو تَبتَهِلُ إِلَى إِلَه غَامِضٍ
وَسَمَاءٍ مُوصَـدَة.

فِي بَرِّيَّة الرُّوح،
تَركُضُ أَسرَابُ خُيُولٍ بَرِّيَّة.

لاَ صَهِيـل.

جَسَدِي حَزِين.
أُغلَقَ أَبوَابَه وَنَوَافذَه،
قَطَعَ خَطَّ الهَاتِف،
وَعَلَى السَّطح:
رَفَعَ رَايَةً سَـوداَء.

الرُّوح:
حَقلٌ مُورِقٌ مِن أَشجَارِ الأَرَق.

مَدِينَةٌ من أَطلاَل:
جُثَثٌ يَغَطِّيهَا ذُبَابٌ، صَرخَاتٌ مُعَلَّقَةٌ، دُخَانٌ، رَائِحَةُ دَمٍ وَمَنِي،
حِدأَةٌ تَحُومُ، فَأرٌ يُرهِفُ السَّمعَ، فَحِيحٌ مَا، ذَاكِرَةٌ مَبقُورَةٌ، وَبُقعَةُ
دَمٍ عَلَى الملاَءَةِ البَيضَاء.

حَينَ تَختَلِطُ الطُّرقَاتُ عَلَى خُطوَاتِي،
أَنتَصِبُ فِي المُفتَرَق.
تَرَانِي الطُّيُور: شَجَرَة،
وَتَبتَنِي أَعشَاشَهَا فِي أَغصَانِي.

أُثقِبُ الذَّاكِرَة.
أُفرِغُهَا جَنبَ الحَائِط.
أَغسِلُهَا مِنَ البَقَايَا العَالِقَة.
وَأُمضِي،
عَلَى قَلَقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحتِي.

لاَ أُمُّهَا السَّادَةُ،
لَيسَ السُّمَّ الَّذِي جَرَعتُه بِالأَمس،
لَيسَت امرَأَتِي الَّتِي يَنكَحُهَا - فِي أَحلاَمِهَا - الأَصدِقَاء؛
لَيسَت العُصفُورَةَ الَّتِي فَرَّت مِن حُضنِي.

فَمَن الَّذِي وَضَعَ الخِنجَرَ فِي يَدِي؟

أَتَمَشَّى عَلَى خَطِّ الزَّوَالِ الهُوَينَى.
جُيُوبِي مَثقُوبَـةٌ،
وَقَلبِي مُشرَعٌ عَلَى الجِهَاتِ الأَربَع.

أَيْنَهَا الخَافَتُ، مَنَى؟ لاَ طَعنَةَ فِي الظَّهرِ أَو مُفَاجَأَةً: كَأَنَّكَ الوَحيُ الإِلَهِيُّ أَو شَجَرَةُ التُّفَّاحِ المُحَرَّمَةُ، قَضَمتُكَ فَعَرَفتُ؛ استعَدنا غَدًا ذَاكِرَةَ الزَّغَارِيدِ وَالحُلمِ، رَأَينَا غَدًا العُرسَ الجَمَاعِيَّ؛ فَمَن يَغفُو الآنَ فِي ظِلِّي، مَن يُبَلِّلُنِي بِمَاء الآسِ وَالمَغفِرَة؛

أَيَّتُهَا السَّاعَةُ السَّافِرَة،

أَسفِرِي عَنِ السَّاعَةِ المَاطِرَة؛

عَرَقٌ وَغُبَارٌ وَطُيُورٌ أَبَابِيلُ وَإِسرَافِيلُ بِالصُّورِ، وَقَرنِي مَفلُولٌ بَلِيدٌ، مَا الَّذِي يُوَسوِسُ لِي؟ عَرَفتُ فَانهَمَرَ المَطَرُ البُرتُقَالِيُّ عَلَى شَعرِي، صِرتُ بُستَانَ بُرتُقَالٍ، تَقطُفُنِي فِي كُلِّ آن؛ يَصَّاعَدُ الصَّهِيلُ فِي الحَارَاتِ، فِي الأَزِقَّةِ، فِي الشَّوَارِعِ وَالمَيَادِينِ، وَفَوقَ السُّطُوحِ رَايَةٌ مُلَوَّنَة؛ فَنَامِي قَلِيلاً أَيَّتُهَا

اليَانِعَةُ المَقطُوفَةُ، نَامِي، أَنتِ مَوعِدِيَ الآجِلُ العَاجِلُ لاَ يَخِيب

حُلُمٌ أَم بَصَرٌ حَدِيد؟

فِي دَاخِلِي الطَّوَاحِينُ لاَ تَنَامُ، تَطحَنُ الأَيَّامَ وَأَشلاَءَ الذِّكرَيَاتِ، لاَ تَنَامُ؛ عَلَى أَصَابِعِكَ النَّحِيلَةِ يَهمِي عَصِيرِي المُسكِرُ، عَلَى شَفَتَيكَ، يُبَلِّلُكَ بِي؛ نصعَدُ التَّلَّ فَالجَبَلَ الوَعرَ، وَالأَشوَاكُ تُدمِي حَفَاءَنَا، نصعَدُ نصعَد؛ أَيَّتُهَا النَّائِمَةُ فِي أَنحَائِي، المُوغِلَةُ فِي دَمِي، لَكِ السَّلاَم

كُوَّةٌ مِنهَا أَرَاك،
تَأتِي خَفِيفًا طَفِيفًا بِلاَ صَدَى.
وَظِلُّكَ الوَاثِقُ يَفرِشُ المَدَى؛

فَكَفَى، أَيَّتُهَا الطَّوَاحِينُ المَشئُومَةُ، أَنتِ غَرِيمِي الأَخِيرُ، سَيفٌ صَدِئٌ مَغرُوسٌ فِي ظَهرِي بِلاَ رَحمَةٍ؛ أَنَا بُرتُقَالَةُ الشَّهوَةِ، مِن أَجلِكَ تَستَدِيرُ حَوَافِّي وَتَنحَنِي، تَبتَهِلُ وَتَرتَجِلُ نَزَوَاتٍ زَرقَاء؛ أَيُّهَا الحَرِيرُ، لِمَاذَا تُدمِي خُطَانَا؟ أَيُّهَا النَّسِيمُ، لِمَاذَا تَجرَحُ أَحلاَمَنَا؟ أَنَا النَّخلَةُ تُسَاقِطُ الرُّطَبَ الجَنِيَّ عَلَيكِ، أَنَا الشَّجَرَةُ أَمُدُّ ظِلِّي غَيمَةً تَقطُرُ النَّدَى فِي الظَّهِيرَة؛

أَيُّهَا الوَجهُ الغَرِيب،
القَادِمُ مِنَ ضَبَابِ الذَّاكِرَة،
عَلَيكَ السَّلاَم؛

طَنِينٌ مِنَ الجَحِيمِ أَمْ وَقْعُ خُطَى غَامِضَةٍ يَحبِسُنِي فِي جَسَدِي؟ أَكُلَّمَا انهَمَرتُ امتَلأتُ فَانهَمَرتُ، أَكُلَّمَا ارتَوَيتُ صَلَّيتُ إِلَى فَيَضَانٍ جَارِفٍ؟ طَرِيقُنَا خَيطُ دَمٍ نَحِيلٌ مِنَ الفَجرِ إِلَى الفَجرِ، وَالخُطَى تُورِقُ باللُّوتَسِ وَالبشنِين؛ أَيَّتُهَا المَرأَةُ بِلاَ حَنِينٍ، أَنتِ غُفرَانِي الآجِلُ، صَلاَتِي الكَافِرَة

حَمحَمَةٌ غَائِرَة

تَنبُتُ فِي مَسَامِّ النِّسيَان؛

تَنجَلِي- فِي لَحظَةِ الضَّلاَلِ-

بُستَانًا مِنَ الرُّؤَى الحَائِرَة؛

جَسَدِي زِنزَانَةٌ حَدِيدٌ، أَنَا السَّجِينُ الأَبَدِيُّ، مَن يُطلِقنِي؛ أَنتَ آيَتِي وَبُرهَانِي، بَرَاءَتِي بِالأَلوَانِ السَّبعَةِ مَنشُورَةٌ عَلَى أَبوَابِ جَسَدِي؛ فَهَل أَجسَادُنَا رَقصَةٌ بَازِغَةٌ، أَم بُستَانٌ سِرِّيٌّ مِن بِشَارَاتٍ وَسَفَر؟ لَوَّنتُكِ بِزُرقَةِ السَّمَاءِ، بِشَهوَةِ المَرأَةِ الحَرُونِ، وَأَطلَقتُكِ بَينَ اليَابِسَةِ وَالمَاءِ تَركُضِين؛ أَيُّهَا السَّجَانُ اللَّئِيمُ، أَنَا الزِّنزَانَةُ وَالسَّجِينُ، أَنَا الوَهمُ وَاليَقِين؛ لَكَ انتَزَعتُ أَشوَاكِي، خَلَعتُ أَنيَابِي، رَوَّضْتُ عَفَارِيتِي وَزَوَابِعِي؛ لِمَن تَدُقُّ الطُّبُولُ، أَيَّتُهَا الرَّقصَةُ المَجنُونَةُ، هُبِّي فِي أَعضَائِنَا النَّائِمَةِ، حَتَّى مَطلَعِ الفَجرِ؛ صَنَعتُ لَكِ جَنَاحًا مِن عَقِيقٍ وَجَنَاحًا مِن لاَزَورد، وَشَمْتُكِ بِاسمِي، وَقُلتُ انطَلِقِي إِلَى البَرَاح.

حَبْـو

(قصـائد أولَـى)

حَبْـو

(قصـائد أُولَـى)

أعترف بأنني لستُ أسطورة، لستُ رمزًا أو فانتازيا؛

شـاعر، لا أكثر ولا أقل!

ولكل شاعر طفولةٌ ما في الكتابة (فهل يخجل المرء من طفولته؟ هل يخفيها ويتنكر لها؟ هل يكبتها في ذاكرته إلى حد النَّفي؟ ذلك ما يفعله الكثيرون في الخفاء). لكل شاعر- كأي طفل عادي- حبوه ليكتشف الأرض بجسده ويديه، ثم البحث عما يستند إليه ليقف على قدميه، ثم خطواته الأولى المترددة، المتعثرة، الواهية.

ولأني لستُ أسطورة، لست رمزًا أو فانتازيا، فإنني لا أخجل من طفولتي ومراهقتي الشعرية، التي يمر بها جميع الشعراء على وجه البسيطة، بلا استثناء. لا أنكرها وأخفيها بعيدًا عن العيون، بحثًا عن تأسيس صورة وهمية. هي جزءٌ حميمٌ مني ومن تاريخي، لا يمكن حذفه أو استبعاده (وإلا

كان الزيف، والافتعال، وتشويه السياق، هو النتيجة الحتمية)، بل كان لابد من خروجه إلى النور ذات يوم، أو كتاب.

هي القصائد التي تسبق ديوان "**وردة الفوضَى الجميلة**" مباشرةً، أو التي أفضت إليه؛ قصائد السنوات الأولى من السبعينيات التي لم يُنشر منها إلا قصيدتان أو ثلاث. وقد كُتبت جميعًا خلال سنوات الدراسة الجامعية، بكلية الآداب، جامعة القاهرة؛ مرحلة الاكتشافات الشعرية الباهرة بالنسبة لي، أنا القادم ببراءة- آنذاك- من القصيدة "العمودية" ذات المزاج الرومانتيكي.

أما ما يسبق هذه المرحلة من قصائد، فهي القصائد التقليدية، "العمودية"، التي بدأت عام 1967، ونُشرت منها- في مجلة "**الأديب**" البيروتية قصيدتان، ونُشرت منها- في ديوان "**الغربة والانتظار**" المشترك مع حلمي سالم- عدد أكبر.

ورأيت أن العودة إلى قصائد هذه المرحلة- الابتدائية- يمكن أن يكون تزيدًا، ومبالغة في التوثيق، لا أكثر.

هكذا، يتكامل السياق الإبداعي وينضبط، منذ البداية الأولى حتى هذه اللحظة، بلا فجوات أو علامات استفهام أو تعجب معلقة.

القاهرة: 16 أغسطس 2013

في انتظار ريَــاح الصُّبح

يَا رِيحَ الصُّبحِ الآتِي..
إِنِّي مُنتَظِرٌ فِي الطُّرقَات.
النَّجمُ الأَوحَد غَاب
وَالشَّوكُ بِحَلقِي، وَشِفَاهِي
تَقتَاتُ المِلحَ، وبِالأَعصَاب
نِيرَانُ حَرَائِقَ لاَ تَخبُـــو.

يَا رِيحَ الصُّبحِ الآتِي
أَسلَمتُ اللَّيلَ أَنَاشِيدِي
وَرِيَاحُ اللَّيلِ تُذَرِّيهَا
لِكُهُوفِ الصَّمتِ المَهجُورَة
لِثُلُوجِ الوِحدَةِ تُضنِيهَا..
وَتُحِيلُ الأَحرُفَ بِضعَ رُفَات.

يَا رِيحَ الصُّبحِ الآتِي
أَقبِل.. فَدُرُوبِي مَسدُودَة
يَملأهَا كُلُّ الأَموَات
أَقبِل.. وَلتَعصِف بِكِيَانِي
عَرِّينِي..
حَتَّى أَرجعَ طِفلاً أَهوَج
يَهوَى الحَلوَى وَالضَّوضَاء
مَزِّق ثَوبِي.. أَبدِلنِي ثَوبًا آخَر..
أَو..
فَارمِينِي فِي سِردَابِ المَوتِ المعتِم
كَي أَتَحَطَّم
كَي أَتَمَزَّقَ أَشلاَءً
فِي كَهفٍ أَسوَدَ يَذخَرُ بِالأَشلاَء
انثُرنِي مِزَقًا وَأَبَادِيدَ عَلَى الطُّرقَات
كَيمَا تَذرُونِي رِيحُ اللَّيلِ العَمياء
اسحَقنِي..
بَدِّدني..
كَقُصَاصَةَ وَرَقٍ فِي كَفِّ الرِّيح الحَمقَاء.
أَسلِمنِي لِلإِعصَارِ وَلِلطُّوفَانِ وَلِلبُركَان
اقذِف بِي فِي حضنِ البُركَان
حَتَّى- حِينَ يُنَادِي الصُّبحُ عَلَينَا-
أَغدُو طُهرًا.. وَنَقَاءً..

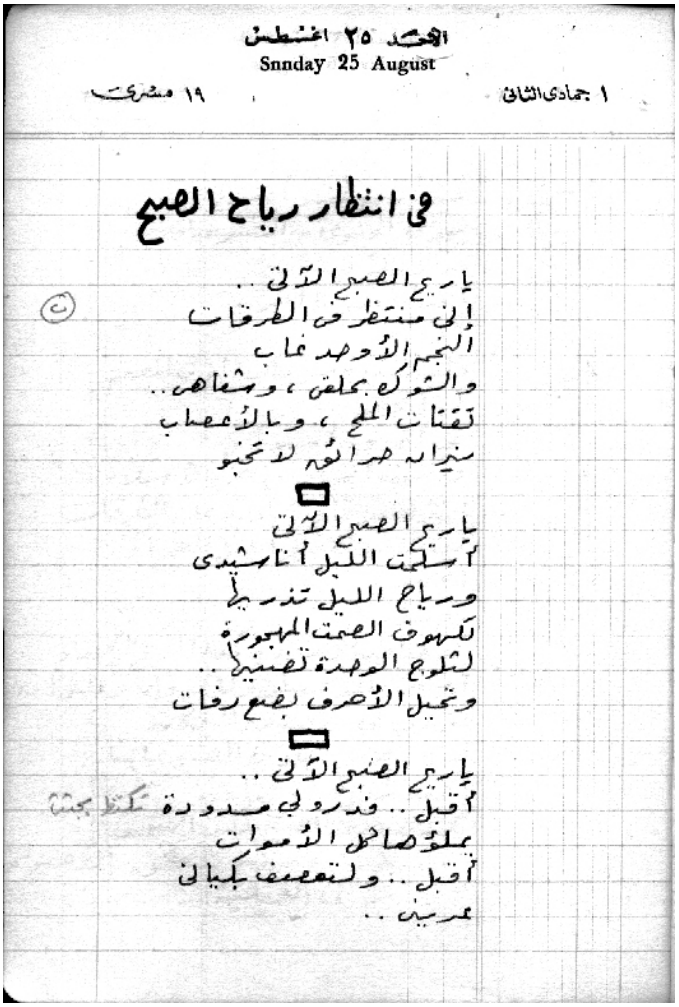
الأحد ٢٥ اغسطس
Snnday 25 August
١٩ مشرق
١ جمادى الثاني

في انتظار رياح الصبح

يا ريح الصبح الآتي ..
إني منتظرٌ في الطرقات
النجم الأوحد غاب
والشوك يحلق ، ويشاهد ..
تقتات الملح ، وبالأعصاب
سنراه هذا الليل لا تخبو

يا ريح الصبح الآتي
أسلمت الليل أناشيدي
ورياح الليل تذريها
لكهوف الصمت المهجورة
لشلوح الوحدة تضنيها ..
وتحيل الأحرف بضع رفات

يا ريح الصبح الآتي ..
أقبل .. فدروبي مسدودة
بملوحة ساحل الأموات
أقبل .. ولتعصف بكياني
عمرين ..

يَحمِلُنِي خَيطُ الصُّبحِ لِكَفِّ الشَّمس
أَحضُنُهَا.. تَحضُنُنِي.. نَتَعَانَقُ بِالأَضوَاء
تَمسَحُ أَحزَانِي اللَّيلِيَّة..
تَفتَحُ لِي دَربًا وَطَرِيقًا..
عَبرَ درُوبِ الشَّوكِ السَّوداء..

يَا رِيحَ الصُّبحِ الآتِي..
إِنِّي مُنتَظِرٌ فِي الطُّرقَات.
النَّجمُ الأَوحَدُ غَاب
وَالشَّوكُ بِحَلقِي، وَشِفَاهِي..
تَقتَاتُ المِلحَ، وَبِالأَعصَاب
نِيرَانُ حَرَائِقَ لاَ تَخبُو..
هَل تَأتِين..
يَا رِيحَ الصُّبحِ الآتِي.. هَل تَأتِين..؟

إِنِّي مُنتَظِرٌ فِي الطُّرقَات.

الخميس 28 أكتوبر 1971

في انتظَــار طائر لاَ يأتي

يَا طَيرَ الحُبِّ الأَوحَد..
إِنِّي مُنتَظِرٌ خَارِجَ كُلِّ الأَزمَان
خَارِجَ كُلِّ الأَلقَاب
حَتَّى- حِينَ تَعُودُ إِلَيْ-
تَبدَأَ فِيَّ الزَّمَنَ الأَوَّل
تَغرِسَ فِيَّ اللَّقَبَ الأَوَّل
أَبدَأَ عُمرًا أَولَ يَسكُنُ قَلبَ الأَشيَاء.

يَا طَيرِي الأَوحَد..
يَا طَيرًا فَقَد طَرِيقَ الشَّمسِ وَغَابَ مَعَ الظَّلمَاء
يَا طَيرًا يَشرَبُ لَيلاً أَسوَدَ.. حَتَّى المَوت
لاَ يَأتِي.. أَو يُنبِئُ لَو خَيطُ شُعَاعٍ عَن خُطوَاتٍ أُولَى..
تُسلِمُنِي لِلشَّمسِ وَلِلأَضوَاء..
إِنِّي مِثلُكَ أَغرَق.. أَشرَبُ مَوجَ اللَّيلِ الأَسوَدَ حَتَّى المَوتِ، فَلاَ يَأتِينِي

خَيطُ ضِيَاء..
أَسلَمتُ اللَّيلَ سِنِين العُمرِ العِشرِين..
بَعثَرتُ العُمرَ المَاضِي فِي الأَرجَاء..
حَتَّى- حِين تَعُودُ إِلَيَّ شَرِيدًا عَرَفَ طَرِيقِ الضَّوء-
أَبدَأ عُمرًا آخَرَ.. طِفلاً آخَر
طُهرًا.. وَصَفَاء..

يَا طَيرِي الأَوحَد..
إِن مَرَّ العُمرُ بِدُونِ لِقَائِك..
فَالعُمرُ هَبَـــاء..
إِن مَرَّ العُمرُ بِدُون عِنَاقِك..
انطَفَأَ النَّجمُ البَاقِي فِي الأَرجَاء
عَانَقتُ الوِحدَةَ وَالأَصدَاء
أَسلَمتُ اللَّيلَ عَصَا التِّسيَار
نَادَمتُ الظُّلمَةَ وَالأَنوَاء..
إِن مَرَّ العُمرُ وَلَم يُشرِق صُبحٌ بِضِيَائِك
إِن مَرَّ العُمرُ وَلَم تَغسِلنِي قَطَرَاتٌ مِن فَيضِ عَطَائِك
بَعثَرتُ نَشِيدَ الشَّوقِ عَلَى الطُّرقَات
ذَرَّيتُ أَنَاشِيدِي البَيضَاء
وَهَوَيتُ لِوَادِي المَوتِ المُعتِم
كَي أَغدُو بَعضَ رُفَات.
وَلأَنَّكَ يَا طَيرِي الأَوحَد
الأَمَلُ البَاقِي فِي الدَّيجُور..

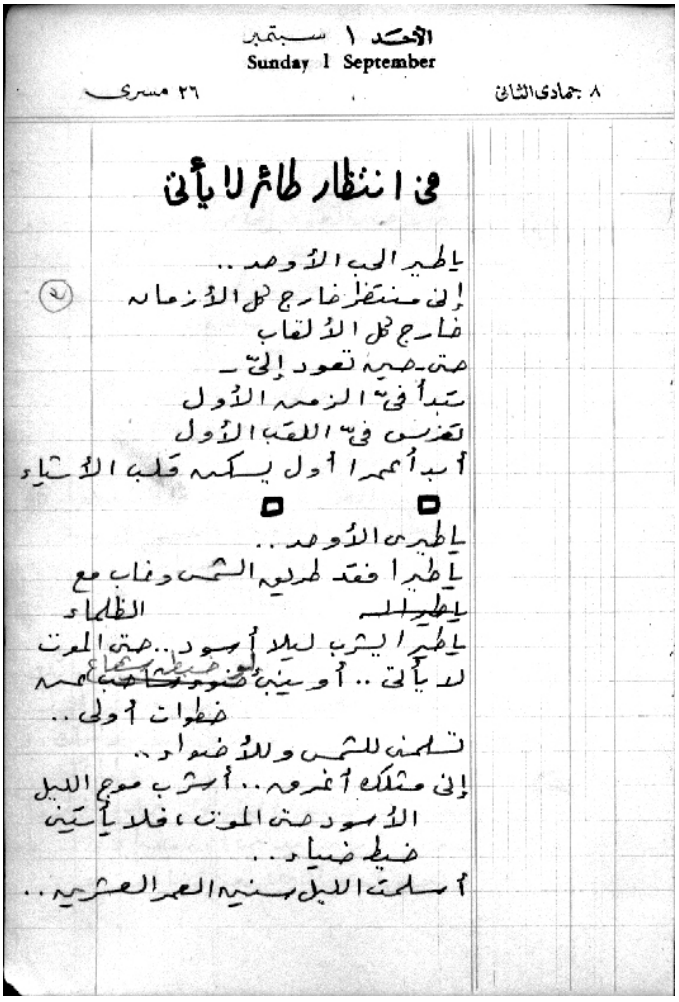
الأحد ١ سبتمبر
Sunday 1 September
٨ جمادى الثاني ٢٦ مسرى

في انتظار طائر لا يأتي

يا طير الحب الأوحد..
إني منتظر خارج كل الأزمانه
خارج كل الألقاب
حتى حين تعود إليّ -
تبدأ في الزمن الأول
تعزف في اللحن الأول
أبدأ عمرا أول يسكنه قلب الأشياء

يا طير الأوحد..
يا طيرا فقد طريقه الشمس وغاب مع
يا طير الليل الظلماء
يا طير الشرق لبلاد أسود.. حتى الموت
لا يأتي.. أو سيئ [illegible]
خطوات أولى..
تعلمت للشمس وللأضواء..
إني مثلك أغرد.. أشرب مع الليل
الأسود حتى الموت، فلا يأتيه
ضيف ضياء..
أسلمت الليل سنيه العمر العشرين..

وَلأَنَّكَ يَا نَجمِي الأوحَد
الدِّفءُ البَاقِي فِي كَهفِ الصَّمتِ المَهجُور
أَعدَدتُ القَلبَ خَمِيلَةَ حُب
كَي تَغفُو فِيهَا حِين تَؤُوب..

كَي تُلقِي فِيهَا أَشجَانَ التَّرحَال،
وَتَمسَحَ عَن أَهدَابِك..
أَحزَانَ الرِّحلَةِ.. حِينَ تَؤُوب
وَفَرَشتُ الهُدبَ وِسَادَةَ حُب
وَفَرَشتُ القَلبَ بِسَاطَ حَرِير
كَي تَخطُو فِيه الخَطوَ الأَوَّل..
فَتُزَعرِدَ كُلُّ الأَنحَـــاء.

يَا طَيرَ الحُبِّ الأَوحَد
إِنِّي مُنتَظِرٌ خَارِجَ كُلِّ الأَزمَان
خَارِجَ كُلِّ الأَلقَاب
حَتَّى حِين تَعُودُ إِلَيْ..
تَبدَأَ فِيَّ الزَّمَنَ الأَوَّل،
تَغرِسَ فِيَّ اللَّقَبَ الأَوَّل..
أَبدَأَ عُمرًا أَوَّلَ يَسكُنُ قَلبَ الأَشـيَاء.

الإثنين 1 نوفمبر 1971

انتظَــار...

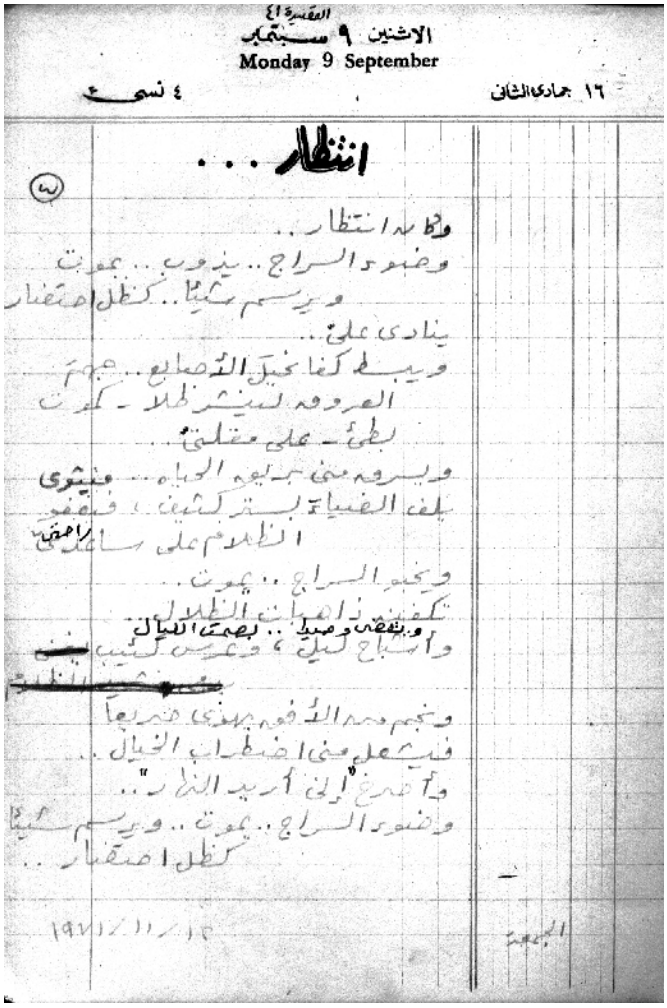

وَكَانَ انتِظَــار..
وَضَوءُ السِّرَاجِ.. يَذُوبُ.. يَمُوتُ
وَيَرسُمُ شَيئًا.. كَظِلِّ احتِضَــار

يُنَادِي عَلَيْ..
وَيَبسِطُ كَفًّا نَحِيلَ الأَصَابِعِ.. جَهمَ العُرُوق
لِيَنشُرَ ظِلاًّ- كَمَوتٍ بَطِيءٍ- عَلَى مُقلَتَيْ..
وَيَسرِقَ مِنِّي بَرِيقَ الحَيَاة..
يَلُفُّ الضِّيَاءَ بِسترٍ كَثِيفٍ..
فَيَثوِي الظَّلاَمُ عَلَى رَاحَتَيْ.
وَيَخبُو السِّرَاجُ.. يَمُوت..
تُكَفِّنُه ذَاهِبَاتُ الظِّلاَل..
وَيَقضِي وَحِيدًا.. بِصَمتِ اللَّيَـال
وَأَشبَاحُ لَيلٍ، وَعُرسُ كَئِيبٌ
يُعَربِدُ فِيَّ، وَيُنشِدُ لَحنَ الظَّلاَمِ الأَخِير
وَنَجمٌ مِنَ الأُفقِ يَهوِي صَرِيعًا
فَيُشعِلَ مِنِّي اضطِرَابَ الخَيَال..
وَأَصرُخُ: "إِنِّي أُرِيـــدُ النَّهَار"...
وَضَوءُ السِّرَاجِ يَمُوت..
وَيَرسُمُ شَيئًا كَظِلِّ احتِضَار.

الجمعة 12 نوفمبر 1971

مَـــتَى..؟

إِنَّا حَلُمنَا.. يَا رِفَــاق..
بِحَدَائِقِ الشَّمسِ الصَّبِيَّة..
بِمَدَائِنٍ لاَ تَعرِفُ المَوتَ الجَدِيب
فِي كُلِّ هُدبٍ يَزرَعُ الأَشوَاكَ.. وَالحُزنَ المَرِير
يَغتَالُ فِي القَلبِ الغَرِير..
أشوَاقَنَا.. أَحلاَمَنَا.. وَبَرَاءَةَ الأَطفَالِ وَالحِس الطَّهُور..
وَيُبَعثِرُ الآمَالَ مِنَّا لِلرِّيَاحِ، وَبِالصُّدُور
يَنسَابُ نَهرٌ لِلثُّلُــوج..

إِنَّا حَلُمنَا.. يَا رِفَاق..
بِالضَّوءِ يُورِقُ فِي العُيُونِ حُقُولَ طِيب
إِنَّا حَلُمنَا أَن نَرَى- لَو لَحظَةً- ضَوءَ القَمَر
لَو خَيطَ ضَوءٍ.. لَو شُعَاع..
لَكِن شُمُوس مَدِينَةِ الأَصدَاءِ وَالأَشبَاح

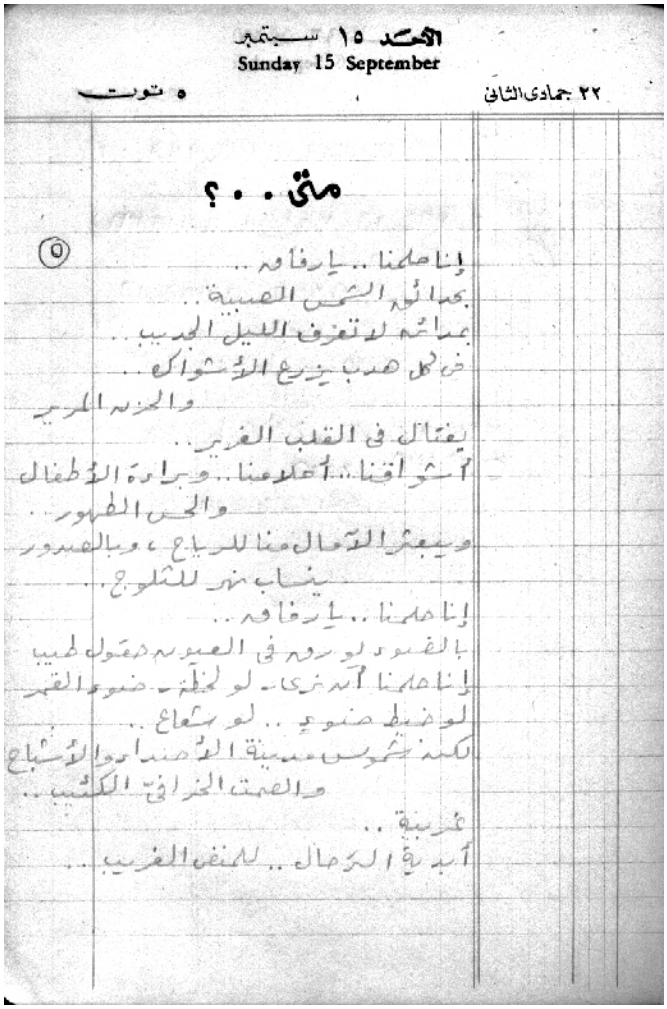
الأحد ١٥ سبتمبر
Sunday 15 September
٢٢ جمادى الثانى
٥ توت

متى . . ؟

إنا حلمنا .. يا رفاقه ..
بجمالها الشمس الصبية ..
بمدائنٍ لا تعرف الليل الجديب ..
في كل هدب يزرع الأشواك ..
والحزن المريب
يغتال في القلب الغرير ..
أشواقنا .. أحلامنا .. وبراءة الأطفال
والحس الطهور ..
ويبعثر الآمال منا للرياح ، وبالصدور
ينساب نهر للشلوح ..
إنا حلمنا .. يا رفاقه ..
بالغيد لو رقصت في العيون دقول لحبيب
إنا حلمنا أنك ترى .. لو لحظة .. ضوء القمر
لو خيط ضوء .. لو شعاع ..
لكنه يحرس مدينة الأصداء والأشباع
والصمت الخرافي الكئيب ..
غربية ..
أبدية الرمال .. للمنفى الغريب ..

وَالصَّمتِ الخُرَافِيِّ الكَئِيب..

غَربِيَّـــةٌ
أَبَدِيَّةُ التَّرحَال.. لِلمَنفَى الغَرِيب
فَمَتَى سَنَزرَعُ شَمسَنَا فِي دَربِنَا..
وَنُعِيدُ أُغنِيَةَ النَّهَار

لَحنًا طُفُولِيَّ الرَّنِين
يَنسَابُ فِي كُلِّ الدُّرُوب
وَمَتَى نُعِيدُ الطِّفلَ فِينَا..
يَلهُو.. يُعَربِدُ.. كَيفَمَا شَاءَ الهَوَى،
مِن غَيرِ أَشوَاكٍ تُكَبِّلُ خَطوَه الظَّمآنَ لِلضَّوءِ الخَصِيب..؟
وَمَتَى سَنَضحَكُ دُونَ أَن يَرسُو بِضِحكَتِنَا
طَيفٌ لِجُرحٍ مَات، وَاحتَرَقَت لُحُونُه؟

إِنَّا عَذَابٌ وَاشتِيَاقٌ.. يَا رِفَاق
إِنَّا احتِرَاق..
فَمَتَى العُثُورُ عَلَى الضِّيَاء..
مَتَى العُثُور؟
وَمَتَى النَّقَـــاء؟

الجمعة 26 نوفمبر 1971

يَومًـــا . . مَـــا

يَومًا مَا..
سَتَعُودِين
طَيرًا أَنهَكَه الرِّيحُ وَبَعثَرَ أَعشَاشَه
يَبغِي وَطَنًا..
لاَ يَعرِفُ مَعنَى أَن يَثوِي الثَّلجُ عَلَى الأَهدَاب
أَن يَغفُو الملحُ بِعُمقِ الأَجفَان
لاَ يَعرِفُ مَعنَى أَن تَسرِي الآهُ بِقَلبِ الصَّمت.

سَتَعُودِين..
يَا جُرحًا لاَ يَلتَـــم
سَتَعُودِين
طَيرًا أَعمَاه دُوَارُ التَّرحَالِ بِعُمقِ بِحَارِ الرُّعب
يَستَجدِي ضَوءَ المِرفَأ
يَستَجدِي الضَّوءَ الذَّاوِي يَرسُمُ أَشبَاحًا وَتَهَاوِيلَ خُرَافِيَّة

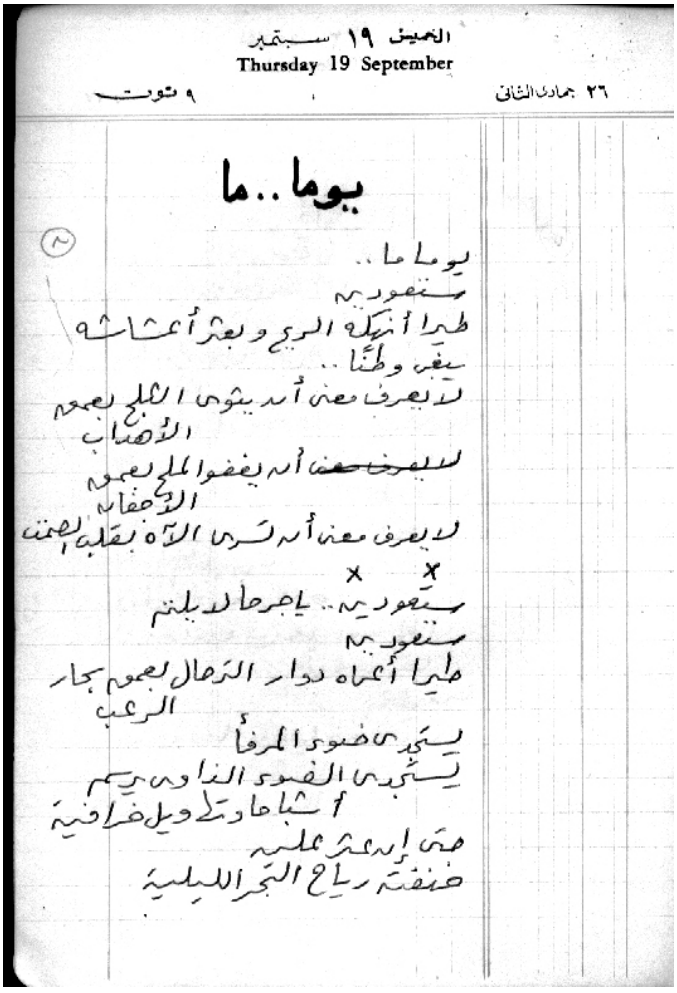
الخميس ١٩ سبتمبر
Thursday 19 September
٢٦ جمادى الثانى ٩ توت

يوما..ما

(٨)

يوما ما..
مسعود ..
طيرا أنهكه الريح وبعثر أعشاشه
سيقف وطنا..
لا يعرف معنى أن يشوى الثلج بصمة الأصداف
لا يعرف معنى أن يفضوا الملح بصمة الأحفاد
لا يعرف معنى أن ترى الآه بقلب الصمت

مسعود .. يا جرحا لا يلتئم
مسعود ..
طيرا أعياه دوار الترحال بصوم بحار الرعب
يستجدى ضوء المرفأ
يستجدى الضوء الدافئ يرسم
أشباحا وتلا ويل خرافية
حتى إن عثر عليه
خنقته رياح البحر الليلية

حَتَّى إِن عَثرَ عَلَيه
خَنَقَته رِيَاحُ البَحرِ اللَّيلِيَّــة
لَم يَبقَ شُعَاع
لَو خَيطَ شُعَاع

يَنفُذُ لِلطَّائِرِ حِينَ يُجَاهِدُ طَيفَ المَوتِ الأسوَدِ يَصرُخُ فِي الآفَاق
فَأَمُدُّ مِنَ العَينِ شُعَاعًا
يَعبُرُ آمَادَ الظُّلمَة.. يَطوِيهَا.. يَسجُدُ بَينَ يَدَيك
يَفرِشُ دَربَكِ ضَوءًا أَخضَر.

يَومًا مَا
سَتَعُودِين
وَذِرَاعِي أَبَدًا لَن يَلتَم
لَن يَسقُطَ.. مَهمَا ظَلَّت رِيحُ اللَّيلِ الأَسوَد تَضرِبُ فِيه، بِغَيرِ ذِرَاعٍ يَشرَبُ دِفئَه..
لَن يَلتَـــم
حَتَّى- حِينَ يَعُودُ الطَّائِرُ مِن تَرحَالِ بِحَارِ الرُّعب-
يَغسِلُ عَنه الثَّلجَ الثَّاوِي فِي الأَهدَاب
يَغسِلُ عَنه المِلحَ الرَّاقِدَ فِي الأَجفَان
يَسقِيه الدِّفءَ، وَيَمسَحُ عَنه البَردَ الآتِي مِن أَعمَاقِ بِلاَدِ الحُزن
سَيَظَلُّ ذِرَاعِي مَبسُوطًا.. لَن يَلتَم
سَيَظَلُّ ذِرَاعِي مَبسُوطًا.. لَن يَلتَم
ذَلِكَ أَنَّكِ يَومًا مَا..
سَتَعُودِين
يَومًا مَا..
سَتَعُودِين.

الخميس 2 ديسمبر 1971

الموت في الطُّرقَــات العارية

قُلتُ.. وَظُلمَةُ نِصفِ اللَّيلِ الثَّانِي..
تَرسُمُ فِي الغُرفَةِ أَشبَاحًا تَرقُصُ فِي عُرسٍ لِلشَّيطَان..
حَدِّثنِي عَن حُبِّك..
قَالَ.. وَشَيءٌ مِن أَقدَارٍ سَوداَءَ يَسحَقُ صَوتَه
حَتَّى يُصبِحَ أَشلاَءً تَسَّاقَطُ فِي قَلبِ الصَّمت:
حُبِّي.. ؟!
لاَ أَملِكُ أَن أَلفُظَ حَرفًا عَنه
فَلَقَد لَفَظَته الأَيَّامُ الجَهمَـة
أَلقَته بِعرضِ اللَّيلِ القَاتِمِ.. طِفلاً عُرياَنًا مِن غَيرِ دِثَار
تَلفَحُه الرِّيحُ الثَّلجِيَّة
يَدفَعُه الدَّربُ الأَحدَب
يُسلِمه لِدَربٍ أَحدَبَ آخَر
يَرمِيه لِبِئرٍ غَوَّارٍ مِن غَيرِ قَرَار.

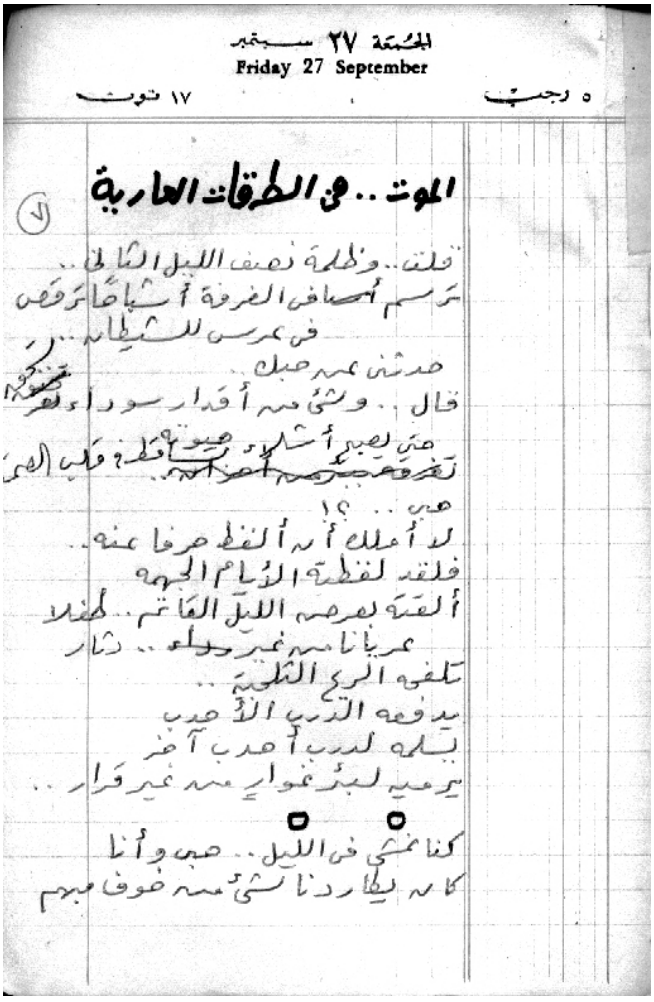
الجمعة ٢٧ سبتمبر
Friday 27 September
٥ رجب ١٧ توت

الموت .. في الطرقات العارية

(٧)

قلت .. وظلمة نصف الليل الثاني ..
ترسم أصناف الفرجة أشباحًا ترقص
في عرس للشيطان ..
حدثني عمه صبك ..
قال .. وشيء من أقدار سوداء تقهر
حتى يصبر أشلاء صبية؟ قلب الهم
صبي .. ؟!
لا أملك أن ألفظ عرفا عنه ..
فلقد لفظته الأيام الجهمة
ألقته بعرصة الليل القاتم .. لحظة
عريانا منه غير دماء .. ثيار
تلغه الريح الثلجية ..
يدفعه الذئب الأجدب
يلقه لذئب أجدب آخر
يرميه لبؤ غواية منه غير قرار ..

o o

كنا نمشي في الليل .. حبي وأنا
كان يطاردنا شيء من خوف مبهم

كُنَّا نَمشِي فِي اللَّيل.. حُبِّي وَأَنَا
كَانَ يُطَارِدُنَا شَيءٌ مِن خُوفٍ مُبهَم
يَقطُرُ فِي دَمِنَا ذُلَّ اليَأسِ القَاتِل
نَلقَاه بِكُلِّ دُرُوبِ اللَّيلِ الأَسوَد
يَصفَعُنَا..

يَقتُلُنَا فِي اللَّحظَةِ آلاَفَ المَرَّات
يَقتُلُ فِي دَمِنَا الشَّوقَ الفَيَّاضَ لِصُبحٍ مُقبِل
يَخنِقُ بِالأعمَاق..
نَبتًا كَابَدَ لَحظَةَ شَوقٍ لِلضَّوءِ الأبيَض.

مَا كُنَّا نَملِكُ شَيئًا..
مَا كُنَّا نَملِكُ أَن نَهرُب..
فَلَقَد وَاجَهنَاه بِكُلِّ الطُّرقَات
طَارَدَنَا
عَانَقَ ظِلَّينَا
حَتَّى انَدَمَجَا ظِلاً مُفرَد.

كُنَّا طِفلَين..
عُريَانَين..
نَتَحَسَّسُ ظِلَّينَا فَوقَ الدَّربِ المُمتَد.
يَسحَقُنَا الخَوفُ عَلَى الطُّرقَاتِ العُريَانَة
يَمضُغُنَا..
يَلفُظُنَا جُثَثًا شَوهَاءَ.. حَتَّى أَنَّا
كُنَّا نَستَجدِي لَحظَةَ أَمن..
لَحظَةَ صِدق..
نَنطِقُ فِيهَا لَفظَ وَدَاع
وَنَغِيبُ مَعَ الظُّلمَةِ كَهلَين افتَرَقَا مِن غَيرِ أَوَان..

لَكِن هَذَا الخَوف.. لَم يَرحَمنَا
لَم يَرحَم طِفلَين.. عُريَانَين
فِي قَاعِ اللَّيلِ الأَسوَدِ شَرِبَا حُزنَ الأَيَّامِ المُرَّةِ حَتَّى ثَمِلاَ
لَم يَرحَمنَا..
لَفَظَتنَا الأَيَّامُ الجَهمَة
أَلقَتنَا فِي عرضِ اللَّيلِ القَاتِمِ أَجسَادًا عَارِيَةً مِن غَيرِ دِثَار..
تَلفَحُهَا الرِّيحُ الثَّلجِيَّــة..
يَدفَعُهَا الدَّربُ الأَحدَب
يَرمِيهَا فِي بِئرٍ غَوَّارٍ مِن غَيرِ قَرَار.

الإثنين 10 يناير 1972

خِطَاب مفتُــوح
إِلى "جُودُو" .. الذي وصَـل

وَأَتَيتَ يَا "جُودُو" العَظِيم.
وَأَتَيتَ.. لَم تَلمَح عُيُونُك وَقفَتِي فِي الإِنتَظَار
وَالهُدبُ يَشرَبُ مِن ثُلُوج اللَّيلِ آنًا.. ثُم يَقتَاتُ الغُبَار
وَأَنَا.. وَعُرِيِي.. وَالنُّجُــوم..
وَالرِّيحُ تَلفَحُ فِي حَنَايَايَ الكَسِيرَةِ زَهرَةً بَيضَاءَ فِي لَونِ النَّهَار
رَوَّيتُهَا أَشوَاقَ أَيَّامِي العَلِيلَة
كَيمَا تَكُون مَعِي هُنَالِكَ بِانتِظَار..
أَن يُشرِقَ الرَّكبُ السَّعِيد.

وَأَتَيتَ يَا "جُودُو" العَظِيم
وَاللَّيلُ يَسرِي فِي دِمَائِي.. بَارِدًا.. كَالمَوتِ.. كَالقَدَرِ الخُرَافِيِّ العَنِيد
وَأَتَيتَ.. لَم تَلمَح عَلَى يَدِيَ الزُّهُورَ البِيضَ وَالشَّوقَ المُلِحَّ إِلَى الدِّثَار
وَالدِّفءُ حُلمٌ.. قَد مَلَلنَا خَطوَه الجَوَّالَ فِي أَجفَانِنَا

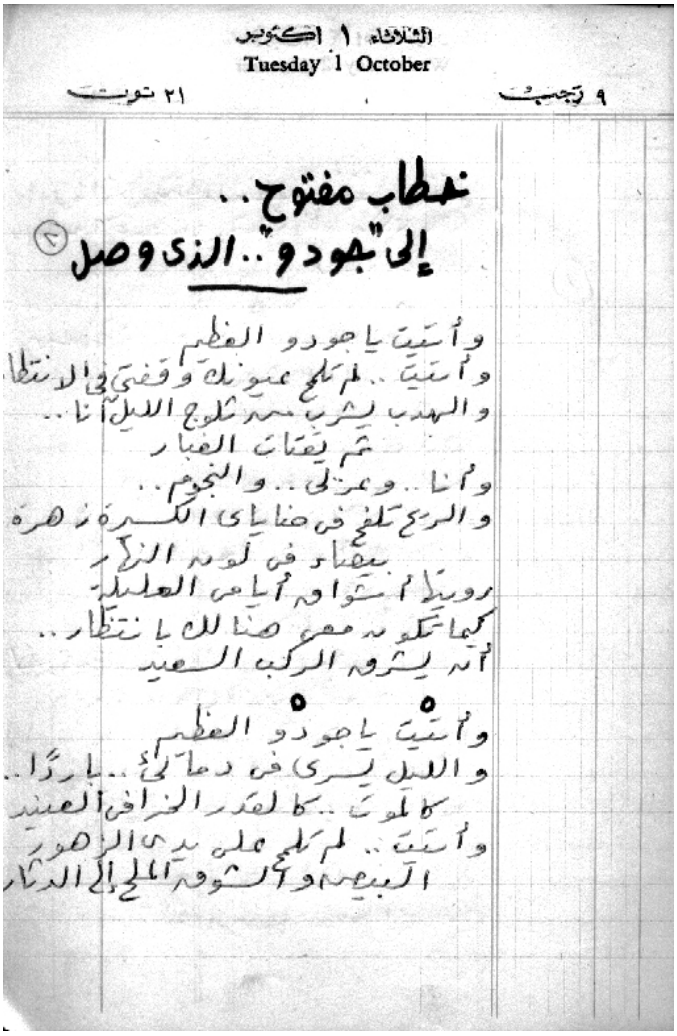
الثلاثاء ١ اكتوبر
Tuesday 1 October
٩ رجب ٢١ توت

خطاب مفتوح..
إلى "جودو".. الذى وصل ②

وأتيت ياجودو العظيم
وأتيت.. لم تكن صوتك وقفتي في الانتظا
والهدب يشرب من ثلوج الليل أنا..
ثم بقايا الغبار
وأنا.. وحزني.. والنجوم..
والريح تلفح في ضفاير الكره زهره
بيضاء في لون الزهر
رويدًا رويدًا تشوه أيامي العديده
كيما تكون معي هنالك بانتظار..
أنه يشرق الركب السعيد

وأتيت ياجودو العظيم
والليل يسري في دمائي.. بارقًا..
كالموت.. كالقدر الخرافي العنيد
وأتيت.. لم تكن على يدي الزهور
البيضاء والشوق الملح إلى الديار

حَتَّى قَنِعنَا أَن نَظَلَّ بِالانتِظَار..

وَأَتَيتَ.. يَا "جُودُو" العَظِيم
وَعَلَى شِفَاهِكَ بَسمَةٌ صَفرَاءُ فِي لَونِ الأُفُول.

شَيءٌ يَمُوت..
شَيءٌ يَغِيبُ عَلَى الأُفُق
وَمَدَدتُ كَفِّي لِلسَّلاَمِ.. وَلَم تُجِب
قَد كُنتَ تُخفِي سَاعِدَيك.. وَرَاءَ ظَهرِكَ.. عَن يَمِينِكَ.. عَن يَسَارِكَ..
فِي أَمَامِك
وَوَدِدتُ سَاعَتَهَا.. لَو انِّي قَد عَرفت
لِمَ لَم تُجِب.. وَتَمُد كَفَّكَ لِلسَّلاَم
لِمَ كُنتَ تُخفِي سَاعِدَيك.. بِرغمِ أَنَّا حِينَ صَافَحنَا عُيُونَكَ بِالعيُون
قَد كُنتَ تَصنَع الابتِسَام..؟

هَا مَرَّت الأَيَّام يَا "جُودُو".. وَأَضحَت بَعضَ عَام..
عَامٌ وَنِصفٌ.. أَو تَزِيد
لَم نَلقَ فِي أَنحَائِهَا الثَّمَرَ الذِي عِشنَا له..
مِن أَجلِه خَرَجَ الصِّغَار إِلَى الظَّلاَم
يَتَلَهَّفُون قُدُومَكَ المَيمُون.. فِي الرِّيحِ العَتِيقَةِ وَالعَرَاء
لَم نَطلُب النَّجمَ القَصِيَّ قِلاَدَةً حَمرَاءَ فِي خَيطِ التَّبَاهِي
كَي يَخفِقَ الزَّهوُ الرَّفِيعُ بِقَلبِنَا، فَيَضِجَّ مِنَا الكِبرِيَاء
لَم نَطلُب الفَرشَ الوَثِيرَ عَلَى الأَسِرَّةِ وَالتَّكَايَا..
فَفِرَاشُنَا الأَرضُ الحنُون..
قَد عَانَقَت أَجسَادَنَا المنهُوكَةَ الأَعضَاء
لَم نَرجُ مِنكَ مَوَائِدَ الإِفطَارِ أَلوَانًا شَهِيَّة
تَمتَدُّ حَتَّى يَسأَمَ الأَكلَ الصِّغَار

وَيُزِيحُه مِنَّا الكِبَار
إِنَّا رَجَونَا كِسرَةً عَجفَاءَ مِن خُبزٍ
وَبَعضَ العَدل
وَلَقَد عَلِمنَا أَنَّ ذَلِكَ لَيسَ عِندَكَ بِالكَثِير
فِلأَيِّ شَيءٍ قَد صَفَفتَ جُنُودَكَ الأَبطَالَ فِي مَيدَانِنَا..
وَغَرَستَ حِقدَكَ فِي الصُّدُور..
المَوتُ يَأتِي عَن يَمِينٍ.. عَن يَسَارٍ.. عَن أَمَامٍ.. عَن وَرَاء..
هُو أَنتَ تُعطِينَا الجَزَاء..
إِنَّا سَكَبنَا مِن ضِيَاءِ عُيُونِنَا.. كَيمَا نُضِيء لَكَ الطَّرِيق
إِنَّا فَرَشنَا دَربَكَ الصَّخرِيَّ بِالهُدبِ الشَّفِيق
إِنَّا نَسَجنَا مِن خُيُوطِ الضَّوءِ فِي أَجفَانِنَا أَحلَى رِدَاء..
هُو أَنتَ تُعطِينَا الجَزَاء.

عَامٌ وَنِصفٌ.. أَو يَزِيـــد..
وَالظُّلمَةُ العَمياءُ تَخنِقُ فِي مَدِينَتِنَا النَّهَار
فَنَظَلَّ فِي تِيهِ السَّوَادِ.. مُبَعثَرِين، مُشَتَّتِين
وَالخَوفُ يَسرِي فِي حَنَايَانَا.. وَيَزحَفُ فِي الضُّلُوع
يَغتَالُ مِن فَوقِ الشِّفَاه
كَلِمَاتِنَا البَيضَاءَ.. يَزرَعُ فَوقَهَا أَشعَارَ مَدحٍ للظَّلاَم.
عَامٌ وَنِصفٌ أَو يَزِيد.
وَعَرفتُ يَا "جُودُو" العَظِيم
لِمَ كُنتَ تُخفِي سَاعِدَيك

لِمَ لَم تُجِب.. وَتَمُد كَفَّكَ لِلسَّلاَم.

وَنَعُودُ يَا "جُودُو" العَظِيم
وَنَعُودُ يَا "جُودُو" اللَّعِين
نَصحُو.. نَنَامُ.. عَلَى انتِظَارِ بَشَائِرِ الرَّكبِ الجَدِيد
فَلَسَوفَ يُسقِطُ ذَلِكَ الآتِي مِن الآفَاقِ أُغنِيَةَ الظَّلاَم
سَيُعِيدُ فِي أَهدَابِنَا أَلَقَ النَّهَار
وَيَزرَعُ الضَّوءَ الفَرِيدَ عَلَى الجُفُونِ المُرهَقَة..
وَغَدًا تَشُقُّ اللَّيلَ بَسمَتَه الحَبِيبَة
وَيَمُدُّ كَفًّا لِلسَّلاَم
وَنَمُدُّ كَفًّا لِلسَّلاَم
وَنُعِيدُ أُغنِيَةَ الحَيَاة..
لِمَدِينَةِ الأَموَات.. وَالأَشبَاحِ وَالأَصداءِ.. وَالصَّمتِ الخُرَافِيِّ الكَئِيب.

الأربعـاء 2 فبراير 1972

الكلمــة .. والمــوت

قَالَ السَّيِّدُ ذَاتَ مَسَاء..
مَن يَلفُظ كِلمَتَه فِي عرضِ الرِّيح الدَّوَّارَة
سَتَصِيرُ الكِلمَةُ سَيفًا يُردِيه.
قَالَ السَّيِّدُ ذَاتَ مَسَاء..
مَن يُطلِق كِلمَتَه فِي الآفَاقِ المَدُودَة
سَتَصِيرُ الكِلمَةُ لَحدًا.. يَثوِي فِيه.
فَحَذَارِ مِنَ الكَلِمَاتِ المَلعُونَةِ تَصرُخُ فِي بَلَدِ الصَّمت.
فَالكِلمَةُ.. لاَ تَعنِي غَيرَ المَوت.
الكَلِمَةُ.. مَوت.

يَا سَيِّدَ بَلدَتِنَا الأَمجَد..
لَن أَنطِقَ حَرفًا أَو لَفظًا مِمَّا تَخشَى
فَأَنَا أَضعَفُ مِن أَن أَنطِقَ مَا تَخشَاه
لَكِن إِن خَرَجَت مِنِّي الكِلمَةُ صَارِخَةً

تَحطُـمُ مَـا قَـد ظَلَّـلَ بَلـدَتَنَا طُـولَ سِنِينِ القَحـطِ القَاسِي مِـن جُدرَانِ الصَّمت
أَرجُــوك..
لاَ تُسلِمنِي لِلمَوت
فَأَنَا أَخشَى المَوت
لَكِنِّي لاَ أَقدِرُ أَن أَحبِسَ فِي أَعمَـاقِي المنهُوكَـةِ مَـا قَـد يَتَمَـرَّدُ فِيهَـا مِـن كَلِمَاتٍ غَضبَى
أَنَا أَضعَفُ مِن أَن أَحبِسَهَا
قَد كُنتُ بِسَالِفِ أَيَّامِي شَابًّا وَفَتِيًّا
أَقوَى مِن أَن تَعصَانِي كَلِمَاتِي أَو تَتَمَرَّد
لَكِن حِينَ شَهِدتُ الزَّمَنَ الأَسوَد
رَفَضَتنِي القُوَّةُ كَي تَسكُنَ كَلِمَاتِي
تَرَكَتنِي شَبَحًا مُجهَد
صَارَت كَلِمَاتِي قُوَّة
وَأَنَـا- يَا سَيِّدَ بَلدَتِنَا الأَمجد-
صِرتُ عَجُوزًا مُجهَد
لاَ أَملِكُ أَن أَحبِسَ كَلِمَاتِي المَلعُونَة مِن أَن تَصرُخَ فِي بَلَدِ الصَّمت.
فَإِذَا خَرَجَت مِنِّي الكَلِمَةُ صَارِخَةً
تَحطُـمُ مَـا قَـد ظَلَّـلَ بَلـدَتَنَا طُـولَ سِنِينِ القَحـطِ القَاسِي مِـن جُدرَانِ الصَّمت
أَرجُــوك..
لاَ تُسلِمنِي لِلمَوت

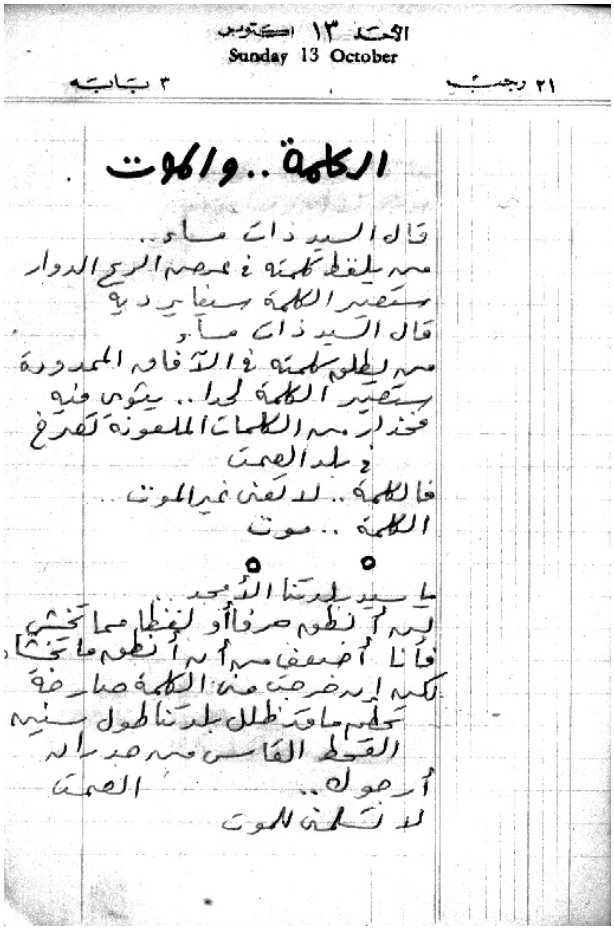
الأحد ١٣ اكتوبر
Sunday 13 October
٢١ رجب ٣ بابه

الكلمة .. والموت

قال السيد ذات مساء..
من يلفظ كلمته في معصم الريح الدوار
ستصير الكلمة سيفا يردي
قال السيد ذات مساء
من يطلع كلمته في الآفاق الممدودة
ستصير الكلمة لحدا.. يثوي فيه
مئذار من الكلمات الملعونة تقرع
في بلد الصمت
فالكلمة.. لا تكفن غير الموت..
الكلمة .. موت

٥ ٥

يا سيد أرضنا الأبعد
ليس أنظم حرفا أو لفظا مما تخشى
فأنا أضعف من أن أنظم ما تخشاه
لكنه إن ضرجت منه الكلمة صارخة
تحلم ما ظل بلدنا يطول سنيه
القحط القاسي منه جدرانه
أرجوك.. الصمت
لا تكفن الموت

فَأَنَا أَضعَفُ مِن أَن أَنطِقَ مَا تَخشَاه
وَأَنَا أَخشَى المَوت
أَرجُوك.. لاَ تُسلِمنِي لِلمَوت
لاَ تُسلِمنِي..
لِلمَوت.

الجمعة 4 فبراير 1972

خمسة مقاطِع حزينـة
مِن أغنيـة دمويـة

---

(1)

قَد كَانَ وَعدًا أَن يَكُونَ لِقَاؤُنَا
هَذَا الصَّـبَاح
لَكِنَّنَا.. لَم نَلتَـق.
وَالصُّبحُ فَـــات.

(2)

الجُندُ.. وَالخَوذَاتُ.. وَالدِّرعُ الحَدِيد
وَهُرَاوَةٌ.. وَالقُنبُلَة.
لَكِن أَرَاكِ كَغُنوَةٍ تَعلُو عَلَى الأُفقِ البَعِيد
فَرَحًا أَثِيرًا.. بِانتِفَاضِ السُّنبُلَة.
المَوتُ يَسعَى بَينَ أَيدِينَا

وَأَصوَاتُ الجُنُود:
"قَد حَانَ حِينَكُمُو.. فَلَيسَ إِلَى الفَرَار
لَكُمُو طَرِيق.
فَلَقَد صَنَعنَا مِن دُرُوعِ الحَربِ وَالخَوذَاتِ
دَائِرَةً مِن الصُّلبِ العَتِيق.
لَن تَنفُذُوا مِنهَا
إِلاَّ إِلَى القَبرِ السَّحِيق".
وَعَلَى الشِّفَاهِ تَمُوتُ كُلُّ الأُغنِيَاتِ الرَّاعِفَة.
تَنمُو عَلَيهَا أُغنِيَاتٌ لِلنَّهَار،
لِلشَّمسِ.. لِلضَّوءِ الشَّفِيق
تَعلُو عَلَيهَا غُنوَةُ المِيلاَدِ.. يَا حُبِّي الكَبِير.

(3)
الزنـزانة رقم **6**

اللَّيلُ تِنِّينٌ خُرَافِيٌّ رَهِيب.
هَا إِنَّ أَذرُعَه الكَئِيبَةُ وَالنَّحِيلَة
تَبصُقُ اليَأسَ الجَدِيب
فِي عَينِيَ التَّعبَى العَلِيلَة.
تَغتَالُ مِن عَينِي خُيُوطَ الضَّوء
تَرمِينِي إِلَى لَحدِ الظَّلاَم
فَأَصِيحَ بِاللَّحدِ العَقِيم:

"يَا لَحدُ.. أَرشِفنِي نِقَاطَ الضَّوء،
كَيمَا أَنظُر الوَجهَ الحَبِيب.
يَا لَحدُ.. خَيطَ الضَّوء أَنظُرُهَا
يَا لَحدُ.. خَيطَ الضَّوء..
وَاقذِف بِي إِلَى قَاعِ الجَحِيم.
يَا لَحدُ.. أَرشِفنِي.."
وَتَطفُو مُقلَتَاكِ عَلَى الجِدَار.
وَأَرَى مَلاَمِحَكِ الوَدُودَةَ تَبسُمِين لِعَينِيَ التَّعبَى الكَلِيلَةِ فِي صَفَاء.
وَتَقُولُ لِي عَينَاكِ.. إِنَّا مَا أَضعَنَا الصُّبحَ فِي لَهوٍ عَقِيم؛
قَد كَانَ وَعدًا أَن يَكُونَ لِقَاؤُنَا
هَذَا المَســـاء.

(4)

عَينَاه تَصرُخَان فِي ارتِيَاب:
"إِيَّاكَ وَالكِذبُ العَقِيم.
فَأَنَا أَرَى المَخبُوءَ فِي أَعمَاقِكَ السَّودَاء؛
مَا تَتَحَرَّزُ الشَّفَةُ الجَبَانَةُ أَن تَقُول.
ـ مَن أَنتَ يَا هَذَا.. وَقُل لِي:
أَينَ البِطَاقَةَ وَالهَوِيَّــة؟"
فَتَّشتُ فِي أَورَاقِيَ الصَّفرَاءِ عَنِّي
حَتَّى عَثَرتُ عَلَى الهَوِيَّة.

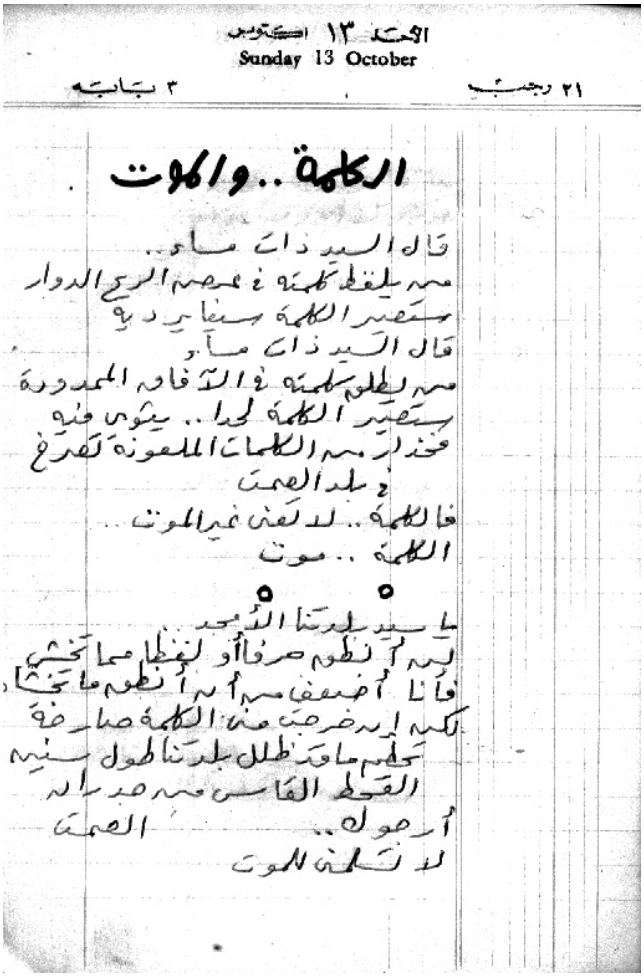
الأحد ١٣ أكتوبر
Sunday 13 October
٢١ رجب ٣ بابه

الكلمة .. والموت

قال السيد ذات مساء..
من يلفظ كلمة في عصر الرجع الدوار
ستصير الكلمة سيفا يرديه
قال السيد ذات مساء
من يطلق كلمة في الآفاق الممدودة
ستصير الكلمة لحدا.. يشوى فيه
فحذار من الكلمات الملعونة تقرع
في بلد الصمت
فالكلمة.. لا تحيا غير الموت..
الكلمة .. موت

يا سيد أرضنا الأمجد..
ليس أنظم حرفا أو لفظا مما تخشى
فأنا أضعف من أن أنظم ما تخشاه
لكنه إن خرجت من الكلمة صارخة
تحلم ما قد طال بلادنا طول سنيه
القحط القاسي من جدرانه
أرحل.. الصمت
لا تحيا الموت

كَانَت هَوِيَّتِي الوَحِيدَة.
سَلَّمتُهَا يَدَه التِي طَالَت..
فَأَضحَت مِثلَمَا عُودِ المَشَانِق.

كَانَت رُسُومًا مِن مَلاَمِحِكِ الوَدُودَة.

(5)

مِثلَمَا العُشَّاق فِي هَذَا الزَّمَان
فِي ظِلاَلِ اللَّيلِ.. وَالأشجَارِ وَالنَّهرِ الخَصِيب
يَلتَقُـــون
كَانَ اللِّقَـــاء..
فِي ظِلاَلِ اللَّيلِ.. وَالجُدرَانِ.. وَالصَّمتِ الكَئِيب
وَالضَّوءُ يُلقِي مِن ظِلاَلِ المَوتِ أَشبَاحًا تَطُوف،
تَعوِي.. وَتَهتِفُ أَن ضِيَاء الشَّمسِ كَفَّنَه المَغِيب؛
وَبِأن زَمَانِ الضَّوءِ قَد وَلَّى..
إِلَى غَيرِ ارتِدَاد.
لَكِن عُيُونكِ فِي الجِدَار
تَطفُو.. تُطِل.. وَتُقسِمَان بِأَن زَمَانَ الصَّمتِ قَد وَلَّى
إِلَى غَيرِ ارتِدَاد.
فَأُصَدِّقُ العَينَ الحَبِيبَةَ فِي الجِدَار،
وَأَرُوحُ أَنتَظِرُ الزِّفَافَ إِلَيكِ
فِي ضَوءِ النَّهَـــار.

نَقشٌ أخيـر
على جـدَار زِنـزانة

قَد لَملَمَ الرَّكبُ الرِّحَال.
قَد آذَنَ اللَّيلُ المُقِيمُ بِالارتِحَال.

فَالوَحشُ أَدرَكَه العَيَاء.
الوَحشُ يَخطُو لِلدَّمَار.
فَلتَضرِبُـــوا..
فَلتَضرِبُـــوا
حَتَّى نُغَنِّي لِلنَّهَـــار
حَتَّى نُغَنِّي لِلنَّهَـــار.

السبت 11 مارس 1972*

* نُشرت بمجلة "الكاتب" القاهرية، في أول عدد يرأس تحريره صلاح عبد الصبور.

أقُــول...

وَيَقُولُ عَاشِـــق..
لَو أَنَّنِي فِي خَدِّكِ الوَردِيِّ شَامَة
شَالٌ حَرِيرِيٌّ يُغَنِّي فِي الجَبِين
فِي الصَّدرِ عِقدٌ مِن نُجُوم..
وَيَقُولُ عَاشِـــق..
لَو أَنَّنِي إِسوَارُ حُبٍّ فِي يَمِينِك..
أَو بَيتُ شِعرٍ فِي شِفَاهِك
أَو زَهـرَةٌ بَيـضَاءُ- كَـالحُلمِ البَـدِيعِ- تُـزَيِّنُ الـشَّعرَ الحَرِيـرِيَّ الشَّفِيف.
وَيَقُولُ عَاشِـــق..
لَو أَنَّنِي...
لَو أَنَّنِي...
لَكِن أَقُول..
لَو أَنَّنِي فِي كَفِّكِ المَعرُوقِ خَيطٌ مِن ضِيَاء

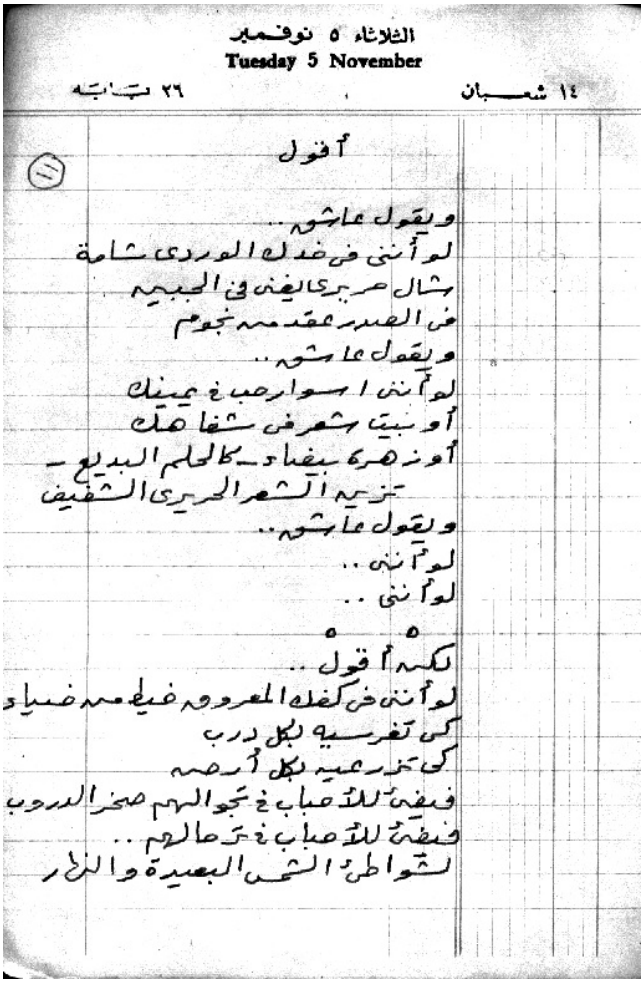
الثلاثاء ٥ نوفمبر
Tuesday 5 November
١٤ شعبان ٢٦ تابه

أقول

ويقول عائشة..
لو أنني في خدك الوردي شامة
مثال صبري يضيء في الجبينه
من الصدر عقد منه نجوم
ويقول عائشة..
لو أنني اسوار حبك في يمينك
أو بيت شعر في شفاهك
أو زهرة بيضاء.. كالحلم البديع -
تزينه الشعر الحريري الشفيف
ويقول عائشة..
لو أنني..
لو أنني..

لكنه أقول..
لو أنني في كفك المعروقة فيك منه ضياء
كي تغرسيه بكل درب
كي تزرعيه بكل أرضه
فيضيء للأحباب في تجوالهم صخر الدروب
فيضيء للأحباب في ترحالهم..
لشواطئ الشمس البعيدة والنهار

كَـــي

تَغرِسِيهِ بِكُلِّ دَرب
كَي تَزرَعِيهِ بِكُلِّ أَرض
فَيُضِيءَ لِلأَحبَابِ فِي تَجوَالِهِم صَخرَ الدُّرُوب..
فَيُضِيءَ لِلأَحبَابِ فِي تَرحَالِهِم
لِشَوَاطِئِ الشَّمسِ البَعِيدَةِ.. وَالنَّهَار..

يَغدُو لَهُم حضنًا حَنُونًا لَيسَ تَغزُوه الرِّيَــاح
حَتَّى الوُصُولِ إِلَى دِيَارِ الضَّوءِ وَالوَطَنِ الجَدِيد.

لَو أَنَّنِي فِي حِضنِكِ المِعطَاءِ غُصنٌ لَيسَ يَسقِيه الخَرِيف..
لَمَدَدتُ ظِلِّي لِلرِّفَاقِ عَلَى الطَّرِيق
لَبَسَطتُ كَفِّي أَحجُب الشَّمسَ المُغِيرَةَ.. وَالهَجِير
وَصَنَعتُ مِن ظِلِّي رِدَاءً..
وَصَنَعتُ مِن ظِلِّي غِطَاءً
لِلرِّفَاقِ عَلَى الطَّرِيق
لَكِنَّنِي- يَا فِتنَتِي- شَادٍ صَغِير
لاَ أَملِكُ الخَيرَ الوَفِير..
فَلَيسَ فِي جَيبِي سِوَى بَعضِ الحُرُوفِ الصَّادِقَة..
بَعضِ الغِنَاء..

هَل تَعذُرِينِي أَن أَتَيتُ.. وَلَيسَ فِي جَيبِي سِوَى بَعضِ الغِنَاء..؟

الخميس 20 أبريــل 1972

الأشجَـار.. لا تُغادر الوطـن

وَحَفَرتُ فِي صَدرِ الجِدَارِ مَلاَمِحَ الوَجهِ النَّبِيل.
وَحَفَرتُ: "إِنَّا لَن نَمُوتَ عَلَى الطَّرِيقِ
مُشَرَّدِين بِلاَ وَطَن"؛
وَبِأَنَّ ضَوءَ الصُّبحِ لَن يَصحُو عَلَينَا
جُثَّتَين يَلُفُّنَا الطَّلُّ الصَّبَاحِيُّ الشَّفِيف.
سَكَبَ السِّرَاجُ ظِلاَلَ مَوتٍ فِي الجِدَار،
فَتَهَالَكَ الوَجهُ الحَبِيبُ، وَمَالَ يَهوِي لِلقَرَار.
فَصَرَختُ إِنَّا لَن نَمُوتَ عَلَى الطَّرِيقِ
مُشَرَّدِين بِلاَ وَطَن؛
عُودِي إِلَيَّ.. فإِنَّنِي مَا عُدتُ أَحتَمِلُ الضَّيَاعَ
بِذَلِكَ الجُبِّ المُخِيف؛
عُودِي.. فَعَينَاكِ الطَّرِيقُ إِلَى النَّهَار؛
عُودِي.. فَإِنَّ الضَّوءَ لَن يَصحُو عَلَينَا

جُثَتَين يَلُفُّنَا الظَّلُّ الصَّبَاحِيُّ الشَّفِيف.

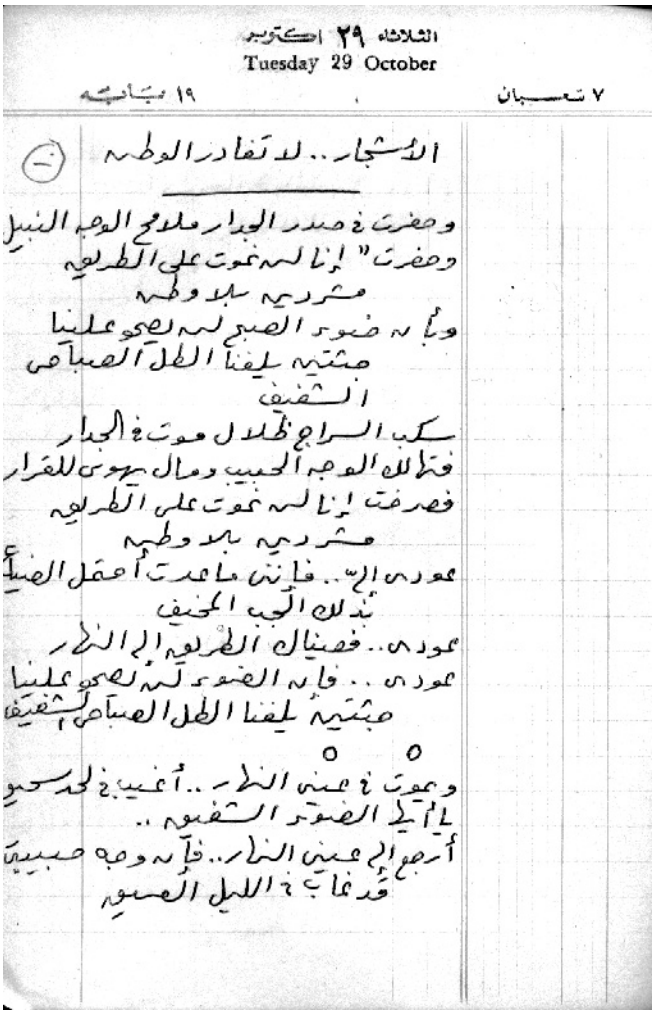
الثلاثاء ٢٩ اكتوبر
Tuesday 29 October
٧ شعبان ١٩ بابه

الأشجار.. لا تغادر الوطن

وحفرت في صدر الجدار ملامح الوجه النبيل
وحفرت " إنا لله نموت على الطريق
مشردين بلا وطن
وبأنه ضوء الصبح لله يعود علينا
جثتين يلفنا الظل الصباحي
الشفيف
سكب السراج ظلال موت في الجدار
فتلألأ الوجه الحبيب ومال يهوي للقرار
فحفرت إنا لله نموت على الطريق
مشردين بلا وطن
نعود إلى.. فإنني ما عدت أعقل الضياع
بذلال الجبين الحنيف
نعود.. فحبال الطريق إلى الديار
نعود.. فإنه الضوء لله يعود علينا
جثتين يلفنا الظل الصباحي الشفيف

٥ ٥

ويموت في عيني النظر.. أغيب في لحد سحيق
يا أيها الضوء الشفيف..
أرجع إلى عيني النهار.. فإنه وجه حبيبتي
قد غاب في الليل العميق

ويَمُوتُ فِي عَينِي النَّهَار.. أَغِيبُ فِي لَحدٍ سَحِيق.
يَا أَيُّهَا الضَّوءُ الشَّـفِيق..
أَرجِع إِلَى عَينِي النَّهَارَ..

فإنَّ وَجهَ حَبِيبَتِي قَد غَابَ فِي اللَّيلِ العَمِيق.
وَأَنَا سَئِمتُ الظُّلمَةَ العَمياءَ تَسرِقُ خَلفَ هُدبَينَا البَرِيق.
يَا أَيُّهَا الضَّوءُ الشَّـــفِيق..
مَاتَ النَّهَارُ.. وَلَيسَ مِن أَذيَالِهِ خُيطٌ شُعَاعِيٌّ رَفِيق
يَصِلُ الجِدَار، فَمُقلَتِي شَرِبَت مَرَارَةَ لَيلِنَا القَاسِي وَأَحزَانَ الظَّلاَم.
وَأَنَا غَرِيقٌ فِي اللُّحُودِ السُّودِ
تَسفِكُ مِن دَمِ الأَضوَاءِ فِي هُدبِي، وَتَغتَالُ السَّلاَم.
فَمَتَى أَرَى عَينَيكِ يَا مَحبُوبَتِي،
وَاللَّيلُ سَدٌّ بَينَنَا، لاَ يَعرِفُ الضَّوءَ الطَّلِيق؟
وَيَجِيءُ صَوتُكِ عَبرَ ظُلمَةِ لَيلِنَا المَحزُونِ جُرحًا نَازِفًا حَتَّى القَرَار:
"لاَ.. لَن نَمُوتَ عَلَى الطَّرِيقِ
مُشَرَّدِين بِلاَ وَطَن".

وَأَرُوحُ أُقعِي سَاجِدًا لِلضَّوءِ أَن يَأتِي مَعَ اليَومِ الجَدِيد..
يَأتِي ضِيَاءُ الصُّبحِ مَشنُوقًا عَلَى قُضبَانِ نَافِذَةِ الجِدَار،
مُتَبَعثِرَ الأَشلاَءِ فِي زِنزَانَةِ المَوتِ الكَئِيبَةِ، فَالنَّهَار..
لَحنُ الحِدَادِ يَزُفُّه لِلقَبرِ طِفلاً رَائِعًا
سَكَبَ الظَّلاَمُ بِعَينِهِ ظِلاًّ مِنَ اللَّيلِ الجَدِيب.
يَا أَيُّهَا الضَّوءُ الصَّرِيع..
شَنَقُوكَ فِي القُضبَانِ
كَي لاَ تَعبُرَ الزِّنزَانَةَ الحُبلَى إِلَى وَجهِ الحَبِيب.
شَنَقُوكَ طِفلاً.. كُنتَ أَحلُمُ أَن تُعَانِقَ عَينُه الهَدبَاءُ عَينِي،

تَغرِسَ الضَّوءَ الدَّفُوقَ بِقَاعِ غُرفَتِيَ الحَبِيسَةِ فِي الظَّلاَم.
شَنَقُوكَ.. يَا حُلمَ اللَّيَالِي بِالرُّجُوعِ إِلَى الدِّيَار؛
فَاللَّيلُ- فِي زِنزَانَةِ المَوتِ الكَئِيبَةِ-
لَيسَ يَعقُبُه نَهَـــار.

وَأَعُودُ أَحفُرُ فِي الظَّلام..
بِأَظَافِرِي- فِي بَطنِ جُدرَانِ الزَّنَازِينِ العَتِيقَةِ-
وَجهَ مَحبُوبِي الجَمِيل؛
فَإِذَا نُقُوشٌ تَملأُ الجُدرَانَ.. تَنمُو.. ثُم تَنمُو.. فِي اخضِرَار:
"لاَ.. لَن نَمُوتَ عَلَى الطَّرِيقِ.. مُشَرَّدِين بِلاَ وَطَن"..
"لاَ.. لَن نَمُوت".

الثلاثاء 9 مايو 1972

مشَـاهد حُب ليليَّـة

(1)

أحفُرُ وَجهَكِ فِي ذَاكِرَتِي
حَتَّى حِينَ يُحَاوِلُ أَن يُفلِتَ مِن قَبضَةِ أفكَارِي اللَّيلِيَّة..
يَهرُبَ، يَتَجَوَّلَ فِي طُرقَاتِ الغُربَةِ وَالرِّيحِ الشِّتوِيَّة..
أعبُرُ ذَاكِرَتِي،
أُشرِعُ كَفِّي أَتَلَقَّاكِ،
وَأُتَوِّجُكِ إِلَهًا فِي مَملَكَتِي الوَهمِيَّـة.

(2)

أحفُرُ وَجهَكِ فِي جُدرَانِ التَّذكَار.
وَأَسِيرُ لأُكمِلَ تَجوَالِي اللَّيلِي.
وَحِينَ تَدُقُّ السَّاعَةُ دَقَّتهَا الموعُودَة..

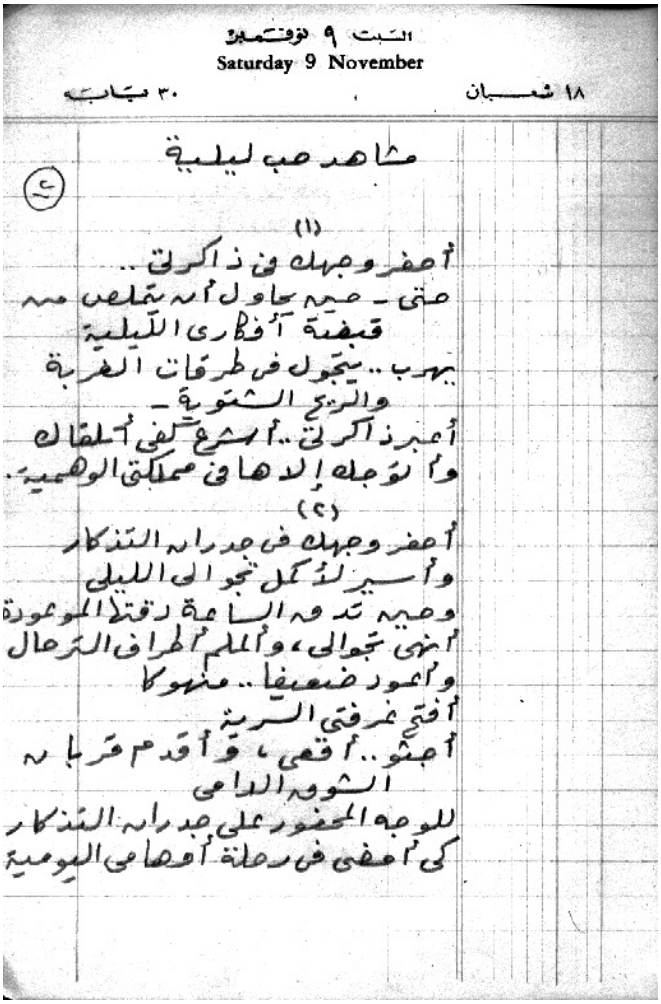
السبت ٩ نوفمبر
Saturday 9 November
١٨ شعبان ٣٠ بابه

مشاهد صب ليلية

(٤)

(١)

أصفر وجهك في ذاكرتي..
حتى - حينما أحاول أن يتملص من
قبضة أفكاري الليلية
يهرب.. يتجول في طرقات الغربة
والريح الشتوية -
أعبر ذاكرتي.. أسرع في أطلاقك
وأتوجه إلى هاوية مملكتي الوهمية.

(٢)

أصفر وجهك في جدران التذكار
وأسير لأكمل تجوالي الليلي
وحينما تدق الساعة دقتها الموعودة
أنهي تجوالي، وأملم أطراف الترحال
وأعود ضعيفا.. منهوكا
أفتح غرفتي السرية
أجثو.. أتقي، وأقدم قربانه
الشوق الدامي
للوجه المحفور على جدران التذكار
كي أمضي في رحلة أحلامي اليومية

أُنهي تَجوالِي،
وأُلَملِم أطرَافَ التَّرحَال.
وأعُود ضَعِيفًا، مَنهُوكَا.
أفتَحُ غُرفَتِيَ السِّرِيَّة،
أَجثُو، وأُقدِّمُ قُربَانَ الشَّوقِ الدَّامِي

لِلوَجهِ المحفُورِ عَلَى جُدرَانِ التَّذكَار،
كَي أَمضِي فِي رِحلَةِ أوهَامِي اليَومِيَّــة.

(3)

أَحفُرُ وَجهَكِ فِي وَجهِي.
أَعبُرُ أَسوَارِي،
أَتَخَطَّى عَتَبَاتِ الكَهفِ السَّودَاوِي.
أَغرِقُ فِي جَوفِ اللَّيــل،
إِذ تَتَشَابَكُ كُلُّ دُرُوبِ اللَّيل،
وَتَلتَفُّ عَلَيْ.
وَحِينَ تَكَادُ الأَمواَجُ اللَّيلِيَّةُ تَكتُمُ أَنفَاسِي..
أَتَحَسَّسُ وَجهِي-وَجهَك..
فَيَعُودَ الدَّربُ إِلَى قَدَمَيْ.
يَمضِي بِي حَتَّى غُرفَتِيَ السِّرِّيَّة،
لأُقَدِّمَ قُربَانَ الشَّوقِ المعهُود،
وَأَعُودَ لأَمضِي فِي رِحلَةِ أَوهَامِي اليَومِيَّة.

(4)

نَتَلاَقَى فِي اللَّيــل.
فِي الرِّيحِ الشَّتوِي.

نَتَصَـافَح..
فَإِذَا بِالمطَرِ الثَّلجِي
يَسقُطُ فِي أَعيُنِنَا، يَجمُدُ فِي كَفَّينَا.
نَتَعَـانَق..
يَسقُطُ فِي قَلبَينَا، يَجمُد.
تَهوِي كَفَّانَا.
أَرجعُ فِي الدَّربِ وَحِيدَا.
أَدخُلُ غُرفَتِيَ السَّـرِّيَّة..
وَأُحَطِّمُ وَجهَكِ فِي ذَاكِرَتِي،
فِي جُدرَانِ التَّذكَار،
فِي وَجهِي.
وَأَعُودُ لأَمضِي فِي رِحلَةِ أَوهَامِي اليَومِيَّة.
وَأَعُودُ لأَمضِي.

5 يونيــو 1972

بُكائيَّات رَجُل
يمُوت في الليـل عَاريًـا

---

(1)

حِينَ أَعُــود..
مِن تَجوَالِي المُزمِنِ فِي أَرضِ الإغفَاءَاتِ الأَبَدِيَّــة..
أَعبُرُ خَطَّ الوَهمِ الفَاصِلِ بَينَ نَهَارِ اليَومِ الشَّمسِيْ،
وَظَلاَمِ اللَّيلِ السَّــوداوِيْ.
أَهرُبُ مِن إِشعَاعِ الشَّمسِ النَّارِيَّــة
كَي أُلقِي نَفسِي فِي جَنَبَاتِ الكَهفِ اللَّيلِيِّ الدَّامِس.
وَأُمَارِس كَالمُعتَادِ طُقُوسَ التَّرحَالِ اللَّيلِيَّة:
أَخلَعُ أَقنِعَتِي الشَّمعِيَّة،
وَأُعَلِّقُهَا فِي حَائِطِ غُرفَتِيَ المتَهَدِّم.
أُقعِي، وَأُقَدِّمُ صَلَوَاتِي المَشفُوعَةَ بِالدَّمعِ الدَّامِي لِلأَقنِعَةِ اللَّيلِيَّة.
وَحِينَ تُكَفكِفُ أَقنِعَتِي دَمعِي الجَارِي..
أُحرِقُ فِي الغُرفَةِ بَعضَ بُخُورٍ سِحرِي

وَأَفِرُّ لأَنفُذَ فِي جَوفِ اللَّيلِ بِدُونِ رِدَاء!

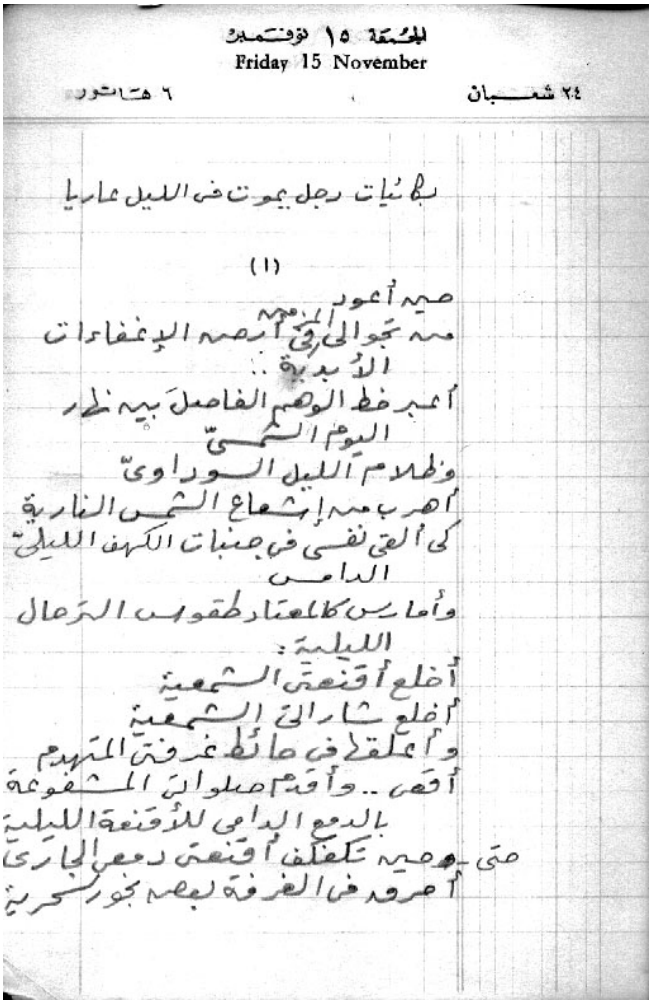
الجمعة ١٥ نوفمبر
Friday 15 November
٢٤ شعبان ٦ هاتور

بقايا رجل يموت في الليل عاريا

(١)

صيه أعود
منه تجوالي في أبصه الإغفاءات
الأبدية ..
أعبر خط الوهم الفاصل بينه نهار
اليوم الشمسي
وظلام الليل السوداوي
أهرب منه إشعاع الشمس النارية
كي ألقى نفسي في جنبات الكهف الليلي
الدامس
وأمارس كالعتاد طقوس الرحال
الليلية:
أخلع أقنعتي الشمسية
أخلع شارات الشمسية
وأعلقها في حائط غرفة المتهدم
أقص .. وأقدم صلواتي المشفوعة
بالدمع الدامي للأقنعة الليلية
حتى وجيه تكفكف أقنعتي دمعي الجاري
أصرخ في الغرفة بصمت بحور سحرية

(2)

أَصطَدِمُ بِوَجهِ اللَّيلِ المحفُورِ عَلَيه قَصَائِدُ حُزنٍ وَعَذَابَاتٍ وَحشِيَّة. فَيُعَانِقَ وَجهِي وَجهَ اللَّيـل.

يُصبحُ وَجهِي لَيلِيًّا.
أَستَرجعُ وَجهِي مِن قَبضَةِ لَيلِي،
وَأَمُدُّ أَصَابِعِي المَعرُوقَةَ، أَتَحَسَّسُ تَجعِيدَاتِ الوَجهِ العَائِدَةَ إِلَيْ.
فَإِذَا أَطرَافِي تَقرَأُ فِي وَجهِي..
أَبيَاتَ قَصِيدَةِ حُزنٍ وَعَذَابَاتٍ وَحشِيَّة.

(3)

عُريَانًا فِي اللَّيلِ أَضِيع.
أَتَمَلَّى وَجهِي مَشرُوخًا، مَمسُوخًا، فِي مِرآةِ اللَّيل؛
أَتَمَلَّى نَفسِي كَهلاً مَقهُورًا يَحمِلُ طِفلاً
وَيُجَاهِدُ أَن يَمنَعَ رِيحَ اللَّيلِ السَّوداوِيَّة
أَن تَعبُرَ جِسرَ سَوَاعِدِه المَهزُولَة.
لَكِنَّ الرِّيــح...!

(4)

عُريَانًا فِي اللَّيلِ أَضِيع.
ضَاعَت أَثوَابِي..
مُمتَلَكَاتِي..
أَشــيَائِي.
ضَاعَت أَقنِعَتِي.

شَــارَاتِي.
كُنتُ بِهَا أَتَحَسَّسُ دَربِي اللَّيلِيَّ إِلَى نَفسِي.
أَرفَعُ كَفِّي أَتَلَمَّسُ وَجهِي:
تَصدِمُ أَطرَافِي كُتلَةُ صَخرٍ تَتَشَكَّلُ قَبــرَا.
أَصرُخُ مُلتَاعًا فِي جَوفِ اللَّيل:
تَثوِي صَرخَاتِي فِي بِئرِ الصَّمتِ فَحِيحَا.

يَا مَن يُرجِعُ أَثوَابِي..
أَشــيَائِي..
شَــارَاتِي.
يَا مَن يُرجِع تَجعِيدَاتِ الوَجهِ الضَّائعَةَ خِلاَلَ كُهُوفِ اللَّيل.
فَأَنــا..
عُرِيَانًا فِي اللَّيلِ أَضِيــع.

(5)

أَسقُطُ مَقهُورًا فِي أَرضِ الإِغفَاءَاتِ الأَبَدِيَّة.
وَرِيَاحُ اللَّيلِ تُجَرجِرُنِي فَوقَ الطُّرُقِ الصَّخرِيَّة.
فَأُحَاوِلَ أَن أَستَجدِيَ خَيطَ ضِيَاءٍ مِن نَجمٍ
كَانَ يُشَاغِلُنِي أَيَّامَ صِبَايَ الضَّائِع.
لَكِنَّ رِيَاحَ المَوتِ تُجَرجِرُنِي.
وَأَنَا أَهوِي نَحوَ القَــاع.

أهـــوِي..
عُريَانًا فِي اللَّيلِ أَمُــوت.
عُريَــانًا..
فِي اللَّيــل..
أَمُـــو..

25 يونيُــو 1972

حَيثيَّـات المطاردَة الأخيــرة

(1)

وَكُنتُ مُطَارَدًا فِي اللَّيــل.
وَأشلاَءُ الضِّيَاءِ مِنَ الحَوَانِيتِ القَدِيمَةِ
تَغرِسُ الجُندَ المُطَارِدَ فِي عُيُونِي.
تَمُدُّ ذِرَاعَهَا المعرُوقَ تَأسِرُنِي،
وَتُحكِمُ مِن حَوَالَيَّ الحِصَار.
لِتَبصُقَنِي عَلَى الأَسفَلتِ..
ظِلاً.. شَائِهًا، مَشرُوخ.
فَأركُضَ فِي الطَّرِيقِ،
لَعَلَّ دَربًا لَيسَ يُفضِي لِلجَحِيم.
وَأَصرُخُ بِالتِيَاعٍ فِي قَرَارِ اللَّيلِ: "أَينَــاكِ؟
أَينَ الطَّرِيقُ إِلَى عُيُونِكِ.. وَالنَّهَار..؟"
فَأَرَى عَلَى الأَسفَلت
ظِلاً.. شَائِهًا، مَشرُوخ!

(2)

وَحِينَمَا أَرَقتُ بَينَ كَفَّيكِ الدُّمُوع..
سَأَلتُ عَن نِهَايَةِ الطَّرِيق.
وَعَن وُعُودٍ نِلتُهَا مِن سَاعِدَيكِ
بِالخُبزِ.. وَالدِّثَارِ.. وَالقَمَر.

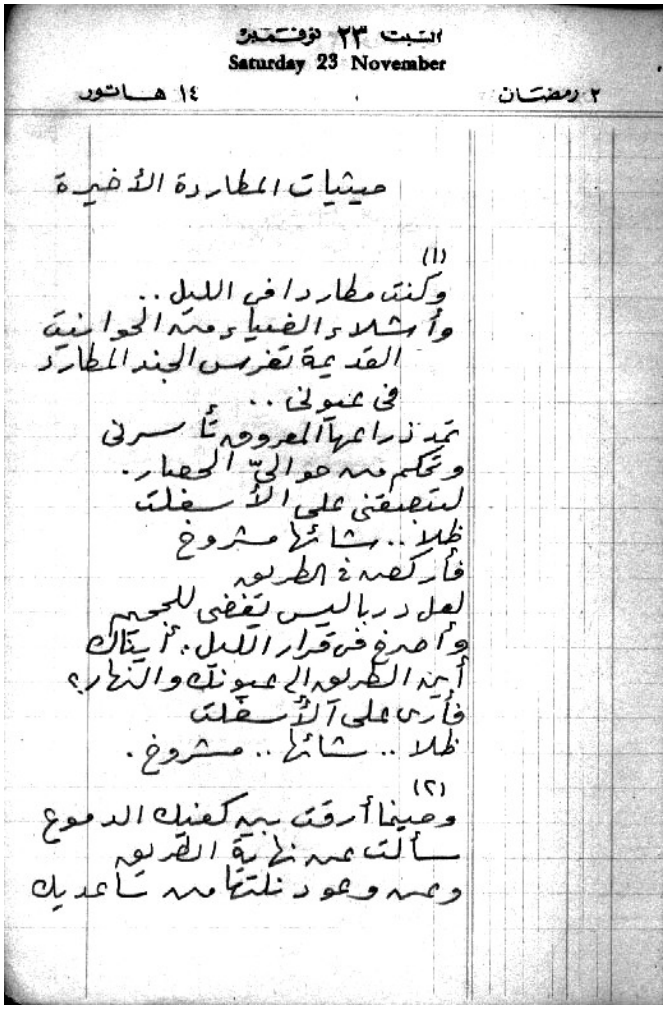

السبت ٢٣ نوفمبر
Saturday 23 November
٢ رمضان ١٤ هاتور

صيحات المطاردة الأخيرة

(١)
وكنت مطاردا في الليل..
وأشلاء الضياء من الحوانيت
القديمة تغرس الجند المطارد
في عيوني..
تمد ذراعها المعروقة تأسرني
وتحكم من حولي الحصار.
لتصفعني على الأسفلت
ظلا.. شائكا مشروخ
فأركض في الطريق
لعل دربا ليس يفضي للحتم
وأصرخ في قرار الليل: أين تاك
أين الطريق الى عيونك والنهار؟
فأرى على الأسفلت
ظلا.. شائكا.. مشروخ.

(٢)
وحينما أرقت بين كفيك الدموع
سألت عن نهاية الطريق
وعن وعود نلتها من ساعديك

وَحِينَمَا رَفَعتُ وَجهِي عَن يَدَيكِ لِلطَّرِيق:
أَبصَرتُ ظِلِّي
شَـــائِهًا ، مَشـــرُوخ.

(3)

وَقُلتِ قَبلَ لَحظَةِ الوَدَاع :
نِهَايَةُ الطَّرِيقِ سَاعِدَايَ مَفتُوحَين
يَغسِلاَن عَن عُيُونِكَ الضَّيَاع.
وَيَفرِشَان دَربَكَ الصَّخرِيَّ بِالأقمَارِ وَالنُّجُوم.

وَقُلتِ قَبلَ لَحظَةِ الضَّيَاع:
وَشَارَتَاكَ إِن ضَلَلتَ فِي الدُّرُوب..
عُيُونِي الجَرِيحَة.

(4)

وَكُنتُ مُطَارَدًا فِي اللَّيل.
أُنَادِي نَجمَكِ النَّارِيَّ:
"مَاتَت فِي دَمِي الأَضوَاءُ
وَامتَدَّت رِيَاحُ المَوتِ تَذرُونِي إِلَى القَاع".
وَأَستَجدِيكِ بَعضَ الضَّوءِ وَالنَّار.
وَحُلمًا- كَانَ- بِالقَمَر.

فَتَأتِينِي البَنَادِقُ تَصلِبُ الحُلمَ الأَثِيرَ عَلَى عُيُونِي
وَتَرمِينِي أُعَانِق ظِلِّيَ المشرُوخَ فِي الأَسفَلتِ
أَحلُمُ بِالنَّهَار.
يَخضَرُّ فِي صَدرِي،
وَيُورِقُ- مِن تَفَتُّحِه- الشُّمُوسَ عَلَى جَبِينِي؛
فَيُحكَمُ مِن حَوَالَيَّ الحِصَار.
وَيُحكَمُ مِن حَوَالَيَّ الحِصَار.

(5)

نِهَايَةُ الطَّرِيقِ.. سَاعِدَاك
وَالجُنُودُ يَشنِقُون فِي عُيُونِي القَمَر.
وَيُطفِئُون فِي النَّوَافِذِ العَتِيقَةِ.. النُّجُوم.
وَيُحرِقُون بِالرَّصَاصِ وَالكِبرِيت..
عُيُونَكِ الجَرِيحَة.

نِهَايَةُ الطَّرِيق.. سَاعِدَاكِ مَفتُوحَين
يَغسِلاَن عَن عُيُونِي الضَّيَاع.
وَيَفرِشَانِ فِي النَّوَافِذِ العَتِيقَة..
الأَقمَارَ وَالنُّجُوم.
وَشَارَتَايَ إِن ضَلِلتُ فِي الدُّرُوب
عُيُونُكِ الشَّهِيدَةُ المُجَرَّحــة.

2 أكتوبــر 1972

قِراءات ليست أخيرة
مِن دفتَــر الجُوع والميــلاَد

وَأَرَاكِ تَخضَرِّينَ سُنبُلَةً
لِتُورِقَ فِي لَهِيبِ القَيظِ،
تُطعِمَ طِفلَنَا المَولُودَ فِي عَامِ الرَّمَادَة.
فَالعَامُ جُــوعٌ ،
مَا تَذَوَّقنَا طَعَامَ الأمن ،
مَا عَلِقَت عَلَى أَهدَابِنَا شَمسُ البِشَارَةِ وَالوِلاَدَة.
وَنَظَلُّ نَصرُخُ فِي فَيَافِي الأرض،
نَستَجدِي غَمَامَ الرَّحمَةِ الفَيَّاضَ يَغمُرُنَا،
وَيَغرِسُ فِي أضَالِعِنَا الرَّمِيمَةِ
بُشرَيَاتِ الخِصبِ وَالأضوَاءِ وَالشَّوقِ الأليم.
لَكِن تُعَابِثُنَا السَّحَائِب،
هَارِبَاتٍ خَلفَ كُثبَانِ الغُيُوم.
وَأَرَاكِ تَخضَرِّينَ سُنبُلَةً

لِتُورِقَ فِي عُرُوقِي الوَعدَ بِالمِيلاَدِ وَالتَّكوِين،
وَالرِّيحِ المُسَافِرِ لِلنُّجُوم.

وَيَكُونُ أن نُقعِي ،
لِنُدمِنَ لُعبَةَ النَّدبِ الطَّوِيل،
وَأغنِيَاتِ الدَّمعِ وَالأشجَانِ،
وَالموتَ العَقِيم
عَلَى رَصِيفِ الحُزنِ نَحتَرِفُ البُكَاء.
وَيَكُونُ أَن نُقعِي ،
نُسَامِرُ مَا تَبَقَّى مِن شَيَاطِينِ الظَّلاَم ،
نُسَائِلُ اللَّيلَ الجَدِيبَ عَنِ الطَّرِيق ،
وَعَن خُيُولِ المشرِقِ الآتِي،
مَتَى سَتُتِم دَورَتَهَا ؟
وَهَل تَأتِي قُبَيلَ المَوتِ يَلفُظُنَا
بَقَايَا مِن نِفَايَاتِ السُّقُوط،
نُمَارِسُ التَّجوَالَ فِي أَحلاَمِنَا
اللَّيلِيَّةِ السَّـــوداء؟
وَيَكُونُ أَن نُقعِي ،
نُعَانِقُ شَوقَنَا المحمُومَ لِلضَّوءِ الفَرِيد
يَخُطُّ فِي حَدَقَاتِنَا مِيلاَدَ تَارِيخِ الشُّمُوسِ-الأُمنِيَات،
وَيَزرَعُ الأشوَاقَ فِي دَمِنَا،
فَيَنتَفِضَ الدَّمُ الفَوَّارُ يَزرَعُنَا بِوِديَانِ الضِّيَاء.

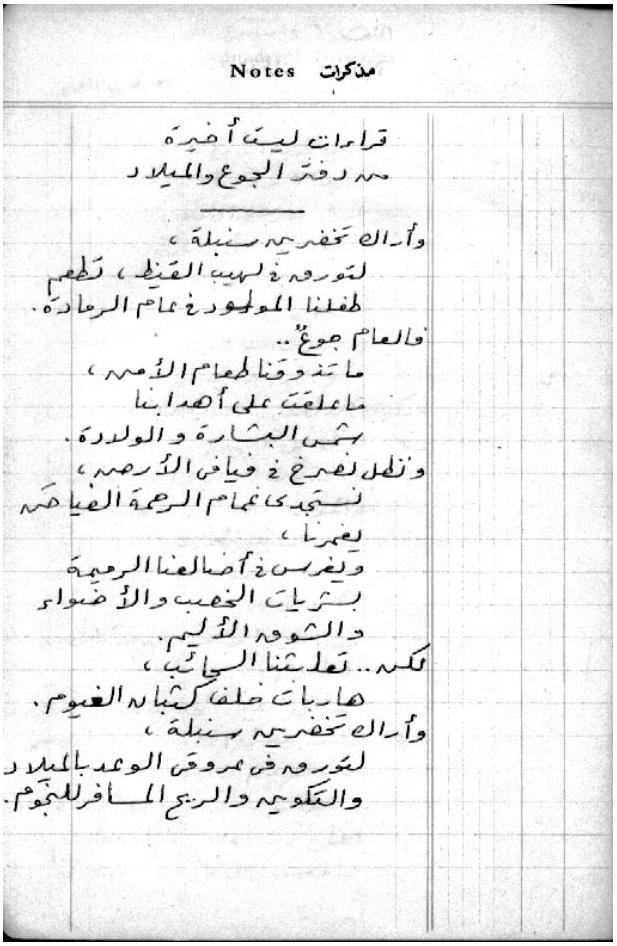
Notes مذكرات

قراءات ليست أخيرة
من دفتر الجوع والميلاد

وأراك تخضرين سنبلة ،
لتورقي في لهيب القيظ ، تطعم
طفلنا المولود في عام الرمادة .
فالعام جوعٌ ..
ما تذوقنا طعام الأمس ،
ما علقت على أهدابنا
بشر البشارة و الولادة .
ونظل نصرخ في فيافي الأرض ،
نستجدي غمام الرحمة الفياضة
يغمرنا ،
ويغرس في أضالعنا الرميمة
بشريات الخصب والأضواء
والشوق الأليم .
لكنه .. تعلقنا السراب ،
هاربات خلف كثبان الغيوم .
وأراك تخضرين سنبلة ،
لتورقي من موقد الوعد بالميلاد
والتكوين والربع المسافر للنجوم .

وَإِذَا يَحِينُ المَوعِدُ المَيمُونُ..
تَأتِينَا تَبَاشِيرُ الرِّيَاحِ لِتُوقِظَ المَوتَى،
وَتُنبِتَ فِي عُيُونِهِم الكَلِيلَة
أُغنِيَاتِ الخِصبِ وَالمِيلاَد
وَالفَرَحِ الطُّفُولِيِّ الوَلِيــد.
وَأَرَاكِ تَخضَرِّينَ سُنبُلَــةً..

لِتُطعِمَ عِشقَنَا المَلهُوفَ لِلزَّادِ المُقَدَّس،
وَابتِسَامَاتِ البَكَارَةِ فِي شِفَاهِك،
وَاحتِرَاقِي خَلفَ بَابِكِ- مُوصَدًا- أَبكِي،
وَأنعِي أُغنِيَاتِي عَن زَمَانِ العِشقِ فِي المَاضِي السَّعِيد.
وَأَرَاكِ وَعدًا بِالطُّفُولَةِ وَالثِّمَــار
وَأُغنِيَاتِ الحُبِّ وَالزَّمَنِ الجَدِيد.
وَأَرَاكِ..
أُنشِدُ أُغنِيَاتِي فِي يَدَيكِ،
أُلَملِمُ الأَلحَانَ أنثُرُهَا عَلَى قَدَمَيكِ
قُربَانًا عَلِيلاً نَازِفَ الإِيقَاع،
لَكِن أُغنِيَاتِي لَيسَ تَحمِلُهَا الرِّيَاح إِلَى فُؤَادِك،
فَالجُنُــود...
وَأظَلُّ أصرُخُ إِنَّنِي مَعبُودَتِي عَبدٌ أُرِيد...
وَأظَلُّ أصرُخُ إِنَّنِي مَعبُودَتِي عَبدٌ أُرِيد...
هَيهَات.. إِذ إِنَّ الجُنُــود..
هَيهَات.. إِذ إِنَّ الجُنُــود.

وَأَرَاكِ تَخضَرِّينَ سُنبُلَةً،
لِتُطعِمَ عَسكَرَ الأَمنِ المُرَابِطَ فِي مَدِينَتِنَا،
نَمُدُّ أَكُفَّنَا المعرُوقَةَ الجَوعَى إِلَى خُبزِ التَّوَلُّهِ،
وَاخضِرَارِ الخِصبِ فِي عَينَيكِ،
تَرجِعُ كَفُّنَا جَدبًا،

وَتُوصَدُ دُونَهَا الأَبوَاب.
وَنَدُقُّ.. ثُم نَدُقُّ.. ثُم نَدُق
فِي البَابِ الحَدِيدِي المُعَانِدِ،
لَكِنِ الحُجَّــاب..
وَنَعُودُ نَصرُخُ فِي فَيَافِي الأرضِ،
نَستَجدِي غَمَامَ الرَّحمَةِ الفَيَّاضَ يَغمُرُنَا،
وَيَغرِسُ فِي أَضَالِعِنَا الرَّمِيمَةِ
بُشرَيَاتِ الخِصبِ وَالأَضوَاءِ وَالشَّوقِ الأَلِيم.
فَالعَامُ جُــوعٌ،
مَا تَذَوَّقنَا طَعَامَ الأمنِ،
مَا عَلِقَت عَلَى أَهدَابِنَا شَمسُ البِشَارَةِ وَالوِلاَدَة.
فَمَتَى أَرَى عَينَيكِ تَخضَرَّانِ سُنبُلَةً،
لِتُورِقَ فِي لَهِيبِ القَيظِ،
تُطعِمَ طِفلَنَا المولُودَ فِي عَامِ الرَّمَادَة؟
وَمَتَى أَرَى عَينَيكِ تَخضَرَّانِ سُنبُلَةً،
لِتُورِقَ فِي عُرُوقِي الوَعدَ بِالمِيلاَدِ وَالتَّكوِين وَالرِّيحِ المُسَافِرِ
لِلنُّجُوم..؟
هَل قَبلَ أَن تَأتِي رِيَاحُ المَوتِ
تَقتَلِعُ الهَشِــيم؟
هَل قَبلَ أَن تَأتِي رِيَاحُ المَوتِ تَقتَلِعُ الهَشِــيم؟

14 ديســمبر 1972

الزِّفَــاف علَى خناجِر الولادَة

شَبِّكِي كَفَّيكِ فِي كَفَّيَّ
وَلنُشرِع حَنَاجِرَنَا إِلَى الضَّوءِ البَعِيد.
إِنَّا تُحَاصِرُنَا البَنَادِق
وَالدُّرُوع
وَهَمهَمَاتُ المُخبِرِ السِّرِّي
وَالعِشقُ القَدِيم.
وَصُرَاخُ سِجَّانٍ يُعَرِّينَا لِيَكشِفَ مَا نُخَبِّئه
مِن أُغنِيَاتِ العُرس
وَالمِيــلاَدِ
وَالشَّوقِ الجَدِيد.
وَقَوَائِمُ التُّهَمِ المُعَدَّةُ،
وَالعَنَاوِينُ الرَّخِيصَةُ
وَالخِطَابَاتُ المُكَرَّرَةُ البَلِيدَةُ
عَن خَطِيئَةِ عُرسِنَا الدَّمَوِيِّ

وَالإِثمِ العَظِيـم.
شَبِّكِي كَفَّيكِ فِي كَفَّيَّ
وَلنُشرِع سَوَاعِدَنَا إِلَى النَّجمِ الوَلِيـد.

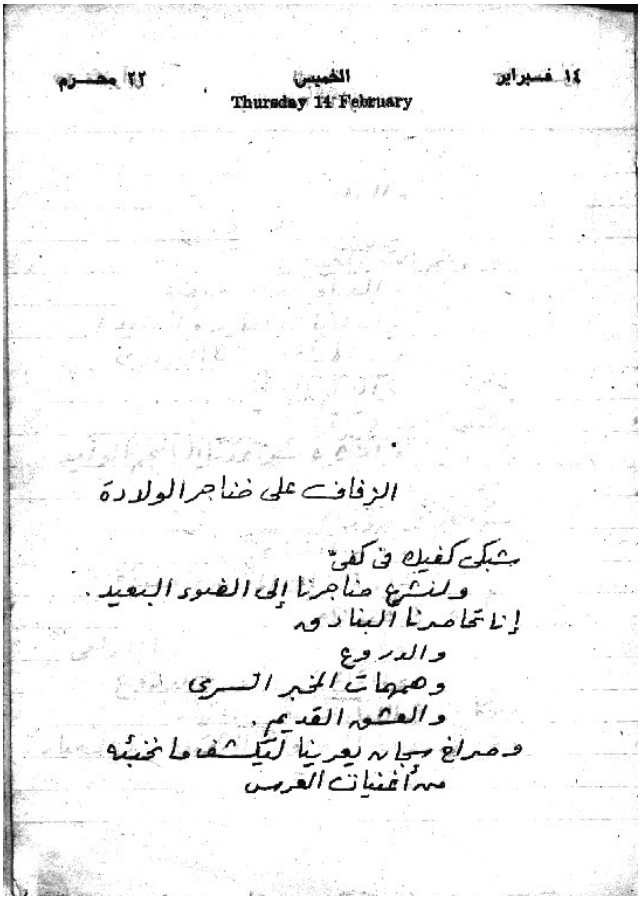
١٤ فبراير الخميس ١٢ محـرم
Thursday 14 February
الزفاف على ضاجر الولادة
شبكي كفيك في كفي
ولنشرع ضاجرنا إلى الضوء البعيد.
إنا تحاصرنا البنادق
والدروع
وصيحات الخبر السري
والعشق القديم.
وصراخ سجانه يعرينا ليكشف ما نخبئه
من أغنيات العرس

سَأحفُرُ فِي نُهُودِك
وَجهِيَ النَّارِيَّ
خَارِطَتِي إِلَى المُدُنِ العَتِيقَة.

سَأحفُرُ فِي عُيُونِك
خَطوِي المَجرُوحَ نَحوَ نَهَارِنَا الدَّامِي
وَإِيقَاعِ البَنَادِقِ وَالدُّرُوع.
وَبُكَاءنَا فِي اللَّيلِ نَستَجدِي النَّهَار؛
فَتَجِيءَ صَلصَلَةُ الهُرَاوَاتِ الثَّقِيلَةِ.. وَالحِصَار.
سَأكتُبُ فِي جَبِينِك
كُلَّ مَا نَسِيَته ذَاكِرَتِي
وَذَاكِرَةُ الذِين تَعَشَّقُوكِ
أَو الذِين سَيَعشَقُونَكِ
ظُلمَةً تَحبُو إِلَى حِضنِ الصَّبَاح.
سَأكتُبُ فِي جَبِينِك، فِي الزَّنَازِينِ القَدِيمَة
حُبَّنَا الدَّمَوِي
وَالعِشقَ الذِي يَغتَالُه أَمرُ الطَّوَارِئ.
يَا ظُلمَةً تَحبُو إِلَى حِضنِ الصَّبَاح.

وَأَرفَعُ وَجهَكِ المُخضَر
رَايَتِيَ النَّبِيَّـةَ فِي الشَّوَارِع
فِي حَوَارِي الجُوعِ وَالأَحزَان
فِي سَاحَاتِ سِجنِ الحَاكِم "بِاسمِ الله"..
قِنديِـــلاً
وَمِيلاَدًا جدَيــدًا
وَبِشَـــارَة.

وَأحمِلُ وَشمَكِ المَحفُورَ فِي جَسَدِي
إِلَى كُلِّ النُّجُوع
وَكُلِّ أَزِقَّةِ المُدُنِ البَعِيدَةِ وَالغَرِيبَة.

وَحِينَ سَاءَلَتنِي عَينُ ضَابِطِ التَّحقِيق فِي ارتِيَابٍ
عَن لِقَائِنَا الأَخِير؛
أَجبتُ :
كَانَت فِي الطَّرِيقِ عَارِيَة.
تُسَائِلُ اللَّيلَ الجَدِيبَ عَن دِثَار.
إِذ إِن شُرطَةَ المَدِينَةِ الجِيَاعِ لِلدِّمَاء
قَد صَادَرُوا رِدَاءَهَا المُرَتَّقَ الوَحِيد؛
إِذ خَالَفَ القَانُونَ، حَتَّى هَدَّدَ الأَمنَ المُقِيم.
وَكُنتُ شَارِدًا وَضَائِعًا.
أُسَائِلُ اللَّيلَ الجَدِيبَ عَن حَبِيبَتِي المُشَرَّدَة.
فَسَاقَنِي عَسَاكِرُ السُّلطَانِ نَحوَ قَصرِكَ السَّعِيد
بِتُهمَةٍ وَحِيدَة:
العِشقُ رَغمَ تَعلِيمَاتِ الأَمنِ وَالطَّوَارِئ.

وَنَلتَقِي فِي مَوعِدِ العُشَّاقِ
فِي شَوَارِعِ المدِينَـة.
نَطُوفُ بِالأَزِقَّةِ القَدِيمَة.
نُعَانِقُ الشَّوَارِعَ المَهدُومَةَ الجُدرَان.

نَغِيبُ فِي الزِّحَام،
نُشرِعُ الرَّايَات
نَرفَعُ البَيَارِقَ الجَدِيدَة.
نَخُطُّ فِي حَوَائِطِ الأَكوَاخ
عِشقَنَا القَدِيمَ وَالجَدِيد
نَكسِرِ الحِصَــار.

العشـق في زمَن السَّـلاسل والمخاض

وَسَنَلتَقِي يَومًـا
لأُبصِرَ فِي سَوَاعِدِكِ النَّحِيلَة
قَيدِيَ المَأسُورَ فِي زِندَيَّ
فِي الزَّمَنِ القَدِيم.
وَسَتَكتُبِين جَبِينِيَ المُخضَرَّ.. سَيفًا مُشرَعًا
يَحبُو يُعَانِقُ ظِلَّكِ المَرسُوم
فِي الأُفقِ البَعِيد.
وَسَتَحفُرِينَ عَلَى عُيُونِكِ
سِفْرِيَ المَاضِي
وَتَارِيخِي القَدِيم.
وَسَتَحفُرِين عَلَى عُيُونِي
سِفْرَ مِيلاَدِي
وَرِحلَةَ عِشقِيَ الدَّمَوِيِّ فِيكِ

إِلَى الزَّمَانِ المُستَحِيــل.

وَيُصبحُ وَجهُكِ بَيرَق.
وَتُصبحُ عَينَاكِ رَايَةَ دَم
دَلِيلاً إِلَى القَيدِ
وَالأُمنِيَاتِ البَعِيدَة.
وَيُصبحُ حُبُّكِ سِجنًا
وَقَيــدًا
وَعَتقًـا مِنَ الأسْر
وَالأُغنِيَاتِ الكَئِيبَــة.

وَأُولَدُ فِي أَنَامِلِكِ الهَزِيلَة
فِي الزَّمَانِ- المَوتِ وَالمِيــلاَد.
لأَكبُرَ خَلفَ قُضبَانِ المَخَاض
وَفِي طُقُوسِ الدَّمِّ وَالتَّكوِين
وَالحَفلِ المُعَدِّ مُسَبَّقًا
لِصُدُورِ حَيثِيَّاتِ إِعدَامِي
وَمِيلاَدِ السَّنَابِلِ وَالمَطَر.

وَيَسكُنُ صَوتُكِ المَطرُودُ
حَنجَرَتِي
وَكَفِّي.

لأُطلِقَه جَوَادًا جَامِحًا
فِي سَاحَةِ المُدُنِ الحَزِينَة.

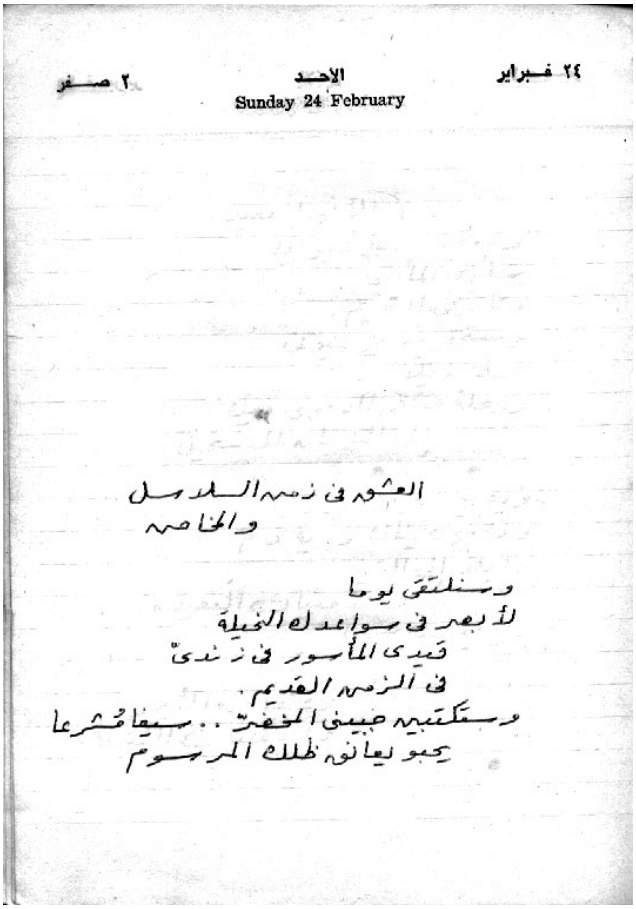
٢٤ فبراير الأحد ٢ صفر
Sunday 24 February

العشق في زمن الفيروس
والخاصة

وسنلتقي يوما
لأبعثر في مواعدك الخيلَ
قيدي المأسور في زندي
في الزمن القديم.
وستكتبين حبيبتي الخفرة .. سيفا مُشرعا
يحمي بقايا ظلك المرسوم

وَأسكُنُ وَجهَكِ المَزرُوعَ
بِالأَحزانِ وَالصَّمتِ؛
لِيُطلِقَنِي إِلَى القُضبَان
وَالأَسلاَكِ

وَالزِّنزَانَةِ السَّـوداء
شَارَة عُرس
وَمِيــلاَدَا.

وَيَسكُنُنَا الصَّبـَاح.

فَكُونِي مُهرَتِي الدَّمَوِيَّةَ الإِيقَاع
وَالخُطُــوَات،
وَاقتَحِمِي البَنَادِقَ وَالجُنُود
وَهَمسَ أَحذِيَةِ الرِّجَالِ الغَامِضِين.
وَلتُشرِعِي وَجهِي وَزِندِي
سَيفَكِ المَسلُول
فِي وَجهِ الهُرَاوَاتِ الثَّقِيلَةِ
وَالحَــرَس.

تحولات جـواد النَّار
في فصول الريــح والأمطار

الموتُ يُقبِلُ في الخريف
وَسَاعِدِي يَمتَدُّ حَتَّى يُثمِرَ السَّيفَ ـالمخَاض
وَسُنبُلاَتِ الدَّمِ وَالمِيلاَد،
وَالذِّكرَى القَدِيمَةَ وَالجدِيدَة،
يُثمِرَ الحلمَ البَعِيد.
فَلتَسكُنِي زِندَيَّ،
وَاشتَعِلِي عَلَى كُلِّ الدُّرُوب..
سَنَابِلاً مَحمُومَةَ الإيقَاع
حَمرَاءَ الخُطَى؛
فَالمَوتُ يُقبِلُ فِي الخرِيف،
وَسَاعِدِي يَمتَدُّ حَتَّى يُثمِرَ السَّيفَ الجدِيد.
وَأَنَا جَـوَادُ النَّار

أُولَدُ عَن يَمِينك،
يُولَدُ الشَّوقُ الجَدِيد
وَيَكشِفُ العِشقُ القَدِيمُ عَن التَّرَاتِيلِ الخَبِيئَة،
يَحمِلُ النَّهرُ الأسِيرُ مَلاَمِحِي طَمِيًا
وَتُولَدُ تَحتَ خَطوِي المِقصَلاَتُ
وَيَبدَأُ التَّرحَالُ فِي سِفرِ السَّنَابِلِ وَالقُيُود.

فَلنَبدَأ المِيلاَد ،
فَالحُزنُ القَدِيمُ هَوِيَّـةٌ
بِعنَا طَلاَسِمَهَا العَتِيقَة،
وَاشتَرَينَا مَولِدَ الرِّيحِ المُنَاوِئ؛
قَد هَجَرنَا لُعبَةَ المَوتِ البَطِيء
أَمَامَ أَطلاَلِ الحَبِيبَة
مُنذُ أَشرَعنَا سُيُوفَ الشَّمسِ وَالزَّمَنِ الوَلِيد.

وَأَنَا وأَنتِ :
مَلاَمِحُ الوَجهِ الذِي يَرِثُ السَّلاَسِل،
وَانتِفَاضٌ طَالِعٌ مِن تُربَةِ الزَّمَنِ ـ البُكَاءِ عَلَى حَوَائِطِ صَخرَةِ المَبكَى الجَدِيدة
فَاسكُنِي زِنــدَيَّ
وَانتَشِرِي بِجِسمِي كَالشُّعَاع
وَتَوِّجِينِي سَيفَكِ المسلُول
وَالمَوتَ السَّــعِيد.

وَأَنَا وَأنتِ :

ثِمَارُ أَشجَارِ الهَزِيمَةِ وَالتَّسَوُّلِ فِي المَنَافِي رِعشَةَ التَّكوِينِ
وَالوَطَنِ ـ القَمَر.

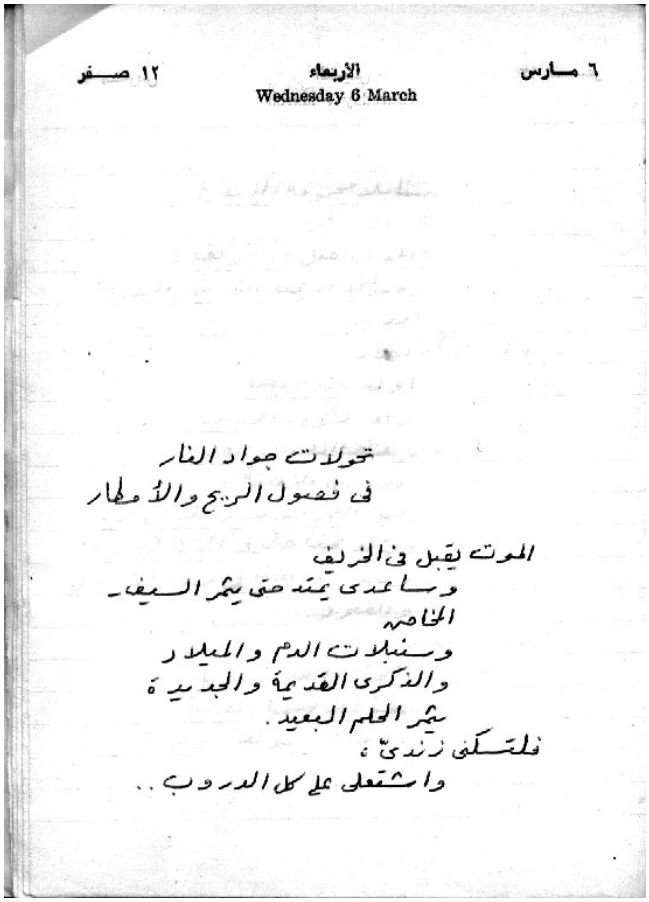
٦ مـــارس الأربعاء ١٢ صـــفر
Wednesday 6 March

تحولات جواد الطاهر
في فصول الريح والأمطار

الموت يقبل في الرغيف
وساعدي يمتد حتى يثمر السيف ـ
الخاصه
وسنبلات الدم والميلاد
والذكرى القديمة والجديدة
يثمر العلم البعيد.
فلتسكني زندي،
واشتعلي على كل الدروب..

فَاسكُبِي فِي دَمِّيَ المُخضَر
أَسرَارَ التَّوَالُد
وَاللِّقَاحَاتِ الدَّفِينَة
وَالطُّقُوسَ المُستَحِيلَةَ لِلمَطَر.

أَطلِقِي فِي جِسمِيَ الظَّمآن
خَيلَ الشَّهوَةِ المُجتَــاح:
أَمنَحكِ المَدِينَةَ وَالقِلاَع
وَأَفتَح الحِصنَ الحَــرَام
أُفَجِّر الصَّمتَ ـالهَزِيمَةَ غُنوَةً دَمَوِيَّةً
أُطلِق إِسَارَ النَّهر
أَفتَتِح احتِفَالَ العُرسِ وَالأَمَلِ العَنِيد.
فَلتُشهِرِينِي وَجهَكِ ـالبَرقَ الذِي يَلِدُ الخُصُوبَةَ فِي القُيُود ،
وَفَجِّرِينِي فِي الدُّرُوب،
فَسَاعِدِي يَمتَدُّ حَتَّى يُثمِرَ السَّيفَ ـالمَخَاض
وَسُنبُلاَتِ الدَّمِ وَالمِيلاَد
وَالذِّكرَى القَدِيمَةَ وَالجدِيدَة
يُثمِرَ السَّيفَ الجَدِيد.

وَأَنَا جَوَادُ النَّــار
أَفتَتِحُ المَوَاسِمَ وَالفُصُول
وَأَبدَأ التَّرحَالَ فِي سِفرِ السَّنَابِلِ وَالقُيُود.

مُهرة عِشقي..
لا ترقص إلاَّ في زمن الأرض

أَشرَبُ نَخبَكِ قَبلَ النَّوم.
لَكِنِّي حِينَ هَمَمتُ اللَّيلَة..
كَانَ الكَأسُ مَلِيئًا.. بِالدَّم.

عَارِيَةً.. تَستَلقِين عَلَى جَسَدِي..
فَالرِّحلَة تَبــدَأ.

تُسَافِرِين كُلَّ لَيلَةٍ إِلَى رِمَالِ الشَّاطِئِ البَعِيد.
وَحِينَ تُقفِلِين عَائِدَة..
تُفَتِّشِينَ فِي الوُجُوهِ عَن قِرَاءَاتِ الغَضَب
فَلاَ تَرَين غَيرَ الطُّحلُبِ المَسمُوم
وَالشِّعرِ المُهَادِن.. وَالخِيَانَة.
تُشرِعِينَ السَّيف،

تَبتَدِئِين حَفلَ الرَّقصِ وَالمُقَامَرَة.

نَتَسَامَرُ فِي مُنتَصَفِ اللَّيل.
أَكتُبُ فِي نَهدَيكِ اسمِي
وَعَلاَمَةَ مِيــلاَدِي
وَخَرَائِطَ تَرحَالِي المَاضِي
وَعَلاَمَةَ مَوتِي القَادِم.
أَكتُبُ شَارَتِيَ السِّــرِّيَّة.
نَتَقَاسَمُ خُبزَ اللَّيلِ الشَّهوَانِي،
وَأَسقِيكِ مَذَاقَ فُصُولِ العَام
فَنُصبِحُ إِسمًا مُفرَد ،
وَعَلاَمَةَ مِيلاَدٍ وَاحِدَةً ،
وَخَرَائِطَ تَرحَالٍ لِلمَاضِي
وَعَلاَمَةَ مَوتٍ قَادِم.

أستَيقِظُ فِي الصُّبحِ عَلَى إِيقَاعِ
الصَّرخَاتِ العَالِيَةِ المجنُونَة.
أَفتَحُ عَينِي..
لاَ أُبصِرُ غَيرَ الرَّملِ البَاهِت
وَالعَرَبَاتِ المَحطُومَة
وَبَقَايَا أَشلاَءِ القَتلَى.
لاَ أُبصِرُ غَيرَ.. الدَّم.

أَعبَثُ بِالرَّملِ المهزُوم.
أُبصِرُ وَجهِي عَبرَ مَرَايَاه المَصقُولَة..
جُمجُمَةً فَارِغَــةً
وَعِظَامًا نَاخِــرَةً
وَذِرَاعًا مَبتُــورَا.
أُبصِرُ سَيفِي..
صَدِئًــا.. مَحطُومَا.
أُبصِرُ وَجهَكِ- فِي أَحَدِ المنعَطَفَات الشَّاحِبَةِ الضَّوء-
يَتَسَاوَمُ وَالحَرَسُ اللَّيلِي.

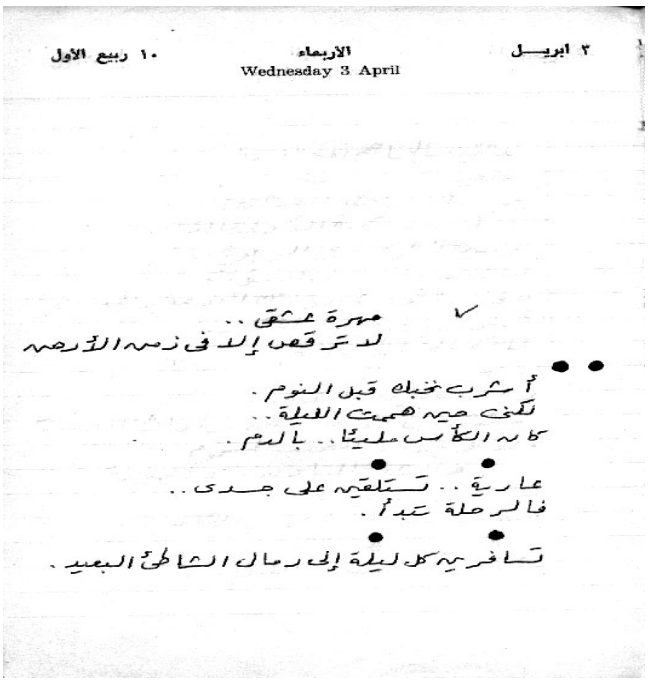
٣ ابريـــل الاربعاء ١٠ ربيع الأول
Wednesday 3 April

مهرة عشقي..
لم ترقص إلا في زمن الأرصفة

أشرب نخبك قبل النوم.
لكني حين هممت الليلة..
كانت الكأس مليئة.. بالدم.

عارية.. تستلقين على جدي..
فالرحلة تبدأ.

تسافرين كل ليلة إلى رمال الشاطئ البعيد.

تَنفَلِتِينَ الآنَ كَمُهرَةِ عِشقِي الغَامِضَةِ الوَجه

وَعَارِيَةً.. كَالمَاء ،
فَأخلَعُ فِيكِ تَصَاوِيرِي وَرُسُومَاتِي،
وَأُلَوِّنُ جَسَدَكِ بِالأَلوَانِ السَّبعَة..
يُصبِحُ بِكرًا.. كَالنَّـــار،
شَهِيًّا.. كَالشَّـــهوَة،
أَخلَعُ فِيكِ اسمِي، وَعَلاَمَاتِ ظُهُورِي وَغِيَابِي فِي الأَزمَانِ-الأَزمة، وَالأَزمَانِ الوَعدِ؛
أُعطِيكِ وُجُوهِي، وَمَلاَمِحَ خُطوَاتِي، وَمَرَاسِيمَ العِشقِ-المَوتِ، العِشقِ-الخِصبِ، وَسِرَّ فُصُولِ المَطَرِ-السَّيف.
تَشتَعِلِين الآنَ كَعَاشِقَةٍ، يَدنُو مِنهَا مِيعَادُ العِشق،
وَتَنكَشِفِين عَن امرَأَةٍ لاَ تَرقُصُ إِلاَّ فِي زَمَنِ الأَرضِ-السِّكِّين-القَحطِ،
فَدُورِي فِي زَمَنِي، إِنِّي زَمَنُ الأَرضِ-السِّكِّينِ-القَحطِ،
ارتَحِلِي فِي مَملَكَتِي المأسُورَةِ.. وَتَرًا يَحمِلُ اسمِي،
وَعَلاَمَاتِ ظُهُورِي وَحُضُورِي وَغِيَابِي، وَمَرَاسِيمَ العِشقِ-المَوتِ، العِشقِ-الخِصبِ، وَسِرَّ فُصُولِ المطَرِ-السَّيف.

31 أكتـــوبر 1974

وردَة البُــكَاء

(1)

لَم يَكُن بَينِي وَبَينَكِ
مَا يَفصِلُ الطَّلقَةَ عَن ظَهرِ الطَّرِيد.
مَا الذِي أَغرَى عُيُونَكِ بِالسُّقُوط
عَن عُيُونِي
وَحُدُودِ الذَّاكِرة.

كُنتِ حُلمَا
أَنبَتَ السَّيفَ بِكَفِّي
فَتَحَلَّقَ مِن حَوَالَيَّ العَبِيد
وَغَدَت رُومَا غَزَالاً فِي شَرَك.

آهِ.. حُبِّي
مَن سَيَمنَحُنَا الآنَ دُمُوعًا

نَبكِي دَمَنَا المُهرَقَ فِي المَيدَانِ
أَو فَوقَ المَوَائِــد
فِي قُصُورِ القَادَةِ النُّبَلاَءِ فِي رُومَا-الشَّــرَك.

(2)

عَانِقِينِــي
أَنتِ وَعدِي بِالرَّحِيلِ إِلَى خَنَاجِرِهَا الرَّهِيفَة.
وَحَلُمتُ بِالمِيلاَدِ فِي عَتَبَاتِهَا
وَالموتِ فِي أَحضَانِهَا
وَالشَّوقُ لاَ يَستَرجِعُ الوَطَنَ البَعِيد.

لَم تَكُن أُمِّــي
وَلَكِن وَلَدَتنِي فِي الخَرِيف.
وَهِيَ أُمِّي
سَوفَ يَأتِينِي مَخَاضُ المَوتِ فِي أَبوَابِهَا
نَجمَةً تَسقُطُ فِي أَيدِي العَبِيد.

هَل أَنتِ رُومَا..
أَم أَنتِ عَاشِقَتِي..
وَسَيفِي صَارَ قِيثَارًا وَسُنبُلَةً
وَحُلمًا بِالوُصُــول.

هَل أَنتِ رُومَا
أَم عَشِيقَتِي التِي تَضَعُ المَشَانِقَ تَحتَ أَقدَامِي
وَتَبغِي رِشفَةً مِن مَاءِ نَهرِ النِّيل.

عَلَى قُضبَانِكِ السَّودَاء
أرسُمُ وَجهِيَ المَطرُودَ
وَالسَّيفَا.
وَفِي عَينَيكِ
تَحتَفِلُ الوُجُوهُ السُّودُ بِالقَمَرِ المُعَانِد.

وَأُدرِكُ أَنَّ وَشمَ المَوتِ مَحفُورٌ
عَلَى أَبوَابِكِ السَّودَاء..
لَكِن..

(3)

تَستَيقِظِين الآنَ- فِي مُنتَصَفِ اللَّيــلِ-
عَلَى خَطوِي الثَّقِيل.
تَستَيقِظِين الآنَ- فِي مُنتَصَفِ المَوتِ-
عَلَى سَيفِي الصَّقِيل.
وَأَنَا أُولَدُ فِي ارتِطَامِ السَّيفِ بِالرَّقَبَة.
فَامنَحِينِي شَهوَةَ المَوتِ عَلَى أَبوَابِك

يَا أُمِّي النَّبِيَّة.
وَامنَحِينِي شَهوَةَ السَّفَرِ الدَّائِم
فِي كِتَابِ السَّيف..
أَبدَأ الرَّقصَةَ مِن أَوَّلِهَا
وَأفتَتَح الرَّحِيـــل.

الآنَ.. أُبحِرُ فِيكِ لِلوَطَنِ الجَدِيد.
الآنَ.. أُسرِجُ خَيلِيَ المَحلُول
تَبدَأُ فِيكِ قَافِلَتِي السَّــفَر.
قُلتِ: الآنَ.. أَنفَتِحُ اخضِرَارًا وَخُصُوبَة
وَكِتَابًا لِلعِشقِ فِي زَمَنِ المَجَاعَة.
فَتَصَفَّحنِي
وَاعتَصِر بَينَ ذِرَاعَيكَ فصُولِي
إِنَّنِي أَتَفَتَّحُ الآنَ بِالشَّهوَةِ
وَالرَّقصَةِ النَّارِيَّــة.
مَحلُولَــةً
أَتَمَدَّدُ الآنَ انتِظَارًا شَبَقِيًّا
تَرحَلُ الآنَ خَيلُكَ فِيَّ
تُسَافِرُ فِيَّ القَوَافِل
نَدخُلُ مُدنًا لَم تَكُن فِي الخَيَال
وَنَفتَحُ كُلَّ الحُصُون.
اعتَصِرنِي

وَنُسرِجُ خَيلَ الشُّمُوسِ البَعِيدَة
نُولَدُ فِي كُلِّ أَرض
وَفِي كُلِّ أَرضٍ نُخَلِّفُ إِيقَاعَنَا القَزَحِي
وَنَغرِسُ غُنوَتَنَا فِي البِلاَد.
مَحلُولَــةً
أَتَفَتَّحُ كِالتُّربَةِ الشَّبِقَة.
كَشَعرِي فِي سَاعِدَيكَ
تَجَــوَّل
وَقَلِّب فُصُولِي بَينَ يَدَيكَ
وَأبحِر سُيُوفَكَ فِيَّ
أُغَنِّي
وَأَفتَح أَبوَابِي المُغلَقَة.

وَقُلتِ: زَمَانُكَ هَذَا
وَغَنَّيتِ لِلاشتِهَاء.
وَنَادَيتِنِي لِلرَّقصِ،
قُلتِ: أَوَانُكَ هَذَا
فَأشرِع سُيُوفَكَ مِن غِمدِهَا
إِنَّنِي أَتَشَكَّلُ بَينَ يَدَيكَ
أَكُــونُ
أَصِيــر
وَتَفتَحُ فِيَّ جَمِيعَ المَرَافِئ

تَحضُنُ خَيلَكَ
تَنفُضُ عَنهَا سُيُوفَ المَمَالِيك
تَغسِلُ عَنهَا الغُبَــار.
وَتَملأنِي الآنَ بِالوَعد
تُثمِرُ فِيَّ
أُغَنِّي
وَأَخرِقُ كُلَّ القَوَانِين
أَرقُصُ عَارِيَةً فِي الشَّوَارِع
أُنشِدُ كُلَّ الأَغَانِي
حِينَ تُطَارِدُهَا المِشنَقَة.

لِتَستَيقِظِ الآنَ كُلُّ العَوَالِم.
لَيلَةُ عُرسِي تَبدَأ
وَالخَيلُ تَبدَأ
وَالسَّاعِدُ ـالسَّيفُ يَبدَأ إيقَاعَه ـالنَّارَ فِي جَسَدِي.
فَامتَلِكنِي فِي لَيلَةِ العُرس
إِنِّي لَم أَنفَتِح قَبل هَذَا
فَإِنِّي انتَظَرتُكَ حَتَّى...
وَحِينَ تَملَمَلَ صَبرِي أَتَيت.

هَا أَنَا أَفتَحُ أَبوَابِي لِلسُّيُوفِ العَاشِقَة.

(4)

لَم يَكُن بَينِي وَبَينَكِ
مَا يَفصِلُ الطَّلقَةَ عَن ظَهرِ الطَّرِيد.
مَا الذِي أَغرَى عُيُونَكِ بِالسُّقُوط
عَن عُيُونِي
وَحُدُودِ الذَّاكِرة.

آهِ.. حُبِّي
مَن سَيَمنَحُنَا الآنَ دُمُوعًا
نَبكِي دَمَنَا المُهرَقَ فِي المَيدَانِ
أَو فَوقَ المَوَائِــد
فِي قُصُورِ القَادَةِ النُّبَلاَءِ فِي رُومَا-الشَّــرَك.

جَسَــد

هُو جَسَــدٌ .
وَأَنَا كَلمِةُ العِشقِ المُغتَصِبَة.
أَتَحَسَّسه..
فَيُولَدَ فِي كَفِّي.. فَرحًا
وَاشــتِهَاءً
وَخُيُولاً جَامِحَة.
أَتَشَهَّاه..
فَيُصبِحَ مَملَكَةً لِلمُفَاجَأَةِ الخَفِيَّة
وَالطُّقُوسِ الوَثَنِيَّــة
وَالرُّعب.
فَأُسَمِّيه.. الوَطَن.

هَذَا هُوَ الجَسَدُ الذِي أَشتَهِيهِ لِيُصبِحَ أَرضِي الطَّلِيقَة،

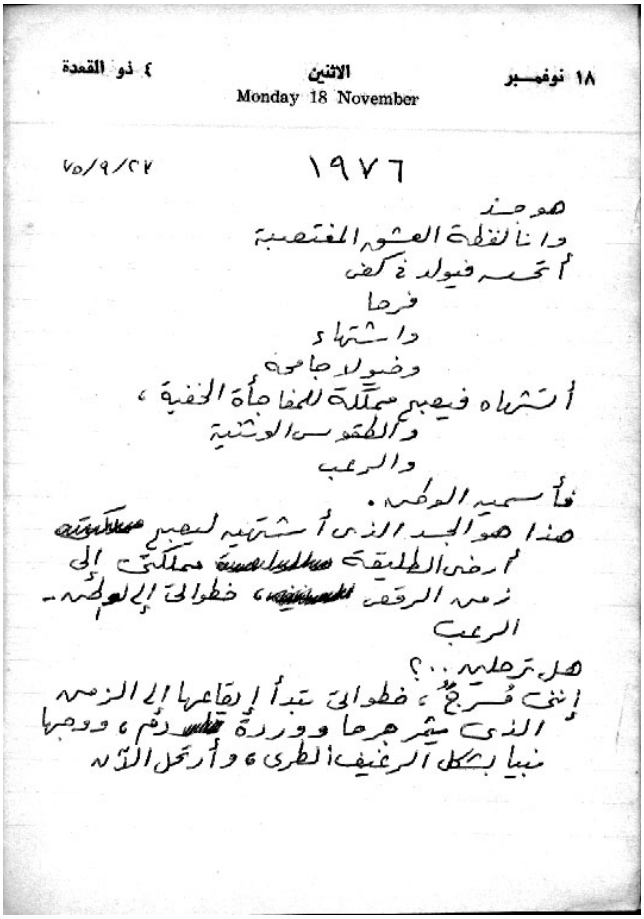

هَل تَرحَلِين..
خُطوَاتِي تَبدأُ إِيقَاعَهَا إِلَى الزَّمَنِ الذِي يُثمِرُ وَردَةَ دَم
وَوَجهًا نَبِيًّا بِشَكلِ الرَّغِيفِ الطَّرِي.
وَأَرتَحِلُ الآنَ لِلبَحر ،
أَبتَدِئُ الأَبجَدِيَّـــة
أَرسُم شَمسًا بِحَجمِ الظِّلَامِ الكَثِيف

وَأَكتُبُ فَاتِحَةً لِلحُلــم..
سَنَابِلَ خَضرَاءَ تَطلُعُ فِي الوَاجِهَاتِ الحَزِينَة؛
أَحفُرُ فِي كُلِّ بَيتٍ عَلاَمَةَ وَجهِي
وَأَحفُرُ قَولِي..
فِي البَدءِ.. كَانَ الجُوعُ تَذكرَةَ الفُصُول
وَمَوعِدَ الفَيَضَـانِ وَالعُرسِ المُؤَجَّـــل
وَاحتِفَالاَتِ الحَصَـــادِ المُرجَـأ المِيعَادِ

فَارتَحِلِي مَعِي لِلبَحر
هَذَا وَجهُنَا فِي المَاءِ يَطفُو..
ثُم يَغـرِق..
ثُم يَطفُـــو..
وَطَعمُ المَاءِ يُعطِي جِسمَكِ الوَهَجَ-البَكَارَة
فَادخُلِي أَرضِي الرَّحِيبَـة
إِنَّنِي لُغَةٌ وَتَقوِيمٌ جَدِيدٌ لِلمَنَاخَات
وَأَحلاَمِ الغُصُونِ اليَابِسَة.

هَذَا أَوَانُ الرَّقص
فَارتَحِلِي مَعِي لِلبَحر..
سَيِّدَةً لِلعِشقِ وَالشَّهَوَات
وَجهُكِ طَامِحٌ لِلبَحرِ وَالموجِ المُفَضَّض
طَامِحٌ لِجَزَائِرِ الإِيقَاعِ وَالمدُنِ-الطُّفُولَة.
هَذِي مِيَاهُ الحُلمِ تَدخُلُنَا رُوَيدًا

حَربَةً نَارِيَّــةَ الخُطوَاتِ
فَانتَشِرِي عَلَى جَسَدِي بُرُوقًا
وَادخُلِي زَمَنِي
فَوَجهُكِ طَامِحٌ لِلبَحر
وَجهِي طَامِحٌ لِجَزَائِرِ الإِيقَاعِ وَالمدُنِ ـالطُّفُولَة
وَابدَئِينِي .

تَأتِين.. كَالشِّعرِ المُرَادِفِ لِلفَجِيعَة
فِي زَمَانِ المَوتِ وَالنَّثرِ الرَّدِيء
وَتُثمِرِين نَوَارِسَ البَحرِ الجَمِيلَةَ
وَالمحَــار
وَنُكهَةَ الموجِ الثَّقِيلَة.
تُقبِلُ الأَسمَاكُ وَالرَّملُ المُلَوَّنُ وَالصُّخُورُ البِكر
وَالأعشَاب
تَنفَلِتُ العَنَاصِرُ عَن تَرَابُطِهَا
وَتَنحَلُّ المسَارَاتُ الأَلِيفَةُ عَن تَرَبُّصِهَا الحمِيمِ إِلَى الفَرَح.
وَالماءُ مُبتَــدأٌ
وَأَنتِ الآنَ مُبتَدأٌ وَفَاتِحَةٌ وَبَاب.
تَأوِي طُيُورُ البَحرِ فِيكِ
فَأَنتَمِي لِلحُزنِ وَالشِّعرِ المُرَادِفِ لِلفَجِيعَة
أَبتَدِي رَقصِي العَنِيفَ مَعَ انهِمَارِ المَاءِ وَالأَصدَاف
أَبتَدِئُ انتِشَارِي فِي خَلاَيَا جِسمِكِ المفتُوح

مُبتَــدأً
وَفَاتِحَةَ المَدَارَات الدَّفِيئَة.

تَرتَدِينَ الآنَ وَجهَ الطَّائِرِ البَحرِيِّ
تَنفَتِحُ السَّمَاءُ عَنِ الرَّحَابَة
وَالفُصُولُ عَن النَّدَاوَة
وَالبِحَارُ عَن انفِجَارِ المَوجِ وَالمَاءِ المسَالِم.
تَنتَفِي كُلُّ المَوَاعِيدِ القَدِيمَةِ لِلتَّوَاصُل
عَن زَمَانِ البدءِ وَالفِعلِ العَنِيف.

هُنَا البَحــر
يَعشَقُ كُلَّ الوُجُوهَ الجَمِيلَة
كُلَّ العُيُونِ الكَحِيلَة
يَعشَقُ امرَأَةً
تَرتَدِي الآنَ وَجهَ الطَّائِرِ البَحرِي
وَالموجَ المُفَضَّض
وَالرِّمَالَ النَّاعِمَة.
هُنَا البَحــر
يَمتَلِكُ المَدَى وَالمسَافَة
يَختَزِنُ البَرقَ وَالكِلمَةَ القَادِمَة.

تَخرُجِين- اللَّيلَــةَ-

مِن دَائِرَةِ البَحرِ إِلَى سُرَّةِ الأَرضِ انبِثَاقًا
تَستَفِزِّينَ القُرَى وَالزَّرعَ وَالأَشجَار
وَالفُقَـــرَاء
وَتَنفَلِتِين إِلَى جَسَدِي
فَتَندَفِقُ الرِّيَاحُ إِلَى عُرُوقِ الأَرض
يَندَفِقُ الدَّمُ الفَوَّارُ
تَغتَسِلُ المدَائِنُ فِيه
وَالأَشجَارُ
وَالوَطَنُ الأَليـــم.

"كُنَّا نَسِيرُ.. فَنُبصِرَ القَتلَى يَسِنُّونَ العِظَامَ، وَيَحفُرُون الأَرضَ عَن زَمَنِ الكَلاَمِ، فَتُشرِقِين بِحَلقِي المَشـــرُوخ ، تَرتَجِفِين ، تَنتَفِضِـــين مُشرَعَةً.. كَنَارِ الخَلقِ، تَنفَلِتِين مِن بَينِ الأَصَابِع: مُهرَةَ المَطَرِ الجَمِيل".
وَتَنفَلِتِين.. كَمُهرَةِ عِشقِي
غَامِضَةَ الوَجـه
وَعَارِيَـةً.. كَالمَاء
فَأَخلَعُ فِيكِ تَصَاوِيرِي وَرُسُومَاتِي
وَأُلَوِّنُ جَسَدَكِ بِالأَلوَانِ القَزَحِيَّة
يُصبِحُ بِكرًا.. كَالنَّار
شَهِيًّا.. كَالشَّهوة

أَخلَعُ فِيكِ اسمِي
وَعَلاَمَاتِ ظُهُورِي وَغِيَابِي.

23 سبتمبر 1975

1ـ أعمال شعرية:

وَردَةُ الفَوضَى الجَمِيلَـة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1987.

إشرَاقَـات رفعَت سَلاَّم (طبعة غير كاملة)، القاهرة 1987؛ الطبعة الكاملة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992.

إنَّهَا تُومِـئ لِي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 1993؛ سلسلة "نوافذ"، القاهرة 1996؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، القاهرة 2005.

هَكَذَا قُلتُ لِلهَاوِيَـة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1993.

إلَى النَّهَـارِ المَاضِي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1998.

كَأنَّهَا نِهَايَـةُ الأَرض، مركز الحضارة العربية، القاهرة 1999.

حَجَرٌ يَطفُـو عَلَى المَاء، دار "الدار"، القاهرة 2008.

هكذا تكلَّم الكَركَـدن، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2012.

2 – دراسات:

المسرح الشعري العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986.

بَحثًا عَن التُّرَاث العَرَبِي: نَظرَةٌ نَقدِيَّةٌ مَنهَجِيَّة، دار الفارابي، بيروت 1990. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1990؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب 2006.

بَحثًا عَن الشِّـعر، الهيئة العامة لقصور الثقافة (سلسلة "دراسات نقدية")، القاهرة 2010.

3 – ترجمات:

بوشكين: **الغَجَر.. وقَصَائِد أُخرَى**، دار ابن خلدون، بيروت 1982؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب (مكتبة الأسرة)، القاهرة 2010.

مایاکوفسکي: **غَيمَةٌ فِي بَنطلُون.. وَقَصَائِدُ أُخرَى**، دار الثقافة الجديدة، القاهرة 1985؛ طبعة مزيدة: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1998.

كربرشويك: **الإِبدَاعُ القَصَصِيُّ عِندَ يُوسُف إِدرِيس**، دار شهدي، القاهرة 1987؛ طبعة كاملة: دار سعاد الصباح، القاهرة والكويت 1993.

ليرمونتوف: **الشَّيطَان.. وَقَصَائِدُ أُخرَى**، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة 1991؛ دار "نفرو"، القاهرة 2007.

يانيس ريتسوس: **اللَّـذَّة الأُولَى** (مختارات شعرية)، الملحقية الثقافية اليونانية، القاهرة 1992؛ دار الينابيع، دمشق 1997.

هَذِه اللَّحظَةُ الرَّهِيبَة (قصائد من كرواتيا)، المركز المصري العربي للنشر والتوزيع، القاهرة 1997.

يانيس ريتسوس: **البَعِيـد** (مختارات شعرية شاملة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997.

جريجوري جوزدانيس: **شِعـرِيَّة كَفَافِي**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1999.

دراجو شتامبوك: **نُجُومٌ مُنطَفِئَةٌ عَلَى المِنضَدَة**، (صدر- خطأً- بعنوان "لغة التمزق")، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2001؛ دار "نفرو"، القاهرة 2007.

شارل بودلير: **الأَعمَالُ الشِّعرِيَّة الكَامِلَة**، دار الشروق، القاهرة 2010.

أنا-الآخَـر (مختارات شعرية عالمية)، مؤسسة البابطين، الكويت 2011.

قُسطَنطِين كفَافِيس: **الأعمَال الشِّـعرِيَّة الكَامِلَـة**، الهيئة العامة لقصور الثقافة،

القاهرة 2011.

آرثَر رَامبُو: **الأعمَال الشِّعريَّة الكَاملَة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2012.

4ـ مراجعة:

سوزان برنار، **قصيدة النثر من بودلير حتَّى الآن**، ترجمة راوية صادق، دار شرقيات، القاهرة 1998ـ 2000.

برنار نويل، **ماجريت**، ترجمة راوية صادق، دار شرقيات، القاهرة 2001.

جان ديڤاسًّا نياما، ثلاثية "**الكَالبَـاس**" الروائية، ترجمة عاطف عبد المجيد، د. نسرين شكري، إيمان رياح، سلسلة "الجوائز"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2010.

فيليب كلوديل، **تقرير برُودِيـك**، ترجمة لطفي السيد، سلسلة "الجوائز"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2013.

رفعت سـلاَّم

الأعمـال الشِّــعريَّة

الجُزء الثَّـاني

إلى النَّهـار الماضي 7

(1998)

منيا القمـح 1951 13
فاطمـة 21
منيـة شـبين 27
شــفيقة 35
1967 41
الصَّــوت 51
1972 57
زنــزانة 6 71
مِتــلاَ 77
بُولاقيَّــة 87
1977 93
غريبــة 111
مملكــة 117
جمَــل 129
سَــراب 135

قيلُــولة..... 145
لمـــاذا..... 151

كأنَّها نهايــة الأرض 157
(2000)

عَــراء..... 163
فضَــاء..... 195
سُــؤَال..... 221

حجَـر يطفُـو علَى المـاء 263
(2008)

هكَذَا تكلَّم الكَركَدن 313
(2012)

حَبْـو 451
(قصـائد أولَـى)

في انتظار ريَــاح الصُّبح..... 455
في انتظَــار طائر لاَ يأتي..... 459

انتظـــار..... 463
متى..؟..... 465
يَومًـــا . . مَـــا..... 468
الموت في الطُّرقَـــات العارية..... 471
خِطَاب مفتُـــوح إلى "جُودُو" .. الذي وصَـل..... 475
الكلمـــة .. والمـــوت..... 480
خمسة مقاطِع حزينـة مِن أغنيـة دمويـة..... 483
أقُـــول..... 489
الأشجَـار .. لا تُغادر الوطـن..... 492
مشَـاهد حُب ليليَّـة..... 496
بُكائيَّات رَجُل يمُوت في الليـل عاريًـا..... 500
حَيثيَّـات المطاردَة الأخيـــرة..... 505
قِراءات ليست أخيرة مِن دفتَـــر الجُوع والميـــلاَد..... 509
الزِّفَـــاف علَى خناجِر الولادَة..... 514
العشـق في زمَن السَّـلاسل والمخاض..... 519
تحولات جـواد النَّار في فصول الريـــح والأمطار..... 523
مُهرة عِشقي.. لا ترقص إلاَّ في زمن الأرض..... 527
وردَة البُـــكَاء..... 513
جَسَـــد..... 538

الأعمال الكاملة
t.me/kotbhm